

مصادر التربية الإسلامية

(معجم الأدباء)

لإياقوت الحموي نموذجاً

مؤلف: محمد أحمد عيسى

تقديم

الأستاذ. الدكتور

مصطفى رجب

أستاذ أصول التربية

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

البيانات		
مصادر التربية الإسلامية (معجم الأدباء) لياقوت الحموي نموذجاً		
مؤلف - Author مؤهب محمد أحمد عيسى		
الطبعة - Edition الأولى .		
الناشر - Publisher العلم والإيمان للنشر والتوزيع .		
عنوان الناشر Address كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة تليفون : ٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ فاكس : ٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١		
بيانات الوصف المادي	عدد الصفحات Pag.	مقاس الصفحة Size
الجلد	٤٠٠	٢٤,٥ x ١٧,٥
الطبعة - Printer الجلال .		
عنوان المطبعة - Address العامرية إسكندرية.		
اللغة الأصل اللغة العربية .		
رقم الإيداع ٢٦٧٢٢ - ٢٠٠٧ م		
الترقيم الدولي I.S.B.N. 8 - 164 - 308 - 977		
تاريخ النشر - Date 2008		

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة -

تحذير:
يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل
من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
١٣	- المقدمة : أ.د. مصطفى رجب
١٧	الفصل الأول ، " التعريف بياقوت الحموي "
١٧	- المقدمة
١٨	الأسماء المتشابهة مع ياقوت
١٨	١ - ياقوت الموصل
١٩	ب- ياقوت الرومي
٢٢	ياقوت الحموي :
٢٢	- اسمه ولقبه
٢٣	- موطنه
٢٤	- مولده ووفاته
٢٥	- السبب الذي من أجله لقب بالحموي
٢٦	- بينته ونشأته
٢٨	- الرحلة وأثرها في حياته
٣٢	- العلماء الذين التقى بهم في مصر
٣٤	- رحلته إلى دمشق
٣٧	- رحلته إلى حلب
٣٨	- رحلته إلى الموصل

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
٣٩	- رحلته إلى خراسان
٤٢	- رحلته إلى مرو الشاهجان
٤٧	- رحلته إلى خوارزم
٥٠	- رحلته إلى بغداد
٥٠	- عودته إلى حلب
٥٣	- عقيدته
٥٣	- أخلاقه
٥٤	- أساتذته
٥٨	- ظروفه الاجتماعية والاقتصادية
٥٩	- منهجه في التأليف
٦٦	- مؤلفاته
٦١	- معجم الأدباء وآراء العلماء فيه
٧١	الفصل الثاني : جوانب من بعض العلوم الدراسية التي وردت في معجم الأدباء وأهم أعلامها
٧٢	أولاً : العلوم النقلية والشرعية وأهم أعلامها
٧٢	- علم الفقه وأصوله
٨٠	- علم الحديث

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
١٠٠	- علم القراءات
١٠٧	- علم التفسير
١٠٩	الخلاصة
١١٢	ثانياً : العلوم اللغوية وأهم أعلامها
١١٢	- علم النحو والصرف
١٢٤	- علم اللغة
١٣١	استدراك
١٣٥	- علم الأدب
١٤٣	- الشعر وعلم العروض (موسيقى الشعر)
١٥٣	- علم البلاغة
١٥٧	الخلاصة
١٥٩	- الدراسات النقدية
١٦٠	ثالثاً : العلوم العقلية وأهم أعلامها
١٦٠	- علم الطب
١٦٧	- علم الصيدلة
١٦٩	- علم الكيمياء
١٧٢	- علم الهيئة (علم الفلك والنجوم)

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
١٧٤	استدراك
١٧٨	- علم الفلسفة والحكمة
١٨٥	- علم التاريخ
١٩٤	- علم الجغرافيا
١٩٧	- علم الرياضيات (الحساب - الجبر والمقابلة - الهندسة)
٢٠٢	- المنطق وعلم النفس
٢٠٣	- علم الحيوان
٢٠٤	الخلاصة
٢٠٧	الفصل الثالث ، الوسائل التعليمية (طرق التدريس)
٢٠٨	- السماع وأثره في التعليم
٢١٩	- الإملاء وأثره في التعليم
٢٢٦	- القراءة وأثرها في التعليم
٢٣٨	- الحفظ وأثره في التعليم
٢٤٣	- الرحلة وأثرها في التعليم
٢٥٠	- ملازمة العلماء وأثرها في التعليم
٢٥٣	- التعليم بالمصاحبة

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
٢٥٦	- المناظرة والجدل وأثرهما في التعليم
٢٦١	- الإلقاء والخطابة (الوعظ) وأثرها في التعليم
٢٦٢	- التعلم من أفواه العامة
٢٦٤	- الأخذ عن العلماء والاقتباس من كتبهم
٢٧١	- المناقشة وأثرها في التعليم
٢٧٢	- التجربة وأثرها في التعليم
٢٧٧	- المراجعة والتكرار وأثرها في التعليم
٢٧٨	- الامتحان والتقويم وأثرهما في التعليم
٢٨٠	- الإجازة وأثرها في التعليم
٢٨٤	- الكتابة وأدواتها ودورها في التعليم
٢٩٣	الخلاصة
٢٩٧	الفصل الرابع ، أماكن التعليم (المؤسسات التعليمية)
٢٩٧	- المقدمة
٢٩٨	- المساجد (وحلقات العلماء)
٣١٦	الخلاصة

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
٢٢٠	- الكنائس.....
٢٢٢	الخلاصة.....
٢٢٣	- المدارس.....
٢٢٦	الخلاصة.....
٢٢٨	- منازل العلماء (مجالسهم).....
٢٦٠	- مجالس الأمراء والوزراء.....
٢٦٦	الخلاصة.....
٢٦٦	استدراك.....
٢٦٨	- أماكن الحروب (الأريطة والخنادق).....
٢٧٠	- الأسواق.....
٢٧٢	الخلاصة.....
٢٧٢	- الشوارع والطرق العامة.....
٢٧٤	الخلاصة.....
٢٧٤	- أماكن التجارة.....
٢٧٦	- المكتبات.....
٢٧٩	تعقيب.....

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
	الفصل الخامس ،
٣٨٣	بعض القضايا التربوية التي تحدث عنها لياقوت
٣٨٣	- المقدمة.....
٣٩٠	- أخذ الأجرة على التعليم.....
٣٩٢	التعليم الخاص وأنواعه.....
٣٩٢	- تعليم الأمراء والوزراء وأبنائهم.....
٣٩٢	- تعليم الصبية.....
٤٠٧	- الدعوة إلى تعليم الكبار (محو الأمية).....
٤٠٨	- مؤسسات تمويل التعليم.....
٤١٤	- المكافآت عند صدق الحديث والتعليم.....
٤١٤	- التأديب من السلطان للعالم إذا أخطأ.....
٤١٥	- تصحيح الخطأ للمتعلم ولو كان ذا جاه.....
٤١٥	- النساء معلمات.....
٤١٧	- الدعوة إلى إعمال العقل والتفكير.....
٤١٨	- شروط تعلم علوم القرآن.....
٤١٨	- فرضية العلم.....
٤١٩	- الدعوة إلى تقويم اللسان والعقل بالعلم.....

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
٤١٩	- التأكد من تأليف الكتاب بمراجعة العلماء
٤٢٠	- تصحيح الخطأ عند التنبيه عنه
٤٢٠	- ذم نسبة العلوم إلى غير أهلها
٤٢١	- العلم عوض عن المال
٤٢٢	- الاعتراف بفضل العلماء على تلاميذهم
٤٢٣	- السكوت عن الإجابة عند عدم المعرفة
٤٢٣	- الأمان دعوة إلى علم العلماء
٤٢٤	- ذم الجهل والدعوة إلى إعمال العقل
٤٢٥	- ترك الكتابة وإن كانت خطأ
٤٢٦	- مناصرة الزمان وذم أهله
٤٢٦	- محاور الشريعة الإسلامية
٤٢٩	التربية ونشاطها بين العلماء والمتعلمين :
٤٢٩	- التربية الأخلاقية
٤٢٩	- التربية الخلقية وإطاعة الوالدين
٤٣١	آداب المتعلم
٤٣١	- زجر الطالب عند تحريكه أثناء مجالس التعليم
٤٣١	- جواز تقبيل أيدي العلماء

(الفهرس)

الصفحة	الموضوع
٤٣٢	- غرس التربية الدينية في نفوس المتعلمين
٤٣٣	- تغير سلوك الحيوان عن طريق التربية.....
٤٣٥	- كتب ذات قيمة تربوية
٤٤٣	- البيئة وأثرها في التعليم
٤٥٠	- الدعوة إلى التعليم
٤٥٢	تعقيب
٤٥٣	- المصادر والمراجع.....

المقدمة ،

التراث العربي الإسلامي تعبير صادق عن أثر التوجيه الإسلامي . ودوره في بناء الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ، بل هو الدافع الرئيسى لنهضة الفكر والحضارة الإنسانية بصفة عامة..

والنظرة العامة للتراث حديثاً تتمثل فيما تركه السلف لنا من مخطوطات أى من الكتب ، التى تعتبر قلب المعرفة والعلم العربى الإسلامى . بل المعرفة والعلم الإنسانى كافة والتراث العربى الإسلامى بروافده المختلفة من العلوم النقلية والعقلية وما صححه وطوره مما أضافه نتيجة جهد أبنائه المسلمين المشتغلين فيه . ومما أضافه نتيجة المواقف الاجتماعية والإنسانية والحضارية هو مجال واسع رحب عميق متنوع للدراسات. وسيظل أرضاً بكرًا للأبحاث مدة طويلة قد تطول إلى قرون .

ومن هنا كان أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى عبد الرحمن درويش يرى أهمية دراسة تاريخ التربية والتعليم بالنظر إلى الفائدة التى تعود علينا من خلال هذه الدراسة فإن تراث الأمة يمثل حصاد تفاعلها الإنسانى . مع الوجود كله ، مع الديانات والعقائد والفلسفات ، مع الآداب والمعارف والفنون ، مع الطبيعة المادية والجغرافية والتاريخية مع الأمم السابقة. والنظم التعليمية نشأت وتطورت مع تطور المجتمع الإنسانى فى عصور الحياة المختلفة . وخضعت لعوامل فعالة مؤثرة . وهذه العوامل تختلف بين العوامل الاقتصادية والدينية والاجتماعية بل والعوامل السياسية . وإن كانت درجة تأثير كل عامل تختلف حسب الزمان والمكان على الفكر البشرى . ونموه التربوى والتعليمى . ولكنها جميعاً تحتاج جهود طائفة متميزة من العلماء المخلصين لدينهم وأوطانهم .

ومن هؤلاء العلماء لياقوت الحموى . صاحب كتاب (معجم الأدباء) والمسمى بإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . وهذا المرجع الخصب هو ما يتناوله - فى هذا الكتاب - ابننا الباحث موهوب محمد عيسى بالدراسة والتحليل للوصول إلى معرفة الأوضاع

التعليمية التي كانت سائدة في العصور التي أرخ لها ياقوت ، ومعرفة القضايا التربوية التي اعترضت تلك العصور ، فهذا الكتاب تأريخ للتربية الإسلامية من خلال دراسة قضايا التربية والتعليم في الفترة الزمنية التي عاش فيها ياقوت والفترات التي أرخ لها في موسوعته (معجم الأدباء) ، وهذا الكتاب ثمرة رسالة علمية تقدم بها موهوب تحت إشرافي وبمشاركة من زميلي وتلميذي الدكتور خليفة الحويج إلى كلية التربية بسوهاج عام ٢٠٠٠ م. ونال عنها درجة الماجستير بتقدير ممتاز.

وقد ترجم ياقوت في معجمه لكل من اشتغل بالعلم والأدب واللغة والنحو والكتابة في الرياضيات والهندسة والفلك وغيرها من العلوم العقلية ، واهتم بجانب هؤلاء بالترجمة للوراقين وأصحاب الخطوط لألفة المهنة فقد اشتغل ياقوت في مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة ، ولم يقتصر ياقوت في معجمه على أدباء عصره بل ترجم لكل من خدم الأدب العربي إلى عهده وزمانه ، وقد ترجم لأدباء أحياء في عصره مثل القفطي الذي توفي بعده بعشرين عام .

وقد شرح ياقوت منهجه في الترجمة للرجال فقد ذكرهم بطريق الإيجاز مع ذكر مواليدهم وتواريخ وفياتهم ، وكان يذكر بعض مستحسن أخبار العالم ، وبعض المختار من شعره ، وقد تمسك ياقوت بهذا الكتاب دون إعارته لأحد وكان سبب هذا الشح أن الكتاب كان مخطوطاً لدى ياقوت وخشى إن أعاره لسواه أن تنسب معلوماته إلى من عده ومن يرى لعل شيئاً قليلاً أو كثيراً من الكتاب ينقله ناقل وينسبه إلى نفسه ويضيع على ياقوت ما بذله من جهد ووقت ، وتفكير وإبداع ، وقد أشار ياقوت إلى ذلك بقوله " وقد أقسمت ألا أسمع بإعارته ما دام في مسودته ، لئلا يلج طالب بالتماسه "

وقد رتب ياقوت الأعلام في معجمه على نظام الترتيب الألف بائي فقال : " وقد جعلت ترتيبه على حروف المعجم ، أذكر أولاً من أول اسمه (أ) ثم من أول اسمه (ب) ثم (ت) ثم (ث) إلى آخر الحروف "

مصادر التربية الإسلامية ← (معجم الأدياء) لياقوت الحموى نموذجاً

وكان ياقوت إذا اتفق الرجال فى أسمائهم وأسماء آبائهم ، يلجأ إلى تاريخ الوفاة فيقدم فى الذكر من تقدمت وفاته وقد سبق أن أشرنا إلى منهج ياقوت فى تأليف كتبه .
فهذا الكتاب سيكون فائحة خير - إن شاء الله - أمام الباحثين الظماء إلى الارتواء من معين تراثنا الإسلامى الثرى .
نسأل الله تعالى أن يكون هذا الكتاب علماً ينتفع به مؤلفه وقارئه . إنه سميع مجيب

أ.د. مصطفى رجب

أستاذ التربية الإسلامية - رئيس قسم أصول التربية
جامعة سوهاج

سوهاج في ذي القعدة الحرام ١٤٢٨ هـ - نوفمبر ٢٠٠٧ م

الفصل الأول التعريف بياقوت الحموي

مقدمة

يعرض البحث هنا بعض الجوانب الحياتية لياقوت الحموي ، حتى يمكن للغارئ أن يدرك كل ما يدور حول حياة ياقوت ، وفي فترة قصيرة ، ولكل علم من أعلام المعرفة ، ظروف قاسية تحمل من خلالها التعب والجهد ، ويغرق ذلك ترك العالم لأهله ووطنه ، وتكون الحياة أشد قسوة حينما يؤخذ هذا العالم من وطنه قهراً ، لا اختيار له . ولذا كان علينا أن نجمع كل ما يتعلق بحياة ياقوت بدءاً من طفولته وحياته الأسرية الأولى ، والظروف التي عاشتها أسرته ، وكيف وصل ياقوت إلى بغداد ، والسبل التي سلكها حتى يحصل على نصيبه من التعليم ، وكيف فرضت الظروف الاقتصادية على ياقوت الحموي العمل والسفر والتنقل بين البلدان ، والفائدة العلمية (الحصيلة المعرفية) التي عاد بها ياقوت من رحلاته وتطوافه بين أرجاء المدن الإسلامية ، الأمر الذي كان له عظيم الأثر ، في ظهور هذه المؤلفات العلمية لياقوت الحموي والتي تزخر بالمعرفة ، بل في شتى أنواع المعرفة بين الأدب والتاريخ والنحو والصرف والجغرافيا ، بل لا نبالغ إذا قلنا في الطلب والهندسة وفن العمارة وعلم الفلك والتي من بينها كتاب " معجم الأدباء " موضوع الدراسة .

وتحدث الباحث باختصار عن رحلات ياقوت وتنقلاته لعدم الإسهاب معرضاً لأهم معالم هذه المدن ، والعلماء المشهورين الذين تتلمذ لهم ياقوت تلمذة مباشرة أو غير مباشرة (أي من خلال مؤلفاتهم) .

وتحدث كذلك عن منهج ياقوت في التأليف وطريقته في توثيق المعلومة التي يقتبسها من غيره ، واستشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والمكانة التي حظي

بها ياقوت بين العلماء ، وكتاب معجم الأدباء بين نظائره من كتب العلماء ، والتزم الباحث بذكر مراجع الدراسة في تقرير الدراسة (من الدراسة) بالإشارة إليها على النحو التالي : (الزركلي : ٩٥ / ٣) فمعنى ذلك أن المعلومة موجودة في الجزء الثالث الصفحة الخامسة والتسعون .

وعند ذكر الآيات القرآنية والأحاديث يشار إليها داخل البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية ، أو الحديث وموقعه .

ياقوت الحموي :

قام الباحث هنا بمحاولة لوضع سيرة ذاتية للعالم والأديب ياقوت الحموي ، على ضوء ما قام به ياقوت من كتابات أدبية وتاريخية لبعض الأحداث التي عاش أيامها وقاسم غيره هذه الأحداث ، وكذا الكتابات التاريخية التي تناولت حياته .

أولاً : الأسماء المتشابهة مع ياقوت الحموي :

وردت في بعض كتب العلماء أسماء تشابهت مع ياقوت الحموي بجانب أن جميع هذه الأسماء من الروم ، غير أن كل علم من هذه الأعلام الياقوتية يتميز بعلم من العلوم يختلف به عن غيره بل هناك أشياء تميز كلا منهم عن الآخر ومن هؤلاء :

١ - ياقوت الموصلی :

" أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلی الكاتب الملقب بأمين الدين والمعروف بالملكي (نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر) ت : ٦١٨ هـ وقد أخذ الموصلی علم النحو عن أبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان النحوي ، فقد قرأ عليه ديوان المتنبي ، والقامات الحريزية عن طريق ملازمته وقد كتب الموصلی الكثير من الكتب ، وكان يجمع مع ذلك نباهة

تامة وكتب الموصلي بخطه نسخاً من كتاب الصحاح للجوهري كل نسخة في مجلد واحد (١)

٢ - ياقوت الرومي (أبو الدر) :

" أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الملقب بهذب الدين . الشاعر المشهور مؤلف أبي منصور التاجر الحلبي وقد تعلم بالمدرسة النظامية واشتغل بالعلم وأكثر الأدب واستعمل قريحته في النظم فجاد فيه ولما تميز ومهر سمي نفسه (عبد الرحمن) ، وكان مقيماً بالمدرسة النظامية ببغداد وبها حفظ القرآن الكريم وقرأ من الأدب وكتب خطاً حسناً وله ديوان شعري يقع في عشر كراريس وقد وجد ميتاً يوم الأربعاء ١٥ من جمادى الأولى ٦٢٢هـ ولم يعلم متى مات فليس معه في مأواه أبناء ولا زوجة وكان قد خرج من النظامية فسكن في دار يدرب دينار الصغير ببغداد التي نشأ بها (٢)

وقد أورد له ابن خلكان مقطوعة من شعره الذي كان أكثره الغزل والتصاني وذكر المحبة فقال :

إن غاض دمعك والأحباب قد بانوا فكل ما تدعى زور وبهتان

(١) رجع الباحث للمصادر الآتية :

* ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق / إحسان عباس الجزء السادس ، (لبنان - بيروت - دار صادر ، ١٩٨٦م) ص ٦٦٩
* وقوت الحموي ، معجم النباة ، الجزء الخامس (لبنان - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩١م) ص ٥١٣
* والزركلي ، الأعلام ، الجزء الثامن (لبنان - بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م) ، ص ٦٣١ * وابن تغري بردي ، التجويد الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الثامن (القاهرة : دار الكتب المصرية ، د ت) ص ١٨٧
* وابن العماد الحلبي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الجزء الخامس (القاهرة : دار الفكر للطباعة والنشر ١٣٥١هـ) ، ص ٤٤٣
(٢) مجموع الأدباء ، ٥١٤ / ٥ ، ونظر فيه ، ابن تغري بردي ، مجمع سابق ، ٢٨٣ / ٥
وابن القطان ، نظم الجمان ، الترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، دراسة وتحقيق دا محمود علي مكي (لبنان : بيروت دار الفكر الإسلامي ، ١٩٩٠م) ص ٣١٦
وابن العماد ، مجمع سابق ، ١٠٥١ ، ٦ / ٥
والزركلي ، مجمع سابق ، ١٣١ / ٨
والخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، (مطبعة الخاني ، ١٩٣١م) الجزء الثاني ، ص ٢٣٨

وكيف تأنس أو تنسى خيالهم	وقد خلا منهم ربيع وأوطان
لا أوحش الله من قوم نأوا فنأى	عن النواظر أقممار وأعصان
ساروا ففسار فؤادى إثر ظعنهم	وبان جيش اصطبارى ساعة بانوا
لا افتر ثغر الثرى من بعد بعدهم	ولا ترنح أيسك لا ولا بيان
أجرى دموعي وأذكى النار فى كبدى	غداة بينهم هم وأحزان
طوفان نوح ثوى فى مقلتى وفى	طلى الحشا لخليل الله نيران
لو كابد الصخر ما كابدت من كمد	فيكم لجاد له أحد ولينان (١)

وبعد هذا العرض لهؤلاء الذين تتشابه أسماؤهم مع ياقوت الحموي . يتضح أن هذا التشابه فى الاسم والموطن والجنس والزمان يرجع إلى إقامتهم بالعراق فقد درج هؤلاء تحت مظلة الرقيق الذين استجلبوا من البلاد الأخرى من خارج العراق مثل بلاد الروم التى هى " إقليم مشهور متسع ، كثير البلاد " (٢) وكان سبب التشابه بين ياقوت الحموي وغيره فى الألقاب والأسماء هو " أن أسواق الرقيق كانت تختار الاسم أو اللقب لأسرى الصغار ، فى العصر العباسى الثانى ، فكانت أسماء الجواهر مثل الياقوت والمرجان واللؤلؤ تطلق على الذكور ، كما أن : نضار ولجين ، وفضة ، وماسة كانت من الأسماء التى تطلق على الإناث ولذلك راج اسم ياقوت سواء أكان رومياً أم غيره وإنما خلد فى التاريخ من كانت له صلة بالأدب والعلوم " (٣)

كما لاحظ الباحث تفوق هؤلاء العلماء فى الآداب والعلوم حتى أن بعض الأفاضل يقول " كنت بمدينة بغداد فى سنة ٦٢٠ هـ بالمدسة النظامية فقعدت يوماً على بابها إلى جانب أبى الدر (ياقوت الرومى) ونحن نتذاكر الأدب " (٤)

(١) ابن خلكان . معجم سائق . ١٢٢٢/ ٦ . ١٢٣ .

(٢) المعجم السائق . ١٢٢٢/ ٦ .

(٣) السيد محمد توب . ياقوت الحموي أدباً ولغةً الطبعة الأولى (القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٨ م . ص ٢٣ .

(٤) ابن خلكان . معجم سائق . ١٢٢٥/ ٦ .

وقد رجع الباحث إلى الكثير من أمهات كتب التراجم مثل الأعلام للزركلى ولسان الميزان لابن حجر، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ووقيات الأعيان لابن خلكان وشذرات الذهب لابن عماد وغيرهم من الكتب الكثير فلم يجد من الأسماء التى تتشابه مع ياقوت الحموى غير ياقوت الموصلى ، وأبو الدر وإن وجد غيرهما فلا تتشابه مع ياقوت الحموى لبعء تواريخ الوفاة عن وفاة ياقوت الحموى .

وقد تحدث ياقوت الحموى فى كتابه (معجم الأدياء) عن الاختلاف بينه وبين من تشابه اسمه معهم فيقول فى ترجمته لياقوت الرومى هو " أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومى ويقلب عليه لقب مذهب الدين (ت: ٦٢٢هـ) ، ويقول عنه "أنه أحد أدياء العصر ومن شعرائه المجيدين نشأ ببغداد وحفظ القرآن وعنى بتحصيل العلم فتعلم بالمدرسة النظامية وقرأ فيها العلوم العربية والأدبية على جماعة من العلماء وغلب عليه الشعر وكان حسن الخط والضبط وله ديوان شعر" (١)

ثم يتحدث ياقوت الحموى عن ياقوت الموصلى حتى يثبت هذا الاختلاف الذى بينه وبينهم وأنه مجرد تشابه فى الأسماء فيقول فى ترجمته لياقوت الموصلى هو " ياقوت بن عبد الله الرومى الأصل نزيل الموصل، الكاتب الأديب النحوى (ت: ٦١٨هـ) ، أخذ النحو والأدب عن ابن الدهان هو (أبو محمد ، سعيد بن المبارك بن الدهان البغدادي : ت ٥٦٩ هـ) (٢)

ويقول ياقوت الحموى (اجتمعت به فى الموصل سنة ٦١٣هـ فرأيت على جانب عظيم من الأدب والفضل والنهاية والوقار وقد أمن وبلغ من الكبر الغاية ورأيت كتباً كثيرة

(١) معجم الأدياء ٥٠ / ٦١١ نظره فى : ابن تلى بردى ، مرجع سابق ٥٠ / ٢٨٣ والزركلى ، مرجع سابق ٨٠ / ١٣١ والطبيب البغدادي ، مرجع سابق ٢٠ / ٢٣٨ وابن خلكان ، مرجع سابق ٦٠ / ١١١/٦ .
(٢) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، الجزء الرابع (لبنان : بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، ١٩٥٧م) ، ص ٢٢٩ .

بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأشائها بينها عدة نسخ من كتاب الصحاح للجوهري والمقامات الحريية^(١).

ياقوت الحموى :

اسمه ولقبه :

لاحظ الباحث أن المعلومات المتاحة عن ياقوت الحموى فى المصادر التاريخية المعروفة قليلة الفائدة فيما يخص البحث الحالى فهى قليلة بوجه عام وتكاد تكون متكررة من مصدر آخر، واختلافات فيما بينها (بالنسبة للمعلومات الأساسية) مختصرة وطفيفة فياقوت الحموى هو :

* أبو عبد الله . ياقوت بن عبد الله الرومى الجنس ، الحموى البغدady الدار ويغلب عليه لقب شهاب الدين^(٢) هذه هى سلسلة نسبه كما نقلها ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) وهو الكتاب الذى اعتمد عليه كتاب الأدب وتاريخه، وناشرو كتب الأدب والتراث من بين ما اعتمدوا عليه لأن هذا الكتاب يورد ترجمة ياقوت مفصلة واضحة . بجانب أن ابن خلكان كان معاصراً لياقوت الحموى ونال كتاباته ثقة الكثيرين^(٣).

ومن المعروف فى التاريخ العربى أن الشخص قد يكون له اسم وكنية ولقب فاللقب علامة على أبرز صفة فيه أو ما اشتهر به بين الناس تكريماً له أو تعريفاً به مثل الصديق لأبى بكر والغاروق لعمر (رضى الله عنهما) والكنية : هى اللفظ المصدر بكلمة أب أو أم والاسم : هو الذى سمي به عند مولده.

فتجريد اسم ياقوت : يكون هو ياقوت بن عبد الله ، أما الألقاب فتجد سبيلاً من الألقاب فرضته عليه بيئته ، فاللقب الأول (شهاب الدين) والنسبة إلى الدين كانت

(١) معجم الأدياء ١١٢ / ٥٠ ونظرو فى : الزركلى : مرجع سابق ١٢٦ / ٨٠ ابن العماد : مرجع سابق ١١٢ / ٥٠
(٢) ابن خلكان : مرجع سابق ١٢٧ / ٦٠ والزركلى : مرجع سابق ١٢٦ / ٨٠ وجورجى زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية ، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، الجزء الثالث (القاهرة : دار الهلال د.ت) ص ٨٨ .

(٣) السيد محمد ديب : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

شائعة إذ ذاك بين الناس واللقب الثاني (الرومي) لأنه ولد ببلاد الروم (آسيا الصغرى)؛ واللقب الثالث (الحموي) لأن تاجراً من بغداد من قبيلة حموية اشتراه^(١) وقد كان هذا التاجر من أهل حماة ثم انتقل إلى بغداد وينسب اليغدادى لأنه سكن بغداد بجانب سيده وقد أخطأ ابن العماد الحنبلى حينما لقبه الدرر^(٢) فأبو الدر هذا سبق الكلام عنه ...

مواطبة ياقوت الحموي :

تبين من خلال المراجع التي تناولت حياة ياقوت الحموي والتي رجع إليها الباحث أنه لا توجد بلدة بعينها يمكن أن تعتبر موطناً له ولم تعرف بالتحديد البلدة التي ولد فيها ياقوت فقد أخذ من بلاده صغيراً^(٣) وما عرف عنه أنه من بلاد الروم وهي واسعة (فبلاد الروم إقليم مشهور متسع كثير البلاد)^(٤) ، فليست لياقوت بلدة رومية معينة ينسب إليها فقد " افتقد في طفولته ماضيه ، فهو يجهل بلدته الحقيقة ، وكل شيء عن حياة ياقوت في بلاد الروم غير معلوم^(٥) وهكذا لا تستطيع الدراسة أن تجزم بشيء في شأن موطن ياقوت الأصلي وحياته قبل أسره من بلاده وقد ذكر بعض المؤرخين أن ياقوت الحموي ينتسب إلى بلاد اليونان فذكر الدكتور / زكي محمد حسن أن ياقوت يوتاني فقال " ياقوت يوتاني الجنس ، على أن اليونان كانت جزءاً من الدولة الرومانية البيزنطية "^(٦)

ويرى الباحث أن هذا الرأي قد يكون بعيداً عن واقع حياة ياقوت الحموي فمن عاصر ياقوت من الكتاب والمؤرخين لم يذكروا موطناً لياقوت لعدم وجود أدلة تكون دليلاً

(١) ذكر تشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (القاهرة : منشورات لجنة التأليف ، والترجمة والنشر - جامعة الدول العربية ، ١٩٦٣ م ، ص ٦٦)
(٢) ابن العماد ، مرجع سابق ، ٤٤٣/ ٥ .
(٣) الذهبي ، العبر في أخبار من غير تحقيق صلاح الدين المتجد وآخرون الجزء الخامس (الكويت ، ١٩٦٠ م) ، ص ١٠٦ .
(٤) ابن العماد ، مرجع سابق ، ١٠٦/ ٥ . ومعجم البلدان ، ١١/ ٥ .
(٥) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٩/ ٦ ، وابن شاذي الكنتي (٧٦٤ هـ) ، دوائر الوقايت ، تحقيق د/ احسان عباس الجزء الأول (لبنان - بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ص ١٥١ ، ١٦ .
(٦) زكي محمد حسن ، الرحلة المسلمون في العصور الوسطى ، الطبعة الثانية (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٤٥ م) ، ص ١٠٦ .

على قولهم وشاهدا يستندون إليه ناهيك عن إجحاف صاحبنا عن ذكر ما يدل على مولده في كتاباته المتعددة ، لذلك فإن الباحث لا يميل إلى أن يكون ياقوت يونانياً .
مولده ٥٥٥هـ :

كانت ولادة ياقوت الحموي في سنة أربع أو خمس وسبعين وخمسمائة ببلاد الروم^(١) وقد ذكر ناشر كتاب معجم البلدان طبعه بيروت أنه لا يعلم شيء عن تاريخ مولده^(٢) وهذا الرأي هو ما تجمع عليه الدراسة وذلك بسبب أسر ياقوت من بلاده وهو طفل صغير ولقد أقر المؤرخون الذين جاءوا بعد ابن خلكان ما ذكره عن مولد ياقوت فقد ارتضوا سنة أربع وسبعين وخمسمائة من الهجرة تاريخاً لمولده^(٣) ومن هنا لا يجد الباحث حرجاً من سرد هذه الآراء ومتابعتها حتى تعم الفائدة أما عن وفاته : فقد جاء في الجزء الخامس من كتاب شذرات الذهب (لابن عماد الحنبلي ت : ١٠٨٩ هـ) في الكلام عن رجال القرن السابع قال : توفي (يعني ياقوت) يوم الأحد العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وستمائة بمدينة الخان بظاهر مدينة حلب^(٤) وقد وافق ابن خلكان رأي ابن عماد بقوله " توفي ياقوت الحموي يوم الأحد العشرين من رمضان ٦٢٦ هـ في الخان بظاهر مدينة حلب " ^(٥) وقد ارتضى عمر رضا كحالة ذلك في كتابه (التاريخ والجغرافيا في العصور الوسطى) ^(٦) تعقيب :

مما سبق يتبين أن تاريخ مولد ياقوت الحموي غير معلوم فقد أسر من بلاده صغيراً لا يدري شيئاً عن طفولته ولا مولده أما وفاته فقد كانت في سنة ٦٢٦ هـ .

(١) ابن خلكان : مرجع سابق : ١٣٩/٦ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان : ١٥/١ .

(٣) إزطول راجب فتحار ، وعلى عبد الله الدفاع ، إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور علم الأرض (منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٨ م) ، ص ٣٩٢ .

(٤) ابن عماد : مرجع سابق ، ١٢٢/٥ .

(٥) ابن خلكان : مرجع سابق ، ١٣٩/٦ .

(٦) عمر رضا كحالة : التاريخ والجغرافيا في العصور الوسطى ، (دمشق : المطبعة التعاونية ، ١٩٧٢ م) ، ص ٥٢٤ .

السبب الذي منه أجله لقب ياقوت الحموي :

كانت بلاد الروم التي ولد فيها ياقوت وأسر منها على عداً مستمراً مع دولة الفرس ولم تكن الحروب تنقطع بين هاتين القوتين فلما ظهر الإسلام في بداية القرن السابع الميلادي عاشت هاتان الدولتان في قلق وهدأ الصراع بين هذه الأطراف خاصة وأن الدولة الرومانية تقترب من شبه الجزيرة العربية ونتيجة للحروب والمعارك بين الروم والمسلمين فقد "دخل كثير من الروم في الإسلام ودخلوا شبه جزيرة العرب حيث يوجد رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - وذلك عند بدء الدعوة الإسلامية وقد رآ من ذلك ظهور أسواق النخاسة في العراق والشام وغيرهما حيث يباع الأسرى من الروم والفرس وكثير من تاجر الرقيق يملكون قلوباً كالصخر قلوباً لا تعرف شفقة ولا رحمة وإضا تعرف جيداً الدينار والدرهم" (١).

ومن بين هؤلاء الأسرى من الروم ياقوت الذي وصل مع الأسرى إلى بغداد حيث السلاجقة الأتراك يحكمون باسم الخليفة العباسي وكانت هذه هي المحطة الأولى في تاريخ حياة ياقوت التي ينزل فيها يعيداً عن بلاده وأسرته فقد "تم بيع ياقوت في سوق بغداد فقبل له البغدادى" (٢) وهو لقبه الأول أما سبب إطلاق لقب الحموي عليه فقد "كان التاجر الذي اشتراه في بغداد يسمى "عسكرين أبى نصر إبراهيم الحموي" لأنه كان من حماة فاكتمسب ياقوت لقب الحموي من سيده الذي نشأه نشأة إسلامية" (٣).
وقد حاول ياقوت أن يغير اسمه إلى يعقوب فيقول ابن عماد "لما تميز ياقوت واشتهر سمي نفسه يعقوب" (٤).

(١) السيد محمد ديب - مرجع سابق - ص ٣٥.

(٢) ابن خلكان - مرجع سابق - ١١٧/٢٠.

(٣) صلاح المنجد - أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب - الجزء الأول (دار الفكر دوت) ص ٦١.

(٤) ابن عماد - مرجع سابق - ١١٥/٥.

غير أن ياقوت بقي رقيقاً حتى بلغ سن العشرين (فقد أعقبه سيده بعدها). وسمى ياقوت لأن أسماء بعض الأرقاء عند العرب كانت تؤخذ من أسماء الأحجار الكريمة^(١)، وما سبق يتبين أن ياقوت أطلق عليه لقبان هما الحموي . والبغدادى ، وأحياناً الرومي لكنها إلى النسب أقرب وكان السبب في ذلك أسواق النخاسة (الرقيق) بيئته ونشأته :

لم يستطع الباحث الحصول على أية معلومات تخص البيئة التي نشأ بها ياقوت فقد خلت المصادر التاريخية من الحديث عن بيئته الأولى والتي تخص الأسرة التي اندرج منها ياقوت وكل المعلومات المتاحة عن حياته إنما هي بعد أن بيع في أسواق الرقيق فقد " بدأ الصبي حياته الجديدة في بغداد حيث أسر من بلاده صغيراً وأبتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف (بعسكر بن أبي نصر بن إبراهيم الحموي) ومن منزل سيده الذي اشتراه بدأ حياته^(٢)، ثم أعقب تلك أنه واصل الإقامة ببغداد فترة ليست طويلة فقد أقام سيده عسكر (رجلاً مسلماً طيب القلب) ببغداد واستقر فيها لأنه تزوج منها وبني حياته فيها وقد كان تاجراً ومن عادات التجار في العصور الوسطى أنهم كانوا يتزوجون في البلاد التي ينزلون بها مدة من الزمن^(٣)،

ولاتساع تجارة عسكر الحموي كان في حاجة إلى أن يحافظ على هذه التجارة الواسعة التي ينتقل بها من بلد إلى بلد فإقامته ببغداد ليست إقامة كاملة ولذا كان محتاجاً إلى معاونة من شباب يحسن القراءة والكتابة ويتقن الله في أعماله فاشترى ياقوت الحموي ليصنع منه شاباً مسلماً متعلماً مثقفاً تاجراً ناضجاً ورجالة يتحمل أعباء السفر ومتقناً الطريق^(٤)، وقد أورد عبد الرحمن حميد قوله في ياقوت الحموي (قال

(١) إزغول وأغب التاجر ، وعلى عبد الله النفاع ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ .
(٢) (الرفعي ، جلاء النجار وغيره القضاة ، في معرفة ما يشتر من حوائث الزمان ، الجزء الرابع ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧) ، ص ٢٩٤ .
(٣) (زكي محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .
(٤) (السيد محمد النيب ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

* أن والد ياقوت الحموي وقع أسيراً في أيدي الروم واسمه عبدالله وعاش في آسيا الصغرى (بلاد الروم) مدة طويلة فتزوج وأنجب ياقوت ثم جرت معركة بين العرب والروم فوقع الطفل ياقوت في يد العرب فبيع في أسواق الرقيق ببغداد فاشتراه عسكر الحموي وعندما أعتقه اختار ياقوت لنفسه اسم يعقوب ولكنه فشل فقد أصر معاصروه أن يبقى اسمه ياقوت^(١).

ويرى الباحث هنا أن راجي عنايت قد انفرد بروايته التي رأى فيها ما يمس حياة ياقوت الحموي في طفولته وهو ما لم تجمع عليه المصادر التاريخية التي توقفت عن الخوض في حياة ياقوت الحموي قبل أسره في بلاد الروم.

وكان الدافع الذي جعل سيده عسكر يهتم بتعليمه أنه وجد فيه سمات طلاب العلم من صفاء القريحة ورجاحة العقل فقد ذكر عبد الرحمن حميدة في كتابه (أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم) قوله " رأى سيده التاجر الذي لم ينل حظاً وافراً من التعليم أن يفيد من هذا الحدث النابه الذي لاحظ فيه صفات الذكاء فعمل على أن يوفر له ذلك التعليم كي يستعين به في حساباته ومعاملاته فأدخله الكتاب يتعلم فيه الكتابة واللغة وبذلك أصبحت اللغة العربية لغته القومية ونال فيه تعليمًا إسلاميًا جيدًا وتوسع في دراسته فاهتم بالنحو والأدب وهكذا حصل على ثقافة واسعة متينة جعلت منه كاتباً ماهراً يساعد سيده رجل الأعمال^(٢) الذي كان على سعة من العيش ودفعته مصالحه إلى الإقامة ببغداد في تصريف أعماله وصفقائه التجارية ولعل الأمانة والاستقامة كانت من الصفات الرئيسية في ياقوت والتي دفعت سيده إلى أن يشركه في تجارته ذاتها فقد " كان كثيراً ما يصطحبه في أسفاره التجارية بل أنه كان يبعثه أحياناً بمفرده^(٣) .

(١) راجي عنايت *ياقوت الحموي* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩م، ص ١٧) نقلاً عن عبد الرحمن حميدة *أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم* (دمشق: دار الفكر العربي ١٩٦٩م)، ص ٢٢٧.
(٢) عبد الرحمن حميدة، *مراجع سابق* ص ٢٢٧.
(٣) السيد محمد تيب، *مراجع سابق*، ص ٢٨.

وقد فرق ابن خلكان بين تعليم ياقوت الحموي في صباه وبين تعليمه الكبير فقال "وجعله سيده في الكتاب لينتفع به في ضبط تجارته فقد كان مولاه عسكراً لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً سوى التجارة ولما كبر ياقوت قرأ شيئاً من النحو واللغة^(١) لاحظ الملاحظ مما سبق أن عسكر الحموي هذا قد اختار ياقوت لأنه طفل صغير لم يعرف لوماً ولا مكرأً فأراد له نشأة سليمة على أساس إسلامي رفيع فأحسن إليه واهتم به وأدخله الكتاب ليتعلم القراءة والكتابة وشيئاً من الحساب حتى يستفيد به في تجارته وهنا هدأت نفس ياقوت مع حنان سيده وعطفه. ويمكن القول أن ياقوت لم يتعلم العلم حقاً في العلم ولا طلباً لتحقيق مادة معينة بل أنه تعلم من أجل النجاح في إدارة تجارة سيده وكان نبوغه حينما كبر فقد اهتم بتحصيل الكثير من النحو واللغة والقرآن الكريم فأكملت قدرته العلمية على العمل والحركة وخرج إلى ميدان الحياة حيث العمل والتجارة والأسفار. ويمكن القول أن ما حصله ياقوت من العلم كان في بدايته بسبب التحاقه بالكتاتيب ثم إذا به يخرج إلى الحياة التي تعد مدرسة متعددة الفصول طويلة المناهج، بها الكثير من التجارب التي يتعلم منها الإنسان حياته العلمية والعملية كل ذلك "دفع ياقوت الحموي إلى أن يعقد العزم على الإخلاص لسيده الذي أحسن إليه"^(٢) الرحلة وأنها في حياة ياقوت :

كانت الرحلة في هذه العصور التي عاشها ياقوت مع علمائها (لمنتب العلم من أبرز مصادر التعليم بل إن بعض العلماء دمج بين الرحلة للتجارة وطلب العلم ومن هؤلاء العلماء ياقوت

فقد كانت أولى رحلاته التجارية إلى منطقة الخليج الفارسي (الخليج العربي حالياً) فغلبه تقاع جزيرة كيش في بحر عمان والتي قال عنها ياقوت في كتابه (معجم البلدان) هي " تعجيب قيس وهي جزيرة تقع في وسط البحر وتعد من مدن فارس لأن

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧/٦ .
(٢) معجم الأدباء ، ص ٢٥/٦ .

أهلها فارس وتعد أيضاً من مدن عمان لقربها منها وقد نسب المحدثون إليها (إسماعيل بن مسلم العبدى الكيشى قاضياً) وقد روى عنه يحيى بن سعيد ووكيع وعبد الرحمن المهدي وكان ثقة^(١)

وقد كانت هذه الرحلات فرضاً من سيده لباشرة أعماله المتفائلة في الكثير من الملاد فقد " شغله مولاه بالأسفار في متاجرة فكان يتردد إلى كيش وعمان وغيرها من البلدان ويعود إلى الشام " (٢)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت كان ميدانه واسعاً في هذه السن من خلال ترواده بين كيش وعمان وعودته إلى الشام ورجوعه بعد ذلك إلى بغداد حيث يوجد مولاه ولقد أفاد ياقوت الحموي من هذه الرحلات التجارية والعلمية أحياناً في التعرف على الكثير من الملاد والخبرة في معرفة الأقاليم ذات التفوق التجاري وأماكن تركيز العلماء وفنونهم بل إن موسوعته (معجم الأدباء) خير شاهد على إقامته من هذه الرحلات التي قام بها إلى الكثير من البلدان ولعدم الإسهاب نقتطف من ينابيع هذه الموسوعة بعض رحلات ياقوت إلى بعض الأماكن ، ففي رحلته إلى قرى الحجاز يقول عن هذه المدن " وفدق قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله (ﷺ) في سنة سبع صلحا (أي صلح الحديبية) وكان رئيسها يومئذ (يوشع بن نون اليهودي) وقد أصاب أهل فدك الخوف والرعب عندما علموا استيلاء النبي (ﷺ) على خيبر فصالحوه على نصف الأرض بتربتها فقبل ذلك منهم وأمضاه رسول الله (ﷺ) وصار خالصاً له لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (أي تم الاستيلاء عليها بدون قتال) وهي التي قالت فيها فاطمة (رضي الله عنها) إن رسول الله (ﷺ) نحلنيها (وهيها لي وأعطاني

(١) معجم القشاش . ٥٦٥/٤ . وابن خلكان . ترجم سابق . ١٥٠/٢
(٢) معجم الأبناء . ٢٧/١ . وابن خلكان . ترجم سابق . ١٢٧/٦ .

إياها (فقال : أبوبكر) رضى الله عنه (أريد لذلك شهوداً وذكر ياقوت قصتها واستطرد فيها . (١)

وتحدث ياقوت الحموي عن فضل مصر ، وامتدح سلطانها ، وذكر الكثير من المواقف العلمية التي شهدتها بمصر وأثار دهشته رؤيته لفن العمارة المصرية والمثلة في الأهرام فقال "إن مصر خزان الأرضين كلها وسلطانها سلطان الأرضين كلها ألا ترى إلى قول يوسف (عليه السلام) لملك مصر .

• قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا (٢)

ففعل فأعانت الله الناس بمصر وخزائنها ولم يذكر الله (عز وجل) في كتابه الكريم مدينة يعينها بمدح غير مكة ومصر فقال (سبحانه وتعالى - " أليس لي ملك مصر " وهذا تعظيم ومدح " (٣) في شأن مصر وأهلها والخير الوفير الذي نال منه ياقوت أثناء إقامته بمصر وكان عوناً على تحمل مصاعب الحياة وتحدث ياقوت عن الآثار التاريخية بمصر مثل الأهرامات فيقول " وقد رأيت الهرمين وقلت لمن كان في صحبتي غير مرة إن الذي يتصور في ذهني أنه لو اجتمع كل من بأرض مصر من أولها إلى آخرها على سعتها وكثرة أهلها وصمدوا بأنفسهم عشر سنين مجتهدين لما أمكنهم أن يعملوا مثل هذين الهرمين ثم يقول: وما سمعت بشيء تعظم عمارته فجئته إلا ورأيت به دونه صفته إلا الهرمين فإني رأيتهما أعظما من صفتيما (٤)

ويقول ضمن حديثه عن مصر " وفي مصر رأيت قرية أطواب من أعمال البهنسا وقرية بومة في كورة الغربية وبومة : من بلاد سنيم وقال ابن حبيب بومة عرض من

(١) معجم البلدان ، ٤ / ٢٣٨
(٢) سورة يوسف : الآية ٥٥
(٣) الرعم السائق ، ١٣٧/٥
(٤) معجم البلدان ، ٢٠/٥

أعراض المدينة قرب تلاكت بين خيبر ووادي القرى وبرمة أيضا بليدة ذات أسواق في كورة الغربية من أرض مصر في طريق الإسكندرية من القسطنطينة ويقول ياقوت رأيتها (١) وعن بركة الحبش يقول " هي أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل مشرفة (تلال) على نيل مصر خلف الغرافة وهي وقف على الأشراف تزرع فتكون خضراء لزكاة أرضها وهي من أجل منتزهات مصر ويقول ياقوت رأيتها وهي ليست ببركة للماء وإنما شبهت بها وكانت تعرف ببركة المعافر أو بركة حمير وعندها بساتين تعرف بالحبش والبركة منسوبة إليها وهي محبوسة في ريبا على البشرين اللتين استقطنتهما (أبو بكر المارداني) في بنى وائل بحضرة الخليج والقنطرة ويقول (على بن محمد بن أحمد بن حبيب التميمي الكاتب) عن بركة الحبش قوله :

أقمست بالبركة الغراء مرهفة والماء مجتمع فقيها ومسفوح
إذا النسيم جرى في مائها اضطربت كأنما ريحه في جسمها روح (٢)

ومما سبق يلاحظ أن ياقوت عندما يتحدث عن بلد من البلدان يقوم بوصفه أولا حتى يصل بهذا الوصف إلى كل أثر واضح ومكان بارز أو علامة بهذا البلد الذي يتناولها بالحديث ولقد كان بارعا في وصف ما رآته عيناه أو جرى في خاطره وهو يصور الأشياء الحسية التي يمكن مشاهدتها على العينية وكان اعتماده على المحسوس أكثر في رحلاته العلمية والتجارية من المعنوي حتى يقدم للقارئ ما يريد أن ينقله في عبارات وأسلوب واقعي يسوده الصدق والثبات والدقة والوضوح ولا يرضى بديلا عن ذكر الحقيقة مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة خاصة إذا عرفنا أن صاحبا لم يكن يملك بيتا يأوي فيه إلى زوجة تشاركه آلامه وليس لديه المال الذي يشتري به الكتب والمراجع حتى يتجرب فيها ويتعلم منها ومع ذلك استطاع أن يتجول في ترحاله بين البلدان بحثا عن الكتب إلى جانب

(١) المرجع السابق . ١٧٩/١
(٢) المرجع السابق . ٧٧/١

تجارته الأخرى وكان أحياناً يتحمل تقلبات الجدر من أجل الحصول على العلم فقد "كانت رحلاته وتنقلاته ليست إلا تنقل عاقل يرحل في اقتناص شوارد العلم وغرائبه ونوادره وشوارد اللغة : غرائبها ونوادرها" (١) ولقاء الرجال ولم يعباً بتعب أو نصب (٢) ويمكن أن نتصور طبيعة هذه الأسفار في لابرد الفارس أو الحر اللافح وكيف تكون ؟
العلماء الذين التقى بهم في مصر

لقد تحدث ياقوت عن رجال من العلماء التقى بهم في مصر أفاد منهم فقد ذكر في ترجمته (لأبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مقلد الكنانى الكلبى الشيرازى ويغلب عليه لقب مؤيد الدولة مجد الدين) (ب . ٦١٢ هـ) من أكابر بنى مقلد ومن العلماء الشجعان له تصانيف فى الأدب والتاريخ منها : لباب الآداب قال الزركلى انه مطبوع و(البديع فى نقد الشعر) قال الزركلى انه مطبوع و(المنازل والديار) قال الزركلى انه مطبوع و(النوم والأحلام) قال الزركلى انه مخطوط و(القلاع والحصون) و(أخبار النساء) و(العصا) قال الزركلى مطبوع منتخبات منه وقد انتقل إلى مصر سنة ٥٤٠ هـ وقاد عدة حملات على الصليبيين فى فلسطين ويقول ياقوت وقد رأيته عند كونى بمصر سنتى ٦١١ هـ ٦١٢ هـ وأنشدنى شيئاً من الشعر له ولوالده وقد عاد أبو المظفر إلى دمشق ثم برحها فدعاه السلطان إليه فأجابه وقد تجاوز الثمانين وقد كان جماعة للكتب (٣)
وقد وصف ياقوت الحموى هذا العالم (أسامة بن مرشد) بعدد من الصفات التى يجب أن تتوفر فى العلماء فيقول لقيت أسامة بن مرشد بمصر وهو يومئذ شيخ ظريف واسع الخلق شائع الكرم جماعة للكتب وقد حضر ياقوت إلى دار أسامة بن مرشد فاشترى منه الكثير من الكتب التى لا يستطيع أسامة أن يحصيها عدداً غير أنه باع منها أربعة آلاف مجلد فى نكبة لحقته فلم يؤثر فيها (٤)

(١) الرازى : مختار الصحاح ، تحقيق / محمود خاطر (الأهرام : تاريخ الحديث نزلت) ص ١٩٧ .
(٢) القفطى - بناء الرواة على أنباء الرواة النجاة - تحقيق / محمد بن الفضل إبراهيم - الجزء الرابع (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م) ، ص ٢٣٧ .
(٣) الزركلى ، مرجع سابق ، ٢٩١/١ و ٢٩١/٢ و ٢٩١/٣ . مرجع سابق ، ٢٩١/٣ .
(٤) ابن خلكان - مرجع سابق ، ٦٣/١ وفي معجم الأدباء - ٣/٣٠ - ٣/٣١ .

ولاحظ الباحث هنا أن ياقوت ذكر في ترجمته لأبي المظفر أسامة بن مرشد بعض صفات المعلم الناجح غير أن ياقوت لم يهتم بإيضاح الصفات الجسمية والصفات المعنوية وعذره في ذلك أن لم يؤرخ لعالم بعينه بل ذكر الكثير من تراجم العلماء وهذه الصفات التي ذكرها ياقوت قد تكون في معظمها صفات ظاهرية من حسن المظهر سواء أكان ذلك من حيث اللبس أو المشي أو تهذيب شعره وتكوير العمامة وتسريح اللحية وغير ذلك من الصفات الجسمية والكرام والأخلاق بل الالتزام ببعض القيم الأخلاقية والسلوكية الرفيعة وقد عمد ياقوت إلى وصف هذا العالم بأنه يجمع الكثير من الكتب ويمكن لنا أن نعتبر ذلك من الوسائل المعينة على تحصيل العلوم لما تجمعه بطون هذه الكتب من علم العلماء وفقه الفقهاء... إلخ وقد نستطيع جمع بعض من صفات المعلم الناجح ونعبر عنها بلغة عصرية على النحو التالي :

- ١- الالتزام بالمظهر الخارجي المقبول داخل مكان التدريس وخارجه
 - ٢- مراعاة مستوى فهم الطلاب
 - ٣- اتخاذ كل الوسائل المعينة على التحصيل
 - ٤- الاستعانة بدفتر التحضير أو مرجع التدريس
 - ٥- الالتزام ببعض القيم الأخلاقية والسلوكية الرفيعة
 - ٦- توفير مناخ تعليمي يساعد على النحصيل ولزيد من ذلك انظر كتاب مع تراثنا التربوي ، للدكتور مصطفى رجب^(١)
- وقد أفاد ياقوت الحموي الكثير أثناء إقامته بمصر فقد كان يجالس العلماء وأكابر الناس من الأدباء والشعراء يأخذ عنهم العلم ويستمع إليهم ويناقشهم فقد كانت مصر وقتها قلعة من قلاع الدولة الأيوبية وحصناً أميناً لرجال الأدب والفكر ولذلك قضى ياقوت فيها مدة من الزمن يبيع الكتب ويتاجر فيها غير أنه تركها في سنة ٦١٢هـ متجهاً

(١) مصطفى رجب: مع تراثنا التربوي (شخصيات ونصوص)، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة كويت، ١٩٩٩م، ص ٩٨)

إلى جنوب دمشق ولم يستطع ياقوت الإقامة بعيداً عن مصر فقد عاد إليها من حلب مرة أخرى في سنوات عمره الأخيرة^(١).

ومما سبق يلاحظ أن ياقوت الحموي لم يترك الرحلة والتنقل بين البلدان مادام يجد في نفسه القوة على ذلك ففي مصر عاش ياقوت فترة من الزمن قد تصل إلى عامين وتنقل فيها بين مدنها وقراها وقد جمعت هذه الرحلة بين الدراسة والتجارة ولو تتبعنا تجوله في مصر لوجدناه يتحدث عن كل موضع في مصر فقد كان يشاهد بنفسه قبل أن يتحدث عن مكان المشاهدة وعندما يرى رؤية جديدة كان لا يكتفى برؤية واحدة بل كان يكررها مرة تلو المرة حتى يمكنه الإفادة من هذه الرؤية بالإضافة إلى الإفادة العلمية التي اكتسبها ياقوت أثناء إقامته بمصر ولقائه للعلماء وحضوره مجالس هؤلاء العلماء وجمعه للكثير من كتب العلماء بمصر وقد كان لهذه الكتب أثرها الواضح في تقدم ياقوت من الناحية العلمية والأدبية حتى نبغ هذا النبوغ الذي يستطيع الباحث أن يقول أنه بعد أحد الأعلام المؤرخين للعلم فهو أديب لغوي بالدراسة . لكنه مؤرخ تربوي بالصدفة.

ياقوت الحموي في دمشق :

لقد تردد ياقوت في رحلاته التجارية والعلمية على الشام والعراق لمزاولة مهنته فقد وصل إلى دمشق عائداً من القاهرة في سنة ٦١٢هـ وتحدث عنها في (معجم البلدان) فعدّها ياقوت جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارتها وكثرة فاكهتها وكثرة مياهاها ووجود الكثير من الطرق الممهدة بداخلها وتبلغ دمشق كما رآها ياقوت طولها ستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف^(٢).

ونذكر ياقوت أن دمشق كثيرة الأنهار وهو ما لم يره في بلد آخر، فإن الأنهار تجري في قنواتها بالماء فقلما تمر بمسجد ولا مدرسة ولا حي ولا شارع إلا والماء يجري في بركة في

(١) السيد محمد ديب . مرجع سابق ، ص ٤٤
(٢) معجم البلدان ، ٥٢٧/٢

صحن هذا المكان وأما جامعها فهو الذي يضرب به المثل في حسنه . فهو جامع المحاسن حتى أن أهل دمشق قد عدوه إحدى العجائب فقالوا : إن الوليد بن عبد الملك بن مروان هو الذي قام ببنائه وكان ذا همة في عمارة المساجد ودمشق من الصحابة والتابعين وأهل الخير الكثير فهم يزاريون في ميدان خاص بهم يعرف بميدان الحصى . ويجانب هذه المييزات التي جمعتها دمشق فقد كانت رحلة ياقوت إليها أمراً عليه وجب وذلك من حيث تجارته التي يمكنه أن يوزعها على أهل دمشق . وكذا زيارته لبعض الآثار الإسلامية والأماكن الطاهرة وفي مقدمة ذلك الإفادة العلمية التي أفادها من علماء دمشق فقد ضمت دمشق من العلماء بل من أعيان المحدثين (عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن سليمان الدمشقي . الكناشي الصوفي الحافظ : فقد سمع الدمشقي الكثير وكتب من الكتب الكثير فسمع من أبي القاسم صدقة بن محمد القرشي وأبي نصر بن هارون الجندی ورجل إلى العراق فسمع محمد بن مخلد . ونسخ بالموصل وجمع جموعاً كثيرة . وكان شيخاً لابن الألفاني وقد خرج عنه الخليل في عامة مصنفاته . فيقول : حدثني عبد العزيز بن أبي طاهر الصوفي وقد عاش من ٢٨٩هـ إلى ٤٦٦هـ . ومن ينسب إليها من المسلمين الكثير فقد ألف لها الحافظ بن عساكر تاريخاً مشهوراً يعرف بتاريخ دمشق ومن اشتهر بذلك فلا يعرف إلا بالدمشقي (يوسف ابن رمضان بن بندار الدمشقي الفقيه الشافعي) فقد ولد يوسف بدمشق وخرج منها بعد البلوغ إلى بغداد . وهناك ولي التدريس بالمدرسة النظامية وبنيت له مدرسة فكان يذكر فيها الدرس وانتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي ببغداد في وقته وحدث بشيء يسير عن (هبة الله بن أحمد البخاري وعقد مجلس التذكير ببغداد حتى توفي في شوال سنة ٥٦٣هـ)^(١)

(١) المرجع السابق ٥٢٨/٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٤ ، معجم الأدباء ١/٢٠١ وعمر رضا كدانه مرجع سابق ٤٥/١ ، ١٠٦ ، ٢٦٧ . وابن خلكان ، مرجع سابق ١٢٨/٦ .

ولاحظ الباحث أن ياقوت اقتصر على ذكر هؤلاء لأنه روى عنهم وقرأ من كتبهم الكثير وترك الكثير من العلماء الذين لم يدركهم وهم ينسبون إلى دمشق وقد تأثر ياقوت الحموي ببعض آراء الخوارج الأمر الذي عرضه أثناء تواجده بدمشق لبعض المشاحنات التي كادت تؤدي بحياته وقد أخذ عليه بعض

العلماء المعاصرين له مجالسته لمن دونه في التفكير فقد كان ياقوت يتجه إلى الأسواق بدمشق كعادته في التجارة حتى يتجر في هذه الأسواق وبالأسواق يختلط الحسن بالسيئ وتكثر الخلافات ويشد الصراع حول الربح وتكثر تشدقات التجار بالألفاظ والإيمان ويزداد التنافس حول العرض والطلب وعلى وجه الخصوص السلع القليلة أو النادرة الأمر الذي جعل ياقوت يجلس في أسواق دمشق في عام ٦١٣هـ وينظر بعض من يتعصب للإمام علي (رضي الله عنه) بما لا يسوغ فنار الناس عليه ثورة وكادوا يقتلونه فسلم منهم وخرج من دمشق منهزماً بعد أن بلغت القضية إلى والي البلد فطلبه فلم يجده. (١)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي كان مندفعاً في مناظرته ولنا أن نصفه بحدة الطبع ولم يدرك أثناء جلوسه في السوق حب وتقدير العلويين للإمام علي (رضي الله عنه) مما دفع هؤلاء إلى الثورة ضده. بل كاد الأمر يصل إلى قتله ولكن الله عز وجل - أنقذه منهم بالإضافة إلى ذلك فلنا أن نصف ياقوت بالحماسة والميل إلى جمع من العلم الكثير والمعرفة الواسعة والفضل على من دونه ينظر أحد المعجبين به على ثم يتحدث عن علي بكلام لا تقبله عقول هؤلاء الذين ارتضوا من علي (كرم الله وجهه) أن يكون لهم القدوة والمثل الأعلى مع أن ياقوت بلغ في هذه الأونة الأربعين من عمره والكل يعلم أن هذه السن هي التي يبدأ الإنسان فيها يتناهب الشعور بالكهولة فيعتدل في تصرفاته ويستقيم في حياته وتهدأ ثورته مع هدوء قوته ويبدأ محاسبة نفسه على ما كان قدمه من

(١) ابن خلكان، معجم سلفه، ١٦٨/٦، وعلى أديم، مجلة الثقافة، السنة الثالثة عشر، العدد ٦٤٢، ص ٧.

عمل في سنوات عمره السابقة حتى يصبح معتدلاً متزناً محبوباً بين الناس قريباً منهم ولكن يمكن أن نرجع ذلك كله إلى كثرة إطلاع ياقوت على كتب الخوارج والتأثر بأرائهم ومجاراتهم ومع هروبه من دمشق لم ينس من فيها من العلماء والأدباء الذين جالسهم وبادلهم أطراف الحديث في العلم والأدب وقد وصل من دمشق إلى حلب : **ياقوت الحموي بحلب :**

تحدث ياقوت الحموي عن حلب في كتابه (معجم البلدان) فقال "حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء يغلب على هذه اللفظة (حلب) أن لها أصل في العبرانية أو السريانية (هما لغتان) لأن كثيراً من كلام أهلها يشبه كلام العرب لا يفارقه إلا بعجسة يسيرة كقولهم كهنتهم في جهنم . ويوجد بها جامع وست كنائس . وبیمارستان (مستشفى صغير) . والفقهاء يفتنون على مذهب الإمامية وأهلها عنابة بإصلاح أنفسهم وتنمية واستثمار أموالهم فقل ما ترى من نشئها من لم يتقبل أخلاق آبائه وقد التقى فيها ياقوت ببعض العلماء الذين كان لهم الأثر في حياته العلمية فقد أفاد ياقوت منهم الكثير ومنهم (أبو محمد الشاطبي ت : ٥٩٠ هـ) . وهو إمام القراء وقد كان ضريراً ولد بالشاطبية بالأندلس وتوفي بمصر . وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة فهو صاحب كتاب حرز الأمان قال عنه الزركلي أنه مطبوع وهو صاحب القصيدة التي تعرف بالشاطبية في القراءات ويقول عنه ابن خلكان : كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه (١).

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي وصل إلى حلب وهناك حرص على الالتقاء بالعلماء . وحاول ياقوت عدم إذاعة ما حدث منه بدمشق حتى لا يحدث له ما لا تحمد عقباه . ويحلب وجد ياقوت رواجاً تجارياً فأهل حلب أكثرهم من التجار ورواحاً علمياً

(١) معجم البلدان ، ٣٢٤/٢ ، ومعجم الأدباء ، ٦٢/٤ ، والزركلي ، مرجع سابق ، ١٨٠/٥ ، وابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ٥٨٧/٧ ، وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١١٠/٨ ، وابن الصبّاغ ، شذرات الذهب ، ٣٠٦/٤ ، والمندى بكت الهمدان ، ص ٢٢٨

لانتقائه ببعض العلماء النوابغ مما كان له الأثر الإيجابي في حياة ياقوت العلمية والاقتصادية . ومع خروج ياقوت من حلب اتجه في رحلته إلى الموصل فلم يصل إمامه بحلب.

ياقوت الحموي بالموصل :

ذكر ياقوت أنه رحل إلى الموصل فراراً مما حدث منه بدمشق ولسماعه عن العلماء الأجلاء بالموصل فقد التقى ياقوت ببعض هؤلاء العلماء ومنهم (أبوركريا بن الدهان البغدادي ، ت : ٦٦٦ هـ وقد اشتغل ابن الدهان بالأدب وعلوم الدين والتصوف واتصل بخدمة القاهر صاحب الموصل)^(١)

ولاحظ الباحث من خلال البحث في أمهات الكتب أنه لا يوجد مؤلف لابن الدهان غير هذه الأبيات التي مدح بها صاحب الموصل وانتقل ياقوت من الموصل مسرعاً دون المرور على بغداد تحاشياً للرحلة الانهزامية وخوفاً من العلوي الذي كان قد نافطه في سوق دمشق لأنه كان بغدادياً وخشى ياقوت أن يذاع عنه ببغداد ما صدر منه بدمشق فيقتل ومع خروجه من الموصل وصل إلى إربل ويقول عنها ياقوت هي قلعة حصينة ومدينة كبيرة في قضاء من الأرض واسع وبها أسواق ومنازل وجامع للصلاة وهي شبيهة بحلب ينح طولها ٦٩٠٥ وعرضها ٣٥٠٥ وتعد إربل من مدن الموصل وبينهما مسيرة يومين - وقد كانت الإفادة العلمية التي حصل عليها ياقوت في إربل قليلة لقلّة العلماء الذين التقى بهم هناك فيقول دخلتها فلم أرفبها من ينسب إلى فضل غير (أبي البركات بن المستوفي الأربلي ، ت : ٦٢٧ هـ . وقد كان من العلماء بالحديث واللغة والأدب . وقد ذكر له الزركلي مؤلف تاريخ إربل وقال أنه مخطوط المجلد الثاني منه وقد حققه الآن سامي الصغار

(١) معجم الأدباء ، ٦٦٣/٥ وانظره في : الزركلي ، مرجع سابق ، ١/٤/٨ . وابن شاذر ، مرجع سابق ، ١٠٩/١ . والسيوطي ، بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغويين - الجزء الأول ، تحقيق / محمد أبي فضل إبراهيم (مطبعة عيسى الحلبي ، ١٩٦٤ م) ص ١١٢

والمجلد الرابع منه في شستريتي رقم (٤٠٩٨) وهو آخر أجزاءه وله ديوان شعر^(١) ومن العلماء الذين ينسبون إلى إربل جماعة من أهل العلم والحديث منهم (أبو أحمد الشهرزوري الشيباني الإربلي ت: ٤٨٩هـ بالموصل)^(٢)

ياقوت الحموي في خراسان :

بعد أن قضى ياقوت مدة في الموصل حصل فيها الكثير من العلم رجع ياقوت إلى خراسان فقد سمع عن علمائها الكثير بجانب اهتمامه بتنوع تجارته التي أراد أن يوزعها هناك بالإضافة إلى جمع الكتب وتحصيل الفوائد والمعلومات وقد تنقل ياقوت بين مدن نيسابور وخراسان حيث التقى بالأدباء وأهل العلم واللغة يأخذ منهم وينقل عنهم ولقد أثرت هذه البلاد في حياة ياقوت العلمية . ويظهر الجانب التعليمي والأدبي الذي حصل عليه من خلال إقامته بنيسابور في اطلاعه على بعض كتب العلماء ومن أهمها كتاب "وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر" الذي جمع فيه أبو الحسن البيهقي ت: ٦٥٥هـ أشعار أهل عصره وقد أطلق عليه الزركلي كتاب تنمة دمية القصر وكان لذلك أثره التعليمي على حياة ياقوت الحموي.

لاحظ الباحث أن هذه التنقلات والرحلات التي عاشها ياقوت كان لها أثرها في حياته الاجتماعية ، ولذا لم يقاس ياقوت التجارب العاطفية في حياته غير هذه التجربة التي شهدتها نيسابور عند شرائه جارية تركية صادفت من نفسه محلاً كريهاً من الحب والعاطفة غير أن ياقوت أبصر هذه النعمة واستخفها فباع هذه الجارية متحججاً بضيق ذات اليد الأمر الذي جعله لا يستطيع الإقامة والاستقرار بنيسابور بل أنه امتنع عن الأكل والشرب حتى أشرف على الهلاك والموت ، وحينما حاول أن يستردّها لم يستطع لأن الذي اشتراها كان غنياً فامتنع أن يبيعها مرة أخرى إلى ياقوت^(٣)

(١) معجم البلدان ، ١٦٧/١ ، والزركلي ، مرجع سابق ، ٢٦٩/٥ ، والسيوطي ، طبعة الوعاء ، ٢ / ٣٨٤ بن حنكس .
مرجع سابق ، ٣٥٨/١
(٢) معجم البلدان ، ١٦٩/١
(٣) معجم الأدباء ، ١٢٩/٤ ، والسيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٤٧ والزركلي ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٤ وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ٢٠١١/٢

ويذكر ياقوت خراسان* في كتابه (معجم البلدان بقوله هي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند وأورد عنها الكثير من الروايات في فضلها وبنائها* (١) وما يدل على فضلها على ياقوت من حيث الجانب التعليمي والأدبي كثرة علمائها. الذين تتلمذ لهم تلمذة مباشرة أو غير مباشرة قالها ينسب كل من أهل العلم وفرسانه وسادته وأعيانه ومنهم (البخاري : ٢٥٦ هـ) وذكر له الزركلي الجامع الصحيح وقال مطبوع وهو ما يعرف بصحيح البخاري. واليه ينسب أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت : ٢٦١ هـ، صاحب صحيح مسلم قال الزركلي إنه مطبوع وجمع فيه اثني عشر ألف حديث كتبها في ١٥ سنة. ومن هؤلاء العلماء (أبو عيسى الترمذي ت : ٢٧٩ هـ صاحب الجامع الصحيح قال الزركلي إنه مطبوع يعرف باسم صحيح الترمذي في الحديث يقع في مجلدين واليه ينسب (أحمد بن حنبل ت : ٢٤١ هـ صاحب المسند قال الزركلي إنه مطبوع يقع في ستة مجلدات يحتوي على ثلاثين ألف حديث ومنهم (إسحاق بن راهوية ت : ٢٣٨ هـ طاف البلاد لجمع الحديث وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو صاحب المسند قال الزركلي مخطوط منه الجزء الرابع في دار الكتب ومن هؤلاء العلماء (أبي حامد الغزالي ت : ٥٠٥ هـ صاحب كتاب إحياء علوم الدين قال الزركلي هو مطبوع في أربع مجلدات. ومنهم (أبو المعالي الجويني ت : ٤٧٨ هـ أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي وهو صاحب كتاب العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية قال الزركلي إنه مطبوع ومنهم (الحاكم النيسابوري ت : ٤٠٥ هـ وغيرهم الكثير من أهل الحديث والفقه. ومن علماء الزهد والأدب (أبو الحسن الجوهري ت : ٤١٩ هـ له كتاب الاستبصار في الاعتقادات ومن هؤلاء العلماء (عبد الله بن المبارك ت : ١٨١ هـ له كتاب الرقائق قال الزركلي إنه مخطوط

* خراسان : تعني أوزبكستان حالياً والزركلي . مرجع سابق . ١٨٥/٥
(١) معجم البلدان . ١٠١/٢

في مجلد واحد ، وتذكر من أهل الأدب والنظم والنثر الذين يصعب حصرهم (أبو إبراهيم الفارابي الأديب ت : ٣٥٠ هـ صاحب كتاب ديوان الأدب عرفه بقوله : هو ميزان اللغة ومعيار الكلام قال الزركلي وهو مخطوط رأيت نسخة منه في خالدية القدس كتبت سنة ٥٨٨ هـ ونسخة أخرى كتبت ٦١١ هـ في حلب رأيتها في مكتبة مغنيسا برقم ٢٨٢٤ (١) ومن هؤلاء العلماء في الأدب وينسبون إلى خراسان (علماء الخراساني) وهو عطاء بن مسلم الخراساني ت : ١٣٥ هـ وهو عالم بالتفسير وقد صنف في ذلك كتاب التفسير وقد ذكر الزركلي أن منه أوراقاً مخطوطة وله كتاب الناسخ والمنسوخ ويذكر الزركلي أن منه جزءاً مخطوطاً وكلاهما في الظاهرية (٢)

ومن هؤلاء العلماء (أبو عبد الرحمن حاتم بن يوسف الأصم وقال الزركلي : هو حاتم بن عنوان : ت ٢٣٧ هـ) ولاحظ الباحث أن ما ذكره ياقوت أقرب إلى الصواب لأنه شاهد قبر حاتم الأصم ، وقرأ ما كتب على قبره وذكر أنه تلميذ شفيق البلخي غير أن الزركلي تشابه عليه فذكر أن حاتم بن عنوان من أهل بلخ لذا كان رأى ياقوت هو الأصح وهو ما يقره البحث هنا وقد اشتهر (حاتم الأصم) بالزهد والتقشف وله كلام مدون في الزهد والحكم (٣)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت أفاد الكثير من هذه الرحلة العلمية التجارية إلى خراسان ، فقد التقى فيها بالكثير من العلماء كل في مجال تخصصه من العلوم وقد ساعد ذلك كله ياقوت الحموي في اتساع مداركه العلمية وقد ظهر ذلك بكثرة في مؤلفاته العلمية التي تزخر بالكثير من العلوم المتنوعة بين الآيات القرآنية التي كان يكثر

(١) معجم البلدان ٤٠٤/٢ ، والزركلي مرجع سابق ١٠٧/٢٤٠، ٣٢٢/٢٢١، ٢٠٣/١ ، ٢٩٢/١٨٢ ، ٢٢٧/١ ، ١٦٠/٤ ، ٥/٨ ، ١٥٠/٤ ، ٢٩٣/١٥٠، ١٨٤/٢٩٦، ٦/٩٦، ١١٦/١٠ ، ٤٠٢/١١٠ ، مرجع سابق ١٨٤/٢٩٦، ٦/٩٦، ١١٦/١٠ ، ٤٠٢/١١٠
(٢) معجم البلدان ٤٠٥/٢ ، ومعجم الأدباء ١٢٩/٤ ، والزركلي مرجع سابق ٢٣٥/٤ ، وابن العماد مرجع سابق ١٩٢/١ ، والذهبي مرجع سابق ١٨٢/١
(٣) معجم البلدان ٤٠٥/٢ ، والزركلي مرجع سابق ١٥٢/٢

الاستشهاد بها في كتاباته وبين الأحاديث النبوية التي كان يتجلد بها أمام قسوة الدهر وقد عد ياقوت رحلته إلى خراسان بأنها كانت في غفلة من الدهر لأنه اعتاد من الدهر القسوة والظلمة فلم يشرف له نوره إلا في هذه الرحلة العلمية وقد قرأ ياقوت أثناء إقامته بخراسان الكثير من كتب التفسير والفقه والأدب والزهد والحكم والأمثال بل إنه جمع الكثير منها بين يديه ومن مدن خراسان التي ذكرها ياقوت وأفاض الحديث عنها.

هو (الشاهجان) :

وهذه من أشهر مدن خراسان ومعنى مرو في اللغة العربية الحجارة النخس التي تستخدم في ضرب القداح غير أن ياقوت ذكر أنه لم يربها من هذه الحجارة شيئاً وأما الشاهجان فهي فارسية معناها : نفس السلطان لأن الجان هي النفس أو الروح والشاه هو السلطان وقد استشهد ياقوت على فضل مدينة مرو ببعض القصص التي أثرت عن النبي (ص) مع أصحابه ، ومساحتها كما ذكرها ياقوت تبلغ طولها ٧٧ وعرضها أربعون درجة تحت ثمانى عشرة درجة من السرطان ، وهذا ما يثبت بحق جغرافية ياقوت فهو عالم جغرافى يتحدث عن مواقع هذه المدن من حيث الموقع الفلكي وهو ما يقصد به : موقع المدينة بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض وقد عاش ياقوت بهذه المدينة حياة سعيدة هادئة فأهلها يغلب عليهم الكرم ولين الجانب وحسن العشرة وهي بلدة عامرة بخزائن الكتب التي يحتاج إليها ياقوت الحموي (حتى يمكنه من خلالها التعرف على علوم الأوائل) ومن أهم هذه المعالم جامعان للحنفية والشافعية وبها الكثير من كتب الأصول المتقنة وفيها عشر خزائن : خزانة إحداهما يقال لها العزيزية وبها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها كما وصفها ياقوت في كتابه (معجم البلدان) ، والأخرى يقال لها الكمالية يقول ياقوت لا أدرى إلى من تنسب وبها خزانة شرف الملك (أبى سعيد المستوفى ت : ٤٩٤ هـ) وهي توجد بمدرسته ، والرابعة من هذه الخزائن لنظام الملك (الحسن بن إسحاق بمدرسته) وخزانة المدرسة العميدية ، وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين

بها ، والخزانة الخانوتية في مدرستها ، والخزانة الضميرية ، وخزانة السماعين ، يقول ياقوت الحموي كان لا يفارق منزله منها مائتا مجلد أو أكثر بغير رهن أو ضمان ولذا طبأت الإقامة لياقوت في هذه البلدة»^(١)

وبجانب تلك الخزائن التي تزخر بها مدينة مرو فإنها أنجبت الكثير من العلماء فيليبها ينسب (أبو بكر القفال المروزي ت : ٤١٧ هـ وهو أحد أركان مذهب الشافعي وتخرج به جماعة وانتشر علمه في الأفاق ، ومن هؤلاء العلماء (أبو إسحاق المروزي ت : ٣٤٠ هـ بمصر) وانتهت إليه رئاسة الشافعية بالعراق بعد ابن سريج وله من التصانيف : شرح مختصر المزني وهذا الكتاب (مختصر المزني) هو أحد الكتب الخمس المشهورة بين الشافعية التي يتداولونها أكثر تداول وقد كان سائراً في كل الأمصار وهو للشيخ الإمام (إسماعيل بن يحيى المزني ت : ٢٦٤ هـ وهو أول من صنف في مذهب الشافعي .^(٢)

وقد تحدث ياقوت الحموي عن مرو الشاهجان في رسالته التي كتبها للقنطلي وهو (أبو الحسن الشيباني ويغلب عليه لقب جمال الدين القنطلي ت : ٦٤٦ هـ وهو وزير مؤرخ من الكتاب ، كان جماعاً للكتب حتى أنه جمع من الكتب مكتبة تساوي خمسين ألف دينار ، لا يحب من الدنيا سواها ولا زوجة له ولا ولد فقد تشابه حالة بحال ياقوت الأمر الذي جعل ياقوت يكتب إليه بهذه الرسالة ، ومن الكتب التي صنغها القنطلي كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ذكر الزركلي أنه مطبوع مختصره ، وله كتاب أنباء الرواة على أنباء النحاة ذكر الزركلي أنه مطبوع في ستة أجزاء .^(٣) وفي هذه الرسالة كتب ياقوت جانباً كبيراً عن مرو الشاهجان فتحدث عن كرم أهلها ، وما لقيه من كرمهم

(١) معجم البلدان ، ١٣٢/٥ - ١٣٤ والسيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٥٠ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ص ٥٠ والزركلي ، مرجع سابق ، ١١١/٧ .

(٢) معجم البلدان ، ١٣٦/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٦٦/٦ والزركلي ، مرجع سابق ، ١١١/٧ ، ٢٨/١ وابن العماد ، مرجع سابق ، ٣٥٥/٢ وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ١٦٣٥/٢ .

(٣) القنطلي ، مرجع سابق ، ٢٣٧/١ والزركلي ، مرجع سابق ، ٢٣/٥ والأدقوى ، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصيود ، تحقيق د / سعد محمد حسن (القاهرة : دار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م) ، ٢٢٧ .

وتقديرهم للعلم والعلماء . وفضل أهل العلم بها وهذه المكتبات التي اغتنم منها الكثير من الكتب دون الحاجة إلى رهن أو ضمان ثم تحدث ياقوت عما أصاب هذه المدينة من الخراب والدمار من جراء إغارات التتار عليها بعد ما ظن ياقوت أنه لا مقام له إلا بهذه المدينة وأنه لا محيص عنها إلى أن يجاور التراب وجعل ينشد نفسه هذه الأبيات فيقول :

إذا ما الدهر بيتنسى بجيش طليعته اغتصام واغتصاب
شنتت عليه من جهتي كميناً أميراء الذبالة والكتاب
ويست أنص من شيم الليالي عجائب من حقائقها ارتباب
بها أجلسو همومى مستريحاً كما جلى همومهم الشراب (١)

ومن ظاهر هذه الأبيات نرى أن ياقوت أراد أن يحارب الدهر في قسوته وظلمته له من الغربة وترك الأهل والبلد . والغم الذي يعتريه في تنقلاته بجيش يختلف عن الجيش المعهود فجيش ياقوت مكون من الذبالة: آلة إضاءة عرفت في هذا الوقت ويجانبها الكتاب . فكان جيش ياقوت هو القراءة في أمهات الكتب ، بل أنه يقول بالقراءة أزيل همومى مع راحة لبدنى . كما يزيل هموم هؤلاء المترنحين الشراب والسكر .

واستمر ياقوت الحموي في وصف هذه المدينة (مرو) بعبارات وجمل مسجوعة الألفاظ منمقة الوصف . ثم يذكر ياقوت بعض الآيات القرآنية مستشهداً بأن هذه الجنان لم يورثها الله (عز وجل) لأحد من بعدهم فيذكر قوله تعالى:

”كَفَرْنَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَكُمْ وَإِلَهُ آبَائِكُمْ وَلِلَّهِ الْغَنَاءُ وَالْكَثْرُ“ (٢)

ونرى أن هذه الآيات مناسبة للاستشهاد بها في هذا الموقف فقد نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل وخروجهم من مصر (٣) وقد يكون ياقوت ذكر هذه الآيات لمطابقة ما

(١) معجم الأدياء ، ١٩/١٠

(٢) سورة الدخان : من الآية ٢٦ .

(٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٨٨م ص ٧٢٢ .

حدث مع بني إسرائيل في خروجهم وما حدث مع أهل مرو في خروجهم قهراً أمام عدوان التتار الغاشم وهو ما يبيل إليه الباحث .

ثم يواصل ياقوت رسالته فيتحدث عن الخراب والدمار الذي شهدته هذه البلاد إثر غارات التتار عليها من قتل العلماء ، وإحراق المكتبات لذا وصفهم ياقوت بأنهم أهل كفر والحاد ، فأصبحت قصور مرو كالمحو من السطور . وأصبحت مأوى الغريبان ، نتجأوب في نواحيها اليوم ، وتتناوح في أراجيحها الريح السموم : وهي الريح الحارة تهب غالباً على مصر في شهر مايو^(١) واقتصر الباحث على ذكر مصر من بين المناطق التي تهب عليها هذه الرياح لأننا نشاهدها ونقاسيها .

ويقول الله عز وجل

﴿ وَأَصْحَبُ الشِّتَالِ مَآ أَصْحَبُ الشِّتَالِ ﴾ ﴿١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَرِيمٍ ﴿٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ حَمُومٍ ﴿٣﴾

وفي الجغرافيا هي ريح محلية ساخنة جافة تثير الأتربة ، ومنها رياح الخماسين في مصر والسودان ، ويستوحش ياقوت فيها الأنيس فيقول :

كان لم يكن فيها أو أنس كالدمى	وأقبسال ملك في بسالتهم أسد
فمن حاتم في جوده وابن ماسة	ومن أحتف إن عد حلم ومن سعد
تعدى بهم طرف الزمان فأصبحوا	لنا عبرة تدمى الحشا ولم يعد (٣)

ولاحظ الباحث أن ظاهر أبيات ياقوت يقول فيها أن مدينة مرو أصبحت من الخراب الذي لحقها من جراء إغارات التتار وكأنها لم يوجد بها قبل ذلك هذه الدمى جمع دمية : وهي الصورة المثلثة من العاج والتي يضرب بها المثل في الحسن والجمال التي يستأنس بها أهل مرو ونزلاتها وكان ملوك اليمن يتخذون هذه الصور في أماكن إقامتهم

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٥/٦ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٤٦ : ٤٣ .

(٣) معجم الأدياء ، ١٩٠٢٠/٦ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٥/٦ .

ويجعلون في مقدمة هذه الصور صورة الأسد . ثم يصف ياقوت كرم أهل مرو فإنهم كانوا في جود حاتم الطائي وفي حلم أحنف وسعد . هذه الصور وصفات أهل هذه المدينة أصبحت عبرة لأنهم غابوا غير أن هذه العبرة تدمى القلب حزناً . حينما يتذكرها الإنسان وذكر ياقوت أن حادثة إغارة التتار على مرو كانت من الحوادث التي تقصم الظهر وتهدم العمر . وتوهي (تصيب وتضعف) الجلد . وتضاعف الحزن المكتوم . وتثيب الوليد وتختر من الإنسان أفضله ولو كان عقله . وتسود القلب . وتذهل العقل . وقد أثر ذلك كله على صاحبنا ياقوت لأنه لم يأمن على نفسه أمام هذا العدو . حتى أنه أشرف أكثر من مرة على الموت وقد ظن نفسه أنه من أهل البوار فقد أشرف على الهلاك على الكثير من أسفاره وتنقلاته وكان يذكر نفسه دائماً بقوله تعالى

* ... لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١﴾ (١)

ووصف ياقوت أهل مرو بأنهم من الشهداء لدفاعهم عن وطنهم وكان يذكر دائماً

قوله تعالى :

* وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ (٢)

وظل ياقوت الحموي يقاسي خطوب الدهر ويعانيه أحياناً فيقول :

تذكر لى دهرى ولم يدرك أننى أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه وبات أريه الصبر كيف يكون (٣)

فكانه يقول أن الدهر معى فى محاربة مستمرة كلما مر بهى حدث أنكره على وزودنى بحدث آخر . ولم يعلم أنى أنجلد أمام هذه الأحداث وتلك الخطوب متخذاً من الصبر حاجزاً يفصل بينى وبين تلك الأحداث.

(١) سورة الكهف : من الآية ٦٢
(٢) سورة البقرة : من الآية ٢١٦
(٣) ابن خلكان . معجم سيف . ١٣٧/٦

ومما سبق لاحظ الباحث أن الإقامة التي حظى بها ياقوت في مدينة مرو أضافت الكثير إلى نشاطه العلمي من خلال وجوده بين كتّاب العلماء التي كانت تزخر بها مدينة مرو، وحصوله على هذه الكتب دون ضمان أو رهن، بل واصطحابها معه إلى منزله ناهيك عن الموقع الجغرافي الذي كان له عظيم الأثر في نفس ياقوت بالإضافة إلى صفات أهل مرو من الكرم والسخاء وحب العلم وأهله، الأمر الذي أتاح لياقوت ممارسة نشاطه العلمي لتأليف الكتب وتصنيف العلوم حتى أنه ذكر أن الكثير مما جمعه كتاب بمعجم البلدان كان أثناء إقامته بمدينة مرو ولذا كانت إغارة التتار على مدينة مرو من الأحداث العظام التي أثرت في نفس ياقوت الكثير لأنها كانت سبباً في إضاعة الكثير من أمهات الكتب التي أفاد منها، فقد قضى التتار على هذه الثروة العلمية عن طريق الإحراق تارة وأخرى عن طريق السلب والنهب، وأمام جحافل التتار وجيشهم كثير العدد والعدة وكان على ياقوت أن يغادر مدينة مرو إلى مدينة أخرى يجد فيها العوض عن مدينة مرو فقد اضطر ياقوت الحموي إلى ترك مدينة مرو حيث قابل فيها مخاوف كثيرة من التتار بمعاملاتهم الوحشية، للعلماء والمكتتبات التي يفيد منها العلماء بل ومطلاب العلم ومع ما خرجت مدينة مرو من الأعيان، وعلماء الدين والأركان، ما لم تخرج مدينة مثلهم، إلا أن ياقوت غادرها مكرهاً مجبراً على ذلك مبتعداً عن وجود التتار فصار بعدها إلى خوارزم.

ياقوت الحموي في خوارزم :

حرص ياقوت على الرحلة إلى الخوارزم لما سمعه عن فضل علمائها فقد كانت من أشهر مدن الشرق في ذلك الوقت تخريجاً للعلماء وبها نشأت حركة علمية وأدبية واسعة وقد وصل إليها ياقوت في رمضان سنة ٦١٦ هـ وتحدث ياقوت عن أهم المعالم التضاريسية التي شاهدها هناك فيصف نهر جيحون وهو متجمد فيقول: "وقد شاهدت نهر جيحون وهو متجمد وركبت فيه فكان الناس إذا استحكّم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل

والعجل والبقر ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه كما يكون في البوادي ويبقى على ذلك نحو شهرين^(١).

ومنه لاحظ الباحث أن ياقوت كان عالماً في الجغرافيا يصف بعض المعالم التضاريسية التي يشاهدها ولا يرى إلا أن ياقوت كان عالماً بليغاً فقد بالغ في وصف هذا النهر كونه جعل النهر المتجمد مثل الطريق يتطاير عنه الغبار وقد استعان ياقوت بالمجاز اللغوي في ذلك فشبه قطع الثلج الصغيرة عند تطايرها من حوافر الحدوانات بالغبار المتطاير من هذه الحوافز عند مرورها على الأرض الجافة.

علماء خوارزم الذين أفاد منهم ياقوت :

تمت الإشارة فيما سبق إلى أن خوارزم كانت من أشهر المدن في ذلك الوقت تخريجاً للعلماء ومن أشهر العلماء الذين أفاد منهم ياقوت (أبو يعقوب السكاكي الخوارزمي ت : ٦٢٦ هـ) ومن هؤلاء العلماء أيضاً (يوسف بن أحمد نجم الدين الخوارزمي ت : ٦٢٤ هـ) ومنهم (مؤيد الدين الخوارزمي كان حياً : ٦٢٠ هـ ومن مؤلفاته شرح نوابغ الكلم للزمخشري . ومنهم (أبو المؤيد الخوارزمي ت : ٥٦٨ هـ) صاحب كتاب : مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة . قال الزركلي إنه مطبوع . وقد أخذ العربية عن الزمخشري بخوارزم ومن العلماء الذين اهتموا بالدراسات العقلية في خوارزم (أبي علي الجعفي الخوارزمي ت : ٦١٨ هـ) من كتبه كتاب الملخص في علم الهيئة قال الزركلي إنه مطبوع وترجم إلى الألمانية^(٢).

ومن هؤلاء العلماء (أبو عبد الله الخوارزمي ت ٢٢٢ هـ) الذي كان ينعت بالأستاذ فقد عهد إليه المأمون بجمع الكتب اليونانية وترجمتها . فاختصر كتاب المجسطي لبطليموس وسماه (السند هند) أي الدهر الداهر . فكان هذا الكتاب أساساً

(١) مجمع البلدان ، ١٩٤٤-١٩٤٦ ، ٢٨٢/١٣ ، ٢٦٩/١٣ ، ٥٥/١٣ والزركلي ، مرجع سابق ، ٢٤٢/٧ ، ١٨١/٧
(٢) عبر رضا كماله ، مرجع سابق ، ٢٨٢/١٣ ، وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ١٩٧٨/٢ ، ١٨٣٧/٢ ، ١٨١٩/٢

لعلم الفلك بعد الإسلام . وله كتاب الجبر والمقابلة قال الزركلي إنه ترجم إلى اللاتينية ثم إلى الإنجليزية ، ونشر بهما ، وطبع بالعربية . وله كتاب وصف أفريقيا قال الزركلي إنه مطبوع^(١) .

وقد أفاد ياقوت الحموي أثناء إقامته بخوارزم بالكثير من علوم هؤلاء العلماء سواء أكان هؤلاء الذين صنفوا في علوم الفقه والعربية ، أم هؤلاء الذين صنفوا في العلوم العقلية غير أن الفترة التي قضاها ياقوت هناك كانت قصيرة ، لم يسعد فيها ياقوت بكثرة التزود من هذه العلوم ، فالزمن لم يطلبه له حتى يهنا بالإقامة الطويلة بين هؤلاء العلماء حتى يحصل منهم على الكثير وكان ذلك بسبب سوء العلاقة التي نتجت بين الدولة الخوارزمية وبين المغول الأمر الذي من خلاله تقدم جنكيز خان من بلد إسلامي إلى آخر مستخدماً الهجوم العنيف والعدوان الشديد ، فتراجع الخوارزميون أمامه ، مما اضطر ياقوت الحموي إلى الرحيل عن خوارزم . وقد قص ياقوت الضائقة التي شاهدها أثناء خروجه من خوارزم والرحيل عنها ، ما كان يكل عن شرحه إنا ذكره . وكان ذلك في سنة ٦١٦ هـ ، ومن الأمور التي جعلت ياقوت في ضائقة أثناء خروجه من خوارزم وعودته إلى بعض مدن العراق أنه مر بخراسان ، ورأى آثار الدمار والخراب في المدن الإسلامية من جراء الهجوم التتاري على هذه المدن ، مما جعله لا يستطيع الإقامة مرة أخرى بهذه المدن التي عز على نفسه أن يشاهدها على هذه الحالة وقد كانت سبباً في تقدمه العلمي ونشاطه الاقتصادي من خلال تجارته بها ، وقد تحدث ياقوت عما شاهده بخوارزم والمدن الإسلامية في رسائله التي كتبها للقنصل وقد أشرنا إلى مقتطفات منها^(٢) .

وقد أضاف ياقوت برحلته إلى إربل الكثير إلى ميراثه التربوي ، وحصيلته العلمية فقد كانت الإقامة التي حظى بها ياقوت في إربل أناح له فرصة الالتقاء بالعلماء ، غير أنه كانوا من القلة بحيث أن ياقوت لم يذكر منهم سوى المستوفى .

(١) الزركلي ، مرجع سابق ، ١١٦/٧ ، وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ٥٧٩/١ .
(٢) أبو الفتوح التتارسي ، ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الأديب ، مرجع سابق ، ص ٨٧ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٨/٦ ، ومعجم البلدان ، مرجع سابق ، ١٩٤/٢ .

ياقوت الحموي ببغداد :

رحل ياقوت عن إربل متجهاً إلى بغداد وهناك التقى ببعض علمائها ، فسأهموا في بنائه التربوي التعليمي وقد ذكر ياقوت من بينهم (أبي طالب الكرخي ت : ٥٨٥هـ) ويقول ياقوت : أدركت زمانه ولقيت بالبغدادى أواؤه ، إلا أنني لم أره لصغر السن حينئذ ولا اشتغال في ذلك الوقت بغير طلب العلم ، وقد كان الكرخي إماماً زاهداً فاضلاً ، أوجد زمانه في حسن الخط ، وقد صار في ذلك على طريقة (علي بن اليواب ت ٤٢٢هـ) وهو خطاط مشهور ، من أهل بغداد ، نسخ القرآن بيده ٦٤ مرة ، لا تزال بعض هذه النسخ محفوظة في مكتبة بالقسطنطينية كما ذكره الزركلي^(١) .

وقد ذكر ذلك ياقوت في رسالته التي كتبها للقفطي ، وأوضح فيها رحلاته وتنقلاته والإفادة العلمية التي حظى بها ياقوت أثناء هذه الرحلات

عودة ياقوت الحموي إلى حلب :

وصل ياقوت إلى حلب بعد أن استحالته الإقامة في المدن التي رحل إليها ، لما وقع من انتشار حبال هذه المدن ، وحلب ليست جديدة بالنسبة له ، فقد عاش بها بعد ذلك واختارها ياقوت حتى يقضى بها الفترة الباقية من عمره ، وذلك لما بينه وبين وزيرها الذي طلب منه ياقوت أن يساعده في الوصول إلى حلب ، ولذا كان ياقوت لا يفارق حلب إلا إلى زيارة بعض الأماكن المقدسة والعودة إليها ، فقد رآه المسجد الأقصى في ٦٢٤هـ وزار أطراف العراق ومصر ، وعاد إلى حلب حيث مجالس العلماء والأدباء ، التي يتزود منها^(٢) ، فقد جالس ياقوت الحموي بحلب بعض علمائها ومنهم (الواسطي ت : ٦٢٦هـ) وقد كان عالماً بالعربية في حلب ، له من الكتب كتاب شرح المقامات الحبرية قال

(١) الزركلي ، مرجع سابق ، ٣١/٥ ومعجم البلدان ، ١٣٨/١ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٣٤٥/١ ومعجم الأدياء ، ٣٩/٣ وابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الثاني عشر ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت) ص ١٤ . وابن الجوزي المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق د/ حسن عيسى الحكيم ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٥م) ، ص ١٠ .

(٢) معجم الأدياء ، ٦٢٠/١ - ٦٢٦ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٣٨/١

الزركلي إنه مخطوط في مكتبة عارف حكمت تحت رقم (٩٧ أدب) وله كتاب خطب أورد ياقوت منه نماذج حسنة. ^(١)

ويقول الواسطي: أنشدنا ياقوت لنفسه في ذي الحجة ٦٢٠ هجرية بحلب أبياتاً

فقال:

أرى بغضى على الجهلاء داء	يموت بغض القلب العليل
فهم موتى النفوس بغير دفن	وأحياء عزيزهم ذليل
يغطون السماء بكل كف	لها في الطول تقصير طويل
وتبدو الطلاقة من وجوه	كما يبدو لك الحجر الثقيل
إذا قاموا لجسد أقعدتهم	مسالك مألهم فيها سبيل
وإن طلبوا الصعود فمستحيل	وإذا لزموا النزول فما يسزل
كذاك السجل في الدولاب يعلو	صعوداً والصعود له نزول ^(٢)

ومن ظاهر الأبيات يبين ياقوت البغض والمقت الذي ينال هؤلاء الجهلاء الذين يصير جهلهم داء في قلوبهم يموتون به . وهؤلاء الجهلاء في حكم الموتى وإن كانوا حياء فإن العزيز منهم بجاهه ، ذليل بجهله ، ولا تجد الطلاقة من السنتهم ولكن تراها من وجوههم . ولا يكتنهم الارتقاء عن مكانتهم ، لأن العلم هو الذي يرفع هؤلاء ، ولا يحطون به كما لا ينفك عنهم النزول بالجهل . فهم مثل السجل (هو الدلو) المملوء بالماء قل أو كثر ^(٣) فإن ارتفاعه نزول وتراه واضحاً إذا ارتفع من الخلف هبط ليمتلأ بالماء من الأمام . ويلاحظ في ذلك الدعوة الصريحة من ياقوت إلى ترك الجهل وطلب العلم . فهو الذي يرفع الأقوام ، والجهل يخفض قدرهم . وإن ارتفعت مكانتهم به .

(١) عمر رضا كحفة ، ١١١/٨ ، والزركلي ، مرجع سابق ، ١٨٠/٥٠ ، والسيوطي ، مرجع سابق ، ص ٣٨٠ وابن شاذان الكشي ، مرجع سابق ، ١٢٨/٢
(٢) معجم الأدياء ، ١٢٦/١ ، ١٢٧/١
(٣) الرازي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧

وقد ظل ياقوت بحلب حتى وافته منيته في يوم الأحد ، العشرين من رمضان ٦٢٦ هـ ، ١٢٢٩ م بعد أن وقف كنيته على مسجد الزيدى ، بدير ديار بعلبغا ، وقد سلمها لابن الأثير ، فحملها إلى هناك (١)

عقيدة ياقوت :

من خلال الرسالة التي كتبها ياقوت الحموي إلى الوزير القفطلى تبين للباحث أن ياقوت كان ذو عقيدة إسلامية صافية ، متأثراً بالتنشئة الأولى التي نشأ فيها بين يدي مولاه عسكر ، ويتضح ذلك بصورة واضحة في استشهاد ياقوت بالكثير من الآيات القرآنية يؤيد بها كلامه ، والأحاديث النبوية التي يوثق بها بيانه ، وكان يذكر الكثير من قصص الأولياء والصالحين ، وصحابة النبي (ﷺ) ليضرب بهم المثل أثناء تعرضه لكتابة موضوع ما ، واعتقاد ياقوت في كل الأمور الغيبية المحسوس منها وغيره ، ويبين ذلك أيضاً وصفه للتتار بأنهم أهل كفر والحاد وضلال ، وما أباده من أسف شديد على تفكك الدولة الإسلامية العربية وانهارها أمام جحافل التتر ، الملحدة المتبريرة ، وحزته الدفين على تركه مدينة مرو الزاهرة العامرة بمكتباتها ، وعلمائها الأجلاء وما يهذه المكتبات من كتب ذات قيمة علمية وتربوية استطاعت أن تنسى ياقوت الأهل والأحباب ، والوطن والأصحاب وكانت بمثابة عوض عن إقامة منزل يشعر فيه بالراحة الأبدية .

ويذكر عبد الرحمن حميد في كتابه (أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم) قوله " وقد رأى سيده التاجر ، الذي لم ينل حظاً وافراً من التعليم أن يفيد من هذا الحدث النابه (الذكي) بأن يوفر له ذلك ، كي يستعين به في حساباته ومعاملاته ، فأدخله الكتاتيب يتعلم فيها الكتابة ، ونال تعليماً إسلامياً جيداً " (٢)

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٩/٦
(٢) عبد الرحمن حميد ، مرجع سابق ، ص ٢١١

ومنه لاحظ الباحث أن ياقوت نشأ من البداية نشأة إسلامية كانت سبباً في قوة عقيدته الإسلامية ، وذلك جعله في النهاية يختار ويفضل الآخرة على الدنيا حتى أنه "وقف كتبه على مسجد الزيدى ببغداد"^(١) ، وذلك حتى لا تقتصر الإفادة من هذه الكتب على طائفة خاصة بل تعم الإفادة منها ويستطيع أن يطلع على هذه الأعمال وتلك المؤلفات رواد هذا المسجد ، ونقلت هذه الكتب بعد ذلك إلى مكتبات بغداد حتى تشمل الفائدة أهلها

أخلاق ياقوت الحموي :

جمع ياقوت الحموي الكثير من الصفات الأخلاقية الحميدة ، والتي كان يوصف بها من بين أهل البلدان التي يرحل إليها فقد كان " رقيق العاطفة مرهف الحس - دؤوب على العمل ، وله نفس ذكية داركة وكان صريحاً في قوله ، لا يداهم ولا يراني ، يقول ما يؤمن به ويعتقد فيه ، وإن أغضب غيره ، وقد كان فيه صدق العلماء ، وصدق الصادقين من العلماء والرواة ."^(٢)

ومن الصفات التي كانت تلازم شخص ياقوت الحموي هي التواضع في العلم فكان إذا سئل عن شيء ولم يعرفه كان لا يخجل من أن يقول لا أعرف أو لا أعلم فيقول : أما الشعر فقد قلت فيه مع اعتراف بقلة بضاعتي في الشعر وعلمي بركاكة نظمي ونثري^(٣) وقد وصف ياقوت بأنه لا ينفق إلا على من جنل (طبع) على العلم طبعه ، وعمر بحسب الفضل ريعه (داره) فظل للأدب خديناً (حبيباً وصاحباً) ولصحة العقل قريناً (مصاحباً) قد عجتت بالطرافة طينته وسيرت باللطافة سيرته "^(٤)

ومما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت كان مولعاً بالعلم حريصاً على تحصيله مهما كلفه ذلك من جهد وطاقة ، وكان على درجة من الندين ، وعلى صلة بربه ، وكانت يداه

(١) ابن خلكان، معجم سابق ، ١٣٩/٦ والزركلي ، معجم سابق ، ١٣١/٨ وجورجي زيدان ، معجم سابق ، ٨٨/٣
(٢) السيد محمد تيب ، معجم سابق ، ص ٥٦
(٣) معجم الأدباء ، ٣٩/١
(٤) البرج السابق ، ٣٣/١

تجودان بالخير، سيق إلى المعروف، وقد رأيناه يقف كتبه على مسجد الزيدى بالعراق فهو بذلك اشترى آخرته بدينه قولا وعملا. وقد كان ياقوت معتزاً بنفسه يقتخر على أهل الجهل بأعماله، ويعترف بفضل العلماء الذين سبقوه، عن طريق الاستفادة من أعمالهم وفي كل مؤلف قام بتأليفه، ولذا فقد عاش ياقوت طيلة حياته طالباً للعلم في مجالس العلماء والأدباء بل كان لا يتكبر على العلماء فكان يرحل إليهم قاطعاً البيداء والبحار والأنهار حتى يصل إلى أماكن إقامة هؤلاء العلماء والتعرف على علومهم.

العلماء الذين تتلمذ لهم ياقوت :

من خلال ما تمت الإشارة إليه من حياة ياقوت تبين أنه عاش حياته بين الأسر في الصبا، والتجارة والكتابة وجمع الكتب في الشباب، من مختلف البلدان، وأثر العزلة في السنوات الأخيرة من عمره لما حدث أمامه من إغارات التتار على البلدان الإسلامية. وما رآه قد حل بالمدن الإسلامية فقد كانت حياته متقلبة لم يعرف فيها الاستقرار ولم يأنس فيها بالهدوء وراحة البال، كل هذه الظروف لم تمنح لياقوت التفريغ بالجلوس إلى الكثرة من العلماء والشيوخ، بل نستطيع أن نقول أن ياقوت اتخذ من الكتاب معلماً أكثر من اعتماده على الشيوخ والعلماء، فقد شغلته الرحلة والتجارة، ونسخ الكتب عن ذلك غير أنه كان إذا حل ببلد وصادق شيخاً انتفع بعلمه وحصل منه، ولا يمكنه أن يصادق شيخاً غيره لعدم إمالة الإقامة، فالسفر إحدى مصادر المعرفة، وقد قيل في السفر سبع فوائد ورغم ذلك كله نستطيع أن نتتبع حياة شيخين تتلمذ لهما ياقوت، وكان لهما أثر في ثقافته أكثر من غيرهما وهما :

* سالم بن أحمد وهو أبو المرحى التميمي ويغلب عليه لقب المنتخب ت ٦١١هـ* وهو من علماء النحو والعروض، من أهل بغداد ووفاته فيها، التقى به ياقوت الحموي وقرأ عليه العربية والعروض، من مؤلفاته : كتاب صناعة الشعر وكتاب القوافي والعروض، وله

أرجوزة في النحو. وقد سافر سالم بن أحمد إلى خراسان لسماع صحيح مسلم. وقد سمعه من المؤيد الطوسي (١)

ويرى الباحث أن ياقوت (شيخنا) قد جانيه الصواب فقد اقتصر في ترجمته لأستاذه على سطور قليلة، غير أنه اعترف بأستاذيته له، وأخذ العلم عليه، وفي نفس الوقت كان ياقوت قد تترجم في كتابه (معجم الأدباء) للكثير من العلماء والأدباء ليسوا بهذه المكانة من ياقوت، ومع ذلك أكثر عنهم الحديث، وكذلك لم يورد ياقوت لشيخه شيئاً من شعره، ولم يورد أي خبر عن الأحداث التي دارت بينه وبين شيخه، وتكرياته معه مع أنه تعلم على يديه في العراق.

ومن هؤلاء العلماء السمعاني وهو (أبو سعد السمعاني المروزي) ت: ٥٦٢هـ مؤرخ رحالة، من حفاظ الحديث، مولده ووفاته بمرور، لقي العلماء والمحدثين وأخذ عنهم، وأخذوا عنه، من مؤلفاته: كتاب الأنساب وهو من أشهر مؤلفاته وقد ذكر الدكتور مصطفى رجب في كتابه "مع تراثنا التريوي" أن كتاب الأنساب معروف حالياً بين دارسي التاريخ وعلوم التراجم، ونقل عن ابن خلكان قوله أن هذا الكتاب كان في نحو ثمانين مجلدات ثم اختصره ابن الأثير الجزري إلى ثلاثة مجلدات واستدرك عليه، ويضيف ابن خلكان قوله والمختصر هو الموجود بأيدي الناس والأصل قليل الوجود* وله كتاب: تاريخ مرو قال الزركلي أنه مطبوع يزيد على عشرين جزءاً، وكتاب: تذييل تاريخ بغداد للخطيب البغدادى قال الزركلي إنه مختصر مخطوط، وله كتاب: أدب الإملاء والاستملاء وقد قام الدكتور مصطفى رجب بتحقيق هذا الكتاب، وله كتاب فرط الغرام إلى ساكني الشام في ثمانية أجزاء وكتاب التحبير في المعجم الكبير قال الزركلي إنه مخطوط، ينقص أوراقاً قليلة من أوله ومن آخره ويقول الزركلي اقتنيت تصويره، وله كتاب: تبيين معادن المعاني قال الزركلي أنه مطبوع في لطائف القرآن الكريم، وله كتاب: تاريخ الوفاة للمتأخرين

(١) (معجم الأدباء، ٣٥٧/٣ والزركلي: مرجع سابق، ٧٠/٣ والسويدي: مرجع سابق، ص ٢٥١)

من الرواة . وكتاب : طراز الذهب في أدب الطلب ويقول عنه الدكتور مصطفى رجب يبدو أنه كتاب تريبوي ولكنه مفقود فلم يجد الباحث أي إشارة إليه في المصادر المتاحة عدا طيقات السبكي . ولم يعثر عليه في قائمة المخطوطات في دار الكتب المصرية .^(١)

وقد أشار لياقوت الحموي إلى أستاذه السمعاني في أكثر من موضع من معجبه (الأدباء . والبلدان) وفي كل مرة يتحدث لياقوت عن شيخه يختار له عبارات المدح والثناء . وذكر الفوائد التي حصل عليها من خلال حضوره لجالس التعليم التي كان يعقدها شيخه السمعاني . فقد نشأ السمعاني نشأة علمية في أسرة وفرت له فرصة لقاء العلماء الذين كانوا يترددون على زيارة والده . والإفادة من علمه فقد * كان جده المنصور : ٤٨٩ هـ . إمام عصره بلا منازع . وصار إمام الشافعية في التدريس والافتاء وكان والده (محمد ابن المنصور : ٥١٠ هـ إمام فاضلاً . ومحدثاً فقيهاً على مذهب الشافعية . ومدرسا في المدرسة النظامية ببغداد يدرس مادة الحديث .^(٢)

ومما سبق يرى الباحث أن البيئة الأسرية والظروف المحيطة بالسمعاني كان لها أثر بالغ في تقدمه العلمي . فتشأته في بيت علم مثل هذا ألبيت وفرت له منذ بداية حياته فرصاً قد يفكر إليها غيره من لقاء العلماء الذين كانوا يزورون هذا البيت ويعرفون لأصحابه فضلهم ومكانتهم . كما كان لذلك أثره في دفعه إلى التعلم في سن مبكرة . إنا عرفنا أن أباه توفي وكان السمعاني صغيراً أدركنا أنه لم يقض في حياة أبيه إلا أقل من أربع سنوات أي أنه بدأ الجلوس في حلقات العلم في سن مبكرة جداً الأمر الذي ساهم في بنائه العلمي وتكوينه التربوي .

(١) الزركلي . مرجع سابق : ٥٥/٤ . والسبكي . مرجع سابق : ٢٥٩/١ وابن تيمزي بردي . مرجع سابق : ٥٦٣/٥ وجورجي زيدان . مرجع سابق : ٦٨/٣ . وثلاثة الخلفاء : ١٠٧/٤ . ومصطفى رجب . مرجع سابق : ص ٨٢ . نقل عن ابن حلكان : ١١٦/٢ . وعمر رجب كحلة . مرجع سابق : ٤/٢
(٢) الزركلي . مرجع سابق : ١١٦/٧ والسبكي . مرجع سابق : ١٨٦/٤ . ١٨٩

وقد اهتم السمعاني ببقاء الشيوخ ، طوال رحلاته وحياته العلمية ، فقد بلغ عددهم أربعة آلاف شيخ أو يزيد ، ويبدو أن علاقته بهم أو بمعظمهم كانت تقوم على تقدير عظيم له ، فإننا نجد أن بعضهم حين كان يخرج لتوديعه عند زيارته لهم يبكي ، مما يدل على قوة علاقته بهم وإكبارهم لمكانته ^(١) ، وذكر ياقوت الحموي أنه لم يقتصر على تلمذته لشيخه السمعاني فقط وإنما تتلمذ على كتب والده (محمد بن المنصور) ، وقد اعتمد ياقوت عليها في كثير من مؤلفاته غير أنه كان إذا أشار إليها يقول " وقد ذكر شيخنا في كتاب منهاج السنة ، وكتاب الانتصار مسألة القدسية " ^(٢)

ولاحظ الباحث هنا التواضع في حديث ياقوت عن شيخه ، والوفاء والتوقير لمكانته فكان إذا ذكره يلقبه بشيخنا أو عالمنا ، مما يدل على الاحترام من التلميذ لأستاذه ، اعترافاً بفضله ، وما أساءه إليه من علم ، وما اكتسبه منه من خلق وفضل ، وما حصله من معرفة وعلم ، غير أن الحياة التي مر بها ياقوت في رحلاته وتنقلاته بين البلدان بسبب ضيق ذات اليد التي كان يعيشها لم تنح له أن يتعلم تلمذة مباشرة على يد شيوخ معروفين في عصره غير هؤلاء الذين التقى بهم في بلدة العلماء (مرو) والتي قضى به أزهى سنوات عمره ، وقد أضاف الدكتور / السيد محمد ديب في كتابه " ياقوت الحموي ناقد أدبياً " إلى هذين الشيخين عالماً ثالثاً ظن أن ياقوت تتلمذ على يديه وهو (يعيش بن علي بن يعيش ت : ٦٤٣ هـ) ، وقد قام الباحث باستطلاع كتب التراث والمصادر المتاحة فلم يجد أي إشارة إليه ، بالإضافة إلى أن ياقوت نفسه لم يشر إلى تلمذته على يد (أبي البقاء يعيش) غير ما ذكره الزركلي عن سنة وفاته ^(٣)

ومن علماء مرو الذين تتلمذ لهم ياقوت وقد أشار إليهم ياقوت إشارة مفردة وقصيرة على غير عادته في حديثه عن شيوخه في كتاب (معجم البلدان) منهم (أبو عبد

(١) مصطفى رجب ، مرجع سابق ، ص ٨١ .
(٢) معجم الأدباء ، ٥٦٥/٤ ، ٣٦٨/٣ ، ومعجم البلدان ، ١٠/١ و ٣٤/٥ ، ١٠٧ .
(٣) الزركلي ، مرجع سابق ، ٢٠٥/٨ والسيد محمد ديب ، مرجع سابق ، ص ٢١

الله الحامدي ت: ٤٠٥ هـ^(١) ولتقدم سن وفاته عن ميلاد ياقوت فإن الباحث يرى أن هذه التلمذة ، كانت على كتب الحامدي أي تلمذه غير مباشرة ، وقد كان هؤلاء العلماء من الكثرة ، حتى أن ياقوت لم يفرد لهم في تراجمه .
الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها ياقوت :

لقد عاش ياقوت الحموي ظروفًا اجتماعية واقتصادية قاسية منذ بداية أسره من بلاده ، وتولى سيده عسكر أمره ، ويكفي أن نلاحظ أن الحياة التي عاشها ياقوت كانت من القسوة بحيث أنها لم تنح له الفرصة على بناء أسرة يشعر فيها بالأبوة والحنان ، غير هذا الجارية التي اشتراها أثناء إقامته بنيسابور في غفلة من الدهر خرج بها عن عادته مع ياقوت ، وقد صادفت هذه الجارية من نفس ياقوت محلاً كريماً ، من حيث العاطفة التي تبادلها ياقوت مع هذه الجارية التي أحسن الله - عز وجل - في خلقها وخلقها ، وكان له ميل إليها بضائع ميله إليها ، غير أنه باعها متحججاً بضيق ذات اليد ، الأمر الذي عاش ياقوت بسببه حالة من عدم الاستقرار العاطفي^(٢) هذا عن الحياة الاجتماعية التي عاشها ياقوت

أما عن الحياة الاقتصادية لياقوت :

فقد كانت حياته معدمة ، حيث قبل العمل في تجارة سيده عسكر الحموي وقد شغله مولاه بالأسفار في متاجره ، وبها كان يتردد بين البلدان ، ويعود إلى حيث إقامة سيده في الشام ، حتى حدثت بينه وبين مولاه نيه (جفوة ونياعد) كانت سبباً في عنقه فأبعده سيده عنه ، وكان ذلك في سنة ٥٩٦ هـ ، وبجانب تردد ياقوت بين البلدان في تجارة سيده عسكر اهتم بالكتابة والنسخ بالأجرة ، حتى يزيد بذلك دخله ، ويرفع مكانته الاقتصادية لضروريات الحياة ، كما أتاحت له الكتابة والنسخ أن يطلع على آلاف الكتب

(١) الزركلي - معجم البابطين - ٧٧/٦ .
(٢) معجم البلدان - ٣٠٦/٣ ، ومعجم الأدباء - ٣٠٧/٣ .

التي لا نستطيع حصرها وبيان عددها ، فلا تكاد تمر ورقة من مؤلفاته إلا رأيناها يشير إلى كثير من أمهات الكتب ، وعند الإشارة إلى كتاب كان يعطى فكرة عن موضوعه ، مع الاهتمام بالضبط اهتماماً كبيراً ، وبالنسخ والكتابة اضطلع لياقوت على الكثير من خزائن الكتب الموجودة في المدن التي رحل إليها ، والتي كانت في متناول يده ، ولم يجد صعوبة في وصوله إليها وحصوله على هذه الكتب ، فكانت له همة في تحصيل المعارف وجمع المعلومات ، وكان مدمناً للقراءة ، شغوفاً بأخبار العلماء متطوعاً إلى أنباء الأدياء ويتجارته في أموال سيده بقيت بيده بقيه من مال سيده جعلها رأس ماله ، واتخذها طريقاً للتجارة^(١)

ومما سبق لاحظ الباحث أن لياقوت الحموي خرج إلى الحياة يتعلم مذهباً شيعياً جديداً ، لأنه لا يملك مالاً يتاجر به سوى هذا الجزء البسيط الذي ورثه عن سيده ، فأخذ يتنقل به بين البلدان للتجارة به ، واعتمد على جودة خطه في نسخ الكتب ، فقد كان لديه خط جميل يستطيع أن يكتسب به قوته ، وهو ذو ماض في التجارة ، فأخذ يتاجر في الكتب حتى أصبحت الكتابة هي صناعته التي يكتسب منها ، بل استخدمها أيضاً لنفسه يقرأها بعناية ونصف ويتاجر فيها مكتوبة ، ومدونة في كتب ، وإنه كانت هذه المهنة لا تدر دخلاً كبيراً غير أنها تجعل صاحبها على قدر كبير من الثقافة العلمية من خلال ما يجمعه من الكتب ، وما يقرأه منها .

منهج لياقوت في التأليف :

لقد اتخذ لياقوت الحموي لنفسه منهجاً في التأليف والكتابة يتجلى في كل مؤلفاته فقد اعتمد على التوثيق والتأكد من مصادر المعلومات التي يقتبسها من كبار العلماء في العلوم ، فقد اشتهر بالإسناد ، وذلك بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب الذي قام بتأليفه ، لذا احتوت مؤلفاته على أسماء مؤلفين ومؤلفات لا نعرف عنهم شيئاً ، نرى أنها

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٢٧/٦٠ ومعجم الأدياء ، ١١/٢٠

فقدت أثناء غارات التتار على المدن الإسلامية وإحراقهم للمكتبات وما بها من كتب العلماء (١)

وقد جاء كتاباه معجم الأدباء ومعجم البلدان شاهدين على ذلك فقد جمعا بين دفتيهما أسماء كتب قد ضاعت لعمالة من علماء العرب والمسلمين . ولا تكاد تمر ورقة من مؤلفاته إلا رأيناها يشير إلى كثير من أمهات الكتب وعندما يشير إلى كتاب يعطى فكره عن موضوعاته التي يحويها هذا الكتاب . وقد اعتمد في كتاباته على إثبات الكتابات التي سبقته في مجال تأليف كتبه . مشيراً إلى الفائدة التي اطلع بها من خلال قرأته لهذه الكتب . والذي لم يطلع عليه من هذه الكتب التي نقل منها واعتمد عليها . فذكر من الكتب التي اعتمد عليها في تأليف كتابه " معجم الأدباء " كتاب : أخبار النحاة للصائغ (محمد بن عبد الملك) قائلا : " ثم ألف فيه أي الترجمة للعلماء والأدباء . أبو سعيد المرزباني السيرافي ت : ٣٦٨ هـ وقد كتب السيرافي كتاب : أخبار النحويين المصريين قال عنه الزركلي إنه مطبوع . وكتاب : شرح كتاب سيبويه . قال الزركلي إنه مخطوط في دار الكتب تحت رقم ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٣٦١ نحو . ويقول ياقوت عن كتاب الصيرافي إنه كتاب صغير في نواة البصرة نقلنا أيضا من فوائده إلى هذا الكتاب (معجم الأدباء) ويذكر أيضا من الكتب التي اعتمد عليها كتاب : شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب لصاحبه (أبي الحسن المجاشعي القيرواني ت : ٤٧٩ هـ) وهو عالم باللغة والأدب والتفسير من أهل القيروان (٢) وعنه قال ياقوت " وقع إلى شبي منه (كتاب شجرة الذهب في أخبار أهل الأدب " فوجدته كثير التراجع . إلا أنه قليل الفائدة لكونه لا يعتنى بالأخبار . ولا يعبأ بالوفيات والأعمار (٣) ولذا اهتم ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) بذكر تاريخ الميلاد

(١) معجم الأدباء - ٢٨٠٢٩/١ وزعزلول راجب النجار . وعلى عبد الله النفاذ . مرجع سابق . ص ٣٩٧
(٢) حاكم خليفة . مرجع سابق ٣٠/١٠ والزركلي . مرجع سابق ٢٩٦/٢ . ٣١٩/٤ والقطبي . مرجع سابق . ٣١٣/١ . ٢١٩/٢ والخطيب البغدادي . مرجع سابق ٣٤١/٧ وابن الأثير . مرجع سابق . ص ٣٧٩ والسيوطي . مرجع سابق . ص ٢٤٥
(٣) معجم الأدباء . المقدمة . ص ١٠

وتاريخ الوفاة ، لكل عالم أو أديب يترجم له ، ومنه رأى الباحث أن ياقوت كان يتحرى الدقة والصدق في المعلومات التي يحصل عليها ، ويثبت منها ما يراه صائباً ويترك ما خلاف ذلك وإن ثبته كان يقول هو عند قلان كذا وكذا .

وكان ياقوت يخالف غيره من المؤلفين والكتّاب في استشهاده ببعض آيات القرآن الكريم ، في الكثير من كتاباته ، وكان يذكر الآية نصاً أو يضمنها كلامه بتصريف منه وربما استلّز في شرحها وبيان مناسبتها ثم يعود مرة أخرى إلى حديثه فيقول في حديثه عن مكة في كتابه معجم البلدان ، أن الله - تعالى - سماها أم القرى فقال: " ... لِيُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ... " (١) .

وسماها البلد الأمين في قوله تعالى:

"وَالْيَمِينِ وَالرَّيْثُونَ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)" (٢)

ويقول إن الله تعالى قال:

"لَا أَقِيمُ هَذَا الْبَلَدِ (٣) وَأَنْتَ جَلُّ هَذَا الْبَلَدِ (٤)" (٣)

وقال تعالى " ... وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٤)" (٤)

وقال تعالى " جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ ... " (٥)

ثم يذكر ياقوت ما ورد على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في قول الله تعالى:

"رَبَّنَا إِنِّي أَشْكُنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنْ بَنِي النَّاسِ يَهْوَى إِلَهُهُمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٦)" (٦)

(١) سورة الشورى : من الآية ٧ .

(٢) سورة النيسن : الآيات ١ ، ٣ .

(٣) سورة البلد : الآيات ١ ، ٢ .

(٤) سورة الصبح : من الآية ٢٩ .

(٥) سورة المائدة : من الآية ٩٧ .

(٦) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

وقوله تعالى :

﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ ﴾ (١)

وكان ياقوت يذكر أحياناً الآيات القرآنية بتصريف ، فحينما يتحدث عن مصر كان يحرص على ربط كتاباته ببعض آيات القرآن الكريم مصرفة فيقول : إن مصر خزائن الأرضين كلها وسلطانها سلطان الأرضين كلها ألا ترى إلى قول يوسف (عليه السلام) ملك

مصر

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ۚ ﴾ (٢)

ففعل فاعلات الله الناس بمصر وخزائنها . ثم يقول ياقوت إن الله - عز وجل - لم يذكر مدينة يعينها يمدحها غير مكة إلا مصر ، فإنه قال :

﴿ ... أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ... ﴾ (٣)

وهذا تعظيم ومدح (٤)

ولم يقتصر ياقوت في كتاباته على الاستشهاد بآيات القرآن الكريم فقط وإضا كان يستشهد بأحاديث النبي (ﷺ) يذكرها مرة منصوصة وأخرى بتصريف فقد ذكر في حديثه عن بيت المقدس قول النبي (ﷺ) : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد بيت المقدس . وكان ياقوت عند استشاده بالأحاديث يترك السند (الرواه) ، حتى لا يضخم حجم كتاباته

وقد اتخذ ياقوت من الأمثال محكاً للحكم على ما يذكره في كتاباته ، وقد استعان بالأمثال العامة التي تعبر عن ثقافة طبقة عريضة من المجتمع . وكان يشرح أصل هذه الأمثال ، ويبين المناسبة التي قيلت فيها هذه الأمثال ثم يذكر مكانة المثل من القصة التي

(١) سورة إبراهيم : من الآية ٣٥ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٥٥ .

(٣) سورة الزخرف : من الآية ٥١ .

(٤) معجم البلدان ، ١٨٢/٥ ، ١٤٧/٥ - ١٦٦

يذكرها بمثل قصة أسعد بن المنذر، وعمرو بن هند فقد ذكر فيها مثل قال فيه : إن الشقي واغد البراجم (١)

وقد أكثر ياقوت من هذا النوع من الكتابة في معجم الأدباء ، حتى أن الباحث لاحظ في أكثر التراجم الطوال أن ياقوت كان يذكر الأمثال ويشرحها في أسلوب مرسل قد لا يدخل فيه البديع أحياناً . كما ذكر في ترجمته للقفطي الذي سبق ترجمته (٢)

وكان ياقوت الحموي يتخذ من السجع في أسلوبه القليل عند حديثه عن تراجم بعض العلماء ، كما وضع ذلك في ترجمته لابن النديم (٣)

وكان ياقوت الحموي كثيراً ما يتبع الأسلوب العلمي في حديثه عن البلدان التي رحل إليها ، معتمداً على الملاحظة الدقيقة دون الانصراف بذهنه إلى الزخرفة ، اللفظية بل يصف ما يشاهده مثل وصفه للأهرامات المصرية ، ووصفه لنهر جيحون ، ومن هنا فقد جاء أسلوب ياقوت التأليفي في كتبه معتمداً على الملاحظة ووصف المشاهدات والأخذ بالحسنة البديعية بقصد وبدون إسراف إلا حيث يستدعي الموقف ، وكذلك نلاحظ أسلوبه سهل الألفاظ ، واضح العبارات ، ساعده ذلك على إضام كتاباته ، وقد جمع ياقوت العديد من الألوان البلاغية في كتاباته ومن أكثر هذه الألوان التشبيه الذي ظهر واضحاً في ترجمة ياقوت للحسن بن محمد الكاتب واعتمد ياقوت على الاستعارة في بعض المقامات التي تستدعي هذا اللون من ألوان البلاغة (٤)

وبالإضافة إلى ذلك كان ياقوت يكثر الاستشهاد بالشعر في مؤلفاته فقد لاحظ الباحث أن ياقوت أكثر من استشهاده بالشعر في تراجم العلماء والأدباء ، في معجم الأدباء أكثر من غيره من المؤلفات الأخرى ، فقد كانت تملول شواهد في معجم الأدباء عن

(١) المرجع السابق ، ٣٧٤/١ - ٥٠٥

(٢) معجم الأدباء ، ٤٧٩/٤

(٣) المرجع السابق ، ٣٥٧/٤

(٤) معجم البلدان ، ١٩٧/٢ ومعجم الأدباء ، ٥٠٥/٣ - ١٤١/٥ ، ١٥٠/٦ وطلوع رافد ، وعلى النفاذ ، مرجع سابق ، ص ٣٩٥

غيره من المؤلفات لأنه يترجم فيه لرجال يحتاج معهم للنقل عنهم وذكر مواقفهم من العلوم الأخرى (١)

وكان ياقوت يعبر عن شخصه وبيئته من خلال كتاباته ولا يخشى أن يسأل إذا لم يتمكن من معرفة الشيء بل يطلب من غيره أن يعاونه في ذلك حينما يعجز عن إتمام الفائدة العلمية فيقول: وفي أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها فليعذر الناظر في كتابي هذا ومن كانت عنده أهلية ومعرفة وقتل شيئاً منها علماً فقد أذنت له في إصلاحه مأجوراً (٢)

وكان ياقوت يتحرى الصدق والدقة في النقل، ولا يتحمل تبعه مالا يطمئن إلى صحته بل ينوه عليه فيقول: هذا شيء من أخبار الصين الأقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته فإن كان صحيحاً فقد ظفرت بالغرض وإن كان كذباً فتعريف ما نقوله الناس (٣) ومن خلال هذا المنهج الذي قدمه شيخنا ياقوت كان يطلب من مؤلفي الكتب ضرورة التأكد من صحة المعلومات بعد جمعها عن طريق المراجعة بعد الانتهاء من كتابة مؤلفاتهم بل أنه يفضل أن تكون المراجعة عن طريق شخص آخر غير مؤلف الكتاب لأنه يكون أبصر بما في الكتاب من خلل وقصور أكثر من مؤلف الكتاب غير أنه يطلب من الشخص الذي يراجع الكتب ألا يعتمد العنت ولا يقصد طريق من رأى حسناً ستره وإن رأى عيباً أظهره بل عليه أن يتأمل الكتب بين الإنصاف والتوسط لأن الكمال محال لغير الله عز وجل والإنسان ليس معصوماً من الخطأ بل النسيان في الإنسان موجود فيقول في معجم الأدباء: وأنا فقد اعترفت بقصورى (عجزى) فيما اعتمدت عن الغاية وتقصيرى عن الانتهاء إلى النهاية، فأسأل الناظر فيه ألا يعتمد العنت ولا يقصد قصد من إذا رأى حسناً ستره وعيباً أظهره وليتأمله بعين الإنصاف لا الانحراف فمن طلب عيباً

(١) السيد محمد تقي، المرجع السابق، ص ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨.

(٢) معجم البلدان، ٩٨/٢.

(٣) المرجع السابق، ٤٠/٣.

وجده ومن افتقد (بحث) زلل (خطأ) أخيه بعين الرضا فقد ، فرحم الله امرأ قهر هواه وأطاع الإنصاف ونواه وعذرنا في خطأ إن كان منا وزلل إن صدر عنا ، فالكمال محال لغير ذي الجلال ، فالمرء غير معصوم ، والنسيان في الإنسان غير معدوم وإن عجز عن الاعتذار عنا والتصويب فقد علم أن كل مجتهد مصيب . فإننا وإن أخطأنا في مواضع يسيرة فقد أصبنا في مواطن كثيرة (١)

ولا شك أن هذه دعوة صادقة ومنهج علمي سليم تتكشف فوائده لمن يتخذ من منهج ياقوت منهجاً علمياً يسير عليه بالنسبة لهؤلاء الكتاب وقد تبع بعض العلماء منهج ياقوت كما فعل جعفر بن يحيى (٢)

وقد تحدث بعض الكتاب عن فضل ياقوت في التأليف وأنه لم يترك شيئاً . كما ذكر ذلك الأستاذ محمد عبد الغنى حسن وقد أرجع فضل ياقوت إلى عمله بالنسخ فترة طويلة (٣) وقد أفاد ياقوت من جودة خطوط العلماء والكتاب مثل خط ابن السواب والقاشاني صاحب الخط كثير الضبط المعقد ، سلك فيه طريقة شيخه ابن جني (٤)

الخلاصة :

من خلال هذا العرض لمنهج ياقوت الحموي في الكتابة والتأليف نلاحظ أنه اتصف بالصدق والأمانة العلمية ، واعتمد على الملاحظة الدقيقة والمشاهدة الواقعية ، وجنح في كتاباته الكثير من المحسنات البلاغية ، وألوانها والعبارة والألفاظ السهلة ، مستخدماً اللغة في صياغة هذه العبارات وتلك الجمل متنوعاً في ألوان الفنون بين ما يعتمد منها على العقل والتفسير ، وبين ما يكتفى فيه بالرواية والسماع ، مما يجعل ياقوت كاتباً بارعاً

(١) معجم الأدباء ، ٣٤/١

(٢) المرجع السابق ، ٣٤/١

(٣) محمد عبد الغنى حسن ، علم التاريخ عند العرب ، القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ م ، ص ٦٧

(٤) معجم الأدباء ، ٣٥٦/١ - ١١٣

ويمكن أن نطلق على هذا المنهج الذي استخدمه ياقوت منهج الربطة والإحالة فكان إذا تكلم عن بلد ذكر علمائها ، ثم يحيل القارئ إلى الترجمة لهذا العالم أو غيره في معجمه مؤلفات ياقوت :

بدأ ياقوت حياته العلمية في تأليف الكتب مع بداية رحلاته وتنقلاته بين البلدان وبعد الحادث الأليم الذي قاسى ياقوت مرارة وضراوته وهو غزو التتار وبيع الجارية . ومع هذه الحياة القلقة المضطربة استطاع ياقوت أن يكتب الكثير من الكتب غير أن الكثير منها فقد أثناء تنقلاته ورحلاته . ومن المؤلفات التي بين أيدينا نداول فوائدها وكان ياقوت قد كتبها بعد عودته من خراسان وخوارزم ومن هذه المؤلفات التي أشار لها ياقوت : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب وسماه أيضاً إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء ويعرف أيضاً معجم الأدباء وهو من الكتب المطبوعة منه : طبعة دار المأمون التي تقع في عشرين جزء وقد طبع الكتاب عن طريق دار الكتب العلمية ببيروت طبعة تقع في ست مجلدات يحتوي كل منها على أربعة أجزاء والمجلد السادس فهارس . ومن مؤلفاته : كتاب معجم البلدان وهو من الكتب المطبوعة يقع في شأني مجلدات وله كتاب : معجم الشعراء وهو مطبوع جمع فيه ياقوت الكثير من الشعراء المتقدمين والمتأخرين وقد رتبته على اثنتين وأربعين جزءاً على حروف التهجي . وكتاب : المشترك وضاعاً والمختلف صقعاً وهو من الكتب النافعة وهو مطبوع أيضاً وله كتاب المبدأ والمآل في التاريخ . وكذلك كتاب : الدول وعنوان : الأغاني . وكتاب المقتضب من كتاب جوهرة النسب وهو مخطوط وله أيضاً كتاب أخبار المتنبي .^(١)

(١) معجم الأدباء : ١٢٠١٣/١ . جورجى زيدان . مرجع سابق . ٨٨/٣٠ والزركل . مرجع سابق . ١٣١/٨ . وحامى خليفة . مرجع سابق . ١٧٣٣/٢ . ١٧٣٤ . ١٧٣٥ . ١٦٩٠ . ١٦٩٢ . ١٩٩٢

معجم الأدياء وآباء العلماء فيه :

كان على الباحث أن يوضح بشيء من الإيجاز أهمية كتاب معجم الأدياء ، وهو من الكتب الراجعة بالعلم والعلماء ، حتى أن ياقوت لم يخصه بزمان محدد لتأليفه . بل كان يضيف إليه باستمرار حتى سنة وفاته . فلم يتوقف ياقوت عن تغذية المعجم بكل جديد ومن يتصفح هذا الكتاب المخطوط يجد في بعض التراجم مسافات بيضاء كسطر أو نصف سطر كان ياقوت قد تركها عند التبييض على أمل أن يملأها بما ستأتي به الأيام أو يصل إلى معرفته بالبحث أو السؤال أو التنقيب .

بدأ طبع هذا الكتاب لأول مرة بمطبعة هندية بالقاهرة سنة ١٩٠٧ م واكتمل الكتاب في نهاية الطبع سبعة أجزاء . وقد أشرف المستشرق ديفيد صموئيل مرجليوث على نشره وتصحيحه . وتحمّلت لجنة الورثة للمستشرق تكاليف الطبع ، واعتمد الناشر على نسخة خطية محفوظة في مكتبة برويل بجامعة أكسفورد تحت رقم ٧٢٢ . وفي مقدمة الكتاب يحكي مرجليوث قصة اقتناء مكتبة برويل لهذه النسخة التي احتوت على أغلاط كثيرة بين تحريف وتصحيح واضطراب في الخط الأمر الذي يدل على أن الناسخ لها كان غريباً عن العربية . وقد اعترف الناشر بجهد العلماء الأفاضل الذين قرءوا شاذج الكتاب قبل أن يتم طبعه ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد حسنين الغمراوي ، والشيخ إبراهيم البازجي وقسطاس الحمصي ، وجورجي زيدان . وقد أعاد مرجليوث طبع هذا الكتاب في سنة ١٩٢٢ بعد أن أدخل عليه بعض التعديلات والتنقيحات الكثيرة بعد أن استشار : أحمد زكي والأب أنستاس الكرملى وبعض المراجع التي تيسر له الحصول عليها وأفاد مرجليوث أن الكتاب لم يصل كاملاً حتى هذه الطبعة ، ثم قامت دار المأمون في سنة ١٩٢٦ بطبع الكتاب في عشرين جزءاً بمطبعة عيسى الحلبي وكان كل جزء في مجلد وقد عاونت وزارة المعارف دار المأمون في تصحيح وإعداد الكتاب للطبع^(١)

(١) معجم الأدياء ، المقدمة ، ص ٤ ، ٥ ، ٦ .

وقد اعتمد الباحث على هذه المطبعة في بدء الدراسة غير أنه وجد بها بعض الأخطاء والمفارقات التي كانت تتطلب منه التوقف كثيراً للتأكد من صحتها ، وقد أكمل الباحث الدراسة مستعيناً بنسخة قامت دار إحياء التراث العربي ببيروت بطبعها ، وهي تقع في ست مجلدات تحتوي الخمس الأولى على عشرين جزء كل أربعة أجزاء في مجلد واحد والسادس يتناول الفهارس .

ويرى الباحث أن الكتاب بهذا الوضع يحتاج إلى طبعة أخرى تنقى من هذه الأخطاء وتضع التراجم الملحق في مكانها حسب الترتيب المعمول به في هذا الكتاب . وتحليل الكتاب نجد أن مقدمته تعد من أطول ما كتب من المقدمات في كتب التراجم والطبقات إذ لم تكن أطولها جميعاً ، غير أن شيخنا ملاًها بالفوائد الأدبية وحدد فيها بعض مناهجه عن هذا الكتاب ، وهي تقع في إحدى وعشرين صفحة حتى تتناسب مع حجم الكتاب ، ولم يغفل لياقوت في مقدمته عن ذكر من سبقوه بالكتابة في تراجم الرجال فقد كتب عنهم وتحدث عن كتبهم وكان له منهج سليم في عرض هذه الكتب فهو ينقدها ويشير إلى موضوعها ويذكر عدد مجلداتها كما نذكر : المقتبس للمريزاني (١)

وقد شرح لياقوت منهجه في الترجمة للرجال فقد ذكرهم بطريق الإيجاز مع ذكر مواليدهم وتواريخ وفياتهم ، وكان يذكر بعض مستحسن أخبار العالم ، وبعض المختار من شعره ، وقد تمسك لياقوت بهذا الكتاب دون إعارته لأحد وكان سبب هذا الشح أن الكتاب كان مخطوطاً لدى لياقوت وخشى إن أعاره لسواه أن تتسرب معلوماته إلى من عاده ، ومن يرى لعل شيئاً قليلاً أو كثيراً من الكتاب ينقله ناقل وينسبه إلى نفسه ويضيع على لياقوت ما بذله من جهد ووقت ، وتفكير وإبداع ، وقد أشار لياقوت إلى ذلك بقوله " وقد أقسمت ألا أسمح بإعارته ما دام في مسودته ، لئلا يلج طالب بالتماسه " (٢)

(١) المرجع السابق ، ٤٧/١

(٢) المرجع السابق ، ٦٩/١

وقد ترجم ياقوت في معجمه لكل من اشتغل بالعلم والأدب واللغة والنحو والكتابة في الرياضيات والهندسة والفلك وغيرها من العلوم العقلية . واهتم بجانب هؤلاء بالترجمة للوراقين وأصحاب الخطوط لألفة المهنة فقد اشتغل ياقوت في مستهل حياته بنسخ الكتب بالأجرة . ولم يقتصر ياقوت في معجمه على أدباء عصره دون عصره بل ترجم لكل من خدم الأدب العربي إلى عهده وزمانه . وقد ترجم لأدباء أحياء في عصره مثل : القفطي الذي توفي بعده بعشرين عام .

وقد رتب ياقوت الأعلام في معجمه على نظام الترتيب الألف بائي فقال : " وقد جعلت ترتيبه على حروف المعجم . أذكر أولاً من أول اسمه (أ) ثم من أول اسمه (ب) ثم (ت) ثم (ث) إلى آخر الحروف " (١)

وكان ياقوت إذا اتفق الرجال في أسمائهم وأسماء آبائهم كان يلجأ صاحبنا إلى تاريخ الوفاة فيقدم في الذكر من تقدمت وفاته وقد سبق أن أشرنا إلى منهج ياقوت في تكليف كتبه .

(١) المرجع السابق ، ص ٥٦/١ .

الفصل الثاني

جوانب من بعض العلوم التي وردت
في كتاب معجم الأدباء و أهم إعلاما

مقدمة :

يتناول هذا الفصل جوانب من العلوم الدراسية التي ذكرها ياقوت الحموي أثناء ترجمته للعلماء سواء أكانت هذه العلوم علوماً شرعية تتناول : علم أصول الفقه . وعلم الحديث . وعلم التفسير .

أم علوماً لغوية كالنحو والصرف . والعروض .

وكذلك العلوم العقلية المتمثلة في : علوم الفلسفة والمنطق . وعلم الفلك وعلم الطب والهندسة وعلم التاريخ والجغرافيا .

ولذلك قام الباحث باستخلاص هذه العلوم التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) ، حتى يمكن للقارئ أن يتزود من كتاب (معجم الأدباء) الذي يعد مصدراً من مصادر المعرفة ، على مدار عدة قرون ، ويمكن من خلاله التعرف على أعلام الفقه ، وأعلام التفسير والتعرف على مؤلفاتهم التي نالوا الشهرة من خلالها ، وكذا معرفة علماء النحو والصرف وعلماء اللغة والتعرف على أهم مؤلفاتهم ، وبجانبهم أعلام الفلك والنجوم والأطباء وعلماء الهندسة وعلماء الفلسفة والمنطق وأشهر مؤلفاتهم في الفترة من القرن الثاني الهجري حتى القرن الخامس والسادس الهجريين وقد اتبع الباحث في تصنيفه هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم تصنيفاً يعتمد على الترتيب الزمني حسب تاريخ الوفاة من الأقدم إلى الأحدث ، حتى يسهل على المتصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بفقيه أو محدث أو غيرهما في أقصر وقت ممكن ، مقتصرًا في ذكر العالم على الكنية والاسم واللقب وتاريخ الوفاة .

وقد قام الباحث بتقسيم هذا الفصل من فصول الدراسة إلى ثلاثة محاور، يتضمن
المحور الأول منها الحديث عن العلوم الشرعية وأهم أعلامها.
والمحور الثاني: يتضمن الحديث عن العلوم اللغوية وأهم أعلامها.
والمحور الثالث: يتضمن الحديث عن العلوم العقلية وأهم أعلامها.
ونبينا يلي توضيح لهذه المحاور:

المحور الأول: العلوم العقلية والشرعية ومنها:
أولاً: علم الفقه وأصوله:

ذكر لياقوت الحموي في معجم الأدياء عدداً من العلماء الذين اهتموا بعلم الفقه
فألفوا فيه الكثير من الكتب، وصنفوا فيه التصانيف واجتهدوا في تعليمه لغيرهم.
وهذه هؤلاء العلماء في القرن الثاني الهجري:

أبو عبد الله القاسم بن أمعن المسعودي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
صاحب رسول الله (ص) المتوفى ١٨٨ هـ فقد كان مهتماً بتلقى علم الفقه عن علمائه وكان
فقيهاً من علماء الكوفة، ولم يكن له بالكوفة شبيهاً في علمه، ولا أحد يخالفه في شيء
يقوله، ومن أهم كتبه الفقهية كتاب غريب المصنف وقد ذكر أحمد ابن كامل أنه كان من
أصحاب أبي حنيفة الإثبات في النقل الرقعة في اللغة والفقه (١).
وهذه هؤلاء العلماء في القرن الثالث الهجري:

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ الذي أظهر نبوغاً مبكراً
وكان يفتي وهو ابن عشرين سنة، ومع تقدمه في دراسة الفقه صار صاحب مذهب، وهو
أحد المذاهب الأربعة المشهورة، وعن تعلمه يقول: عمدت إلى الموطأ فاستعرت من رجل
من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال، ويجانب هذا المذهب الفقهي الذي نسب إليه
واشتهر به، كانت له حركة علمية في تأليف الكتب والأصول الفقهية، ومن أهم مؤلفاته

(١) معجم الأدياء: ١/٥ وابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٣٨/٨ والزركلي، مرجع سابق: ١٨٦/٥ والذهبي: تنقيح
الاحتياط، ٢٢٠/٨.

الفقهية كتاب الرسالة الذي جمع فيه الكثير من القضايا الفقهية . والمسائل المتعلقة ببعض جوانب الدنيا والآخرة^(١)

محمد بن أنشد المدني الوادي المتوفى ٢٠٧ هـ له في علم الفقه كتاب الاختلاف الذي يحتوي على اختلاف أهلا لمدينة الكوفة في الصدقة والشفعة . وكتاب اعمرى وارقى وكتاب الوديعه^(٢)

أبو عبد الرحمن ، بقى بن مخلد الأندلسي المتوفى ٥٢٧ هـ تعلم الفقه عن طريق الرحلة إلى العلماء ، فقد رحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد ، وروى عن مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، من بينهم : أحمد بن حنبل ، وقد رجع إلى الأندلس فملأها علماً وقد شغله طلب الفقه عن العمل وطلب الرزق ، وقد تصدى للإفتاء بالأندلس فكان يفتى بالأثر ، وكان خاصاً بأحمد بن حنبل ، ومن آثاره العلمية كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم^(٣)

أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي المتوفى ٢٨٢ هـ نشأ بالبصرة وأخذ الفقه على مذهب الإمام مالك عن ابن المعدل . وتقدم في هذا المذهب حتى صار علماً فيه . وقد نشر من مذهب الإمام مالك مال يكن بالعراق في وقت من الأوقات وقد صنف في الاحتجاج لمذهب الإمام مالك والشرح له^(٤)

أبو إسحاق الحربي المتوفى ٢٨٥ هـ كان عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام ، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكان قول : إن أبي كان يقول لي اذهب إلى أحمد بن حنبل يلقى عليك علم الفرائض ، وقد صنف الحربي في علم الفقه كتاب مناسك الحج الذي

(١) معجم الأدباء : ٢١٦/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٣٢/٩ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٥٦٥/١ ، والذهبي سير أعلام النبلاء : ١٤٧/٧ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٦/٦ وابن كثير ، مرجع سابق : ٢٥١/١٠ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٩٤/٥ والفطيل البغدادي ، مرجع سابق : ٥٦/٣ وابن العباد ، مرجع سابق : ١٨/٢ والزركلي مرجع سابق : ٢٠٠/٧ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٢٣٧/٢ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٣١/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٥٣/٣ وسير أعلام النبلاء : ٦٨/٩ وابن تغري بردي مرجع سابق : ٧٥/٣ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١١٤/١ .
(٤) معجم الأدباء : ٢٩٥/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٦/١ وابن النديم ، مرجع سابق : ٢٠٠/١ .

قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وقد رجح الأستاذ (حمد الجاسر) نسبته إليه وصدره بكتاب في سيرته وأخباره ، ومن بين كتبه أيضاً كتاب الهدايا والسنة وقد قال فيه الزركلي أنه مطبوع وله كتاب آداب الحمام^(١) .

ومما سبق نلاحظ الدور الإيجابي للأسرة في توجيه أبنائها إلى تعلم أصول الفقه كما فعل والد أبو إسحاق الحربي ، الذي كان يشجع ابنه على تلقي علم الميراث والفرائض عن الإمام أحمد بن حنبل ، كما يتضح للباحث أن علماء الفقه في القرن الثالث الهجري كانوا مهتمين أشد الاهتمام بنشر هذا العلم في الأمصار التي لا توجد بها المذاهب الفقهية وبهذا الدور يكون هؤلاء العلماء قد ساهموا في نشر علم الفقه في كثير من الأمصار الإسلامية معتمدين على ما كتبه أصحاب هذه المذاهب وعلى كتاباتهم أنفسهم .

علماء الفقه في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٢٦٠ هـ الذي وفد إلى مصر وسمع من علمائها وقرأ ما استطاع أن يقرأ من مؤلفات العلماء الذين لم يسمع منهم ، وكان الطبري مجتهداً وليس مقلداً ، وقد اقتدى كثير من الناس به ، وعلموا بأقواله وآرائه وله في الفقه كتاب اختلاف الفقهاء قال فيه الزركلي أنه مطبوع في الفقه ومذهبه^(٢) .

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي المتوفى ٣١٨ هـ كان على مذهب أهل العراق في الفقه من حيث الاعتماد على القياس واعتباره أصلاً ، فهو مذهب أبو حنيفة ، ولذا كان مفتياً في علوم شتى ومنها الفقه^(٣) .

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد العتكي الأزدي المتوفى ٣٢٣ هـ كان فقيهاً على مذهب الحنابلة^(٤) .

(١) معجم الأدباء ٧٥٢/١ وابن شاعر الكشي ، مرجع سابق : ٣/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ٢٧/٦ وشذرة الحفاظ : ١٤٧/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٢/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٤٣/٥ وشذرة الحفاظ : ٣٥١/٢ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٦/٩ وابن الأثير : الكامل في التاريخ : ٤٦/٨ وأحمد الحوفي : مرجع سابق : ص ١٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٥٢/١ والصفدي : مرجع سابق : ١٢٠/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٥/١ .

(٤) معجم الأدباء : ١٧٠/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ١٥٩/٦ والزركلي ، مرجع سابق : ٦١/٩ .

أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المتوفى ٣٢٧ هـ كان فقيهاً على مذهب الطبري ومن أصحابه واهتم بمجالس التعليم . بجانب تأليف الكتب فله كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرته^(١)

محمد بن حارث الأندلسي الملقب بصاحب التواريخ المتوفى ٣٣٧ هـ من الفقهاء الحفاظ من أهل القيروان . وكان من أهل العلم والفضل . ومن آثاره العلمية كتاب أخبار الفقهاء المحدثين قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك وكتاب طبقات فقهاء المالكية^(٢)

ومما سبق يتضح لنا أن بعض العلماء والمهتمين بدراسة علم الفقه في ذلك القرن كانوا يدرسون علم الفقه على بعض المذاهب دون المذاهب الأخرى . وذلك إما لانتشار المذهب في البيئة المحيطة بالدارس (المتعلم) . أو حيا في صاحب المذهب الفقهي لما أسداه من حلول لبعض المسائل الفقهية . كما يتضح لنا تنوع كتابات العلماء في علم الفقه فكل ينظر إلى كتاباته من حيث مذهبه الذي يتقرب من خلاله . ولذا نلاحظ هذا التنوع في كتابات العلماء . وذلك لانتشار المذاهب الفقهية في ذلك القرن .

علماء الفقه في القرن الخامس الهجري :

لقد كثر عدد العلماء الذين درسوا علم الفقه . وصنفوا فيه التصانيف ومنهم في القرن الخامس الهجري :

أبو المظفر محمد بن آدم الهروري المتوفى ٤١٤ هـ أخذ علم الفقه قراءة وسماعاً عن العلماء فقد تقلد على الأستاذ أبي بكر الخوارزمي . وتفق على القاضي أبي الهيثم ثم جدد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد^(٣) .

(١) معجم الأدباء : ٧٩/٢ وابن القيم . مرجع سابق : ١١٧/١ وعمر رضا كحالة . مرجع سابق : ٢٠٤/٢ والقاضي تاريخ الحكماء : ص ٧٨ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٨٥/٥ وتذكرة الحفاظ : ١٩٦/٣ وابن الفرج . تاريخ علماء الأندلس : ٤٠٤/١ والزركلي مرجع سابق : ٧٥/٦ .
(٣) معجم الأدباء : ٧٨/٥ وعمر رضا كحالة . مرجع سابق : ٣٥/٩ والصدي . مرجع سابق : ٣٢٢/١ .

ومع نبوغه وتفوقه غير أنه لم يهتم بالتصنيف والكتابة في علم الفقه حيث أنه أظهر اهتمامه لبعض العلوم الأخرى في التأليف والكتابة.

أبو القاسم علي بن الحسين الذي يغلب عليه لقب المرتضى المتوفى ٤٣٦ هـ الذي جمع بين التأليف والتعليم لعلم الفقه فهو نقيب الطالبين ، وأحد الأئمة ترك لنا عددا كبيرا من المراجع الفقهية منها كتاب الشافي في الإمامة قال الزركلي عنه أنه مطبوع ، وله كتاب المغنى لعبد الجبار بن أحمد قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب الملخص في الأصول وكتاب الذخيرة في الأصول وله غير الفرائد ودرر القلائد في المحاضرات قال عنه الزركلي أنه مطبوع ويعرف بأمالى المرتضى وله الكثير من الرسائل في علم الفقه ، وله كتاب الذريعة في أصول الفقه قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وقد كتب الكثير من المسائل الفقهية منفردة^(١) أبو العباس أحمد بن رشيد الأندلسي المتوفى ٤٤٠ هـ الذي ترك العلوم العقلية واتجه بعقله إلى تعلم العلوم النقلية ومال إلى علم الفقه ، وكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها ، نظر العمل والسياسة ، ويشغل بالفقه^(٢).

أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ فقد اهتم بالكتابة والتأليف في العلوم النقلية والتي منها علم الفقه ، بعد أن تلقى هذا العلم عن العلماء ، قام بتدريسه^(٣) ، ومن آثاره العلمية أنه ترك مجموعة من الكتب الفقهية ومنها : كتاب الفقيه والمتفقه قال عنه الزركلي أنه مطبوع ويقع في اثني عشر جزءاً ، وله كتاب موضح أوهام الجمع والتفريق قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وله رسالتين في الفقه منهما صلاة التسبيح قال عنها الزركلي أنها مطبوعة ، والأخرى النهي عن صوم يوم الشك^(٤).

(١) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٨١/٧ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤٣٣/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ٢٥٦/٣ وابن حجر : لسان الميزان : ٢٢٣/٤ وابن الحوزي ، المنهاج : ١٢٠/٨ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٨/٤
(٢) معجم الأدياء : ٣٥٦/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٢٢/٩ والزركلي ، مرجع سابق : ١٢٥/١
(٣) معجم الأدياء : ٥٠٠/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٣/٩ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٨/١٦ وثناؤه الجفان : ٣١٢/٣ وابن تغري بردي ، مرجع سابق : ٨٧/٥
(٤) الزركلي ، مرجع سابق : ١٧٩/١ والكمال في التاريخ : ٢٣/١٠٠ ومعجم الأدياء : ٥٠٠/٩

أبو الحسن محمد بن علّ الواسطي المتوفى ٤٦٨ هـ الذي تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي، وعلّق عليه تعليقات، وسمع من أبي بكر الخطيب البغدادي، وأبي سعد المتولي، وكان شديد التعصب لمذهب الإمام الشافعي، وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية، وقد تحدث فيها عن مسألة الرزق وذكر رأى الشافعي في الرزق^(١).

أبو الوليد سليمان بن خلف الملقب بالباجي المتوفى ٤٩٤ هـ الذي تفقه على مذهب الإمام مالك، وقد رحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦ هـ فمكث بها ثلاثة أعوام، وبغداد ثلاثة أعوام، وبها أخذ الفقه عن ابن عمرو، وأخذ الأصول عن أبي إسحاق الشيرازي وأقام بالموصل عاماً وبها أخذ علم الكلام عن أبي جعفر السمعاني، وقد اهتم بتأليف الكتب بجانب تلقيه العلم عن العلماء ومن مؤلفاته: كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول قال عنه الزركلي أنه مخطوط، ومنه نسخة في مجلد ضخّم في خزانة القرويين بفاس، كتبت سنة ٦٨١ هـ تحت رقم ٦٢٧/٤٠، وله كتاب المقتبس في علم مالك بن أنس له كتاب المذهب في شرح المدونة، وله كتاب الحدود قال عنه الزركلي أنه مطبوع، وله كتاب الإشارة ذكره الزركلي بأنه مخطوط في أصول الفقه، وله كتاب فرق الفقهاء وكتاب المنتقى قال فيه الزركلي أنه مطبوع في شرح موطأ الإمام مالك^(٢).

ويتضح مما سبق أن علماء الفقه في القرن الخامس الهجري جمعوا في مصنّفاتهم بين الكثير من العلوم العقلية والنقلية، فقد كتب الخطيب البغدادي الكثير من المؤلفات في هذه العلوم، كما أن بعض المتعلمين كانوا يميلون إلى الأخذ ببعض المذاهب دون الأخرى في التعليم، كما تعلم البعض من خلال رحلاتهم المتعددة إلى البلدان للسمع من علمائها والأخذ عنهم والإفادة من علومهم، ومع تقدّمهم يهتمون بالكتابة والتصنيف.

(١) معجم الأبياء: ٣٩٥/٣ والسبكي، مرجع سابق: ٨٠/٣ والزركلي، مرجع سابق: ٢٧٧/٦.
(٢) معجم الأبياء: ٣٩٥/٣ وابن خلكان، مرجع سابق: ٢١٥/١ وابن شاذان، مرجع سابق: ١٧٥/١ وابن عسّاف، مرجع سابق: ٢٤٨/٦ والزركلي، مرجع سابق: ١٢٥/٣.

علماء الفقه في القرن السادس الهجري :

ذكر ياقوت هه يه هؤلاء العلماء :

أبو جعفر محمد بن إبراهيم الجرباذقاني المتوفى ٥٤٩ هـ الذي اهتم بمصاحبة العلماء حتى يحصل منهم العلوم فقد كان يقول عن علماء عصره : كان رفيقنا المحدث الفقيه . وكنا نسمع معا . ولم نر له مثلاً في الزهد والعلم . ونجالة الأخلاق . وقد صنف في علم الفرائض . وكان على مذهب الشافعي^(١)

أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب المتوفى ٥٦٨ هـ فقد كان عارفاً بعلوم الدين وقرأ علم الفرائض على أبي بكر المزوقي^(٢) . . ونلاحظ أن أبا محمد الخشاب لم يصنف في علم الفقه وإنما اعتمد على تعلمه فقط .

أبو الحسين أحمد بن علي الرشيد الأسواني المتوفى ٥٦٢ هـ الذي اهتم بدراسة العلوم الشرعية . بجانب اهتمامه بالعلوم العقلية . حتى كان أوحده عصره في الشرعيات وقد صنف العدد من الكتب في الفقه وقد أثبتت تفوقه وتنوعه . ومن هذه الكتب كتاب منية الألمي (الذكي المتوقد) وبلغه المدعي قال الزركلي عنه أنه مطبوع ويشتمل على كثير من العلوم^(٣)

أبو الحسن علي بن زيد الديهقي المتوفى ٥٦٥ هـ الذي اهتم بالكتابة والتصنيف في علم الفقه والميراث . فقد كان عالماً فقيهاً . مشاركاً في الفقه والأصول والفرائض من مؤلفاته : كتاب أصول الفقه قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب الفرائض قال الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب نهج الرشاد في الأصول . وكتاب كنز الحجج في الأصول كتاب الزكاة قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب إيضاح البراهين في الأصول^(٤)

(١) معجم الأدياء : ٨١/٥ وصدر رضا كحلة . مرجع سابق : ١٩٤/٤

(٢) معجم الأدياء : ٤٤٥/٢ وابن خلكان . مرجع سابق : ٣٣٥/١ والزركلي . مرجع سابق : ٦٧/٤ ونهاية الرواة

١٩/٢ وصدر رضا كحلة . مرجع سابق : ٢٠/٦

(٣) معجم الأدياء : ٥٦٨/١ والألقوى : الطالع السعيد في بقاء أبناء المصطفى : ص ٤٧ - ٥٠ . والزركلي

مرجع سابق : ١٧٣/٦

(٤) معجم الأدياء : ١١٤/٤ والصفي : مرجع سابق : ٦٨/١٢ والزركلي . مرجع سابق : ٦٩٠/٤

ابن حيدر شيب بن إبراهيم المعروف بابن الحاج القنأوى المتوفى ٥٩٨ هـ تعلم الفقه بجانب نبوغه وتفوقه في العربية واللغة وفنون الأدب ، فقد تفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس ، وله مسائل وتعليق في الفقه جملة ، وله كلام في الرقائق^(١) .

تغليب :

مما سبق لاحظ الباحث من خلال عرض ياقوت الحموي لعلم الفقه وعلمائه ، أن هذا العلم تطور لما صار الإسلام دولة مترامية الأطراف حيث احتاج أمراؤها إلى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا إلى القرآن والحديث فاستخرجوا منهما شريعة نظموا بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم في العادات والمعاملات . وكان المسلمون في عهد النبي (ﷺ) يتلقون الأحكام منه فلما توفي رجع الصحابة إلى القرآن والسنة لاحتياجهم إلى القياس ، وبذلك كان القراء أول الفقهاء المسلمين أو حاملي شريعتهم ، وكانوا يرجعون إليهم في الفتيا والأحكام ، فلما عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء .

وبذلك صار علم الفقه من العلوم الدراسية التي حرص الطلاب على تعلمها والتزود المعرفي من خلالها ، وأن هؤلاء الطلاب لم يذهبوا إلى مؤسسات تربوية في بادئ الأمر حتى يتلقوا هذه العلوم على أيدي العلماء ، وإنما المؤسسات التربوية كانت بمثابة الأماكن العامة ومجالس العلماء ، التي كان يجتمع فيها الطلاب مع العلماء للاقتباس من علومهم . وقد ظهرت المذاهب الفقهية في الأمصار الإسلامية عن طريق العلماء الذين اعتنقوا هذه المذاهب ، فقد نادوا بعبادتها ودافعوا عن هذه المذاهب ، وتمسكوا بها بعيداً عن المذاهب الفقهية الأخرى ، كان الخلفاء لا يقطعون أمراً دون هؤلاء الفقهاء ، ولم يخلف

(١) معجم الأدباء : ٤١٩/٣ والألفوى ، مريح سابق : ص ١٣٧ والسيوطي : حسن المعاصرة : ٢٥٨/١ .

فقهاء العصر الأموي آثار مكتوبة بقدر كبير لأن الفقه نضج وتكيف بعد تنوع الأئمة الأربعة في العصر العباسي.

تالياً : حلم الحديث ورجاله :

ذكر لياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) عدداً من العلماء والطلاب الذين اهتموا بعلم الحديث كواحد من العلوم الثقلية . فالفوا فيه الكثير من الكتب ، وحرصوا على جمعه وتصنيفه ولو كلفهم ذلك تحمل أعباء السفر والرحلة بين البلدان . للقاء العلماء ورجال الحديث . وقد اجتهدوا في تعليمه لغيرهم . ومن هؤلاء العلماء :

علماء الحديث في القرن الثاني الهجري :

(أبو محمد السدي الكبير الملقب بالأعور ، المتوفى ١٢٧ هـ فقد كان من التابعين وإماماً عارفاً بعلم الحديث . اهتم برواية الحديث عن الرجال (العلماء) الثقات فقد روى عن أنس بن مالك ، وأبي صالح ، وأبي ابن عمر ، وروى عنه الثوري وشعبة ، وزائدة ، وسماك بن حرب ، وإسماعيل بن أبي خزيمة ، وسليمان التيمي ، ولذلك اعتبر السدي الكبير ثقة مأموناً^(١) .

غير أنه لم يترك من المؤلفات ما يمكننا من معرفة الأحاديث التي جمعها .

أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى ١٥٠ هـ كان من أهل المدينة ولم يكن أحد بها يقارب علمه أو يوازيه في جمعه . وهو من حفاظ الحديث . زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وقد كتب عنه العلماء غير أن بعضهم من أصحاب الحديث . كانوا يضعفونه ويتهمونه لأنه كان يحمل عن اليهود والنصارى في كتبه ويسميهم أهل العلم الأول . وقد روى عنه أخويه عمر وأبو بكر^(٢) .

(١) معجم الأدباء : ٢٩٥/٢ وابن الأثير : اللباب : ٥٣٧/١ والزركلي : مرجع سابق : ٣١٧/١ وابن تغري بردي : مرجع سابق : ٢٠٨/١
(٢) معجم الأدباء : ٢٢١/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢١٣/١ والذهبي : تذكرة الحفاظ : ١٦٣/١ وفطيم القدادي : مرجع سابق : ٢١٢/١ وابن حجر : تهذيب التهذيب : ٣٨/٩ .

ومما سبق نلاحظ أهمية دراسة سند الحديث أو ما يسمى بعلم مصطلح الحديث ومعرفة الرواة ، حتى يتمكن الدارس من معرفة سند الحديث ، وقوته وضعفه .

مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني المتوفى ١٤٤ هـ الذي اهتم برواية الحديث واختلفوا في توثيقه ، فقال البخاري صدوق ، فقد روى عن الشعبي فأكثر وروى عنه الهيثم بن عدي ، وهو عند بعض أصحاب الحديث ضعيف (١)

أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى ١٥٧ هـ الذي روى عن النبي (ﷺ) ، فكان رواية أخباراً ، صنف في الفتوحات الإسلامية (٢)

أبو سلمة حماد بن سلمة الملقب بالإمام المتوفى ١٦٧ هـ الذي كان مهتماً بجمع الحديث وروايته ، فقد كان أحد رجال الحديث ، حافظاً ثقة مأموناً ، إلا أنه لما كبر ، ساء حفظه فتركه البخاري ، وأما مسلم فأجتهده وأخذ من حديثه بعض ما سمع منه قبل تغيره وقال الذهبي : أنه روى عن ثابت ، وأبي عمران الجوني ، وعبد الله بن كثير ، وابن مليك وروى عنه مالك ، وسفيان ، وشعبة وابن مهدي وعفان ، وفي رواية عمران بن سلمة قال كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث ، وقال ابن المديني : كان عند يحيى بن الضريس عن حماد عشرة آلاف حديث وقال : يحيى بن معين المتوفى ٢٣٣ هـ أن حماد بن سلمة أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل ، وأثبتهم فيه ، وهو ثقة الناس (٣)

ولاحظ الباحث ومن خلال تناول أمهات الكتب لحياة حماد بن سلمة أنه علم طلابه علم الحديث عن طريق الكتابة والرواية ، وحفظ هذه الأحاديث حتى تقدموا في علم الحديث ، ومنه أصبح حماد من الثقات ، يصحح عليه طلابه الأحاديث .

(١) معجم الأبياء: ٥٢/٥ والمستقاني : الجرح والتعديل : ٣٦٩/٤ والزركلي : مرجع سابق : ٢٧٧/٥ .
 (٢) معجم الأبياء: ٢٩/٥ ، الصفدي : مرجع سابق : ٢٤١/٢ ابن شاذان القتيبي : مرجع سابق : ٢٤٠/٢ والزركلي : مرجع سابق : ٢٤٥/٥ .
 (٣) معجم الأبياء: ٢٤٥/٣ وصبر رضا كحالة : مرجع سابق : ٧٢/٤ وابن حجر : تهذيب التهذيب : ١١/٣ والذهبي : تكملة الحفاظ : ١٨٩/١١ وابن حجر : ميزان الاعتدال : ٢٧٧/١ والزركلي : مرجع سابق : ٢٧٢/٩ .

أبو عبيد الله ، القاسم بن معن المسعودي المتوفى ١٨٨ هـ كان من أروى الناس للحديث ، يقال له شعبي زمانه ، وهو من حفاظ الحديث ، من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود ، من مؤلفاته كتاب غريب المصنف قال الزركلي أنه مطبوع ، وقد كان من المحدثين الزهاد والثقات^(١)

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الغزالي المتوفى ١٨٨ هـ كان من كبار العلماء قدم دمشق ، وحدث بها ، وكان من أصحاب الأوازعي ومعاصريه ، ويقول : ابن عساكر الغزالي هو الذي أدب أهل الثغر (بيروت وأطرافها) ، وعلمهم السنة ، وكان من الثقات فقد روى عن الأعمش ، وسلمان البتي ، وأبو إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني ، وعبد الملك بن عمير ، ت : ١٦٠ هـ ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وسفيان الثوري : ١٦١ هـ ، وقد سئل عنه ابن عيينة ، فقل له : حديث سمعت أبي إسحاق رواه عنك ، أحببت أن أسمعه منك ، فغضب ابن عيينة وانتهر (أهان) من سألته ، قائلا له لا يقنعك أنك تسمعه من أبي إسحاق ، والله ما رأيت أحدا أقدمه على أبي إسحاق ، وهو كثير الحديث^(٢) .
ومما سبق نلاحظ أن علماء الحديث ، جمعوا بين علم الرواية ، وكذلك التأكد من صحة سند الحديث ، وهو ما يسمى بالجرح والتعديل ، لمعرفة الحديث الحسن والضعيف فقد روى الغزالي عن ثقات العلماء من رجال الحديث .

أبو جعفر محمد بن مثنى بن شيم المتوفى ١٩٨ هـ الذي روى الحديث ، غير أنه تزندق فغلب عليه اللهو والمجون ، ومع ذلك كان له معرفة بالحديث فقد روى عنه سفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، وشعبة ، وجماعة ، وقد ذكر ليحيى بن معن المتوفى ٢٣٣ هـ فقال لا يروى عنه من فيه خير^(٣) .

(١) مجموع الأدباء : ٤٤٧/٥ والذهبي : تذكرة الحفاظ : ٢٢٠/١ والمسلاني : الجرح والتعديل : ١٢٠/٢ والزركلي : مرجع سابق : ١٨٦/٥ وابن حجر : تهذيب التهذيب : مرجع سابق : ٢٢٨/٨ .
(٢) مجموع الأدباء : ١٢٤/١ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٩٠/١ والذهبي : سير النبلاء : ٩٢/٢ وتذكرة الحفاظ : ٢٥٦/١ وابن عساكر : التهذيب : ٢٥٢/٢ وابن حجر : تهذيب التهذيب : ١٥٢/١ وابن العماد : مرجع سابق : ٧٠٣/١ والزركلي : مرجع سابق : ٥٩/١ ، ١٠٤/٢ .
(٢) الزركلي : مرجع سابق : ١٧٢/٨ .
(٤) مجموع الأدباء : ٤٤٧/٥ وابن علكان : مرجع سابق : ١٧٧/١ وابن حجر : سير النبلاء : ٢٩/٥ والزركلي : مرجع سابق : ١١١ .

ومنه نرى أنه من فقد الأمان والصدق من رجال الحديث لا تصح الرواية عنه لأنه لا يعد من الثقات في سند الحديث.

علماء الحديث في القرن الثالث الهجري :

ذكر ياقوت عنه بيده علماء الحديث في القرن الثالث الهجري :

أبو عبد الله . محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ الذي اهتم بتفضيل علم الحديث على غيره فقد اهتم بطلب علم الحديث . فيقول : الزبير بن بكار ، انصرفت معه إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به . فما ترك عنده إلا القليل ولا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه . ثم شخص إلى العراق فأنقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه من الحديث . ثم عاد إلى المدينة بعد فترة ثم خرج إلى مكة حيث ابن داود فجمع عنه الكثير (١).

ويلاحظ الباحث هنا أن الإمام الشافعي قد حصل الكثير من علم الحديث عن طريق الرحلة والتنقل بين البلدان . ولقائه العلماء ورجال الحديث والأخذ عنهم .

أبو حذيفة إسحاق بن بشر البخاري المتوفى ٢٠٦ هـ الذي اشتغل بالحديث فوصم بالكذب . وقد حدث ببيغداد ولم يحدث عنه بها سوى إسماعيل بن عيسى العطار المتوفى ١٩٠ هـ فقد سمع من مصنفاته . وقد اهتم البخاري بتعليم الحديث وروايته عن رجاله . غير أنه لم يبين صحيحه وضعيفه . فقد حدث عن (محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى ١٥٩ هـ . وعن) مقاتل ابن سليمان المتوفى ١٥٠ هـ وقد كان متروك الحديث . وعن (مالك بن أنس المتوفى ١٧٩ هـ أخذ الأئمة الأربعة . وعن عبد الملك بن جريج . وعن جوير بن سعيد وعن إدريس بن سنان . وعن سعيد بن أبي عروبة . وعن سفيان الثوري ت: ١٦١ هـ وعن خلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة . ومما يدل على ضعفه أنه ذكر

(١) معجم الأدباء : ١٩١/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٣٢/٩ والذهبي : سير النبلاء : ١٤٧/٧ . والخطيب القندلي : مرجع سابق : ٥٦/٢ وابن تيمية : مرجع سابق : ١٧٦/٢ والشبلي : مرجع سابق : ١/٤ .

أحاديث في مصنفاته ليست لها أصول ، وكان يروى عن قوم ليسوا ممن يدركهم مثله ، فإذا سئل عن آخرين دونهم يقول : من أين أدركت هؤلاء ؟ ، وهو يروى عن فوقهم ، فكانت غفلة ، وكان يحدث عن ابن طاووس ورجال من كبار التابعين ، ممن ماتوا قبل (حميد الطويل ت : ١٤٢ هـ ومات ابن طاووس قبل مولده ^(١) .

ومما سبق يلاحظ الباحث أن أبا حذيفة ، اهتم بجمع الحديث وروايته قط ، حتى أنه روى أحاديث ضعيفة ، ولم يصحح سند هذه الأحاديث ، ثم يذكر أحاديث عن رجال لم يدركهم في حياتهم ، وبذا كان البخاري يقتقد عناصرها ، وشرطاً من شروط المعلم بل من أهم هذه الشروط ألا وهو الصدق في نقل العلم عن أصحابه ، وعدم إدعاء العلم إلى غير أهله حتى لا يوصف بعدم علمه لما يقول .

أبو عمرو إسحاق بن مرار الكوفي الملقب بالأحوص المتوفى ٢٠٦ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه لعلم الحديث ، فقد روى عنه ابنه عمرو ، وأحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وكان ثقة ، وحدث ببغداد ، وكان معه من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن في البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم ، من مؤلفاته كتاب غريب الحديث ، وله كتاب الخليل ، وفي رواية يونس بن حبيب : قال دخلت على أبي عمرو ، وبين يديه قمطر (وعاء) فيه أمهات من الكتب فقلت له هذا علمك ؟ فتبسم وقال : إنه من صدق كثير ^(٢) .

ونرى أنه قصد بقوله هذا ، أي أنه متى كان هذا العلم من صادق فإنه يكون كثير الإفادة للمتعلمين .

(١) معجم الأدباء: ١٦٢/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٨١/٧ ، ٢٥٧/٥ ، ١٠٤/٣ ، ٢٩٤/١ وابن حجر : لسان الميزان: ٣٥٤/١ والمخطيب البغدادي : مرجع سابق: ٢٢٦/٦ .
(٢) ابن خلكان : مرجع سابق: ١٥٦/١ وابن الأثير : نزهة الألباء : من ١٢٠ والزركلي : مرجع سابق: ٢٩٦/١ والمخطيب البغدادي : مرجع سابق: ٢٢٩/٦ والذهبي : ميزان الاعتدال : ٢٧٣/٣ .

الواقدي: (محمد بن واقد المتوفى ٢٠٧ هـ) الذي كان من أشهر حفاظ الحديث فكان يروى ثلاثين ألف حديث غريب . وكان يهتم ببقاء العلماء للسمع منهم والرواية عنهم فقد لقي ابن جريح ، وابن عجلان ، وثور بن يزيد^(١) .

أبو عاصم الضحاك بن مخلد الملقب بالنزيل البصري المتوفى ٢١٢ هـ الذي كان شيخاً لحفاظ الحديث في عصره . وقد تعلم الحديث عن طريق السماع من العلماء فسمع من جعفر الصادق وابن جريح ، والأوزاعي ، وابن عروبة ، وأخرج له البخاري في صحيحة وأجمعوا على توثيقه^(٢) .

أبو يزيد سعيد بن أوس ويغلب عليه الأمام الأديب المتوفى ٢١٥ هـ كان من الثقات في رواية الحديث ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال سمعت الثقة عن أبي زيد وقد روى عن ابن عون ، وجماعة ، وكان ثقة ثبتاً وفي رواية (سفيان الثوري المتوفى ١٦١ هـ قال ابن مناذر أحفظ الناس . وأما أبو عبيدة فأجمعهم . وأما أبو يزيد الأنصاري فأوثقهم وعنه قال (صالح بن محمد ت : ٢٩٢ هـ) وهو من أئمة أهل الحديث ، رحل إلى الشام ومصر وخراسان ، في طلب الحديث ولم يكن في العراق وخراسان في عصره أحفظ منه^(٣) أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم المتوفى ٢٣٠ هـ الذي كان عالماً بالحديث . ومن مؤلفاته في علم الحديث كتاب غريب الحديث . وله كتاب النوادر قال الزركلي إنه مطبوع^(٤) .

(١) معجم الأدباء : ٣٩٢/٥ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٩٥/١١ والذهبي : تذكرة الحفاظ : ٣١٧/١ وجورجي زيدان : مرجع سابق : ١٤٧/٢ والزركلي : مرجع سابق : ٣١١/٩ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٤٥/٣ والصفدي : مرجع سابق : ٨١/١٤ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢٧/٥ والزركلي : مرجع سابق : ٢١٥/٣ .

(٣) معجم الأدباء : ٣٧٧/٣ وابن خلكان : مرجع سابق : ٩٠٧/١ وابن الأنباري : مرجع سابق : ص ١٧٣ والنقشي : إنباء الرواة : ٢٠/٢ والسمعاني : مرجع سابق : ص ٣٥٢ والزركلي : مرجع سابق : ٩٢/٣ وتاريخ بغداد : ٧٧/٩ (٤) معجم الأدباء : ٢٣٩/١ والزركلي : مرجع سابق : ٢٣/٥ والنقشي : إنباء الرواة : ٣١٩/٩ .

أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى ٢٥٥ هـ كان من كبار علماء البصرة وكان المبرد يلزم القراءة عليه . وروى عن النسائي في سنته والبراني في مسنده . وذكره ابن حبان في الثقات . وله من التصانيف ثيف وثلاثون كتاباً ، وذكره ابن حبان في الثقات^(١) .
ومما سبق لاحظ الباحث أن العلماء أخذوا علم الحديث عن الصحابة والتابعين الذين أرادوا المحافظة على أقوال الرسول (ﷺ) وما روى عنه فقاموا بتدوينها خوفاً عليها من الضياع . وبذلك لا يمكننا ترك أقوال الرسول (ﷺ) لمصادفات الحفظ في الصدور . في مجتمع كانت الأقوال الماثورة للبشر العاديين تحفظ بالتدوين .
أبو داود سليمان بن معبد المروزي المتوفى ٢٥٨ هـ كان محدثاً اهتم برواية الحديث وأخذ عن رجاله من الرحلة إليهم حيث رحل إلى اليمن والعراق والحجاز . وقدم مصر وبغداد . وذاكر الحفاظ بهما^(٢) . وقد خرج له علماء الحديث .
فقد خرج له مسلم بن الحجاج المتوفى ٢٦١ هـ (صاحب صحيح مسلم الذي جمع فيه إثني عشر ألف حديث . كتبها في خمسة عشر سنة . وهو أحد الصحيحين المعول عليهما عند أهل السنة في الحديث) . وروى عنه : محمد بن عبد الله الحضرمي . وعبد الرحمن بن يوسف ابن خراس . وأبو بكر بن أبي داود^(٣) .
أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن القرشي المتوفى ٢٦٤ هـ الذي كان من رجال الحديث بمصر . حدث عنه ثقات منهم : مسلم في صحيحه . وقد اختلط بعد خروج مسلم من مصر فتكلم فيه أهل الحديث وضعفوه . بإجماع شيوخ مصر على ضعفه^(٤) .
أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله البرقي المتوفى ٢٧٠ هـ الذي اهتم بدراسة الحديث وعلومه . وخص من نفسه علم الإسناد . وغريب الحديث . وأكثر الرواية عن

(١) معجم الأدياء: ٤٠٣/٣ والذهبي: سير النبلاء: ٢٠٦/٨ والسدي: مرجع سابق: ١٤/٥ والزركلي: مرجع سابق: ١٤٣/٣
(٢) معجم الأدياء: ٤٠٠/٣ وعمر رضا كدالة: مرجع سابق: ٢٧٦/٤
(٣) الزركلي: مرجع سابق: ٢٢١/٧
(٤) تنكير الحفاظ: ١٥٦/٢ وميزان الاعتدال: ٥٣/١ والبيهقي: مرجع سابق: ١١٩/١

الضعفاء واعتمد المراسيل الحديث المرسل ، ومن آثاره العلمية مصنف في معرفة الصحابة قال عنه الزركلي أنه مطبوع^(١) .

أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي المتوفى ٢٧٦ هـ كان إماماً مجتهداً صنف في الحديث كتاباً رتب على أسماء الصحابة والتابعين ومن دونهم^(٢) .

أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير المتوفى ٢٨٢ هـ الذي صنف كتاب الرد على أبي عبيدة في غريب الحديث وله كتاب الأبيات في الحديث^(٣) .

أبو عبد الله محمد بن القاسم الهاشمي الملقب بأبي العيضاء المتوفى ٢٨٣ هـ الذي سمع من الأصمعي ، وأبي عبيدة^(٤) .

أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى ٢٩٩ هـ الذي اهتم بتعليم علم الحديث لغيره وتصنيف الكتب ، فكان يعلم الحديث من خلال مجالسه التي كان يعقدها لطلابه ، ويقول ابن العماد نقلاً عن التوحيدي : ما رأيت مجلساً أكثر فائدة ، وأجمع لأصناف العلوم من مجلس ابن كيسان ، فكان يقرأ على من حضر أحاديث النبي (ﷺ) فإذا قرئ خبر غريب ، أبان عنه وتكلم عليه ، وسأل أصحابه عن معناه ، ومن مؤلفاته كتاب غريب الحديث يقع في نحو أربع مائة ورقة قال به الزركلي أنه مطبوع^(٥) .

ومما سبق يتضح أهمية دراسة أهمية علم مصطلح الحديث ، ومعرفة أسانيد الرجال حتى يمكن للعالم أن يرد الحديث الضعيف ، ويستطيع أن يتعرف على سبب الضعف ، وكذلك معرفة أنواع الأحاديث .

ومن خلال عرض بعض علماء الحديث في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة نلاحظ أن علماء الحديث جمعوا بين تعليم الحديث لطلابهم والمريدين لعلم الحديث ، وبين

(١) معجم الأديباء : ٥٦٤/١ والصفي ، مرجع سابق : ٤٦/٦ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٨٦/١ .
(٢) معجم الأديباء : ٣٣٢/٢ وسير أعلام النبلاء : ٦٨/٩ وفكرة المفاتيح : ١٨٤/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٠/٣ .
(٣) معجم الأديباء : ٣٧٤/١ .
(٤) معجم الأديباء : ٣٩٧/٥ والصفي ، مرجع سابق : ٣٤٩/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٤٠/٣ ، ٣٣٤/٦ .
(٥) معجم الأديباء : ٩١/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٦١٢/٨ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٠٨/٥ .

التصنيف والتأليف للكتب الحديث ، فقط ظهر في القرن الأول والثاني الهجريين تدوين بعض الأحاديث عن طريق التسجيلات المتفرقة . وتم تصنيف الحديث أيضاً فقد رتبته الأحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها ، في فصول لأحكام الفقه أو أبواب . وبدأ هذا مع الربع الثاني من القرن الثاني الهجري . واستمر إلى أن ظهرت مع أواخر القرن الثاني للهجرة طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء الرواة من صحابة الرسول (ﷺ) في كتب يحمل الواحد منها اسم المسند . وفي القرن الثالث الهجري تفحّث كتب الحديث على أساس الكتب المنهجية الميكنة وذلك في صورة مجموعات فقهية وقد كانت كتب الحديث على أسس منهجية في علم الحديث ، عن طريق السماع من العلماء ، وذلك بأن يسمع التلميذ أو السامع ، المرويات التي يلقيها الشيخ من حافظته ، أو يقرأها من كتابه ويقدم لهذا عبارات مثل : سمعت عن ، أو حدثني ، وهي من أكثر طرق التعليم شيوعاً بين رجال الحديث .

وذكر ياقوت الحموي عن علماء الحديث في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٢٦٠ هـ الذي اهتم بكتابة الحديث عن مشايخه الذين روى عنهم أو تقلد عنهم . فقد كتب بالكوفة عن (أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني المتوفى ٢٤٨ هـ وكان من كبار أصحاب الحديث) ، وعن (هناء بن السري المتوفى ٢٤٣ هـ) وأخذ عنهما عن طريق المسألة والإجابة والسماع فقد سمع الطبري من أبي كريب مائة ألف حديث . واهتم الطبري بمداواة الحديث وتعلمه من العلماء ، وخاصة غريب الحديث ، فقد تذاكر مع (أبي الهيثم المتوفى ٢١٧ هـ بالدينور ، وأثبت أبو بكر بن سهل الدينوري (من العلماء الحفاظ للحديث) أن الغلبة كانت للطبري (١)

(١) مجمع الأدباء : ٢٤٩/٥ وصور رضا كدالة ، يرجع سابق : ١٤٧/٩ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٦/٩ وابن العسك
يرجع سابق : ٢٦٠/٢ وابن كثير ، يرجع سابق : ١٤٥/١١

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي المتوفى ٣١٨ هـ الذي اهتم برواية الأحاديث عن العلماء ، وروى عن الكثير من العلماء ، فقد حدث حديثاً كثيراً عن أبي حفص بن شاهين ، والمخلص ، وكان التنوخي ثقة ، ولأبيه إسحاق مسند كبير حسن ، وكان ثقة ثبتاً (أى حجة) جيد الضبط لما حدث به ^(١) .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى ٣٢٧ هـ الذي اهتم بكتابة الحديث وتعليم أبناء الخلفاء ، فقد كان يعلم أبناء الخليفة الراضي ، ومن آثاره العلمية كتاب غريب الحديث قال عنه الزركلي أنه من أجل كتبه يقع في حوالى ٤٥٠٠ ورقة ^(٢) .

أبو بكر أحمد بن كامل القاضي المتوفى ٣٥٠ هـ الذي اهتم بأخذ علم الحديث عن علماء ثقات ، فروى وحدث عن (محمد بن سعد العوفي المتوفى ٢٢٠ هـ الذي حدث وكتب غريب الحديث) ، وروى عن محمد بن الجهم السمرى ، وأحمد بن عبيد الله الترمذى المتوفى ٢٢٨ هـ ، وعن أبي مسلمة الواسطي ، والمدايني المتوفى ٢٢٥ هـ ، وعن أحمد بن سعيد الجمال المتوفى ٣٥٠ هـ الذي كتب التاريخ الكبير في المحدثين ، وروى عن أبي قلابة الرقاسي ، وعن الحارث بن أسامة ، وعن الترمذى المتوفى ٢٨٠ هـ ، وكتب عنه أبو بكر البغدادي في تواريخ أصحاب الحديث ^(٣) .

أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المتوفى ٣٥٦ هـ الذي اهتم بكتابه الحديث من خلال رحلاته العلمية وتنقلاته بين الموصل وبغداد ، والكوفة والبصرة ، ومكة والشام وحدث عن خلق كثير وروى عنه أبو بكر بن مجاهد ، وأبو حفص بن شاهين ، وقال الذهبي في ميزان الاعتدال عنه : أنه اعتمد عليه الداني في كتاب التيسير ، وعلى رواياته في القراءات وقلبي لا يسكن إليه وهو عندي متهم عفا الله عنه ، وفي رواية عبيد الله بن أبي الفتح قال

(١) معجم الأدياء : ٢٥٣/١ والصفي ، مرجع سابق : ١٢٠/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٥/١
(٢) معجم الأدياء : ٤١٤/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٥٠٣/١ وابن الأنباري ، مرجع سابق : ص ٣٣٠ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ١٨١/٣ وجورجي زيدان ، مرجع سابق : ١٨١/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٢٤/٦
(٣) معجم الأدياء : ٥٢٨/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٦١/١٠ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٠/١

كان النقاش يكذب في الحديث والغالب عليه القصص . فله كتاب أخبار القصاص قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب شفاء الصدور في التفسير قال عنه الزركلي أنه مخطوط وقد حدث من سمع أبا بكر البرقاني حينما ذكر هذا الكتاب قال : ليس فيه حديث صحيح (١)

أبو الحسن بن عبد الرحمن الخلابي المتوفى ٣٦٠ هـ محدث العجم في زمانه . وأول سماعه بفارس سنة ٢٩٠ هـ . كان مكثراً من الحديث . واهتم بملزمة العلماء للأخذ عنهم ومن آثاره العلمية كتاب المحدث الفاضل بين الراوى والواعى قال عنه الزركلي أنه مخطوط في علوم الحديث . ونقل قوله عن الثعالبي عن الذهبي قال : ما أحسنه من كتاب في سبعة أجزاء في مجلد واحد بسوهاج برقم ٩٣/ حديث . ونسخة في الأسكوريال رقم ١٦٠٨ (٢)

أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب المتوفى ٢٨٥ هـ الذي اهتم بسماع الحديث وإملائه على طلابه . ولم يتقدم في ذلك إلا بعد أن طهر نفسه من نقائص كانت قد لحقت به وأشهد أصحابه على ذلك ففي رواية (أبو الحسن الطبري الكيا المتوفى ٢٨٠ هـ قال : لما عزم الصاحب على الإملة لطلابه . خرج يوماً متطلساً (لايسا الطيلسان وهو لباس العلماء) بزي أهل العلم . قائلاً : قد علمتم قدمي في العلم . فأقروني بذلك . فأنا متلبس بالعلم ما أنفقته من صغري إلى وقتي هذا من مال أبي وجدى . ولا أدخل من تبعات . أشهد الله وأشهدكم أنني تائب منها إلى الله . واتخذ لنفسه بيتاً سماه بيت التوبة . لبيت فيه أسبوعاً ثم أخذ كتابات الفقهاء بصحة توبته . ففقد للإملة وحضر للأخذ عنه خلق كثير فكتبوا عنه (٣)

(١) معجم الأدباء : ٣٠٨/٥٠ وابن خلكان . مرجع سابق : ١٩٩/١ وميزان الاعتدال : ١٢٧/٢ والزركلي . مرجع سابق : ٨١/٦
(٢) معجم الأدباء : ٩/٣ والثعالبي . مرجع سابق : ٢٢٢/٣ والزركلي . مرجع سابق : ١٩٤/٢ وتذكرة الحفاظ : ١٧٤/٢
(٣) معجم الأدباء : ٢٥٨/٢ والكامل في التاريخ : ٣٧/٩ وآباء الرواة : ١٠١/١ والزركلي . مرجع سابق : ٢٢٥/٤
وابن خلكان . مرجع سابق : ٧٥/١ وابن الجوزي . المنتظم : ١٧٩/٧

أبو القاسم أحمد بن محمد الخطابي المتوفى ٣٨٨ هـ الذي كان حجة صدوقاً، رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان، وكان يشبه أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٣٢٤ هـ والذي كان من كبار علماء الحديث، وكان مؤدباً، فكان الخطابي يشبه ابن سلام في العلم والأدب، والزهد والورع، والتدريس والتأليف، ومن مؤلفاته كتاب أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، وكتاب معالم السنن في شرح أبي داود وكتاب أعلام الحديث وكتاب إصلاح غلط المحدثين^(١).

أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمداني الملقب ببديع الزمان المتوفى ٣٩٨ هـ الذي اهتم بدراسة الجرح والتعديل في أصل الحديث، فكان له معرفة تامة بالمتون، وله معرفة بالرجال أي الإسناد^(٢).

ومما سبق لاحظ الباحث أنه يجب على العالم ألا ينتقص من شأن غيره من العلماء، فينسب الفضل والصواب لنفسه، والخطأ لغيره من العلماء، إلا إذا كان صادقا في هذا الحكم حتى لا يتنافى هذا العلم مع الأمانة العلمية التي تفرض عليه الصدق في الرواية والأخذ عن العلماء.

كما أن بعض علماء الحديث كانوا يعلمون طلابهم علم الحديث عن طريق الإملاء عليهم، حتى يتمكن هؤلاء المتعلمين من تحصيل علم الحديث.

ومن خلال العرض الذي أمدنا به لياقوت الحموي عن علماء الحديث في القرن الرابع الهجري، وأوضحته لنا مصادر المؤلفين نخلص إلى: أن كتابة الحديث وتدوينه لم تكتب مطابقة للمنهج العلمي للتأليف في نهاية القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث وإنما اعتمدت على الروايات الشفهية التي حصل عليها العلماء من خلال رحلاتهم الطويلة والتي صنفوها الرواية بجانب الأخرى، لأنها نشأت قبل أن تؤلف الكتب الرسمية، غير أن

(١) معجم الأدباء: ٢٥٦/٣ وإنباء الرواة: ١٢٥/١ وابن تيمزي بردي، مرجع سابق: ١٩٩/٤ وحاجي خليفة، مرجع سابق: ١٠٤/١.
(٢) معجم الأدباء: ٢٦٦/١ وتكملة الحفايل: ٢١٧/٣ وابن خلكان، مرجع سابق: ٣٩/١ وابن العماد، مرجع سابق: ٢٤٠/٣٢ وابن كثير، مرجع سابق: ٢٤٠/٣٢.

القرن الثالث نضجت فيه هذه الكتابات . مع العصر الأموي وبعده العصر العباسي الأول حتى القرن الرابع الهجري . ولذا يرى الباحث هنا أهمية خاصة لمراجعة وتقويم بعض الكتب التي يكتبها غير المتخصصين . وتكون المراجعة على أيدي علماء غير متخصصين أمثال هذه الكتابات التي تزخر بها أكشاك الصحافة وأرصفت القطارات وأمام أبواب المساجد . وعلى أسوار المدارس . فلا بد وأن يراجعها علماء متخصصين .

كما أن طلاب الحديث كانوا يعتمدون بملازمة العلماء للأخذ عنهم والسماع منهم وقد أوضح لياقوت أنه من صفات المعلم القائم على العملية التعليمية أن يكون حسن المظهر الخارجي في لباسه . متخلقا بالأخلاق الحسنة . تاركا للنقائص التي كانت قد لحقت به . حتى لا يكون ذلك سببا للشك في علمه . فإذا وقع من العالم مثل هذه النقائص فعليه أن يقلع عنها . وعلى رؤوس الأشهاد . بعد أن يعترف بها . ويقلع العلم عن هذه الأخلاق الذمومة . يصح معه التعليم . والأخذ عنه .
وذكر لياقوت عن علماء الحديث في القرن الخامس الهجري :

أبو نصر إسحاق بن أحمد الصغار المتوفى ٤٠٥ هـ بالطائف . الذي اهتم برواية الحديث وتدوينه فقد حدث عن نصر بن أحمد الكنانى . وروى عنه الحسن بن علي واقتصر على طلب الحديث من أنواع العلم . ومن أثاره العلمية كتاب الرد على حمزة في حدوث التصحيح (١) .

أبو المظفر محمد بن آدم الهروي المتوفى ٤١٤ هـ الذي اشتغل بعلم الحديث غير أنه لم ينقل عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه من التفسير والفقه . ولم يكن لعدم السماع له (٢)
أبو بكر علي بن الحسين الملقب بالفلكي المتوفى ٤١٢ هـ الذي اهتم بالرواية عن العلماء فروى عن الحسن بن الحسين التميمي المتوفى ٢٢١ هـ . وعن علي بن الحسن بن البراز . وعن أبي بكر عمر بن سهل المتوفى ٤٥٠ هـ وروى عنه ابنه أبو عبد الله الحسين

(١) معجم الأدباء : ١٦١/٢ - ١٦٣ . وعمر رضا كحالة . يرجع سابق : ٢٢٠/٢ . وبغية الوعاة : ٢٩٩/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٧٩/٥ . وعمر رضا كحالة . يرجع سابق : ٢٥/٩ . حامي خليفة . يرجع سابق : ١٢٧٨/٢ - ١٢٣٩ .

وأبو الصقر الحسن ، ولذلك كان الفلكي من حفاظ الحديث ، ومن مؤلفاته كتاب منتهى الكمال في معرفة الرجال ^(١) .

أبو عبد الله إسماعيل بن أحمد الحيري الملقب بالضرير ، المتوفى ٤٣٠ هـ الذي اهتم بسمع الحديث عن رجاله فقد رحل في طلب الحديث كثيراً ، وسمع من زاهد السرخسي ، وأبي الحسين الخفاف ، ومحمد بن مكي الكشي ، وروى عنه الخطيب وسمع صحيح البخاري ببغداد ، وكان مفيداً ، عالماً من علماء الحديث ^(٢) .

أبو علي الحسين بن علي الأهوازي المتوفى ٤٤٦ هـ الذي اهتم برواية الحديث فقد حدث عن (المعافي بن زكريا المتوفى ٣٩٠ هـ ويعرف بالجريزي لأنه تفقه على مذهب ابن جرير الطبري) ، وقد حدث عن أبي حفص الكتاني المتوفى ٣٩٠ هـ ، الحجة النفاة ، وروى عن الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ ، وكان الأهوازي أكثر من الحديث ، حسن التصنيف ، جمع في ذلك شيئاً كثيراً ، ومن مؤلفاته كتاب شرح البيان في عقود الإيمان أنى فيه بأحاديث استنكرها علماء الحديث ، وله كتاب الصفات قال الذهبي لولم يجمعه لكان خيراً له ^(٣) .

أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣ هـ الذي كان يعد مرجعاً يقاس عليه أحاديث العلماء ، فقد تقدم رئيس الرؤساء (ابن مسلمة وزير القائم العباسي) ببغداد إلى القصاص والوعاظ ، ألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله (ﷺ) حتى يعرضه على أبي بكر الخطيب ، فما أمرهم بإبراده أو ردوه ، وما منعهم منه تركوه ، وكان جامعاً رحل إلى مكة ، وسمع بالبصرة والكوفة ، وعرف قدره ببغداد ^(٤) .

(١) معجم الأدباء : ٣٤٢/١ وابن شاذان الكشي ، مرجع سابق : ٤٥/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٨/٤ .
(٢) معجم الأدباء : ١٩٢/١ ولغت الهيئتين : ١٩٩ والنسكي ، مرجع سابق : ١٥٣ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٠٩/١ .
(٣) معجم الأدباء : ١٩٣/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٤٧/٣ وسير أعلام النبلاء : ١٥٢/١١ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٤٥/٢ .
(٤) ابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٢/١ والظاهر بالوفيات : ٨٢/١ ونكرة الحفاظ : ٣١٩/٢ وابن تغري بردي ، مرجع سابق : ٨٧/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ١٧٢/١ .

أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي المتوفى ٤٨٨ هـ الذي اهتم بتصنيف علوم الحديث من الجرح والتعديل والإسناد . فيقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديرها والاهتمام بها ، العلل : وأحسن كتاب صنف فيها كتاب الدارقطني ، ومعرفة المؤلف والمختلف : وأحسنها كتاب أبو نصر بن مأكولا ، ووفيات الشيوخ : وليس فيها كتاب فأريد أن أكتب فيه كتابا فشغلني عنه الصحيحان ، ومن آثاره العلمية كتاب أسماء رواة الحديث وأهل الفقه ونوى النباهة في الشعر والأدب قال الزركلي أنه مطبوع ومن الكتب المخطوطة التي ذكرها له ياقوت كتاب تفسير ما في الصحيحين ، وكتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسل وكتاب الجمع بين الصحيحين .

وقد تحدث الحميدي عن الدعوة إلى العلم ، وحذر من إضاعة الوقت ، فهو للإنسان بمثابة المنحة من الله - عز وجل - ، وعنه الإنسان مسئول أمام الله - عز وجل - (١) .
أبو بكر محمد بن أحمد الدقاق المتوفى ٤٨٩ هـ الذي اهتم بدراسة الحديث وكتابته ونسخه ، فقد كان حافظا فهما ، قرأ الحديث فأكثرت ، ويشار إليه بالقراءة الصحيحة للحديث (٢) .

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي المتوفى ٤٩٤ هـ ، الذي اهتم بأخذ الحديث عن الثقات ولزمهم حتى برع في الحفظ ، فقد كان من رجال الحديث ، مكث بالحجاز مجاوراً ثلاثة أعوام ملازماً للحافظ أبي نعيم المحدث يسمع منه ، وأقام ببغداد ثلاثة أعوام ، وبالموصل عاماً ، وفي دمشق وحلب مدة سمع الحديث فيها من أبين جميع وغيره ، وسمع من عديد الله بن أحمد الأزهرى ، وابن غيلان ، والصوري ، وبرع في الحديث ، ومن آثاره العلمية كتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول قال الزركلي عنه أنه مخطوط ، وله كتاب

(١) معجم الأدباء : ٣٩٥/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ٣٩٢/٣ وقوافي بقرقيات : ٣١٧/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٩٧/٥
(٢) معجم الأدباء : ١٥٦/٥ والبغدادي ، هيئة المعارف : ١٧٧/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٧٢/٨ .

اختلاف الموطآت قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب التعديل والتجريح لمن روى عنه البخاري في الصحيح (١) .

أبو محمد جعفر بن أحمد السراج المتوفى ٥٠٠ هـ الذي اهتم بتعليم الحديث عن طريق السماع من العلماء فقد سمع الحديث وهو طفل لا يتجاوز عمره خمس سنين ، حتى صار من حفاظ الحديث وقد رحل إلى مكة والشام ومصر ، ومن مؤلفاته كتاب حكم الصبيان وقد نظم السراج عدة كتب ، خرج له الخطيب البغدادي فوائد في عدة أجزاء (٢) .

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في ذلك القرن كانوا لا يقتصرون على الرواية والسماع للحديث فقط ، وإنما نهجوا منهجاً تربوياً وهو القياس ، فكان الخطيب البغدادي بمثابة محكا للأحاديث التي يرويها رجال الحديث .

كما اهتم علماء الحديث بنسخ الحديث وتدوينه ، وعلى رجال الحديث وعلمائه ألا يجعلوا المال هو غاية مرادهم ، والمسيطر على عقولهم في العلم ، ربما كافأهم الله - عز وجل بخيرات حسان في الدنيا والآخرة ، وهو ما فطن إليه علماء الحديث في القرن الخامس الهجري كما تخصص بعض علماء ذلك القرن بدراسة علوم الحديث ، ويوجه خاص علم التجريح والتعديل والإسناد .

ولأهمية علم الحديث فإن تعليم الطلاب كان يتم في سن الطفولة المبكرة والمتأخرة كما تعلم الجيرتبي والسراج ، حيث أن قدرة استيعاب الطفل في هذه المرحلة ، تكون أوسع وأشمل على تسجيل هذه العلوم في الذاكرة أكثر ممن يتعلم في سن الكبر ، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالنقش على الماء ، ومع حصول هؤلاء المتعلمين على قدر من التعليم ، يتمكن كل منهم من الكتابة والتصنيف في فروع علم الحديث .

(١) معجم الأدباء : ٣٩٢/٣ والواقعي بالوفيات : ٢١٥/١ وابن شاذر الكشي ، مرجع سابق : ١٧٥/١ والتهذيب : ٢٤٨/١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٢٥/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٧٢/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٣١/٣ وابن القزوي ، مرجع سابق : ١٥١/٩ وسير النبلاء : ٥٦/١٢ والزركلي ، مرجع سابق : ١٢١/٢ والكتاني في التاريخ : ١٥١/١٠ .

وذكر ياقوت هذه علماء الحديث في القرن السادس الهجري :

أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي المتوفى ٥٠٧ هـ الذي سمع الحديث من إسماعيل الجرجاني المتوفى ٥٢٦ هـ . ومن عبد الوهاب الشهيد المتوفى ٥٠٠ هـ . ومن أبي محمد السمرقندي المتوفى ٤٩٦ هـ . وكان الأبيوردي إمام زمانه في الحديث . ومن آثاره العلمية كتاب بحر الأسانيد في صحاح المسانيد قال عنه الزركلي أنه جمع فيه مائة ألف حديث . في شائئة جزء . وقد عده الذهبي في سير أعلام النبلاء : أنه لم يقع مثله في الإسلام (١)

خمس بن علي الحوزي المتوفى ٥١٠ هـ الذي كان من حفاظ الحديث ومن المحققين بمعرفة رواية الحديث . وهو من فضلاء واسط . وكان يدعو إلى ملازمة العلماء والسماع منهم (٢)

أبو سعد آدم بن أحمد الهروي المتوفى ٥٢٦ هـ الذي ورد إلى بغداد فاجتمع إليه أهل العلم والعامه . وقرأوا عليه الحديث عن طريق دروسه التي كان يعقدها بالمساجد (٣) أبو بكر . المبارك بن الحسن الشهرزوري المتوفى ٥٥٠ هـ الذي اهتم بسماع الحديث فقد سمع من أبي الفضل بن الحسن بن جبرون الأمين . وكان الشهرزوري حسن السيرة شديد الأخذ على الطلاب في تعليمهم (٤)

أبو الفضل محمد بن أبي القاسم زين المشايخ المتوفى ٥٦٢ هـ الذي سمع الحديث من الزمخشري ومن غيره ومن مؤلفاته كتاب مفتاح التنزيل قال فيه الزركلي أنه مخطوط الجزء الثالث منه في الظاهرية (٥)

(١) معجم الأدياء : ١٦٠/٥ . وصو رضا كماله، مرجع سابق : ٣١٤/٨ . ٢٦٧/٢ . سير أعلام النبلاء : ٦٥/٢ . والزركلي مرجع سابق : ١٨٥/٢ . ١٨٥/٢ .
(٢) معجم الأدياء : ٣٠٥/٢ . والكتل في التاريخ : ١٧٥/١٠ . والبغدادى . مرجع سابق : ٨١/٢ .
(٣) معجم الأدياء : ٦٢/١ . والبغدادى . مرجع سابق : ٥٨٤/٢ .
(٤) معجم الأدياء : ٣٨/٥ . سير أعلام النبلاء : ٢١٠/١٢ . ٨٥/٤ .
(٥) معجم الأدياء : ٤١٥/٥ . ونجدة الوعاظ : ٩٦/١ . والوافي بالوفيات : ٣٤٠/٤ . والزركلي . مرجع سابق : ٣٣٥/٦ .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي المتوفى ٥٦٥ هـ الذي كتب في علوم الحديث بعد أن سمعها من العلماء والأئمة الثقات حيث يقول : صححت على الإمام أحمد الميداني المتوفى ٥١٨ هـ كتاب غريب الحديث ، وسمعت من الإمام محمد الغزالي كتاب غريب الحديث للخطابي ، ومن آثاره العلمية كتاب تاريخ حكماء الإسلام قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وقد سماه تكملة ضوان الحكمة (١) .

أبو القاسم علي بن أبي محمد ابن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٧١ هـ الذي سمع الحديث من مشايخ عصره ، عن طريق تنقلاته ورحلاته بين البلدان فقد رحل إلى العراق ومكة ، والمدينة والكوفة ونيسابور وغيرهم الكثير من البلدان ولذا قال عنه ياقوت : بلغ عدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ، ومن النساء بضع وشانين امرأة وحدث ببغداد ومكة ونيسابور ، وسمع منه جماعة من الحفاظ من هو أسن منهم ، وصنف الكثير من الكتب في علم الحديث ، نذكر منها كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة والثقات قال الزركلي عنه أنه مطبوع ، وكتاب الإشراف على معرفة الأطراف قال فيه الزركلي أنه مخطوط يقع في ثلاثة مجلدات ، وكتاب تهذيب الملتبس من عوالي مالك بن أنس ذكر الزركلي أنه مطبوع ، ومن الكتب المطبوعة التي ذكرها له الزركلي كتاب معجم الصحابة ، ومعجم النسوان ، وفضل أصحاب الحديث ، وأربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة ، وله كتاب معجم الشيوخ والنبلاء ذكر الزركلي أنه مخطوط يقع في ٤٦ ورقة في شيوخ أصحاب الكتب الستة وهو بالظاهرية (٢) .

(١) معجم الأدباء : ١١٤/٤ وسير النبلاء : ٨٤/٢ وعصر رضا كماله ، مرجع سابق : ٩٦/٧ والزركلي ، مرجع سابق : ٢١١/٨ ، ٢٩٠/٤ ، وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ٦٣٤/١ .
(٢) معجم الأدباء : ١٨٣/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٢/٤ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ٥١/١ ، ٥٧ ، ١٠٢ ، ١٧٢٧ ، ١٧٢٦/٢ ، ٩٧٤ ، ٥٧٤ ، ٥٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٠ .

أبو طالب المبارك بن المبارك بغداد أوانه المتوفى ٥٨٥ هـ الذي سمع الحديث من ابن الحصين وقاضى اليمامارستان ، وشيخه ابن الحاج ، وحدث عنهم ، وكان مقبولا عند الخاص والعام (١)

وبما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في القرن السادس كانوا يقومون بتدريس الحديث لأهل المكان الذي يسكنوا فيه ، سواء أكان هؤلاء المتعلمون من خاصة طلاب العلم ، أم من عامة البلدة ، وذلك بجانب قيام هؤلاء العلماء بتأليف الكتب وتصنيفها في علم الحديث ، كما فعل الهروي .

وقد اتصف علماء الحديث في ذلك القرن ببعض الصفات التربوية من الأخلاق الحسنة والمسيرة الحميدة ، والمقدرة على السيطرة على طلابهم ، حتى يكونوا معلمين ناجحين ، مثل الشهرزوري الذي جمع بين الكثير من هذه الصفات التي ذكرها له شيخنا ياقوت .

كما أن التعليم في ذلك القرن لم يقتصر على الرجال فقط في تعليم الطلاب ، وإنما كان للنساء دور أيضا وجهدا في تعليم هؤلاء الطلاب ، ومريدين علم الحديث ، وقد جمع ابن عساكر في مؤلفاته الكثير من أفواه هؤلاء من النساء ، وتعلمن على أيديهن ، وقام بتصنيف ما وجده مكتوب من علم الحديث بالبلدان التي كان ينزل بها .
وذكر ياقوت هذه علماء الحديث في القرن السابع الهجري :

أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى ٦٠٦ هـ اهتم بسماع علم الحديث فقد سمع بالموصل من جماعة من المحدثين منهم : أبو الفضل الطوسي . وسمع ببغداد من : أبي القاسم صاحب بن الخل ، وعبد الوهاب بن سكيته ، وعاد إلى الموصل فحدث بها وقد صنف ابن الأثير الكثير من الكتب في الفترة التي أصيب فيها بمرض النقرس وقد أملاها على تلميذه وهم يعينونه بالنسخ والمراجعة ، ومن هذه الكتب في علم الحديث

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٢٩٥/٢٢ وجورجى زيدان، مرجع سابق، ٧٣/٣ والزركل، مرجع سابق، ١٧٧/٥ ، ١٧٥/٤ .

كتاب النهاية قال عنه الزركلي أنه مطبوع في غريب الحديث ، وكتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول (٨) قال فيه الزركلي أنه مطبوع ويقع في عشرة أجزاء ، جمع فيه بين الكتب الستة (الموطأ ، ومسلم ، والبخاري ، وسنن أبي داود ، وسنن النسائي ، والترمذي) وله كتاب الشافعي في شرح مسند الشافعي ذكر الزركلي أنه مخطوط في الحديث ، وكتاب المختار في مناقب الأخيار قال عنه الزركلي أنه مخطوط ، وكتاب مثال الطالب في شرح طوال الغرائب قال عنه الزركلي أنه مخطوط جمع فيه بين الأحاديث الطوال والأوساط وصنفه بعد انتهائه من كتاب النهاية ويقول الزركلي : رأيت نسخة منه متقنة جداً بخط ابن أخيه : محمد بن نصر الله سنة ٦٠٦ هـ في خزانة الرباط ، برقم ١٨٢ أوقاف (١).

أبو القاسم قثم بن طلحة الملقب بابن الأتقي ، ت : ٦٠٧ هـ الذي كانت له معرفة وفضيلة في علم الحديث ، فقد سمع من أبي عبد الله الحسين بن علي الغزي ت : ٥٨٠ هـ ومن أبي بكر أحمد الكرخي (٢).

أبو المرجى سالم بن أحمد التميمي الملقب بالمنتخب ت : ٦١١ هـ الذي سافر إلى خراسان لسماع صحيح مسلم ، فسمعه من المؤيد الطوسي ، وكان محبوباً حسن الأخلاق (٣).

أبو بكر المبارك بن المبارك الملقب بالوجيه ت : ٦١٢ هـ الذي سمع الحديث من طاهر ابن محمد المقدسي حينما قدم بغداد (٤).

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء الحديث في القرن السابع الهجري كانوا يتقربون بعلمهم إلى الحكام ، وكانت للعلماء منزلة خاصة عندهم تقديراً وإجلالاً لعلمهم

(١) معجم الأبياء : ٥٠/٥ وحامى خليفة ، مرجع سابق : ٥٣٥/١ ، ٦١٨ ، ١٢٨٣/٢ ، ١٦٨٢ ، ١٩٨٩ ، والزركلي مرجع سابق : ٢٧٢/٥ وابن تغري بردي ، مرجع سابق : ١٩٨/٦ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٧٤/٨ وسير النبلاء : ١١٢/٢٢ .

(٢) معجم الأبياء : ٨/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ١٩٠/٥ ، ٢٤٦/٢ .

(٣) معجم الأبياء : ٣٥٧/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤٨٨/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٧٠/٣ .

(٤) معجم الأبياء : ٤١/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٥٢/٤ ونكت الهميان : ص ٢٢٢ وابن تغري بردي ، مرجع سابق : ٢١٤/٦ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٢/٥ .

فقد كان الضرير (أبو الفتح علي بن علي رهمويه) يدخل على الخليفة الناصر يخلو معه ويحاضره وعلمه علم الأوائل^(١)

كما جمع علماء هذا القرن بين رواية الحديث . وبين تأليف الكتب وتصنيفها في علم الحديث ، فقد كان ابن الأثير متحدثاً راوياً لعلم الحديث . مصنفاً لكتبه وقد تحدث في هذه الكتب عن علوم الحديث من حيث الإسناد والجرح والتعديل .

وقد كانت الرحلة من الطرق التعليمية التربوية التي يحصل من خلالها طلاب الحديث الكثير عن مشايخهم وعلمائهم . بجانب طريقة السماع . وقد لاحظنا أهمية أن يجمع الشيخ أو العالم بين الصفات الحسنة والأخلاق القوية حتى لا يطلعن في روايته للحديث . وغيره من فروع العلم .

ثالثاً : قراءة القرآن الكريم :

وهي من أقدم العلوم الشرعية الإسلامية . وكان للقراء شأن في صدر الإسلام عظيم فسموا الذين يحفظون القرآن " قراء " تمييزاً لهم عن سائر المسلمين لأنهم كانوا أميين . وقد جمع عثمان بن عفان القرآن الكريم وكتبه لما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . ولم يرض على إرسال مصاحفه إلى الأقطار الإسلامية إلا زمن قصير . حتى أصبح لأهل كل قطر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئاً يثقون بصحة قراءته وقد انتشر ذلك بين الأقطار الإسلامية . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها . واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها . فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة . وإن كان بعض العلماء يعدها عشرة .

وقد ذكر لياقوت الحموي هذه علماء القراءات في القرن الثاني الهجري :

أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السدي . : ١٢٧ هـ الذي اهتم بعلم قراءة القرآن الكريم . فكان أعلم بالقرآن من الشعبي . فقد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله (ﷺ)

(١) معجم الأدباء : ١٣/٥ .

منهم : سعد بن أبي وقاص ت : ٥٥ هـ ، وسعد بن مالك الخدري ت : ٧٤ هـ وابن عمر وأبو هريرة ، وابن عباس (١) .

أبو عمر زياد بن العلاء الملقب بالإمام ت : ١٥٤ هـ بالكوفة ، أخذ علم القراءات عن شيوخ عصره ، فقد أخذ عن مجاهد ، وعن أبي حفص محمد بن عبد الرحمن ت : ١٢٣ هـ مقرر أهل مكة بعد ابن كثير ، وأعلم قرائتها بالعربية ، وقد انفرد بقراءة حروف خالف فيها المصحف فترك الناس قراءته ، ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة ، وروى له مسلم والترمذي والنسائي حديثاً واحداً ، وأخذ عن : نصر بن عاصم ت : ٨٩ هـ كان أول من نقط المصحف ، وأخذ عن : يزيد الأسدي ت : ١٣٠ هـ ، وأخذ عن : أبي جعفر بن القعقاع ت : ١٣٢ هـ ، وبذلك كان أبو عمر أحد القراء العشرة ، ولذا عرف بالقارئ ، وبذلك لم يكن من القراء السبعة أكثر شيوخاً منه ، وقد اتخذ أبو عمر من المساجد مكاناً أو مؤسسة تعليمية يلحق فيها المتعلمين ، وطلاب العلم القراءات ، خاصة الجامع الأموي وقد تتلمذ عليه ، أخذ عنه القراءة جماعة كثيرون منهم : عبد الله بن المبارك واليزيدي (٢) .

أبو عمارة حمزة بن عمارة الملقب بالإمام ت : ١٥٨ هـ الذي أخذ علم القراءات عن المشايخ فقد أدرك الصحابة ، وأخذ علم القراءة عن حمزان بن أعين ت : ٨٨ هـ من فصحاء العرب ، وأخذ عن : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ت : ١٤٨ هـ ، وطلحة بن مصرف ت : ١٢٢ هـ وهو أقرأ أهل الكوفة في عصره ، وكان يسمى سيد القراء ، وكان حمزة قارئاً يقول عنه أبي حنيفة : لقد علمتني في شيبين لا تنازعك فيهما : القرآن والفرائض وكانت قراءته تعد بالدروك وكان شيخه إذا رآه مستقبلاً يقول : هذا خير القرآن (٣) .

(١) معجم الأدياء : ٢٩٥/٢ والبيان : ٥٢٧/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٨٧/٣ ، ٣١٧/١ .
(٢) معجم الأدياء : ٢٤٥/٣ ، ١٢٠/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢٨٦/١ ، ٢٧٨/٢ والتعريب : ٢٢٥/١١ والذوق : ٢٢١/٣ وابن شلكر الكنتي ، مرجع سابق : ١٦٤/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٤٨/١ ، ١٨٢/٨ - ٤١/٣ ، ١٨٦ .
(٣) معجم الأدياء : ٣٦٢/٣ وابن كثير ، مرجع سابق : ١١٢/٩ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٨٦/٢ ، ١٨٩/٦ ، ٢٢٠/٣ .

أبو جعفر محمد بن أبي سارة الرواسي ت: ١٨٧ هـ الذي اهتم بعلم القراءات فهو أستاذ سيديونية ، والكسائي والقراء ، وكلما قال سيديونية : الكوفي عن الرواسي . ومن مؤلفاته كتاب معاني القرآن وكتاب مصابيح القرآن العظيم ذكر فيه الزركلي أنه مخطوط في خزانه شستريتي برقم ٣٥٢٨ . وكتاب البرهان ذكر الزركلي أنه مطبوع . وكتاب القراءات (١)

وذكر ياقوت عنه علماء القراءات في القرن الثالث الهجري :

أبو علي محمد بن المستنير قطرب ، ت: ٢٠٦ هـ الذي اهتم بعلم القراءات . وكان يؤنب أولاد أبي دلف العجلي . ومن مؤلفاته كتاب الأضداد قال عنه الزركلي أنه مخطوط وكتاب الرد على الملحدين في تشابه القرآن . وكتاب غريب الأثر ذكر الزركلي أنه مطبوع وكتاب معاني القرآن قال الزركلي عليه اعتمد القراء ولم يسبق له مثيل (٢)

إبراهيم بن محمد بن سعدات ت: ٢٥٠ هـ الذي ورث علم القراءات أخذاً عن والده فقد كان أبوه أحد أعيان أهل العلم من القراء . وكان إبراهيم أحد من كتب وصحح ونظر وحقق . ومن مؤلفاته كتاب حروف القرآن ذكر الزركلي أنه مطبوع (٣)

أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ت: ٢٥٥ هـ الذي اهتم بعلم القرآن وعلم القراءات . وكان يجلس بالمسجد ليطلع الناس وإذا أخطأ أمامه المتعلم عمد إليه فعنفه وضربه . وقال له لا تعود إلى مثل هذا . ولذلك كان مقرئاً روى عن أبي زيد الأنصاري . وأبى عبيدة معمر بن المثنى ت: ٢٠٩ هـ وهما من أئمة علوم القرآن . وقد ترك السجستاني الكثير من المؤلفات في علم القراءات منها كتاب مجاز القرآن قال عنه الزركلي أنه مطبوع ويقع في جزأين . وكتاب إعراب القرآن ذكر الزركلي أنه مخطوط . وكتاب إختلاف

(١) معجم الأدباء : ٣٧٧/٥ وبغية الوعاة : ٢٢/٢ والوفيات : ٩٢/٢ والطبيب البغدادي ، مرجع سابق : ٣٢٤/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧١/٨ . ٨٩/٣ . ١١٩ . ٢٧١/٧ .

(٢) معجم الأدباء : ٤٤٥/٥ والكتابل في التاريخ : ١٢٩/٦ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٥/١٢ وحاجه خليفة ، مرجع سابق : ١١٥/١ . ٧٢٢ . ٨٣٩ . ١٢٠٤/٢ . ١٢٨٩ . ١٧٣٠ . ١٩٨٠ .

(٣) معجم الأدباء : ١٣٦/١ ولتياه الرواة : ١٨٥/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٩١/١ .

المصاحف وكتاب القراءات ، وكتاب الإدغام ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب ما يلحن فيه العامة وقد ذكر الزركلي أن هذه الكتب مطبوعة ^(١).

أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسحاق الأزدي ت : ٢٨٢ هـ الذي كان من أجل علماء القراءات بالعراق ، وقد صنف في علوم القرآن الكثير من الكتب ، فله كتاب أحكام القرآن قال الزركلي أنه لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله ، ومن الكتب المطبوعة التي ذكرها له الزركلي كتاب الاحتجاج بالقرآن ، وكتاب مسند القراءات وكتاب في معاني القرآن ^(٢).

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء القرن الثالث الهجري كانوا مهتمين بتعليم الطلاب لعلم القراءات وعلوم القرآن بالإضافة إلى كثرة المؤلفات التي تركها لنا هؤلاء العلماء ، فقد جمعوا بين مجال التدريس والتأليف للكتب ، كما يتضح لنا أن المتعلم كان يعاقب عند التقصير في تعلمه لعلوم القرآن ، بل كان يعرض نفسه للقضاء والمحاكمة عن طريق الشرطة حينما يخطئ ، فقد ذكر ياقوت ذلك في ترجمته لأبي حاتم السجستاني ^(٣).

وذكر ياقوت أنه يبه علماء القراءات في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت : ٣١٠ هـ الذي اهتم بعلم القراءات نزولاً على رغبة رفاق الرحلة العلمية التي قام بها ، بل من واكبوا عصره ، وقد تحدث الطبري في كتابه الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة عن آداب الدرس التي يتبعها الطلاب مع شيوخهم ، ويتبعها الشيوخ مع عامة أهل مجتمعاتهم ، وقد صنف الطبري في علم القراءات كتاب الجامع في القراءات العشر وقراءة الأعمش وقد ذكر الزركلي أن الطبري جمع فيه

(١) معجم الأدباء : ١٠٣/٣ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٨٥/٤ وسير أعلام النبلاء : ٢٠٦/٨ والوفيات : ٥/١٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٢/٧ ، ١٤٣/٣ .
(٢) معجم الأدباء : ١٩٥/٢ وابن كثير ، مرجع سابق : ٧٢/١١ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٠/١ .
(٣) معجم الأدباء : ١٠٣/٣ .

(v)

(४)

(r

أبيو

444

Figure 1

سابقہ

(v)

(7)

4

ة

5

(5)

234

أبو الطاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري ت : ٤٥٥ هـ الذي كان عالماً بالقراءات من سرقسطة بالأندلس ، من مؤلفاته كتاب العنوان في قراءات السبعة القراء قال عنه الزركلي أنه مخطوط ، رأيت في مخطوطة برقم ٧٤٣٩ ، وكان اعتماد الناس عليه في هذا الفن وله كتاب إعراب القرآن قال الزركلي عنه أنه مخطوط النصف الثاني منه في الإسكندرية (ن ٣٤٧٥ ج (١)) .

أبو نصر بن أحمد الكركانجي ت : ٤٨٤ هـ الذي اهتم بتحصيل علم القراءات فكان إماماً فاضلاً فيه ، رحل بين العراق والحجاز ، والجزيرة والشام للأخذ والرواية عن علمائها ، من آثاره العلمية كتاب التذكرة لأهل الثيرة ذكر الزركلي أنه مطبوع (٢) .
وذكر ياقوت عنه علماء القراءات في القرن السادس الهجري : -

أبو الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري المقرئ ت : ٥٥٠ هـ الذي اهتم بعلم القراءات ونبغ فيه فكان إماماً في القراءات ، عالم بها مجود لها ، ومن آثاره العلمية كتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر ، قال الذهبي أنه رواه من نحو خمسمائة طريق (٣) .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت : ٥٦٥ هـ الذي اهتم بحفظ القرآن الكريم فقد كان لأسرته دور بارز في تنشئته الفكرية ، فقد ورث حفظ القرآن عن والدته التي كانت حافظة للقرآن ، عالمة بوجوه تفسيره ، من آثاره العلمية كتاب غوارب الغرائب قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب أسئلة القرآن مع الأجوبة ومن مسماه أنه يأخذ الصورة التربوية في تناوله لطريقة الاستدراك على منهج الأسئلة والأجوبة ، لإعمال الذهن حتى يسهل على المتعلم تناوله (٤) .

(١) ابن خلكان ، مرجع سابق : ٧٦/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٣/١ .

(٢) معجم الأدياء : ١٥٧/٥ وعمر رضا كدالة ، مرجع سابق : ٢٢٥/٨ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٦/٥ .

(٣) معجم الأدياء : ٣٧/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٢٩/٥ وعمر رضا كدالة ، مرجع سابق : ١٧١/٨ .

(٤) معجم الأدياء : ١١٦/٤ والواقفي بالوفيات : ٦٨/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .

تابعاً : علم التفسير :

من العلوم الدراسية التي أرخ لها لياقوت من خلال كتابه (معجم الأدباء) : وذكر لياقوت من علماء التفسير في القرن الثالث الهجري : -

أبو عبد الرحمن بقرى بن مخلد الأندلسي ت : ٢٧٦ هـ الذي اهتم بعلم التفسير والكتابة فيه ، فقد ضمن كتبه التفسير بالأثر . وقد أخذ ذلك عن علمائه وأساتذته فقد تعلم عن : يحيى بن يحيى الليثي ت : ٢٢٤ هـ عالم الأندلس في عصره ، وسمع بالحجاز من أبي مصعب الزهري ، وإبراهيم بن المنذر الخزامي ، وسمع بمصر من يحيى بن بكير ومن أبي طاهر السرح ، وبدمشق من هشام بن عمار ، ت : ٢٤٥ هـ وهو من القراء المشهورين بها وصاحب كتاب فضائل القرآن . وسمع ببغداد من علماء أجلاء وسمع بالكوفة من يحيى بن الحماني ، ومن أبي بكر بن أبي شيبة ، حتى أنه عدد شيوخه بمائتين أربع وثمانون رجلاً . ومن مؤلفاته كتاب تفسير القرآن قال ابن حزم عنه ، ما صنف تفسير مثله أصلاً فقد كان مجتهداً لا يقلد أحداً ، بل يكتب بالأثر ^(١) .

وذكر لياقوت من علماء التفسير في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . : ٣١٠ هـ الذي اهتم بعلم التفسير ، فكان له منهجاً خاصاً في التفسير فقد عني بتفسير القرآن بالقرآن . وتفسيره بالسنة . وتفسيره ببيان أسباب النزول ، كما أقر العلماء بذلك . ولعرفة أسباب النزول فوائده منها الوقوف على المعنى ، وكان الطبري يقرأ على العلماء تفسيره ، ولم تقف عنايته عند الجانب اللغوي والنقلي ، بل جاءت عنايته بالجانب الفقهي والأدبي ، وهذه هي طبيعة المدرسة المصرية في التفسير . فقد جمعت بين الاتجاهات المتعددة لتكتمل العملية المنهجية في التفسير . ومن مؤلفات الطبري في علم التفسير كتاب جامع البيان في تفسير القرآن الذي يقع في ثلاثين جزءاً ، ويعرف بتفسير الطبري ^(٢) .

(١) (معجم الأدباء) : ٣٢٢/٢ وسير اعلام النبلاء : ٦٨/٩ والزركلي ، مرجع سابق : ١٨٦/٨ ، ٨٧/٨ وكشف الظنون : ١١٦/٩ ، ١١٧/٩ .

(٢) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٤٧/٩ والزركلي ، المرجع السابق : ٢٢/٩ ، والطبري ، جامع البيان : ٣٩٨/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٩/٦ .

أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ت: ٢٢٢ هـ الذي اهتم بالكتابة في علم التفسير فله كتاب: جامع التأويل في التفسير، ذكر الزركلي أن سعيد الأنصاري الهندي جمع منه نصوصاً وردت في مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الفخر الرازي الذي سماه ملقط جامع التأويل لحكم التنزيل قال الزركلي عنه أنه مطبوع (١).

ابن الأغبس ت: ٢٢٦ هـ فهو شيخ أبو حيان التوحيدى، وقد درس بالبصرة وأخذ عنه أهلها، فقد كان عالماً بالقرآن من جهة العربية والتفسير، ويميل إلى النظر والحجة من مؤلفاته كتاب الجامع (٢).

أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ت: ٢٧٠ هـ الذي اهتم بعلم التفسير فكتب فيه كتاب التقریب في التفسير قال عنه الزركلي أنه مطبوع، وكتاب الزاهر في غرائب الألفاظ أو ما يسمى بغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء قال عنه الزركلي أنه مخطوط وكتاب تفسير السبع الطوال وكتاب تفسير أسماء الله الحسنى (٣).

وذكر ياقوت هذه علماء التفسير في القرآن الخالص الهجري:

أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي المفسر، ت: ٤٢٧ هـ كان مفسراً من أهل نيسابور ففي رواية: عبد الغنى بن سعيد الصافى المصرى قال: كان الثعلبي أوحى زمانه في علم التفسير، فهو صاحب تفسير الحاوى الذى جمع الكثير من القوائد في المعاني والإشارات ووجوه الإعراب والقراءات، وقد سمع منه الواحدى ت: ٤٦٨ هـ صاحب تفسير الواحدى (٤).

(١) معجم الأدياء: ٢٢٩/٥ والوالى بالوقفيات: ٢٤٤/٢ والزركلى، مرجع سابق: ٥٠/٦ وحاجى خليفة، مرجع سابق: ٥٣٨/١، ١٩٢٠/٢.

(٢) معجم الأدياء: ٢٦١/١ والسبكي، مرجع سابق: ٨٢/٢ وابن خلكان، مرجع سابق: ١٨/١.

(٣) معجم الأدياء: ١١٢/٢، وسير أعلام النبلاء: ٢٢٦/١٠ والزركلى، مرجع سابق: ٢١١/٥.

(٤) صرخسا كماله، مرجع سابق: ٤/٢ والوالى بالوقفيات: ٩٠/٦ ونذرة الحفاظ: ٩٨/٤، والزركلى، مرجع سابق: ١٧٢/١.

وذكر ياقوت هذه علماء التفسير في القرن السادس الهجري : -

أبو محمد سعيد بن المبارك الدهان ت: ٥٦٩ هـ بالموصل ، اهتم بالكتابة والتصنيف في علم التفسير فقد كان جل اهتماماته ، فمن آثاره العلمية كتاب تفسير القرآن قال عنه الزركلي أنه مطبوع يقع في أربع مجلدات ، وله تفسير سورة الإخلاص ، وله تفسير سورة الفاتحة قال عنهما الزركلي أنهما مطبوعان ، وقد أخذ عنه الخطيب التبريزي وغيره من العلماء (١) .

أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسى السلمي ت: ٦٥٥ هـ الذي اهتم بتصنيف الكتب في علم التفسير ، فله كتاب رى الظمان في تفسير القرآن قال عنه الزركلي أنه مطبوع يزيد على عشرين جزء ، وله كتاب التفسير الأوسط ذكر الزركلي أنه يقع في عشرة أجزاء وكتاب التفسير الصغير قال عنه الزركلي أنه يقع في ثلاثة أجزاء (٢) .

الخلاصة :

من خلال هذا العرض الذي تناوله الباحث أخذنا عن ياقوت الحموي وذكر بعض تراجم العلماء التي لم يتعرض لها ياقوت ، وضح للباحث أن العلماء الذين اهتموا بعلم القراءات وعلوم القرآن ، كانوا طلاباً حصلوا الكثير من هذا العلم دراسة وتعليماً عن العلماء ، ثم اتخذوا لأنفسهم الكثير من الطلاب لتعليمهم هذا العلم ، وقد قابل علم القراءات اهتماماً خاصاً من طلاب العلم والشيوخ وقد بدأ هذا الاهتمام بتدوين كتاب الوحي (القرآن الكريم) في حياة الرسول (ﷺ) جمع القرآن في خلافة أبي بكر ، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ، وعثمان بن عفان وقام بذلك مجموعة من العلماء ، وبهذا تحول مركز الاهتمام إلى القرآن الكريم في نصه المدون ، ولكن وجود بعض الأخطاء الإملائية في رسم المصحف ، جعل بعض العرب لا يقرءون القرآن قراءة صحيحة ، خاصة

(١) معجم الأدباء: ٣٨٠/٣ ونباه الرواة: ١٧/٢ والزركلي ، مرجع سابق: ١٧٣/١ .
(٢) معجم الأدباء: ٣٥٠/٥ والوالقي بالوفيات: ٣٥٤/٣ والزركلي ، مرجع سابق: ٢٢٢/١ .

وقد بدأت كل قبيلة من القبائل تقرأ القرآن تبعاً لعاداتها الصوتية ، وقد ظهرت هذه الاختلافات في القراءات في حياة الرسول (ﷺ) ، ولذلك فقد تضاعفت هذه العوامل مجتمعة لظهور الدراسة العلمية للنص القرآني ، في وقت مبكر جداً .

بدأت هذه الدراسات بتدوين المصحف العثماني ، وقام أبو الأسود الدؤلي بوضع رموز تدل على الحركات ، وأعقبه تلميذه : نصر بن عاصم ت : ٨٩ هـ ، وقد عارض ذلك ورفضه بعض الصحابة والتابعين مثل : عبد الله بن عمر ، وقتادة ، ومحمد بن سيرين .

وبعد ذلك تم نقط المصحف ، ثم قدم الحجاج بن يوسف عملاً عظيماً قسم فيه المصحف إلى أجزاء ثم أدخل نصر بن عاصم تسميات الأقسام والأعشار ، ومنه كتاب عواشر القرآن لقتادة ت : ١١٨ هـ ، وظهرت في النصف الثاني للقرن الأول الهجري عدة مدارس للقراءات حول بعض التابعين في المدينة ومكة والبصرة ، دلل عليها ياقوت في تراجم العلماء بقوله : أخذ القراءة عنه عرضاً ، وقوله : روى القراءة عنه ، فالتميز كانوا يقرءون الكتاب على مشايخهم بالإضافة إلى العلاقة القائمة بينهما .

وقد أضاف ياقوت الحموي الكثير من أمهات كتب القراءات وعلوم القرآن إلى حصيلة التراث العلمي الذي تركه بعض العلماء المؤلفين قبله ، فقد ترك قواد سازكين في مؤلفه : تاريخ التراث العربي الكثير من هذه المؤلفات ، غير أنه اقتصر على ما أتبع له فقد ذكر من بين هذه الكتب كتاب الوقف وكتاب رسم المصحف وكتاب المقطوع والموصول ، ثم يقول أن محاولة إيجاد قراءة : أبو عمرو بن العلاء ، في مؤلفاته (١) .

وقد ظهرت بعض الكتب ذات الأهمية البالغة في علم القراءات وعلوم القرآن من خلال تاريخ ياقوت لهذا العلم ففي القرن الرابع ظهر الكثير من كتب علم القراءات مثل كتاب متشابه القرآن للكسائي ، وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة المثنى ، وكتاب فضائل

(١) إلهوآد سازكين : تاريخ التراث العربي : ترجمه حجازي (د. محمود فهمي) وأبو الفضل (د. فهمي) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م ، ١٠ / ١٠٠ .

القرآن لأبي عبيد بن سلام ، وكتاب غريب القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومعه كتاب مشكل القرآن ، وكتاب إعجاز القرآن للياقوت ت : ٤٠٣ هـ وكتاب جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ت : ٣١٠ هـ وكتاب غريب القرآن لليزيدي ت : ٣١٠ هـ وكتاب معاني القرآن للفراء ت : ٢٠٧ هـ .

ومع القرن الخامس والسادس ظهر من هذه الكتب ، كتاب العتوان في قراءات السبعة قراء لإسماعيل بن خلف الأنصاري ت : ٤٥٥ هـ ، وكتاب المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر للشهرزوري ت : ٥٥٠ هـ ، وقد جمع كتاب البطائحي ت : ٥٧٢ هـ بين الكثير من اختلاف القراء وقراءة كل واحد منهم .

وبذلك نستطيع أن نقول من خلال هذا التراث العلمي الذي آرخ له ياقوت أنه من المهتمين بتاريخ التربية والتعليم ، وأن كتابه (معجم الأدباء) يمكن الاعتماد عليه في التاريخ لبعض العلوم الدراسية ، وبوجه خاص علوم التراث الإسلامي من علم الفقه ، وعلم الحديث ، وعلم القراءات وعلم التفسير غير أن ياقوت قد أغفل ذكر علماء التفسير في القرن الأول الهجري مع أنه يوجد بدار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب إلى ابن عباس الصحابي المشهور ، ت : ٦٨ هـ والمتواتر أنه أول من فسر القرآن الكريم ، كما أنه لم يذكر من علماء القرن الثاني الهجري : مجاهد المتوفى ١٠٤ هـ الذي كان من القراء والمفسرين الذين يعدهم المسلمون مرجعاً لهم في استخراج الأحكام ، وقد كانوا يتناقلون التفسير شفاهاً إلى أواخر القرن الأول الهجري^(١) . وبذلك أشار ياقوت إلى أن التفسير لم ينضج ويكتب فيه العلماء الكثير من الكتب إلا في العهد العباسي .

(١) ابن النديم ، الفهرست ٢٣/١ ، وأحمد أمين ، فجر الإسلام : ص ٩٤ نقلاً عن : جورج زيدان ، تاريخ أدب اللغة العربية : ٩١٦/١ .

المحور الثاني : العلوم اللغوية وأهم أعلامها : أولاً : علم النحو والصرف :

ذكر ياقوت الحموي هه علماء النحو والصرف في القرون الأول العجري : -

على بن أبي طالب ت : ٤٠ هـ الذي اهتم بوضع علم النحو ، لتقويم لسان العامة والمتعلمين فقد كان أول من وضع النحو وسمي العربية ، وذلك لأنه : مبرجل يخطأ في تلاوة القرآن ، ويقول الزجاج : حدثنا أبي الأسود الدؤلي قال : دخلت على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه - فرايته مطرقاً (مفكراً) فقلت : فيم تفكر ؟ فقال : إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول اللغة ، فقلت : إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحبيبتنا وبقيت فينا هذه اللغة ^(١) .

وذكر ياقوت هه علماء النحو والصرف في القرون الثاني العجري : -

أبو عمر زيان بن العلاء الإمام ، ت : ١٥٤ هـ الذي اهتم بعلم النحو ، فقد أخذه عن نصر بن عاصم الليثي ت : ٨٩ هـ الذي كان من أول واضعي علم النحو ، وأول من نقط المصحف ، ثم تتلمذ على أبي عمر ، وأخذ عنه الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب البصري ت : ١٨٢ هـ الذي صار إمام النحاة في عصره ، وقد أخذ عن يونس سيدييه ، والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة ، وكان مجلس يونس وحلقته بالبصرة يتنابها طلاب العلم وفصحاء الأعراب ، ووفود البادية ، وقال ابو عبيدة : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملاً ألواحي من حفظه ^(٢) .

أبو سلمة حماد بن سلمة الإمام ، ت : ١٦٧ هـ الذي اهتم بعلم النحو والصرف لعموم فائدته على سائر العلوم حيث يقول : مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها ، وكان سيدييه : يتعلم النحو من حماد فأخطأ فقال

(١) معجم الأدباء : ١٧٢/٤ ، وابن كثير ، مرجع سابق : ٣٥٣/٧ - ٣٥١ ، والزركلي ، مرجع سابق : ٢٩٥/٤
(٢) معجم الأدباء : ٣٤٧/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٨٦/١ ، والزركلي ، مرجع سابق : ٢٤١/٨ ، ٢٤١/٣ ، ٤١/٣

لا جرم لأطلين علماً لا تلحنني فيه فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد ، ت : ١٧٠ هـ ووضح علم العروض ، فهو أستاذ سيبويه ^(١) .

أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت : ١٦٩ هـ الذي قرأ النحو بعد الكبر وتنقل في البادية وحمل إلى أبي الحسن الأخفش خمسين ديناراً ليقرأ عليه كتاب سيبويه سر ^(٢) وقد مدح الكسائي علم النحو في أبيات تذكر منها قوله : -

إنما النحو قياس يتبع	وبه فسي كل أمر ينتفع
فإذا ما نصر النحو الفتى	مرفى المنطق مرا فانتع
فاتقاه جل من جالسه	من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم ينصر النحو الفتى	هاب أن ينطق جبناً فانقطع
فتسراه برفع النصب وما	كان من خفض ومن نصب رفع
يسقراً القرآن لا يعرف ما	صرف الإعراب فيه وصنع
والذي يعرفه يقرؤه	فإذا ما شك في حرف رجع
ناظر فيه وفي إعرابه	فإذا ما عرف اللحن صدع
كم من وضع رفع النحو وكم	من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم	ليست السنة فينا كالبدع

ومن آثاره العلمية كتاب المصادر قال عنه الزركلي إنه مطبوع ، وله كتاب الحروف ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب ما يلحن فيه العوام ذكر الزركلي أنه مطبوع وقد نشرته المجلة الأشورية ببرلين ^(٣) .

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت : ١٧٠ هـ كان من العلماء البارعين في علم النحو أخذ علم النحو عن أبي عمرو بن العلاء ، وتخرج على الفراهيدي

(١) معجم الأدباء : ٢٤٥/٣ وتعليق التهذيب : ١١/٣ والزركلي : مرجع سابق : ٢٧٢/٢ ، ٣١٤/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٩٩/٤ والبيان الرواة : ٢٥٦/٢ وابن خلكان : مرجع سابق : ٣٢٠/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٩٩/٤ والزركلي : مرجع سابق : ٢٨٣/١ .

العديد من علماء النحو، فقد أخذ عنه الأصمعي، وسيدويه، والنضربن شميل ت: ٢٠٣ هـ الذي هو أحد أعلام فقه اللغة، من آثاره العلمية كتاب الاستدراك على كتاب العين وكتاب تفسير حروف اللغة ذكر الزركلي أنه مخطوط وكتاب النقط والشكل ذكر الزركلي أنه مطبوع^(١).

ومما سبق نلاحظ أن علماء النحو والصرف في القرن الأول والثاني الهجريين كانوا مهتمين بالكتابة والتصنيف في علم النحو، بجانب اهتمامهم بتعليم الطلاب ولذلك كثر طلابهم ومريدهم للأخذ عنهم.

كما نلاحظ أهمية تعلم النحو فهو ذوقاً عظيمة فتعلمه يفيد صاحبه في تقويم اللسان للمتحدث، ويمنع وقوع اللحن من المتعلم، بل إن علم النحو يرفع أقواماً بتعلمه فمن لم يجد علم النحو يكن جباناً في حديثه لا يستطيع أن يملء مكانه في النحو ينكشف الخطأ واللحن ويصحح الأمر ويبينه، فإذا وجد خطأ قام بتصحيح هذا الخطأ ومراجعته وقياسه على القاعدة الصحيحة.

وذكر لياقوت عن علماء النحو والصرف في القرن الثالث الهجري :-

أبو علي محمد بن المستنير "قرب" ت: ٢٠٦ هـ اهتم بالكتابة والتصنيف في علم النحو ومن آثاره العلمية كتاب الأضداد والضد: في اللغة يقع على معنيين متضادين والمراد هاهنا الألفاظ التي توقعها العرب على المعاني المتضادة فيكون الحرف منها مؤدياً لمعنيين مختلفين بدلالة السياق، وله كتاب علل النحو وكتاب الأزمنة^(٢).

(١) معجم الأدباء: ٣٠١/٣ وصدر رضا كماله، مرجع سابق: ١٢٢/٤ وفيه الرواق: ٣٤١/١ والكامل في التاريخ: ١٢/٦ والزركلي، مرجع سابق: ٣٢/٨، ٣١٤/٢ وحاجي خليفة، مرجع سابق: ١٤٤/٢، ١٤٤٢. (٢) معجم الأدباء: ٤٤٥/٥ وابن العماد، مرجع سابق: ١٥/٢ وحاجي خليفة، مرجع سابق: ١٥٥/١، ١٤٢٢/٢، ١٤٤٧. وهدية العارفين: ٩/٢.

أبو حنيفة الدينوري ت : ٢٨٢ هـ الذي جمع بين مذهب البصريين والكوفيين في علم النحو وقد جمع بين حكمة الفلاسفة ، وبيان العرب ، من مؤلفاته الفصاحة وكتاب جواهر العلم وكتاب المقصور والممدود (١) .

أبو العباس ثعلب ت : ٢٩١ هـ كان إماماً للكوفيين في النحو واللغة ، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة ، وعنه قال المبرد : أنه أصدق أهل العربية لساناً وأعظمهم شأنًا وأوضحهم علماً ، وأثبتهم حفظاً من مؤلفاته كتاب الفصيح ذكر الزركلي عنه أنه مطبوع اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما جرى في كلام الناس ، يقع في نحو ستين صفحة وقد انتقده أبو القاسم علي بن حمزة البصري في كتابه التنبيه على ما في الفصيح من الغلط قال الزركلي إنه مخطوط منه نسخة في الأسكوريال ، ولأبي سهل الهروي كتاب التلويح في شرح الفصيح ذكر الزركلي أنه طبع بمصر سنة ١٢٨٩ هـ ومعه ذيل على الفصيح للموفق البغدادي : ٦٢٩ هـ ، وكتاب شرح غريب الفصيح لأبي العباس الترمذي قال عنه الزركلي منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالأستانة ، وله في الصرف كتاب التصغير ذكر الزركلي أنه مطبوع (٢) .

ومما سبق نلاحظ أن علماء النحو والصرف في القرن الثالث الهجري اهتموا بعلم النحو كمادة من المواد الدراسية ، وقد قسموا هذا العلم إلى الأزمنة (الزمان والمكان) وهمزة إن وموقعها مع الكلام متى تضر ومتى تظهر ، وحروف العلة ، والغريب في كلمات اللغة ، كما نلاحظ أيضاً أن ذلك القرن شهد ظهور مدرستين من مدارس النحو الشهيرة التي تتلمذ شيخنا لياقوت علي بعض علمائها ، مثل مدرسة البصريين ، ومدرسة الكوفيين وقد كان لكل مدرسة منهما منهجها في تفسير بعض قواعد النحو والصرف .

(١) معجم الأدياء : ٣٥٢/١ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ٢١٨/١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٢٣/١ وهدية المعارف : ٨٩/١

(٢) معجم الأدياء : ٥٦/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٦٧/١ وجورجي زيدان ، مرجع سابق : ١٨١/٢ ونبذة الرواة : ١٢٨/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٢٧٢/٢ ، ٢٢/١ ، ١٢٣ - ١٢٤ .

وذكر ياقوت هذه علماء النحو والصرف في القرون الأربعة الهجرية :

أبو العباس أحمد بن محمد الملقب ولاد ، ت : ٣٠٢ هـ الذي ورث علم النحو عن والده الذي كان بصيراً في النحو ، وقد رحل ولاد من مصر إلى بغداد للأخذ عن الزجاج الذي كان يفضلّه عن أبي جعفر النحاس ، وكان الزجاج يثنى عليه لعلمه ، من مؤلفاته كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد وكتاب المقصور والمدود (١) .

أبو بكر محمد بن علي المراكبي كان حياً في : ٣١١ هـ اهتم بعلم النحو ، وقرأه على أبي إسحاق الزجاج ، من آثاره العلمية كتاب المختصر في النحو ، وكتاب شرح شواهد كتاب سيبويه (٢) .

أبو بكر محمد بن السري الملقب بابن السراج البغدادي ، ت : ٣١٦ هـ الذي صاحب المبرد وقرأ عليه كتاب سيبويه في النحو ، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين ، وقد أخذ عنه الزجاجي ، والسيرافي ، والفارسي وبذلك كان أحد علماء وأئمة النحو ، وإليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد ، من مؤلفاته كتاب الموجز في النحو وكتاب شرح كتاب سيبويه ذكر الزركلي أنها مطبوعان ، وكان إذا سئل عن مسألة فأخماً ويخه الزجاج ، قائلاً : مثلك يخطيء في مثل هذه المسألة الأمر الذي جعله يرجع إلى كتاب سيبويه وينظر في دقائقه (٣) .

أبو جعفر أحمد بن إسحاق التنوخي ت : ٣١٨ هـ كان من علماء النحو ، وكان ينتصر لمذهب الكوفيين ، من تصانيفه في علم النحو كتاب النحو على مذهب الكوفيين ذكر الزركلي أنه مطبوع (٤) .

(١) معجم الأدياء : ٦٠٣/١ وأدباء الرواة : ٩٩/١ وابن العماد : مرجع سابق : ٣٣٩/٢ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٧٣/١

(٢) معجم الأدياء : ٣٨٣/٥ والوافي بالوفيات : ١٢١/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٤٠/١ .

(٣) معجم الأدياء : ٣٤١/٥ وعمر رضا كدالة ، مرجع سابق : ١٩/١٠ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٥٢/١ - ١١١

(٤) معجم الأدياء : ٢٣٥/١ وسير أعلام النبلاء : ٢٦٩/٩ والوافي بالوفيات : ١٢٠/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٥/١ .

أبو زيد البلخي ت: ٢٢٢ هـ كان معلماً للصبيان ، ثم رفعه العلم إلى مرتبة عالية جمع بين التدريس لطلابه ، وبين تصنيف الكتب ، فله كتاب العلم والتعليم وهو من خلال مسماه يدل على أنه ذو قيمة تربوية ، يخدم أغراض التربية ومؤسساتها ، وله كتاب الأسماء والكنى والألقاب ^(١) .

أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي ت: ٢٢٤ هـ كان متصرفاً في بعض العلوم وفنونه مثل النحو وغيره من العلوم ، وقد كان مقبول الألفاظ في درسه ، ومع ذلك لم يعبأ بالتصنيف في كتب النحو ، مع أنه نادم ابن المعتز ، والمعتمد العباسيين ، وذلك لتأثره بالظروف السياسية السائدة في ذلك الوقت ^(٢) .

أبو الطيب محمد بن أحمد الوشاء ، ت: ٢٢٥ هـ كان يعلم النحو للعامة بمكته ويحترف التدريس من كتبه ، فله كتاب الجامع في النحو ^(٣) .

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ت: ٢٢٧ هـ أخذ علم النحو عن أبيه ، وتعلب وغيرهما وكان يتردد إلى أولاد الخليفة المكتفي بالله ، يعلمهم فقد كان أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً من آثاره العلمية كتاب الكافي في النحو ذكر الزركلي أنه مطبوع وله كتاب الأمثال والأضداد وكتاب الزاهر في النحو ذكر الزركلي أنهما مطبوعان ، وله كتاب الأمالي ذكر الزركلي أنه اطلع على قطعة منها كتبت في المدرسة النظامية وقد أملاها الأنباري على تلامذه ليكتبوها عنه ^(٤) .

أبو بكر محمد بن علي الملقب بميرمان النحوي ت: ٣٤٥ هـ كان من كبار علماء العربية ، أخذ عن المبرد ، والزمخشري ، وعنه أخذ الفارسي ، والسيوافي ، وكان ضيقاً بالأخذ عنه لا يقرأ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار ، من آثاره العلمية كتاب شرح شواهد كتاب سيبويه ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب التلخيص ذكر الزركلي أنه مطبوع ^(٥) .

(١) معجم الأدباء: ٣٧٥/١ والزركلي ، مرجع سابق: ١٣٤/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق: ٢٢٧/١ ، ١٤٤٠/٢ .

(٢) معجم الأدباء: ٣١٥/١ وسير أعلام النبلاء: ٥٤/١٠ وابن خلكان ، مرجع سابق: ٤١/١ .

(٣) معجم الأدباء: ٨٩/٥ والزركلي ، مرجع سابق: ٣٠٩/٥ .

(٤) معجم الأدباء: ٤١٠/٥ والرواق في اللغات: ٢٤٤/٤ وحاجي خليفة ، مرجع سابق: ١٤٢٢/٩١٧، ١٤٥٣ - ١٩٠٥ .

(٥) معجم الأدباء: ٢٧٩/٥ ورواق في اللغات: ١٠٨/٤ والزركلي ، مرجع سابق: ٢٧٣/١ .

أبو الحسن أحمد بن زكريا بن فارس ت: ٣٦٩ هـ الذي تخصص في علم اللغة والنحو وكان جل اهتمامه مع النحو، على مذهب المدرسة الكوفية، فكان يناظر أصحابه في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإذا وجد صاحبه بارعاً في علمه، جره في المجادلة إلى اللغة، فيغلبه فيها، من مؤلفاته كتاب الفصيح وكتاب تمام الفصيح، وله كتاب مقاييس اللغة ذكر الزركلي أنه مطبوع يقع في ستة أجزاء، وكتاب المجمل ذكر الزركلي أنه مخطوط، وقد وصف هذا المخطوط سنة ٤٧٩ هـ وأهدى هذا الوصف إلى مكتبة جامعة طهران، وقد طبع منه أجزاء صغيرة الآن^(١).

أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي ت: ٣٧٧ هـ كان من أعيان العلماء في النحو، تتلمذ على أبي علي الفارسي، وصنف كتباً أملاها على تلاميذه منها كتاب الجرمي. وقد رحل إلى بخارى لطلب المزيد من علم علمائها^(٢).

أبو القاسم الحسين الملقب بابن العريف ت: ٣٩٠ هـ أخذ العربية عن ابن القوطية وقد سكن مصر مدة ثم عاد إلى الأندلس فاختره صاحبها المنصور محمد بن أبي عامر (مؤدياً لأولاده، ومن آثاره العلمية كتاب شرح الجمل للزجاجي ذكر الزركلي أنه مخطوط في دار الكتب المصرية^(٣)).

تتبع:

تحدث لياقوت الحموي عن بعض علماء النحو والصرف في القرن الرابع الهجري موضحاً أهم مؤلفات هؤلاء العلماء، وأثر الظروف السياسية والاقتصادية عليهم، ومدى توافق الحياة العلمية بين المعلمين وطلاب العلم، والتي حصر شيخنا الكثير منها في مؤلفه (معجم الأدباء)، وقد لاحظ الباحث من خلال هذا العرض أن تفضيل طلاب العلم كان

(١) معجم الأدباء: ٥٣٤/١، ٥٣٥، وانباء الرواة: ٩٢/١، ٩٣، والزركلي، مرجع سابق: ١٩٣/١.

(٢) معجم الأدباء: ١٣٠/١، وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٦٦/١، والوافي بالوفيات: ٥٤/٥.

(٣) معجم الأدباء: ٦١٠/٣، وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ٦٧/٤، وحاجي خليفة، مرجع سابق: ٦٠٤/١، والزركلي، مرجع سابق: ٦٦١/٢.

يتم حيث قدراتهم العلمية ، وتفوقهم على سائر زملائهم بل أن الطلاب كانوا يذهبون مذهب شيوخهم في التعليم ، وينتصرون لمذهبهم أيضاً ، وذلك لأن علماء النحو والصرف في القرن الرابع الهجري لم يسيروا على منهج المدرسة البصرية والكوفية فقط ، بل نهجوا منهجا يخالفهما أحياناً ، كما يلاحظ أن العالم كان يوبخ المتعلم ويذره إذا أخطأ في مجلس التعليم ، ولا يمنعه من ضربه سوى سخريته زملائه منه ، وإهدار قيمته بين غيره من المتعلمين . وقد كان تقدم العلماء وطلاب العلم وتفوقهم ، مرتبطاً بالظروف السياسية التي يسير بها المجتمع الذي يقطنه هؤلاء العلماء متلاًزماً ذلك مع الصفات العلمية التي يتميز بها هؤلاء العلماء وطلاب العلم الأمر الذي يساعدهم على التقدم والتفوق والنبوغ ، وتأليف الكتب وتصنيفها . فقد جمع علماء ذلك القرن بين تأليف الكتب وبين التعليم لغيرهم من طلاب العلم بل كان ذلك القرن ميداناً لظهور التربية الخاصة ، التي منها تعليم الكبار أو العامة ، وهو ما يعرف في عصرنا الحالي بمحو الأمية وتعليم الكبار ، والذي استقبلته كليات التربية ، وفتحت له قسماً خاصاً من بين أقسامها الدراسية ، كما لازم ذلك العصر أيضاً ظهور نوع خاص من التعليم ، وهو ما يعرف في عصرنا الحالي بالتعليم الخاص ، من المدارس الخاصة . بل من الجامعات الخاصة . وقد أخذ هذا التعليم طريقه في القرن الرابع الهجري في صورة تعليم أبناء الأمراء والوزراء كتعليم خاص بعيداً عن أبناء العامة من أهل المدن التي سكنها العلماء وقد استخدم العلماء مع طلابهم بعض الطرق التربوية مثل : طريقة الإملاء من المعلم على طلابه حتى يكتبوا عنه ما يلقى عليهم .

كما نلاحظ أن علماء النحو في ذلك القرن كانوا يتقاضون الأجرة على تعليم النحو لغيرهم من المتعلمين ، فهذا يبرهان أن يقرئ كتاب سيبويه بمائة دينار ، أجرة مقابل تعليم ، بالإضافة إلى ذلك فإن بعض علماء النحو في ذلك القرن كانوا يهتمون بالتأليف وتصنيف الكتب أكثر من اهتمامهم بتعليم الطلاب وذلك بغية إرضاء الأمراء والوزراء وكذا سماع غيرهم من العلماء عن هذه المؤلفات والإفادة منها .

وذكر ياقوت هذه علماء النحو والصرف في القرن الخامس الهجري :-

أبو طالب أحمد بن محمد الملقب بابن السراج ت : ٤٠١ هـ كان عارفاً بالعربية قيماً بها . تعلم النحو عن أبي بكر الأنباري وترك من مؤلفاته في علم النحو كتاب مختصر في النحو . وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار ذكر الزركلي أنهما مطبوعان (١) . أبو القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي ت : ٤١٥ هـ الذي أخذ علم النحو عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي . وأبي الحسن الرماني . وكان مباركاً في التعليم . ومن آثاره العلمية كتاب شرح الإيضاح وكتاب شرح الجرمي (٢) . أبو علي أحمد بن محمد المروزي ت : ٤٢١ هـ الذي تتلمذ علي أبي علي الفارسي وكان معلماً لأبناء بني بويه . من تصانيفه كتاب شرح المفضليات ذكر الزركلي أنه مخطوط . وكتاب الأمالي قال عنه الزركلي مخطوط قطعة منه . وله في الصرف كتاب الأزمنة والأمكنة مطبوع في مجلدين (٣) . ولاحظ الباحث أن جهود علماء القرن الخامس كانت تنصب حول شرح كتب العلماء السابقين لهم .

وذكر ياقوت هذه علماء النحو والصرف في القرن السادس الهجري :-

أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني ت : ٥١٨ هـ الذي اهتم بتعليم النحو . وتصنيف الكتب في هذا العلم ومن مؤلفاته كتاب نزهة الطرف ذكر الزركلي أنه مطبوع . وكتاب السامي في الأسماء مطبوع أيضاً . وكتاب الهادي للشاذي قال عنه الزركلي أنه مخطوط في النحو . وله كتاب النموذج في النحو وكتاب مأوى الغريب ومرعى الأديب ذكر الزركلي أنهما مطبوعان . وكتاب شرح المفضليات أي أسماء التفضيل . وقد ذكر في كتابه نزهة الطرف عشرة أبواب . الأول : مقدمة التصريف . والثاني : أبنية الأسماء . والثالث : أبنية الأفعال . والرابع : في القاب الأنواع . والخامس : أبنية المصادر . والسادس : في الفاعل

(١) معجم الأبياء : ٤٢٧/٣ وبغية الوعاة : ٢٧٢/١ والزركلي : مرجع سابق : ٣١٠/٣ .
(٢) معجم الأبياء : ١٨١/٤ وعمر رضا كحالة : مرجع سابق : ١٤٤/٧ والزركلي : مرجع سابق : ٣١٠/٤ .
(٣) معجم الأبياء : ١٩/٢ والبناء الرواة : ١٠٠/٦ وبغية الوعاة : ١٥٩/١ والزركلي : مرجع سابق : ٣١٢/١ .

والسابع : في الحذف والزيادة ، والثامن : في القلب والإبدال ، والتاسع : في أحكام الهمزة والعاشر في حل العقد (١) .

أبو جعفر أحمد بن علي البيهقي ت : ٥٤٤ هـ كان إماماً في علم النحو والعربية ومن آثاره العلمية كتاب تاج المصادر في اللغة قال فيه الزركلي أنه مخطوط فارسي عربي ومنه نسخة في مغنسيا تحت رقم (٢٨٢٢) كتبت سنة ٩٦٢ هـ في مجلد واحد في ٢١٨ ورقة ، ومنه نسخة في الأزهرية (٨/٤) ، ونسخة في خزانة طلعت بدار الكتب ، وله كتاب يتابع اللغة قال عنه الزركلي أنه مطبوع (٢) .

أبو منصور محمد بن علي العتاني البغدادي ، ت : ٥٥٦ هـ كان ناسخاً من أهل بغداد وصدر للقراء ، فقد تصدر للقراءة (ليقراً عليه الناس) ، وكان يتنافس في خطه مع أهل العلم (٣) .

أبو محمد سعيد بن المبارك الملقب بالدهان ، ت : ٥٦٩ هـ كان عالماً من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين ، أخذ علم النحو عن الرماني ، وأقام بالموصل يقرأ الناس عليه علم النحو ، ويجانب ذلك صنف الكثير من الكتب فله كتاب فصول ابن الدهان في النحو وله كتاب العقود في المقصور والممدود ، وكتاب زهر الرياض يقع في سبعة مجلدات ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب الدروس في النحو قال عنه الزركلي أنه مخطوط في النحو بدار الكتب ، مصور عن شهيد علي (١/٢٣٤٩) ، وعليه شرح من تأليفه (٤) .

علي بن سليمان المعروف بحيدرة اليماني ت : ٥٩٩ هـ الذي اهتم بعلم النحو حتى كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علماً ونحواً ، من آثاره العلمية كتاب كشف المشكل في

(١) معجم الأدباء : ٢٥/٢ وابن السكيت : ٥٨/٤ ونبذ الرواة : ١٢١/١ والوافي بالوفيات : ١٢٧/٦ والزركلي : مرجع سابق : ٢١٤/١ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ١٨٥/١ - ٩٧٤ ، ١٠٤٣/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٥١٦/١ وتذكرة الحفاظ : ٩٨/٤ والزركلي : مرجع سابق : ١٧٢/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٧٥/٥ ونبذ الرواة : ١٨٨/٣ وابن خلكان : مرجع سابق : ٣٨٩/١ ، ٥٩٩/١ .
(٤) معجم الأدباء : ٣٨٠/٣ والوافي بالوفيات : ٨٥/١٣ والزركلي : مرجع سابق : ١٠٠/٣ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ٢١٢/١ - ٧٥٢ ، ٨٧٢ - ٩٦٠ .

النحو قال عنه الزركلي رأيت مخطوطته عند (محمد بن إبراهيم الكتاني) في الرياض وقد مدح مخطوطته بقوله : -

صنفت للمتأديبين مصنفاً سميته بكتاب كشف المشكل
سبق الأوائل مع تأخر عصره كنم آخر أئمة بفضل لأول
قيدت فيه كل ما قد أرسلوا ليس المقيد كالكلام لمسل (١)
وذكر ياقوت هذه علماء النحو والصرف في القرة السابع العجري : -

أبو عبد الغنى سليمان بن بئز الملقب تقي الدين الدقيقى ت : ٦١٣ هـ بالقاهرة
اهتم بالكتابة والتصنيف في علم النحو ، ومن مؤلفاته في هذا العلم ، كتاب فرائد الآداب
في قواعد الإعراب قال الزركلي عنه أنه مطبوع وكتاب لباب الألياب في شرح كتاب
سيبويه قال الزركلي أنه مخطوط الجزء الأول منه في خزانة (حسن حسنى عبد الوهاب
بتونس) ، وكتاب الأحكام الشوافي في أحكام القوافي قال عنه الزركلي أنه مطبوع (٢)
أبو نصر محمد بن سليمان بن قطرمش بن تركمان شاه ت : ٦٢٠ هـ الذي ظهر
إهتمامه بعلم النحو : ذكر الزركلي قول القفطى : رأيت مصنفه التبر المسبوك وهو من
حسان ما جمع في علم النحو وانتقل إلى وهو في ملكي وفيه فوائد جميلة ، صنعه لابن
صديقه (عبد الواحد بن مسعود المسمى : بالشريف أبي منصور (٣)
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسى السلمى الملقب بشرف الدين ، ت : ٦٥٥ هـ
اهتم بعلم النحو فرحل في طلبه من مرسية إلى الأندلس ، وزار خراسان وبغداد ، وأقام
بحلب مدى ويدمشق ، وانتقل إلى مصر سنة ٦٢٤ هـ ، من مؤلفاته كتاب الضوابط النحوية
في علم العربية وكتاب الكافي في النحو ذكر الزركلي أنهما من الكتب المطبوعة (٤)

(١) معجم الأدياء : ١٢٥/٤ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٠٥/٧ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٩١/٤ وحاجي
خليفة ، مرجع سابق : ١٤٩٥/٢ .
(٢) معجم الأدياء : ٣٩٢/٣ وبغية الوعاة : ٢٦١/١ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ٢٥٦/٤ والزركلي ، مرجع
سابق : ١٢٦/٣ .
(٣) معجم الأدياء : ٣٤٦/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ٩٢/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ١٥٠/٦ .
(٤) معجم الأدياء : ٣٥٠/٥ والواقى بالوفيات : ٣٥٤/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٢٢/٦ .

ومما سبق لاحظ الباحث أن علماء النحو في القرن السابع الهجري اهتموا بدراسة علم النحو، تعلموا وتأليفوا، وقد سار هؤلاء العلماء على نهج المتقدمين من العلماء فقد تشابهت مؤلفاتهم، بل أن أكثرهم قام بشرح وتوضيح المؤلفات التي كتبها العلماء من قبلهم، وكان بعض العلماء يكتب مؤلفاته بغية التقرب إلى الأمراء والوزراء، وذلك عن طريق إهداء هذه المؤلفات إليهم، ولم تتطور عملية الكتابة في القرن السابع الهجري كثيراً بل ظلت تخطو في خطى ثابتة ومنظمة، ولذلك فإن علماء القرن السادس قد ابتكروا بعض الطرق التربوية الجديدة في كتاباتهم، فقد رأينا ابن الحاج القنأوي الذي جعل عوامل الإعراب في جداول يسهل تناولها، ويسهل فهمها على الطلاب الدارسين لعلم النحو ومنه يمكن إكتشاف ما وقع في النص المكتوب من أخطاء، كل هذا وذلك بجانب الطرق التقليدية القديمة من الحفظ والإملاء، وكان هذا التطور في القرن السادس يهدف إلى إسباغ الطرق التربوية على التعليم في ذلك القرن.

ومن خلال عرضنا لعلماء النحو في القرن الأول حتى القرن السابع الهجري تبين لنا أن علماء النحو أدركوا أهمية علم النحو في حياتهم العلمية، فإنه من غير شك أن للنحو دوراً أساسياً واضحاً في كشف معاني النص الشرعي، إذ النحو أصل من أصول الدين، ومعتمد من معتمدات الشريعة، وما كان لباحث أن يتصدى للنظر في القرآن الكريم، والكتابة في أي علم من العلوم النقلية إلا إذا كان فقيهاً في علم النحو، وذلك لأن منزلة النحو في العلوم اللسانية، يتساوى ومنزلة الدستور من القوانين الحديثة، فهو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها فلن نجد علماً من تلك العلوم يستقل بنفسه عن علم النحو، أو يستغنى عن معاونته أو يسترشد بغير هداية.

وقد ذكر ذلك الدكتور جمال عبد العزيز في مقاله: (من المناظرات بين النحاة والفقهاء) بقوله: "مما اختص به علم العربية من الفضل أن كل علم يفتقر إليه، ولهذا

تنافس فيه جلة من العلماء وأعظم الفقهاء وتعلم النحو معرفته ضروري في تعلم الشريعة لأن مآخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة . وهي بلغة العرب . وقد نقلها من الصحابة والتابعين عرب . وشرح مشكلاتها من لغتهم . فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . ومن أهمها علم تقويم اللسان وهو النحو ^(١)

تاليا : علم اللغة :

ذكر ياقوت الحموي علماء اللغة في القرن الأول الهجري : -

أبو الأسود ظالم بن عمرو الملقب بالدؤلي والمعروف بالحاضري الجواب : ت : ٦٧ هـ واليه ينسب الفضل في وضع علم اللغة . فقد رفع إلى زيادة بن أبيه أن يضع علما يقوم به السنة الناس من الخطأ . وعلل ذلك بقوله : إنني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وفسدت ألسنتها . فقال له زياد لا تفعل . حتى جاءه رجل وقال له : لقد توفي أبانا وترك بنون فقال زياد . ادعولي أبا الأسود . فلما جاءه قال له : ضع للناس ما كنت تهيتك عنه . وقيل رسم له (علي بن أبي طالب) شيئا من أصول النحو فكتب فيه أبي الأسود . وأخذه عنه جماعة . وقد سكن الدؤلي البصرة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . ولم يذكر له ياقوت شيئا من مؤلفاته التي كتبها . وكذلك جل كتب التراجم لم تذكر له أيضا ^(٢)

وذكر ياقوت علماء اللغة في القرن الثاني الهجري : -

أبو عبد الله القاسم بن معن السعدي ت : ١٨٨ هـ كان من علماء الكوفة بالعربية واللغة . والثقافت في النقل واللغة . يناظر في كل فن أهله . وقد جالس أبا حنيفة وحدث عن عاصم . وأخذ عنه النحو واللغة . وكان الفراء كثير الرواية عنه . ومن آثاره العلمية التي ذكرها له شيخنا . كتاب النوادر وكتاب غريب المصنف ذكر الزركلي أنهما مطبوعان في علم اللغة ^(٣)

(١) جمال عبد العزيز أحمد . من الملاحظات بين النحاة والفقهاء . مجلة الأزهر . العدد السادس : أكتوبر/نوفمبر سنة ١٩٩٦ م ص ٨٨٩ .
(٢) معجم الأبياء : ٣٦٣/٣ وعمر رضا كحالة . مرجع سابق : ٤٧/٥ والوفاء بالوفاء : ١٢٧/١٤ وحاجي خليفة . مرجع سابق : ٧٧٠/١ .
(٣) معجم الأبياء : ٤/٥ وتذكرة الحفاظ : ٢٢٠/١ والصقل : ١٢٠/٣ والزركلي . مرجع سابق : ١٨٦/٥ .

وذكر ياقوت هذه علماء اللغة في القرن الثالث الهجري : -

أبو عبد الله محمد بن زياد الملقب بابن الأعرابي ت : ٢٢٢ هـ كان علامة باللغة من أهل الكوفة ، ويقول ثعلب شأهت مجلس ابن الأعرابي ، يحضره زهاء مائة إنسان يسألهم ويقرأ عليهم ويجيب من غير كتاب ، وقد اعتمد في تعليم طلابه على الإملاء ، فقد أملى على الناس ما يحمل على إبل ، وبهذا كان ابن الأعرابي من أئمة اللغة المشار إليهم في العلم ، ومن آثاره العلمية كتاب النوادر المفيدة ذكر الزركلي أنه مخطوط ، وكتاب الحيل وكتاب الألفاظ في علم اللغة ذكر الزركلي أنهما مطبوعان ، وله كتاب الأمثال السائرة في اللغة ذكر عنه الزركلي أنه مخطوط (١) .

أبو جعفر محمد بن حبيب ، ت : ٢٤٥ هـ كان مؤدياً لأهل بغداد ، وبجانب ذلك اهتم بالكتابة والتصنيف ، وكانت كتبه صحيحة ، وقد ذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب المحير قال الزركلي عنه أنه مطبوع ، وقد ينسب إليه فيقال المحيرى ، وله كتاب نقائص جرير والغزدي ذكر الزركلي أنه مطبوع وله كتاب أنساب الشعراء قال عنه الزركلي أنه مطبوع (٢) .

ومن خلال العرض السابق لاحظ الباحث أن علماء اللغة في القرن الأول الهجري اقتصروا على نشر علم اللغة بين المتعلمين دون الاهتمام بالكتابة والتأليف في هذا العلم بينما جمع علماء القرنين الثاني والثالث الهجريين بين تعليم طلابهم وبين الكتابة وتصنيف الكتب في علم اللغة ، وقد اعتمد علماء اللغة على طريق الإملاء في تعليم طلابهم وقد شهدت مجالس التعليم تزايد عدد المتعلمين في القرن الثالث الهجري بهدف الاضطلاع بهذا العلم .

(١) معجم الأدباء : ٣٣٦/٥ والوالي والوفيات : ٧٩/٣ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ٢٨٢/٥ وابن العماد مرجع سابق : ٧٠/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١١/١٠ والبغدادي ، مرجع سابق : ١٢/٢ والزركلي مرجع سابق : ١٣١/٦ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٤١٥/٢ - ١٤١٦ - ١٤٥٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٨٩/٥ وابن التميمي ، مرجع سابق : ١٠٦/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٧٨/٦ وحاجي خليفة مرجع سابق : ١٧٩/١ - ١٤٦٦/٢ - ١٤٧٣ .

وذكر ياقوت من علماء اللغة في القرن الرابع الهجري :

أبو محمد سلمة بن عاصم ت : ٣١٠ هـ كان عالماً بالعربية ، وتعلم على يد الكثير من علماء اللغة ، فقد أخذ عن خلف الأحمر وسمع منه كتاب العدد ، وأخذ عن سلمة بن يحيى ثعلب ت : ٢٩١ هـ وقد مدحه فقال : كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب حاذقاً بالعربية ، من آثاره العلمية كتاب السلوك في العربية قال عنه الزركلي أنه مخطوط (١)

أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ، ت : ٣٢١ هـ كان من أئمة اللغة وقد رحل في طلبها إلى عمان ، وعاد إلى البصرة ، ثم بغداد ، فأجرى عليه المقتدر العباسي خمسين ديناراً في كل شهر ، كأجرة مقابل تعليم أبناءه ، وقد ذكره شيخنا من المؤلفات كتاب الوشاح في الآداب وكتاب المقصورة الدريدية وقال عنهما الزركلي أنهما مطبوعان وله من الكتب أيضاً كتاب الجهرة وكتاب الحبل (٢)

أبو عبد الله اللقب بالزاهد المطرز ، ت : ٣٤٥ هـ كان عالماً باللغة ، وأحد أئمتها الكثيرين من التصنيف وقال عنه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي : لم يتكلم في اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عبد الله الزاهد فهو من تلاميذ ثعلب وقد أملى من حفظه نحو ثلاثين ألف ورقة ، من تصانيفه كتاب الياقوتة في اللغة وكتاب المدخل في اللغة الذي نشر في رسالة بمجلة المجمع العلمي وكتاب المرجان في اللغة وقد ذكر الزركلي أنهم من الكتب المطبوعة ، وله استدرارك على فصح ثعلب ، والعين ، والجمهرة فقد الحق بكل منهم جزءاً لطيفاً (٣)

أبو علي إسماعيل بن القاسم القنالي البغدادي ت : ٣٥٦ هـ ببغداد ، كان من أحفظ أهل زمانه في اللغة ، وإماماً فيها ، ومتقدماً متقناً لها ، وقد استفاد الناس منه

(١) معجم الأدياء : ٣٩٢/٣ وصرحاً كلمة : مرجع سابق : ٢٤٠/٤ وإليه الرجوع : ٦٢/٢ والزركلي : مرجع سابق : ١١٢/٣
(٢) معجم الأدياء : ٣٠١/٥ وابن تقي بردي ، مرجع سابق : ٢٤٠/٣ والسبكي ، مرجع سابق : ١٢٥/٢ وجورجي زيدان ، مرجع سابق : ١٨٨/٢
(٣) معجم الأدياء : ٣٩٣/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٥٠٠/١ والمخطوب البغدادي ، مرجع سابق : ٣٥٦/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ١٧٩/٤

وانخذوه حجة فيما نقله . وقد ألف في علمه هذا تأليف مشهورة تدل على سعة علمه ساعده في ذلك المستنصر بن الناصر . الذي رغبة في ذلك العلم وأكرمه . ومن مؤلفاته كتاب أمالي الغالي في الأخبار والأشعار ذكر الزركلي أن حجمه يبلغ نحو ثلاثة آلاف ورقة ويقول لا تعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله . وله كتاب البارع في اللغة وهو على حروف المعجم (١)

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأشبيلي اللغوي ت : ٣٧٩ هـ كان عالماً باللغة ولذا طلبه المستنصر بالله إلى قرطبة . حتى يؤدب فيها . فتعلم على يديه ولّى عهد الحكم هشام المؤيد بالله . ومن آثاره العلمية التي ذكرها له شيخنا كتاب مختصر العين قال عنه الزركلي أنه مخطوط . وقال عنه شيخنا لياقوت : إن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه وله كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية قال عنه الزركلي أنه مخطوط من مخطوطات في الفاتيكان تحت رقم (٥٢٦ عربي) وكتب سنة ٦٢٢ هـ (٢)

أبو علي محمد بن الحسن الملقب بالحاشي ت : ٣٨٨ هـ الذي جمع بين الأدب واللغة فقد روى عن أبي عمرو أخيراً في مجالس الأدب . وقد أخذ عنه ابن دريد . وكان من حذاق أهل اللغة . شديد المعارضة في هذا العلم . ومن مؤلفاته كتاب الضالّي العاقل وكتاب حلية المحاضرة قال عنه الزركلي أنه مخطوط في مجلدين . منه نسخة في القرويين بغاس برقم (٥٩٠) . وله كتاب مختصر في العربية ذكر الزركلي أنه مخطوط . وقد طبع جزء منه (٣)

(١) معجم الأدباء : ٣٠٤/٢ وسيل أعلام النبلاء : ٧٤/١ وعمر رضا كماله . مرجع سابق : ٢٨٦/٢ وإنباء الرواة (٢) معجم الأدباء : ٢٠٤/١ والزركلي . مرجع سابق : ٣٩١/١ وابن شاذان . مرجع سابق : ٥١٤/١ وابن العماد . مرجع سابق : ٩٤/٣ والزركلي . مرجع سابق : ٨٢/١ (٣) معجم الأدباء : ٣١٢/٥ والخطيب البغدادي . مرجع سابق : ٦١٤/٢ والزركلي . مرجع سابق : ٨٢/٦

تعقيب :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت (رحمه الله) قد تحدث عن أعلام علماء اللغة في القرن الرابع الهجري ، الذين اهتموا بتدريس علم اللغة لتلاميذهم ، بل والكتابة والتأليف في هذا العلم . وبذلك يذكر شيخنا ياقوت نوع من أنواع الكتاب المدرسي الذي تناوله علماء القرن الرابع الهجري . في الكتابة والتدريس ، وهو شرح كتابات العلماء . فإن كل عالم وضع كتابه ليفهم بذاته من غير شرح وإنما احتجج إلى الشرح لأن كمال مهارة المصنف تتمثل في قوة ذهنه وحسن عباراته فهو يتكلم على معان دقيقة بكلام وجيز يدل دلالة كافية على معرفة المطلوب . ولكن الذين يدرسون هذا الكتاب فهم ليس في مرتبته فربما عسر عليهم فهم بعض عبارات الكتاب . أو تعذر فهمها ، فيحتاج الأمر إلى زيادة بسط في العبارة لتظهر تلك المعاني الخفية . ومن هنا شرح بعض العلماء تصنيفات غيرهم من العلماء ، بالإضافة إلى أن المؤلف قد يهمل ذكر بعض القضايا المتعلقة بموضوع الكتاب فيكون في حاجة إلى الشرح لبيان هذه القضايا المهمة وتوضيح ما يمكن توضيحه في ذلك العلم . بل وترتيب بعض القضايا حتى تسائر تقدم العصر الذي يعيشه الشارح . كما أن المؤلف قد يضمن كتابه بعض العبارات المجازية البلاغية والتي تتضمن أكثر من تأويل فيكون على الشارح توضيح وبيان أغراض هذه العبارات وترجيح المناسب منها . كما أن الشرح قد يكون أحيانا حذفاً لبعض القضايا والعبارات المتكررة بغير ضرورة . ولذلك فقد ذكر ياقوت في تراجمه للعلماء الكثير من هذه الشروح التي قام بها بعض العلماء على مصنفات العلماء المتقدمين عليهم .

كما لاحظ الباحث كثرة اهتمام الأمراء والوزراء بتعليم أبنائهم في ذلك القرن لعلم اللغة مما جعل الكثير من العلماء يهتمون بتدريس هذا العلم ، بل ويتجهون إلى الإكثار من مؤلفاتهم فيه ، فقد كان بعض الحكام يطلبون العلماء من أماكن إقامتهم حتى يأتوا لتعليم أبنائهم كما فعل المستنصر العباسي . ساعد العلماء على ذلك وجود أكثرية عربية

في المناطق التي أرخ لها شيخنا ياقوت جعلت تعلم اللغة أمر ضروري ومهم بالدرجة الأولى لدى الأسر، وعلى وجه الخصوص الأوساط الفصيحة.

كل ذلك جعل العلماء يتجهون إلى كثرة الاختصارات في الكتب، حتى يسهل تعلمها لدى طلاب العلم، وبخاصة تعليم أبناء الأمراء والسلاطين، فقد كانت المختصرات لهذه الكتب من أجل التقريب إلى الحكام عن طريق تعليم أبنائهم. وذكر ياقوت عن علماء اللغة في القرن الخامس الهجري :-

أبو نصر إسحاق بن أحمد الملقب بالصغار، ت: ٤٠٥ هـ بالطائف، كان أحد أفراد زمانه في علم اللغة العربية، والمعرفة بدقائقها الخفية، وقد تلمذ عليه الكثير من أهل بغداد، ثم خرج إلى الطائف وبها توفي، وكانت رحلاته بهدف السماع من العلماء لمعرفة الكثير من دقائق علم اللغة، فقد سمع من الكنانى الكندى ت: ٣٢٧ هـ، وروى عنه التميمي البغدادي ت: ٤٤٤ هـ ومن آثاره العلمية كتاب المدخل إلى سيبويه وكتاب المدخل الصغير ذكر الزركلى أنه يقع في نحو خمسمائة ورقة^(١).

أبو عبد الله جعفر القزاز، ت: ٤١٢ هـ كان إماماً علامة قيماً بعلوم العربية رحل إلى مصر في خدمة العزيز بالله الفاطمي، وعاد إلى القيروان فتصدر لتدريس اللغة والأدب وكان من شاذج شعراء القيروان، وذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب الجامع في اللغة قال عنه حاجي خليفة هو كتاب معتبر غير أنه قليل الوجود، وله كتاب المثلث في اللغة ذكر الزركلى أنه مخطوط، وكتاب العثرات في اللغة ذكر الزركلى أنه مطبوع وكتاب أدب السلطان والتأديب له ذكر الزركلى أنه مطبوع يقع في عشرة أجزاء^(٢).

أبو غالب تمام بن غالب الملقب بابن التبان ت: ٤٣٦ هـ كان إماماً في اللغة والأدب، من أهل مرسية بالأندلس، من آثاره العلمية كتاب تلقيح العين في اللغة قال

(١) معجم الأدباء: ١٦٠/٢ والمزهر في علم اللغة: ٣٤٦/٢ والزركلى: مرجع سابق: ٢٠١/٢.
(٢) معجم الأدباء: ١٦٢/٢، ٢٨١/٥، والوفا في الوفيات: ٣٠٤/٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ٥١٤/١ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٥٧٦/١، ١٥٨٧/٢، ١٨٠٨، والزركلى: مرجع سابق: ٧١/٦.

عنه حاجي خليفة، لم يؤلف مثله، اختصاراً وإكثاراً، ومما يدل على فضل هذا الكتاب على غيره من كتب اللغة التي سبقته، أن الأمير بالجيش العامري ت : ٤٣٦ هـ أرسل إلى مؤلفه ألف دينار أندلسية، على أن يزيد في ترجمته لهذا الكتاب فرفض، ورد الدينار، وقال لقد جمعته لكل طالب عامة^(١) تعقيب :

لاحظ الباحث هنا أن لياقوت الحموي أرخ لقضية من قضايا التربية والتعليم في القرن الخامس الهجري وما قبله وهي قضية المعلم، وهي من أهم القضايا التربوية التي جمعها وأوضح لها كتابه (معجم الأدباء)، لا سيما وأن وظيفة المعلم من أشرف الوظائف، ذلك أن أشرف مخلوق على الأرض هو الإنسان، والمعلم يقوم بتعليم هذا الإنسان وتهذيبه وإرشاده، ومن ثم كانت وظيفته هي أشرف المهن، وأفضلها على الإطلاق ومن اشتغل بهنة التعليم فقد تقلد أمراً عظيماً، وقد ذكر لياقوت في ترجمة ابن التبان قوله أنه جمع الكثير من صفات المعلم المثالي في التربية، حيث أنه قام بوظيفته في كتابة المؤلفات حتى يتعلم منها طلاب العلم، ويرفض أن يأخذ على ذلك أجرة من الأمراء والوزراء، فهو يقوم بوظيفته بدافع إسلامي نبيل، وينشر العلوم والمعارف بدافع ابتغاء وجه الله - عز وجل - وقد صورت كتب التراث المعلم المثالي بالكثير من الصور الإسلامية فيذكر ابن جماعة أن المعلم المسلم المثالي هو الذي يقصد بتعليم طلابه وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل ودوام خير الأمة بكثرة علمائها^(٢).

(١) معجم الأدباء : ٣٦٠/٢ والزركلي : مرجع سابق : ٨٦/٢ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ٤٨١/١ .
(٢) ابن جماعة : تذكرة السليم والمتكلم نقلاً عن الفكر التربوي الإسلامي : ص ٣٩٤ - ٣٩٦ .

والعلم هو الذي يرغب طلابه في العلم ويحثهم على طلبه والإقبال عليه في أكثر أوقاتهم ، وذلك لا يكون إلا إذا رأى الطلاب عدم تدنى المعلم أمام هذه النقود ، وإضا يكون *بذكر ما أهد الله - تعالى - للعلماء من منازل الكرامات وأنهم ورثة الأنبياء* (١) .

استدراكه من الباحث علم التراجم التي لم يذكرها شيخه ياقوت :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت (رحمه الله) ، عند عرضه لتراجم العلماء في القرن الخامس الهجري ، قد أغفل علما من أعلام اللغة وأهل ذكره ألا وهو الإمام المتمكن المتبحر في علم اللغة : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ت : ٤٣٠ هـ وكان رحمه الله شيخ الأدب واللغة في عصره ، وإمام اللغة في زمانه ، له من المؤلفات المتعة الشيء الكثير ، ومن التصنيفات النافعة العدد الكثير ، وليس أدل على فضله وسعته علمه ، من كتابه العظيم فقه اللغة .

ولسنا ندرى في الحقيقة سببا يسوغ لشبخنا ياقوت عدم ذكره الثعالبي إلا أن نقول أنه ذهول منه عن الرجل ، وعدم توارده لقدره على خاطره حال الكتابة ، وكم لهذا من نظير في كتب التراجم ، فهذا ابن خلكان يغفل ترجمة ابن مالك صاحب الألفية ت : ٦٧٠ هـ رغم أنه قرينه ، وصديقه وكانت بينهما مودة وتراور ، ولم يكن شة تنافس يدفع ابن خلكان إلى إغفال ابن مالك .

وهذا الإمام العلامة الحافظ ابن كثير يغفل عن ذكر الإمام القرطبي صاحب التفسير في كتابه البداية والنهاية ، رغم أنه يلجج بذكره ، والنقل عنه في تفسيره بإسراف عودة إلى الإمام الثعالبي ولمحة عن كتابه فقه اللغة فهو كتاب مشهور متداول ، من معاجم المعاني التي يؤمها من يعرف المعنى ، ويريد الوقوف على اللفظ الذي يعبر عن هذا المعنى ، وقد جمع فيه الثعالبي أقوال أئمة اللغة ، وقد نسج هذه الأقوال حتى صارت عقدا واحدا يزين به جيد فكره اللغوي كل محب للغة القرآن (٢) .

(١) محمد عطية الإبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، الباب الحاشي ١٩٦٩ م ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .
(٢) حاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٢٨٨/٢ .

وقد حمل الثعالبي على هذا الكتاب حملاً من الأمير أبي الفضل الميكالي ، فهو صاحب فكرته والأمريه ، وقد أشار الثعالبي إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله " كانت تجرى في مجلس الأمير أبي الفضل الميكالي نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها وإطنافها وخصائصها مما لم يتنبهوا لجمع شمله ولم يتوصلوا إلى نظم عقده وإنما أتجهت لهم في أثناء التأليفات ، وتضاعيف التصنيفات فقال لي الميكالي ؛ ليس له إلا أنت فإن أخذت فيه أجزت وأحسنيت ، فقلت : سمعاً (١) .

وبذلك تلاحظ أن الثعالبي لم يأخذ مقابل مادي من الميكالي ، سوى طلب العفو والرضا والتقرب إليه .

وعن هذا الكتاب يقول " أمين فاخر " : لقد اختار الثعالبي مؤلفه اسماً يوافق مسماه ، ولغزناً يطابق معناه (٢) .

ويبدو أن الميكالي استمد تلك التسمية من أحمد بن فارس ت : ٣٩٥ هـ صاحب كتاب الصحاح في فقه اللغة فهو أول من سمي من العلماء فقه اللغة ، إذ لم يقف أحد الباحثين إلى الآن على أحد سمي بهذا من قبله (٣) .

وللثعالبي أيضاً كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وقد نوع فيه بين أهل الأدب واللغة والشعر في همدان والشام ومصر والعراق ، وأهل فارس وأهل خراسان وما وراء النهر ، وبذلك هو من أحسن الكتب الأدبية ، وأكملها بلاغة ونظماً (٤) .

وله كتاب سر الأدب في مجارى كلام العرب ذكر الأنباري أن الثعالبي جمع فيه بين كتابي فقه اللغة ، وسر الأدب وسماه فقه اللغة وسر العربية وأطلق عليه أحياناً اسم

(١) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، (مطبعة السورى ، ١٩٣٤ م ، ص ١٥ .

(٢) أمين فاخر ، دراسات لغوية : ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٧ .

(٤) حاجي خليفة ، مرجع سابق : ٩٨٥/١ .

شمس الأدب في استعمال العرب وقد ذكر ذلك بروكلمان وقال عنه : هو كتاب في الترايف ، ألفه وقد تقدمت به السن ، وقد جمع فيه بين أسرار اللغة وخصائصها ^(١) .

قيمة فقه اللغة العلمية : -

كان لهذا الكتاب أثره الذي لا ينكر في التأليف اللغوي بوجه عام ، ومن عرف له قدره من علماء اللغة السيوطي ت : ٩١١ هـ في مزهره ، فقد نقل عنه السيوطي فصولاً كاملة في المزهر في علم اللغة ، غير أن السيوطي أجاد فيه وابتكر في ترتيبه ، واخترع في تنويحه وتبويحه ، لم يسبق إليه ، وقد وصف السيوطي كتاب فقه اللغة بقوله : هو مجلد جمع فيه الثعالب فأوعى ^(٢) .

ويقول الزبيدي : أن كتاب فقه اللغة من الكتب التي اعتمدت عليها في تأليف معجم الجامع (تاج العروس من جواهر القاموس) ^(٣) .

وبذلك نلاحظ أن شيخنا قد أغفل موسوعة لغوية أفاد منه العلماء الذين كتبوا بعده في علم اللغة .

وذكر لياقوت من علماء اللغة في القرن السادس الهجري : -

أبو المظفر الأبيوردي ت : ٥٠٧ هـ الذي اهتم بعلم اللغة ، فيقول كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرن طبيبى على العربية ، وظل على ذلك حتى صار أوجده عصره وفريد دهره في معرفة اللغة ، وذكر له شيخنا لياقوت من آثاره العلمية كتاب الدرة النعمينة في اللغة ذكر الزركلى أنه مطبوع ^(٤) .

(١) الأبنباري : مرجع سابق : ص ٣٦٥ . وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، تحقيق عبد الطليم النجار : ١٨٨/٥ ، ١٨٩ .

وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٠٦٠/٢ - ١٦٦٠ .

(٢) المزهر في علم اللغة : ١٦٢٢/١ - ٢٦٨ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس : ٤/١ نقل عن : إحياء علوم الدين للغزالي : ١١٠/١ .

(٤) معجم الأدباء : ١٦٥/٥ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٨/٤ والمبكي ، مرجع سابق : ٦٦/٤ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٦٦/٥ .

أبو رشاد أحمد بن محمد الملقب بذي الفضائل ت : ٥٢٨ هـ كان فاضلاً بارعاً ، له الباع الطويل في معرفة اللغة ، وله ردود على جماعة من الفضلاء ، وكان يكتب في دواوين السلاطين ، من مؤلفاته كتاب الزوائد في شرح سقط الزند للمعري^(١) .
أبو سعد آدم بن أحمد الهروي ت : ٥٣٦ هـ كان يجتمع إليه أهل بلده ببغداد وعلمائها ليتعلموا منه ، فقد كان عالماً بأصول اللغة ، بل كان مالكا لرقاب اللغة (متمكن منها) .

أبو الفضل محمد بن أبي القاسم الملقب زين المشايخ ت : ٥٦٢ هـ كان إماماً في اللغة وحجة في لسان العرب ، أخذ علم اللغة والإعراب عن الزمخشري ، ثم بعد أن تمكن من علم اللغة ، جلس مكان الزمخشري للتعليم ، من آثاره العلمية كتاب تقويم اللسان ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب منازل العرب في الأدب قال عنه الزركلي أنه مخطوط^(٢) .
تعقيب :

من خلال ما قدمه الباحث من عرض بعض التراجم التي أوردها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) تبين للباحث أن شيوخه ياقوت أرخ للكثير من العلماء من حيث المهنة التي كانوا يقومون بها بجانب التعليم ، فذكر أن من العلماء من كان يشوب بصفة دائمة إلى مهنة التعليم بصفته معلماً ، يقوم بتعليم أهل المدينة التي يسكنها ، ومنهم من يقوم بالتعليم الخاص لأبناء الأمراء والسلاطين فهو مدرس ، أو معلم خاص بديوان (بلاط) السلطان .

وقد ذكر ياقوت بعض الوظائف التي شغلها هؤلاء العلماء ، ومن خلال عرض الباحث لتراجم العلماء تبين له أن نسبة الذين امتهنوا مهنة التجارة أو الحرف ، إزدادوا

(١) معجم الأدباء : ٢٨٢/٢ وإنباء الرواة : ١٣٢/١ ونبذة الوعاة : ١٦٢/٢ ومعجم البلدان : ١٥٠/١ وصدر رضا كماله
ميرجم سابق : ١٤٤/٢ والزركلي ، ميرجم سابق : ٢١٥/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٤١٥/٥ ونبذة الوعاة : ٩٦/١ والوفاء بالوفيات : ٣٤٠/٤ والزركلي ، ميرجم سابق : ٢٢٥/٦ .

خلال القرنين الثاني والثالث الهجري، وتدل التراجم على أن الحرف ومجالات التجارة تنوعت إلى حد كبير في هذين القرنين.

ففي القرن الثاني ظهرت بعض الألقاب مثل: الخياط، والسراج والصباغ والصفار، والمراكبي والتمار، والزجاج، والقطن (بائع القطن والحنطة والشعير).

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده حتى وفاة شيخنا ياقوت ظهرت بعض المهن الأخرى وضحت من خلال تراجم بعض العلماء، ومن هذه المهن: الجوهري أو الصانع والدهان والإسكافي والخفاف والحداد، والدياس بجانب ظهور بعض الألقاب العلمية مثل، ابن الفقيه، وزين المشايخ، والإمام، والعابد.

ثم يوضح شيخنا ياقوت أن هؤلاء العلماء لا يمكنهم الجلوس والتصدر لمجالس التعليم إلا بعد الأخذ عن مشايخهم، وأن تلحقهم الإجازة من هؤلاء العلماء حتى يجلسوا في أماكنهم لتعليم غيرهم من طلاب العلم، فكان على المعلم ألا يتصدى لمهنة التدريس إلا إذا أتقن ما يعلمه للطلاب وألا يستحى أن يطلب علماً يجهله أو يعترف بقصوره العلمي إذ لم يكن يعلم، بل عليه أن يسعى إلى تكميل نفسه علمياً، ولذلك فإنه لا ينتصب (المعلم) للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يقوم بالتدريس من لا يعرف هذا العلم^(١)، كذلك عليه أن لا يستنكف أن يستفيد مالم يعلمه، ممن هو دونه، منصباً أو نسباً فيكون حريصاً على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها^(٢).

ثالثاً: علم الأدب:

أرخ ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) لبعض العلماء الذين تحدثوا عن عامة أخبار الأعراب، ومجالس الأدباء، وصنفوا في هذا العلم، ودرسوا الكثير من هذه المؤلفات لتلاميذهم، وقد صنف الباحث هؤلاء العلماء حسب تاريخ الوفاة، كما تسير خطوات

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن التقي، بحث في التربية الإسلامية، (دار الفكر العربي، د.ت) ص ٧٨.
(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء الأول، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت) ص ١١.

البحث ، موزعاً ذلك على القرون الهجرية التي بها العالم ، فقد يكون نشاط العالم في قرن هجري ثم يتوفى في القرن اللاحق ، فيذكره الباحث في القرن الذي توفي به .
وذكر ياقوت هذه علماء الأدب في القرن الثاني الهجري : -

من خلال عرض الباحث لتراجم العلماء الذين أوردهم ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) لم يتعرض بالذكر لعلماء الأدب (الأدباء) في القرن الأول الهجري ، غير أنه ذكر الكثير من علماء الأدب الذين توفوا في القرن الثاني الهجري ومنهم : -

أبو عمر زياد بن العلاء الملقب بالإمام ت : ١٥٤ هـ بالكوفة ، كان يهتم بعامة أخبار الأعراب الذين أدركوا الجاهلية ، وأخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى ت : ٢٠٩ هـ والأصمعي ، ومعاذ بن مسلم النحوي ت : ١٨٧ هـ ، وكان أبو عمر أعلم الناس بالأدب وأيام العرب ، وكانت دفاتره ملاء بيته إلى السقف (١) .

ولاحظ الباحث هنا اهتمام أبو عمر بأخبار أهل الأدب عن الأعراب الذين اتخذوا لأنفسهم منهجاً خاصاً في التربية والتعليم لأبنائهم فقد " كانت التربية عندهم (في العصر الجاهلي) ترمى إلى إعداد النشء لتحصيل ما هو ضروري لحفظ الحياة مثل أبائهم في كسب العيش أو تخريج الأحداث في الصناعات والمهن المختلفة ، وقد كانت الأسرة في هذا النظام من أهل وسائل التربية عند العرب ، وقد تشاركها في ذلك العشيرة التي تجمع أفرادها أو أصر النسب وروابط القرابة " (٢) .

ولاحظ الباحث من خلال ترجمة شيخه ياقوت لأبي عمر أن هذه التربية لم يكن لها طرق معهودة ومحددة ، وإنما كان الأطفال يأخذون ما يصلهم من الآداب والأخلاق والمعارف عن طريق التقليد والمحاكاة ، ونصائح الآباء والأمهات ، وذلك بخلاف الخضر فقد كانت التربية عندهم واضحة عن طريق التدريس بمطرقه المختلفة (٣) .

(١) معجم الأدباء : ٣٤٧/٣ وابن خلكان ، معجم السابق : ٣٨٦/١ والزركلي ، معجم السابق : ٢٥٨/٧ ، ٢٧٢/٧ و ابن شاذان ، معجم السابق : ٤١/٣ .
(٢) عمر رضا كحالة ، معجم أدباء التربية والتعليم ، (مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م) ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٣) المعجم السابق : ص ٨٧ ، ٨٨ .

وذكر لياقوت هذه علماء الأدب في القرن الثالث الهجري : -

أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى العدوة اليزيدي ت : ٢٢٥ هـ ، كان عالماً بالأدب مجيداً وكان من ندماء المأمون العباسي ، له معه أخبار في مجالس أنسه ، وذكر له شيخنا لياقوت من مؤلفاته كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ابتداءً فيه وهو ابن سبع عشرة سنة ولم يزل يكتب فيه إلى أن أمت عليه ستون سنة ، وهو مخطوط في مكتبة كوبر ولوزاده أحمد باشا ، باستنول رقم (٢٢٧) ، والنسخة الجليظة عليها خطه ألفه في أكثر من أربعين سنة (١) .

أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن حمدون النديم : كان حياً في ٢٩١ هـ وقد عرف بشيخ أهل الأدب ، وهو أستاذ أبي العباس ثعلب ، وقد قرأ عليه ابن الأعرابي ، وتخرج عليه الكثير من طلابه ، وكان خصيصاً بالمتوكل العباسي ، وقد ناداه مده خلافته ، فحصل منه على مبلغ (٣٦٠.٠٠٠ دينار) ، ثم نادى المستعين ، فحصل منه أكثر مما حصل عليه من المتوكل ، من آثاره العلمية كتاب بنى عقيل وطني ، وكتاب ضوء المشكاة قال عنه الذركلي أنه مخطوط (٢) .

تعقيب :

لاحظ الباحث من خلال عرضه لبعض المواد الدراسية كفضية من قضايا التربية والتعليم التي ذكرها لياقوت في كتابه (معجم الأدباء) ، أن بعض الأسر كانت تهتم بتعليم الطلاب في الصغر ، فإن ذلك أجدى إلى أن يحصل الطلاب الكثير من العلوم لصفاء الذهن ، وخلو القريحة ، حتى أن بعضهم قال التعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالنقش على الماء ، وليس ذلك من قلة في العقل والذاكرة ، وإنما بسبب

(١) معجم الأدباء : ٢٢٨/١ وصدر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٢٦/١ والبناء الرواق : ١٨٩/١ والزرزكي ، مرجع سابق : ٢٩١/١ والخليلي البغدادي : مرجع سابق : ٢٠٩/٦ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٩٢/١ والواقعي بالوفيات : ١١١/٥ والزرزكي ، مرجع سابق : ٨٥/١ .

التشقت وعدم الانتباه ، وهذا بدوره يؤدي إلى قلة الفائدة العلمية ، وقد ذكر ياقوت ذلك في ترجمة أبو إسحاق العدوي الذي كتب الكثير وهو صغير السن .
بالإضافة إلى ذلك أن بعض العلماء كان ينتمي إلى وظائف خاصة في ديوان الأمراء والسلطين حتى يؤدبوا أبنائهم ، وينادىوا الأمراء في مجالسهم ، وعقب ذلك كله تصل هؤلاء العلماء أجرة مقابل تعليمهم هؤلاء الطلاب ، وتكون بمثابة التمويل لهم والإعانة على تأليف كتب العلم والتفرغ لهذا العمل .
وذكر ياقوت هذه علماء الأدب في القرن الرابع الهجري : -

أبو الحسن محمد بن أحمد المغربي كان حياً : ٣٥٤ هـ كان أحد الأئمة الأدباء والأعيان رحل إلى مصر والعراق ، وما وراء النهر ، وقد جالس الصاحب ، وروى عنه الأصفهاني وذكر من مؤلفاته كتاب الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبي ذكر الزركلي أنه مطبوع وله كتاب النبيه المنبئ عن رذائل المتنبي قال الزركلي فيه أنه مخطوط ، وله الرسالة المتعة ذكر الزركلي أنها مخطوطة في ورقات ، وله كتاب تذكرة النديم قال عنه الزركلي إنه مطبوع ، وكتاب بقية الانتصار المكثراً للاختصار (١) .

أبو إسماعيل بن القاسم الملقب بالقالي البغدادي ت : ٣٥٦ هـ كان أحفظ أهل زمانه بالأدب وقد رحل إلى العراق وأقام ببغداد سنة ٢٥ هـ ، ثم رحل إلى المغرب سنة ٣٢٨ هـ فدخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر ، وأخذ علم الأدب عن ابن دريد والأنباري ونفطويه ، وابن درستويه ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح قصائد المعلقات قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب الأمالي والمسمى بآمال القالي في الأخبار والأشعار ، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي (٢) .

(١) معجم الأدباء : ٨٦/٥ والوفاء بالوفاء : ٦٨/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٨/٩ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٤٢/١ وابن كثير ، مرجع سابق : ٢٦٤/١١ وسير أعلام النبلاء : ٧٤/١ والوفاء بالوفاء : ٢٠٤/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٢١/١ .

إسماعيل بن يحيى البزدي ت: ٣٧٥ هـ كان أحد الأدباء الفضلاء ، ومن مؤلفاته كتاب طبقات الشعراء ، وقد أنشد البزدي من الشعر ما يدعو إلى العمل بالعلم فمن كان عالماً ولم يعمل بهذا العلم لا ينفعه علمه ، حيث لا يفتدى به غيره ، ما دام هو غير عامل فيقول : -

من لم يكن عاملاً يعلم رواه لم ينتفع يعلم (١)

أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ت: ٣٧٧ هـ كان مجيداً في الأدب ، وقد صنف كتاب الفهرست وجود فيه واستوعبه استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون العلم وتحققه لجميع الكتب ، وذكر الزركلي عنه أنه مطبوع ، ومن أقدم كتب التراجم ومن أفضلها ، وقد كان النديم وراقاً (يبيع الكتب) ، وذكر الزركلي أن النديم صنف كتابه هذا سنة ٣٧٧ هـ وله كتاب التشبيهات (٢)

أبو عبد الله محمد بن الحسن المعروف بابن الكتاني ت بعد : ٤٠٠ هـ كان له مشاركة قوية في علم الأدب ، ففي رواية ابن أبار قال : هو من أهل قرطبة ، خدم المنصور وابنه المظفر ، وقال عنه عمر رضا كحالة : أنه أخذ عن عمر بن عبدون الجبلي ، وعن عمر بن يونس الحراني ، وعن سعيد بن فتحون ، ومسلمة المجريطي ، وروى عنه ابن حزم والمصنف ، وذكر له شيخنا ياقوت من المؤلفات كتاب محمد وسعدى قال عنه الزركلي أنه مليح في معناه ، وله كتابات ورسائل معروفة ، فائقة الجودة عظيمة النفع (٣) .

تعليق :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الأدب في القرن الرابع الهجري حصلوا الكثير من هذا العلم عن طريق الرحلة إلى العلماء والالتقاء بهم في مختلف الأمصار ، والأخذ عنهم

(١) معجم الأدباء : ٣١٤/٢ ونباه الرواة : ٢١٣/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١١٠٢/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٢٨/٥ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١١/٩ والوفاي : ١٩٧/٢ وهدية المارفين : ٥٥/٢ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٣٢/٥ والوفاي : ١٩٧/٢ ومعجم المؤلفين : ١٨٧/٩ والزركلي ، مرجع سابق : ٨٣/٩ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ١٥/١ .

وحضور مجالس العلماء والأمراء، الأمر الذي ساعدهم على كتابة الكثير من المؤلفات والتصانيف المشهورة التي تضم أبحاث علم الأدب.
وذكر ياقوت هذه علماء الأدب في القرن الخامس الهجري : -

أبو الحسن أحمد بن علي البقي الكاتب ت : ٤٠٣ هـ كان غاية في جمع خلال الأدب ، وكان يغلب عليه الظرف والمجون في الكتابة ، فقد كتب للقادر بالله العباسي ونادم الوزراء ، وكان لا يكمل أنسهم إلا بحضوره ، من مؤلفاته كتاب القادري وكتاب العميدى وكتاب الغفري^(١) .

أبو الريحان البيروني ت : ٤٢٣ هـ الذي اهتم بالإطلاع والقراءة والتأليف فكان لا يرى إلا مكبا على تحصيل العلوم عاكفا على تصنيف الكتب فكان لا يفارق يده القلم ولا عينه النظر ، ولا عقله التفكير ، ولذا قضى معظم حياته في كشف قناع العلوم ، وقد تعددت مؤلفات البيروني ، فضمت الكثير من أنواع العلوم اللغوية ، فلم يقتصر في همه على مدارس العلوم العقلية ، بل تناول الآداب بالكتابة والتصنيف ، ونذكر من مؤلفاته الأدبية كتاب شرح شعري تمام قال الزركلي عنه أنه لم يتمه ، وله كتاب المسامرة في أخبار خوارزم وكتاب مختار الأشعار والأثار ذكر الزركلي أنهما مطبوعان^(٢) .

أبو المطاوع محمد بن الحسن الملقب وجيه الدولة ت : ٤٢٨ هـ بمصر ، كان أديبا فاضلا ولي إمارة دمشق سنة ٤١٢ هـ ، ثم عزل ثم وليها سنة ٤١٥ هـ ، وتقلد إمارة الإسكندرية وأقام بها سنة ثم رجع إلى دمشق^(٣) .

أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني ت : ٤٣١ هـ كان متمكنا في علم الأدب وقد دخل بغداد طالبا لعلم الأدب ، مع تحققه بالأدب ، ومع ذلك روى كثيرا منه^(٤) .

(١) معجم الأدباء : ٤٨١/١ ومعجم المؤلفين : ٣١٩/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ٣٢٠/٤
(٢) معجم الأدباء : ١٢٣/٥ - ١٢٦ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ وعلى الشحات ، أبو الريحان البيروني (حياته ومؤلفاته - أبحاثه العلمية) تقديم د/ عبد الحليم منتصر (دار المعارف ١٩٦٨ م) ص ٦٨
(٣) معجم الأدباء : ٣٢٥/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٧٦/١ فهرستباء الرواة : ٢٦٤/١
(٤) معجم الأدباء : ٥٦/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٨٥/٥

أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي ت: ٤٥٠ هـ كان أديباً غزير مادة العلم كتب الكثير من الكتب في علم الأدب ومن مؤلفاته كتاب الصحاح قال فيه الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب ديوان الأدب قال عنه القفطي : إن أبا إبراهيم الفارابي هو مصنف هذا الكتاب الذي يعد ميزان اللغة ومعيار الكلام ، وهو مخطوط من نسخة في خالدية القدس كتبت سنة ٥٨٨ هـ ، ونسخة كتبت في سنة ٦١١ هـ في حلب في مكتبة مغنسيا رقم (٢٨٢٤) ، وقد وضعه على ستة فصول ، ويقول عنه حاجي خليفة ، أنه كتاب متميز على خمسة أقسام ، وقد ألفه بمدينة زبيد ، ومات قبل أن يروى عنه وقد لخصه وهذبه حسن بن مظفر النيسابوري ت: ٤٤٢ هـ (١).

أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم الملقب بالخيري ت: ٤٧٦ هـ كان عالماً بالأدب ، من فقهاء الشافعية ، ومن آثاره العلمية كتاب شرح ديوان الحماسة قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب شرح ديوان النحوي وكتاب شرح ديوان المتنبي قال الزركلي أنهما مطبوعان وكان الخيري حسن الخط (٢).

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الأدب في القرن الخامس الهجري كانوا أكثر نشاطاً في التأليف والكتابة في علم الأدب ، فقد رحلوا إلى مختلف الأمصار الإسلامية بهدف التزود من علماء هذه الأمصار ، بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء جمعوا بين تولي المناصب السياسية والإمارات الإدارية وكانت هذه المناصب لا تمنع صاحبها من الكتابة الأدبية ، بل كانت مجالس الأمراء والوزراء غاصت بعلم هؤلاء الأدباء ، أصحاب المناصب السياسية .

(١) معجم الأدباء: ١٥٩/٢ : والقبلي: ٨٨/٢ والزركلي ، مرجع سابق: ٣١٣/١ ، ٢٩٣/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق: ٤٨/١ - ٧٧٤ ومجلة المجمع العلمي: ٥٠٧/٢٢ .
(٢) معجم الأدباء: ٤٤٢/٣ ومعجم المؤلفين: ١٧/٦ وابن تفرى بردي ، مرجع سابق: ١٥٩/٥ وحاجي خليفة ، مرجع سابق: ٦٩٢/١ - ٧٧٩ والزركلي ، مرجع سابق: ٦٣/١ .

وذكر ياقوت هذه علماء الأدب في القرن السادس الهجري : -

أبو إسماعيل الحسين بن علي الملقب مؤيد الدين ت : ٥١٦ هـ الذي فاق أهل عصره بصنعة النثر والنظم ، وكان ينعت بالأسنادر . من مؤلفاته كتاب الإرشاد للأولاد (١)
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي ت : ٥٢٩ هـ بالمهدية . الذي حصل من الأدب ما لم يدركه كثير من الأدباء . وقد أقام بمصر عشرين عاماً ، ومن آثاره العلمية كتاب الحقيقة في الأدب وقد نسجه على منوال البتيمة ، وله ديوان أمية ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب الرسالة المصرية ذكر فيها ما رآه في مصر من آثارها ، وله رسالة في الموسيقى قال عنها الزركلي أنها مطبوعة ، وله كتاب طبقات الشعراء صنعه في شعراء العصر الحكيم (٢)
تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن الكتابة الأدبية قد أخذت طريقها إلى الظهور والتطور ، فقد أخذت الكتابة الأدبية في قوتها وتطورها مع بداية العصر العباسي الثاني الذي بدأ سنة ٢٢٤ هـ حيث سقطت بغداد في يد البويهيين وخضعت الخلافة العباسية لسلطانهم ، وكان لابن العميد جهود جبارة في ازدهار الكتابة من حيث الاهتمام بالمعنى إلى جانب اللفظ ، واستعمال السجع القصير الفقرات والاعتدال في استعمال بعض أنواع البديع بغير إفراط أو تقصير ، والاقتباس من كلام البلغاء والحكماء ، والإسناد إلى الحكم المأثورة ، وقد حاول ابن العميد السير على طريقة الجاحظ في الكتابة ، ونجح في ذلك بسبب ثقافته الأدبية والعلمية وموهبته في كتابة الرسائل ، وحفظ اللغة ودواوين الشعر الأمر الذي جعل من هؤلاء المعاصرين له كتاباً من أعظم كتاب العربية ، وأرفعهم منزلة في صناعة الكتابة ، ومع القرن الرابع الهجري شارك الكثير من العلماء في هذه المكانة الأدبية

(١) معجم الأدباء : ١٥١/٣ والوافي بالوفيات : ١٥٩/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٤٦/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٣١٢/٢ ومعجم المؤلفين : ٣١٢ وابن العماد ، مرجع سابق : ٨١/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٢/٢

والأساليب القوية في الكتابة ومنهم : التوحيدى والصاحب وقد امتد تأثير هؤلاء إلى القرن الخامس الهجرى .

ومع القرن السادس الهجرى ظهرت مجموعة من الكتاب لهم الشهرة والعطاء في هذا الفن ، وكان من بين أعلام القرن السادس الهجرى في الكتابة لياقوت الحموي الذي تجدد حوله هذه الدراسة وحول كتابه (معجم الأدباء) غير أن الكتابة مع هؤلاء العلماء أخذت صورة جديدة في الأسلوب والطريقة فقد أخذت الكثير التكلف والإكثار من المحسنات البديعية ، واستعمال المجاز اللغوي ، والصناعة اللفظية من الجناس والتورية والعلياق والسجع .

ومنه نستطيع أن نقول أن لياقوت الحموي ومن خلال عرضه لعلماء الأدب في القرن الثامن الهجرى حتى القرن السادس الهجرى في كتابه (معجم الأدباء) أنه كان من المهتمين بقضايا التربية والتعليم ، وظهر ذلك من اهتمامه بالأدباء وذكر الكثير من المؤلفات والتصانيف التي يثر بها كتابه (معجم الأدباء) . ولذلك يصلح هذا الكتاب أن يكون من بين الكتب التي تناولت تاريخ التربية ، وعلوم التراث والتي من بينها علم الأدب وذلك من خلال ما عرضه وقدمه من العلماء وكتاباتهم القصصية والمقامات والرسائل حيث أجاد لياقوت في الكتابة وأعطاهما كل اهتمام وعناية ، ولا زالت مؤلفاته تشهد بنبوغه وتفوقه في هذا الفن ، حيث أنه عاش في العصر الثاني العباسي فانعكست عليه بعض ملامح هذا العصر في التكلف بقيود الصنعة والنثر ، والالتزام بالسجع والتعبير عن المعنى الواحد بجمل متعددة .

نابعا : يتفرع عن علم الأدب بعض أفرع العلوم الدراسية من العلوم العربية مثل (الشعر - وعلم العروض (موسيقى الشعر والقافية) : -

وقد ضم معجم الأدباء الكثير من الشعراء الذين أنشدوا الشعر للتقريب إلى الأمراء والوزراء ، وبين الذين أنشدوا الشعر من أجل الحصول على المال ، وسوف يتناول الباحث

كل من هؤلاء الشعراء حسب القرن الهجري الذي توفي فيه متبعا في ذلك منهج الدراسة وهو المنهج التاريخي، الذي يقتضي التاريخ مثل هؤلاء الشعراء وعلومهم. وقد ذكر ياقوت هؤلاء الشعراء في القرن الثاني الهجري :-

أبان بن عبد الحميد الملقب بالرقاسي ت : ٢٠٠ هـ كان شاعرا من أهل البصرة اتصل بالبرامكة في بغداد فأكثر مدحهم ، وخص به الفضل بن يحيى ، واهتم بالشعر التعليمي فنظم كتاب كليلة ودمنة وكتاب سيرة أردشير وكتاب سيرة أنوشروان وعن طريقهم اتصل بالرشيد فكان من شعرائه ، وقد استمر شعر الفلسفة والشعر التعليمي بعد ذلك في العصر العباسي الثاني على لسان ابن الجهم ، وابن المعتز (١) . وذكر ياقوت هؤلاء العلماء القدر في القرن الثالث الهجري :-

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت : ٢٠٤ هـ الذي خرج إلى اليمن ، وخص نفسه فيها بعلم النحو والغريب والشعر ، ويقول المبرد : كان الشافعي أشعر الناس وأكثرهم معرفة بالأدب ، وأعرفهم بالفقه والنحو ، فقد كان من أحذق الناس بقول الشعر وأيام العرب ، ومن آثاره العلمية كتاب فضائل قريش ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب أدب القاضي وكتاب السبق والرمي ذكر الزركلي أنهما مطبوعان .

وقد كان الشافعي شاعرا من شعراء الزهد والتصوف والمناجاة النبوية حيث يقول :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لسي إن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاص (٢)

أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت : ٢١١ هـ كان مهتما بالعروض بعد الفراهيدي الذي عاش في القرن الثاني ، وزاد الأخفش في العروض باب الخبيب ، وذكر له شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب القوافي قال عنه الزركلي أنه مخطوط في دار الكتب

(١) معجم الأبياء : ٩٢/١ وخزاعة الأبياء : ٤٥٨/٣ وابن النديم ، مرجع سابق : ١٢٤/١ وابن تقي ، مرجع سابق : ١١٧/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ١٢٤/١ .
(٢) معجم الأبياء : ٩١/٥ ومعجم المؤلفين : ٣٦٦/١ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٦٥/١ وتلخيص التهذيب : ٢٥/٢ وفزركلي ، مرجع سابق : ٢٦/١ .

المصرية . مصور عن جسين شلى ٣٣٠ بيتاً . وله كتاب أبيات المعاني ذكر الزركلى أنه مخطوط . وله كتاب معاني الشعر قال عنه الزركلى أنه مطبوع^(١) .
أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم ت : ٢٣٦ هـ كان راوياً للشعر حافظاً للأخبار . ومن أكثر أهل عصره أدباً وطرفاً وعلماً . ومن مؤلفاته كتاب النغم والإيقاع ذكر الزركلى أنه مطبوع . وله كتاب قبان الحجاز أو القبان وكتاب الرقص والزفر وكتاب الاختيار من الأغاني ألفه للوائق^(٢) .
تتبعه :

مما سبق لاحظ الباحث أن شعراء ذلك القرن قد تأثروا بما حدث من المهاجرين حينما استقبلوا رسول الله (ﷺ) . من الغناء والتهليل . وإقرار النوى (ﷺ) للغناء يجلسه وبذلك جمع هؤلاء الشعراء بين شعر الموسيقى الغنائية (كتاب الأغنية في العصر الحالي) وكذلك شعر المديح . وقد اهتم هؤلاء الشعراء بالعروض والقافية في شعرهم . ويحانب ذلك ظهر نوع آخر من الشعر في ذلك القرن وهو شعر الزهد والتصوف والمدائح النبوية وعنه يقول شوقي ضيف ظهر هذا النوع من الشعر منذ ظهور الإسلام . ويعد الزهد والتقصيف من صميم حياة المسلم في طيبات الحياة ومتاعها وهو إقبال يوازن فيه المسلم بين عبادة ربه وترك المعاصي وبين السعي لرزقه^(٣) .

وقد رأى الباحث أن يذكر بعض الآراء حول الشعر " فقد كان موقف الرسول (ﷺ) لاتلاف في تفسيره . فقد جاء الحديث مؤيداً جانباً من جوانب الشعر في قوله (ﷺ) : إن من الشعر لحكمة^(٤) . صحيح أن صيغة تقرير الشعراء جاءت عامة في القرآن الكريم^(٥) .

(١) معجم الأدباء: ٣٨٥/٣ ومن شاعر الكتب: مرجع سابق: ٢٥٤/٣ والوفى بالوفى: ٨٦/٣ وسير النبلاء: ١٨٨/٧ .
(٢) معجم الأدباء: ١٥٥/٢ ومعجم المؤلفين: ٢٧٧/٢ وكتاب الرواة: ٢١٥/١ والأصناف: مرجع سابق: ٢٦٨/٥ .
(٣) الزركلى: مرجع سابق: ٢٩٢/١ .
(٤) شوقي ضيف: مرجع سابق: ص ٤٠٥ .
(٥) ملكة لؤيس: مرجع سابق: ص ٢٢٦ .
(٦) القرآن الكريم: سورة الشعراء: الأيات (٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥) " والشعراء يتبعهم الغفول " ثم تر أنهم في كل واد يهيمون . ولهم يقولون سالا يطعون " .

وقد روى جميع الشعراء هذا الحديث الذي ذكره النبي (ﷺ) ، والرسول (ﷺ) لم يترك سلاح الخطابة والشعر في أيدي خصومه يستغلونه للهجوم عليه وعلى المسلمين بل رأى من الضروري توجيهه لدعم الحق ، ولذا أمر بوضع منبر في المسجد لشاعره حسان بن ثابت ، يلقي منه قصائده في مدح الإسلام والمسلمين ، وهجاء الشرك والمشركين وقد سار الخلفاء الراشدون على خطى الرسول (ﷺ) ^(١) .

وذكر ياقوت الحموي عن علماء الشعر في القرن الرابع الهجري : -

أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالفجع ت : ٣٣٠ هـ الذي اهتم بشعر المديح فكان شاعراً من أهل البصرة ، ومن آثاره العلمية كتاب قصيدته المسماة ذات الأشباه الذي تناول فيه أخبار الأنبياء ، ففي رواية الرازي بن معمر الزهري قال : إن النبي (ﷺ) قال وهو في محفل من أصحابه : إن تنظروا إلى آدم في علمه ، ونوح في همه ، وإبراهيم في خلقه ، وموسى في مناجاته ٠٠٠ الخ ، فأنظروا إلى هذا المقبل فإذا هو على بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وقد مدحه المفجع بقوله :

أيما لائمي لحبى علياً قم ذميماً إلى الجحيم خزياً
أخيراً الأنام عرضت لأزلت مسذوباً عن الهدى مزويماً ^(٢)

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصائغ ت : ٣٨٤ هـ كان نابغة كتاب جيله ، وقد مال إلى الأدب فتقلد دواوين الرسائل ، والمظالم ، والمعارف تقليداً سلطانياً ، في أيام المطيع لله العباسي ، ثم قلده المعز ديوان رسائله سنة ٣٤٩ هـ ، ولذا عرف بأنه من شعراء الوزراء ، ويشعره فتحت له الأبواب ، وأعجب به الوزير المهلبى ، فأحضره مجالس أنسه وقلده ديوان رسائله ، ونكر له شيخنا ياقوت مختارات من رسائله في مجلدين ، وكانت أشعاره مطبوعة بطابع الحسنات البديعية ، وفيها يقتبس من آي القرآن الكريم ، ويضمنها

(١) ملكة البيض ، مرجع سابق : ص ٢٢٦ .
(٢) مجمع الأدباء : ١٣٧/٥ ومجمع المولدين : ٢٧٩/٨ والثماني ، مرجع سابق : ١٢٩/٢ والواقعي بالوفيات : ١٢٩/٢ والأزركلي ، مرجع سابق : ٣٠٨/٥ .

أحاديث نبوية في بعض الأحيان ، وكان يحمل أشعاره بالفكاهة التي تدل على ظرفه ولذا قرب من نفوس معاصريه ، وله كتاب التاجي في أخبار بويه ، وكتاب الهفوات النادرة ذكر حاجي خليفة أنه طبع ونشر عن طريق المجمع العلمي العربي بدمشق^(١) .
تتبع :

مما سبق لاحظ الباحث أن القرن الرابع الهجري ظهر فيه نوع من أنواع الشعر وهو الشعر العلمي ، أو الشعراء المتفلسفة ، وقد كثر على السنة هؤلاء المتفلسفة منذ الكندي أنهم نظموا معارفهم الفلسفية وغيرها في أبيات من الشعر ، بل تعرضوا للحديث عن النفس والجسم والعلاقة بينهم في الحياة وبعد الممات ، فهذا ابن النفيس أحد متفلسفة القرن الرابع يقول : -

في النفس والجسم إن فكرت معتبرا	بل دون ذلك ضل الرأي والفكر
وحار كل لبس في اتحادهما	وتلك عين وهذا حكمه الأثر
يا ليت شعري إذا الأبدان أضمرها	يد البلى وحواءها الترب المدر
هل للنفس التفات نحو عالمها	كما تلفت حول المركز الحجر
ليحصل القسور في دار الخلود لها	وتلتقي دونها الآفاق والغير ^(٢)

فهذه الأبيات تعرض مشكلة الخلود بعد الموت ، فتتحدث عن النفس وهل هي تغني أم الجسد فقط ، وهذه المسألة حارت فيها الإلهام والعقول غير أن هذه الأبيات قد جعلت الحكم في النهاية للواحد الأحد .

كما لاحظ الباحث من خلال عرضه للشعراء في القرن الرابع الهجري أن الأمراء والوزراء اهتموا بقيمة التراث ، وبصفة خاصة خلفاء بني أمية ، فكانوا ينصحون الشعراء والمؤدبين بالعناية بالحكم والأمثال والأشعار التي تمجد الفضائل الفردية والجماعية ، وعن

(١) مجمع الأدباء : ٢٠/١ ومجمع المثلثين : ١٢٤/١٠ وابن تغري بردي : مرجع سابق : ٣٢٤/٣ ولبيد الرواق : ٧٠/١ والزركل : مرجع سابق : ٧٨/١ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ٢٧٠/١ وابن السكيت : مرجع سابق : ١٠٦/٣ .
(٢) ابن خلكان : مرجع سابق : ٥٢/١ .

الابتعاد عن الأقوال الخارجة والأشعار التي تنافي الحشمة والفضيلة ، ولذلك كان ولاة بني أمية يحثون الناس على تعلم العربية ويبينون لهم الصلة الوثيقة بينها وبين التعليم الصحيح للقرآن . وقد ذكرت ملكة أبيض في رسالتها استشهادات من كتاب تاريخ ابن عساكر فقالت " كان الغزاري والي عمر بن عبد العزيز على الجزيرة يقول : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وعقلهما واحد ومروءتهما واحدة أحدهما يلحن ، والآخر لا يلحن . إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن ^(١) .

وبذلك حرص الأمراء والوزراء ، وأحياناً الخلفاء على إحاطة أنفسهم بمستوى رفيع وجعلوا مجالسهم أشبه ما تكون بالندوات الفكرية . وعندما دخل الغناء إلى بعض مجالس الوزراء كانوا ينظرون إليه على أنه يزيد الشعر جمالا ووقعا في النفوس .

وقد ظهر في ذلك القرن الكثير من أنواع الشعر وعلماؤه مثل : شعرا المديح وشعرائه وكان العباسيين يكثرون العطايا للشعراء ، حتى يكثروا هم من قصائد المدح ، بل أكثر من ذلك كان الوزراء يعينون الشعراء في وظائف حكومية عامة ، بل وظائف سياسية خاصة وقد تعرض شعراء ذلك القرن للحديث عن بعض القضايا الخلافية بين علماء المسلمين وذلك حتى يصلوا إلى بيان فيها .

وذكر ياقوت هذه علماء الشعر في القرن الخامس الهجري : -

أبو سعد محمد بن أحمد الملقب بالعميدى ت : ٤٣٣ هـ الذي سكن مصر وتولى ديوان الترتيب ، وديوان الرسائل ، وكان يزن ما يلقى من الشعر عروضيا ، ومن مؤلفاته كتاب العروض والقوافي وكتاب الإبانة عن سرقات التنقيص ذكر الزركلى أنهما مطبوعان ^(٢) .

(١) ملكة أبيض ، مرجع سابق : ص ١٥٠ نقلا عن تاريخ دمشق : ١٣٧/١٣ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٠/٢٢ ومعجم المؤلفين : ١٣/٩ وابن شاذان الكشي ، مرجع سابق : ٧٦/٢ .

وهو مختلف عن (أبن العميد، أبي الفضل محمد بن الحسين ت: ٣٦٠ هـ) الذي كان مهتماً بعلم العروض، وكان مثقفاً ثقافة واسعة فهو من أئمة الكتاب، ولذا لقب بالجاحظ الثاني في أدبه، قال الثعالبي: بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد^(١).

وكان شعره رقيقاً، اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، وقد حفظ من أشعار العرب ما لم يحفظه غيره، وعلى يديه تخرج عضد الدولة، ومنه تعلم محبة العلماء، ومن مؤلفاته كتاب البلاغات قال عنه الزركلي أنه مخطوط، من إنشائه يقع في ثمانى وقرات في رسالة رقم (١٦٦٧) يعنيسا، وله مجموع من الرسائل ذكر الزركلي أنه مخطوط في مجلد ضخم^(٢).

تعقيب:

مما سبق لاحظ الباحث أن ذلك القرن اتسم بالكتابة الإنشائية، وتعلم الطلاب عن المعلمين، هذا النوع من أنواع الكتابة والأشعار، ونشطت كذلك الترجمة من الفارسية إليها.

وذكر لياقوت عن علماء الشعر في القرن السادس الهجري :-

أبو محمد القاسم بن علي الحريري ت: ٥١٦ هـ كان يسكن البصرة، ويختلف إلى علماء عصره يأخذ عنهم الأدب، حتى أصبح غزير العلم، عكف على الأدب واللغة، فكتب مجموعة من الرسائل وآيته الرائعة المقامات وله كتاب درة الغواص في أوهام الخواص ذكر الزركلي أنه مطبوع، سجل فيه ما يشيع على ألسنة العامة، وقد بالغ في ذلك حتى عد بعض الكلمات الفصيحة غير صحيحة ويذكر ابن تغري بردي قوله: "كان الحريري لا يبارى في الأدب والبلاغة والفصاحة، وتعد مقاماته آية براعته، التي ليس لها لاحقة

(١) شوقي شريف، مرجع سابق، ص ٦٥٥ والوالهي، لياقوت: ٣٨٣/٢ وأبو حيان التوحيدي، مرجع سابق: ٦٦/١
(٢) معجم المؤلفين: ٢٥٧/٩ والزركلي، مرجع سابق: ٩٨/٦.

ممثلة ، وكأنها أغلق الأبواب بكلتا يديه بعده ، فلم يستطع أحد أن يجاريه ، أو يبلغ مبلغه*
ويشهد له الزمخشري بقوله :

اقسم بالله وآياته ومشعر الحج ومبقاته
إن الحريري جرى بأن تكتب بالنثر مقاماته^(١)

وقد ترجمت مقاماته في القرن الثامن عشر إلى اللاتينية والألمانية ، وترجمة بالإنجليزية .

أبو القاسم ، جاز الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت : ٥٣٨ هـ صاحب كتاب الكشف ومن يقرأه يجد مليئاً بشعر التصوف ، ففي قوله تعالى :

” إِنْ أَلَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ... ”
فأنشد الزمخشري توسلاً قال فيه

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول^(٢)

ابن القلميد ، ت ٥٦٠ هـ كان من شعراء الفلسفة والشعر التعليمي ، وكان يكثر من هذا النوع من الشعر ، وأورد له ياقوت طائفة حسنة من هذا الشعر لهبة الله بن الفضل ت : ٥٨٨ هـ^(٣) .

(١) معجم الأدياء : ٢٦١/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٤١٩/١ وابن تقي بريدي ، مرجع سابق : ٢٢٥/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ١٧٧/٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٦ والزمخشري ، الكشف عن حقائق التنزيل : ١٨٧/١ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٣٩٥/٤ ومعجم الأدياء : ٤٨/٥ .
(٣) معجم الأدياء : ٦٩/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٨٩/٦ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٨٦/٢ وابن شاذان ، مرجع سابق : ٣١٤/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٧٥/٨ .

ابن ظفر الصقلي ت: ٥٦٧ هـ الذي اهتم برواية شعر الزهد والتصوف والتقشف في كتبه بعد أن رحل من صقلية إلى مكة لطلب العلم، ونهل من حلقات علمائها، ثم ارتحل إلى مصر وأفريقيا، ثم عاد إلى صقلية، فيقول في شعره:

يا متعباً كده الحصرص	في الفصول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى	وما حوى وأفاده
ما كنت إلا معنى	ومغرم بالزيادة
لم يصف في الأرض عيش	غلا لأهل الزهاد

من مؤلفاته كتاب سلوان المطاع في عدوان الطباع وهو في نواذر وأخبار السلاطين، وقد ترجم للفرسية (١).

أبو العز محمد بن محمد الخرساني ت: ٥٧٦ هـ كان شاعراً عريضاً، قرأ على أبي منصور الجواليقي، وقد اهتم بمدح الملوك والوزراء، من مؤلفاته كتاب النواذر التي تنسب إلى حدة خاطر، ذكر الزركلي أنه مطبوع، وله ديوان شعر يشتمل على خمسة عشر مجلداً (٢).

تعقيب:

مما سبق لاحظ الباحث أن شعراء هذا القرن عثوا باستحداث نظم شعري جديد وهو الشعر التعليمي، فقد تحدث هؤلاء الشعراء عن الكثير من المعارف الفلسفية والطبيعية وتعرضوا للحديث عن الجسم والنفس والعلاقة بينهم في الحياة ويعد الممات، بالإضافة إلى شعر الزهد والتصوف والتقشف، حتى أن المتعلمين رحلوا إلى الكثير من البلدان لسماع الشعر وتعلمه، وكثر في ذلك القرن شعر المديح للوزراء والأمراء، وقد تعلم الطلاب الشعر عن طريق المحاكاة، والأخذ عن العلماء عن طريق القراءة.

(١) معجم الأدباء: ٤٨/٥٠ ومعجم المؤلفين: ٣٤١/١٠٠ وسير أعلام النبلاء: ٢٧٠/١٢ والزركلي، مرجع سابق: ٢٢٨/٣.
(٢) معجم الأدباء: ٤٤١/٥٠ ومعجم المؤلفين: ٣٠٤/١١٠ وحنيفة الحارثيين: ٩٨/٢ والزركلي، مرجع سابق: ٢٥/٧.

وذكر ياقوت هذه علماء الشعر في القرن السابع الهجري : -

أبو المرجي سالم بن أحمد بن أبي الصقر التميمي الملقب بالمنتخب ت : ٦١١ هـ ببغداد كان نحويًا عروضيًا ، قرأ عليه شيخنا ياقوت ، اللغة العربية والعروض ببغداد وهو أول شيخ قرأ عليه شيخنا ياقوت فيقول : قرأت عليه العربية والعروض ببغداد ، ومن كتبه التي قرأتها أرجوزة في النحو ، وكتاب في العروض والقوافي وكتاب في صناعة الشعر وقد تعلم المنتخب عن طريق القراءة على العلماء فقد قرأ اللغة العربية ، والعروض على المؤيد الطوسي ببغداد ، صاحب كتاب القوافي ذكر ياقوت أنه مطبوع^(١) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن العلماء كانوا لا يتقدمون للقيام بالعملية التعليمية إلا بعد أن يكملوا تعليمهم على أيدي شيوخهم ، وكان ذلك سبباً في تقدم صاحبنا ياقوت في مختلف العلوم الدراسية ، وتأريخه لهؤلاء العلماء .

غير أن الباحث يتعجب من اقتصار ياقوت في ترجمته لشيخه على سطور قليلة بعد اعترافه باستاذيته له وتعلمه عليه ، في الوقت الذي ترجم فيه لأدباء ليسوا بهذه المكانة عشرات الصفحات ، فلم يروى له شيئاً من شعره ، ولم يورد أي خبر عن ذكرياته العلمية معه ، علماً بأنه تتلمذ على يديه فقي العراق .

كما لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت فقي كتابه (معجم الأدباء) كان إذا ترجم لأحد الشعراء ذكر من شعره ما يدل به على موهبته ، ومكانته بين الشعراء ، فقد اختار ياقوت من فنون الشعر شعر الغزل وشعر الوصف ، ولذا نلاحظ أن معظم القصائد التي وردت في مؤلفات ياقوت كانت في الوصف ، وقد أكثر من ذكر شعراء المديح الذين عنوا بمدح الوزراء والأمراء ، وتحدث كثيراً عن شعراء الزهد والتصوف في مختلف قرون الهجرة

(١) معجم الأدباء : ٣٥٧/٣ وبخية الوعاة : ٢٥١/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٧٠/٣ .

وكذا شعراء الشعر التعليمي ، ومن خلال ذلك كله لاحظنا أهمية الشعر في بناء قريحة المتعلم وتهذيب كلماته وألفاظه .

خاتمة : علم البلاغة :

من العلوم الدراسية التي تناولها لياقوت في كتابه (معجم الأدياء) وقد تحدث لياقوت عن علماء البلاغة من القرن الثالث ، ولم يتعرض بالذكر لعلماء البلاغة في القرن الأول ، والقرن الثاني من الهجرة .

وذكر لياقوت من علماء البلاغة في القرن الثالث الهجري :

أبو الفضل أحمد بن طاهر المروزي ت : ٢٨٠ هـ أحد الشعراء والبلغاء ، وقد كان مؤدياً للكتاب ، كثير الأمثال ، وله مزبوجة ترجم فيها أمثالا للغرس ، وورثها من نظم الرجز حض بها العباسيون منذ عصرهم الأول ، وكان مولعا بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية وقد ذكر له شيخنا لياقوت من مؤلفاته كتاب المختل والمؤتلف وكتاب فضل العرب على العجم ، وكتاب لسان العيون وكتاب المشتق ذكر الزركلي أنها من الكتب المطبوعة ^(١) .
أحمد بن إسماعيل الملقب بطاحه ت : ٢٩٠ هـ الذي اهتم بعلم البلاغة ، فكان واحداً من علمائها بالأنبار ، متقدماً في صناعتها ، وكان يكتب لأبي عبيد الله بن طاهر ويذكر فضل علم البلاغة في أبيات من إنشائه فيقول : -

خير الكلام قليل	على كثير ودليل
والعى معنى قصير	يحويه لفظ طويل
وفي الكلام عيون	وفيه قال وقيل
وللبليغ فصول	وللعبي فصول

ومن مؤلفاته كتاب طليقات الكتاب ذكر الزركلي عنه أنه مطبوع ^(٢) .

(١) معجم الأدياء : ٣٨٥/١ ومعجم المؤلفين : ٢٥٦/١ والوالي بالوفيات : ١٧/١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٣٩/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق : ٢١٦/٤ .
(٢) معجم الأدياء : ٣٠٦/١ وهدية العارفين : ٥٢/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٦/١ .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء البلاغة في القرن الثالث الهجري اهتموا بتوضيح فرع من علم البلاغة وهو: المجاز اللغوي، وهو الإيجاز الذي يعطى المعنى المقصود من الكلام، وعدم الإطالة في الكلام، ما دام المعنى يفهم بهذا الإيجاز، والإيجاز يدل على بلاغة المتحدث، والعلى أو الإطالة يدل على فضول المتحدث على علم الكلام والمعاني. وذكر ياقوت هذه علماء البلاغة في القرن الرابع الهجري :-

أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ كان أحد البلغاء الفصحاء الكتاب ومن مؤلفاته كتاب نقد الشعر وكتاب تزيان الفكر وكتاب حشوحشاه الجليس وكتاب نزهة القلوب وزاد المسافر ذكر الزركلي أنها من الكتب المطبوعة وله كتاب صناعة الجدل قال الزركلي عنه أنه مخطوط، وقد كان قدامة من الذين يضرب بهم المثل في الملاحظة فيقال : لو أوتي من البلاغة، مثل بلاغة قدامة (١).

أحمد بن محمد الملقب بالكاتب ت : ٣٦٨ هـ الذي اهتم بعلم البلاغة، فكان أحد الأفاضل من الكتاب، بلاغة وفصاحة وصناعة، كان من أهل الكوفة، وقد نزل بغداد وتعلم له أبو عبد الله الكوفي (٢).

أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحارثي ت : ٣٨٤ هـ الذي تفوق في علم البلاغة حتى عده بعض علماء أنه من أفصح البلغاء، قبلاغته وحسن ألفاظه أغنت شهرتها عن صفتها حيث يقول فيه بعض علماء البلاغة :-

أصبحت مشتاقاً حليفاً صباية	برسائل الصابي أبو إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجي	ذوب البراعة سلوة العشاق
طورا كمارق النسيم وتارة	يحكي لنا الأطواق في الأعناق

(١) معجم الأدباء : ٩/٥ ومعجم المؤلفين : ١٤٢/٣ ونقد الشعر : ٢٨٩/٢ والزركلي : مرجع سابق : ١٩١/٥ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٦١/١ والزركلي : مرجع سابق : ٢٠٩/١ .

وقد ألزمه والده بعلم الطب ، وهوله كاره ، ويهوى إلى الأدب ، ثم جاءه يوماً بكتاب بليغ فكاد يملير فرحاً ، وقبله وقال له ، الآن كن كاتباً^(١) .

أبو علي أحمد بن نصر الملقب باليازجارت : ٣٥٢ هـ الذي اتصل بالأمراء وكان خادماً المعتضد وكاتبه ، وذكر له ياقوت من مؤلفاته كتاب تهذيب البلاغة وكتاب اللسان ذكر الزركلي أنهما من الكتب المطبوعة^(٢) .

ابن أبي عون ، ت : ٣٢٢ هـ الذي كتب في بعض أفرع البلاغة ، ومن مؤلفاته كتاب التشبيهات وهو في التشبيهات عامة من الشعر القديم والحديث ، ومن الذكر الحكيم^(٣) .

تتقيد :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء البلاغة قد نشطوا في تعليم البلاغة لطلابهم غير أن المؤلفات التي كتبت في ذلك القرن كانت قليلة بصفة ملحوظة .

وذكر ياقوت هؤلاء علماء البلاغة في القرن الخامس الهجري : -

أبو الفتح علي بن محمد السبتي ت : ٤٠٦ هـ كان كاتباً في عصره ، من كتاب الدولة السامانية في خراسان ، وقد قال عنه الثعالبي : أنه صاحب الطريقة الأنيفة في التجنيس الأنيس ، الديدع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ويأتي فيه بكل طريقة لطيفة ولم يستخدم الجنس استخداماً واسعاً في أشعاره فحسب بل كان أيضاً يستخدمه في كتاباته ونثره ، وأورد له الثعالبي : طائفة من جناساته وسجعته في رسائله ، يدل بها على قدرته في التجنيس الديدع ، وقد كان ذلك سبباً في إزاعة صيته في الأوساط الأدبية الإيرانية ، وفي كتب الأدب الكثير من نظمته^(٤) .

(١) معجم الأدباء: ٤/١، ٢٠٤/١، ومعجم المؤلفين: ١٢٤/١، والثعالبي ، مرجع سابق: ٢٣/٢ والزركلي ، مرجع سابق: ٧٨/١ .

(٢) معجم الأدباء: ٤٣/٢، وابن النديم ، مرجع سابق: ١٣١/١ والزركلي ، مرجع سابق: ٣١٩/١ .

(٣) شوقي شريف ، البلاغة تطور وتاريخ (ط دار المعارف ، دت) ص ٣٢٠ .

(٤) معجم الأدباء: ١٠/٢، وابن خلكان ، مرجع سابق: ٣٥٦/١، والثعالبي ، مرجع سابق: ٢٠٤/١، ٢٠٥، والزركلي ، مرجع سابق: ٢٢٦/١ .

إبراهيم بن علي الملقب بالحصري ت : ٤١٣ هـ كان أديبا ناقدا من أهل القيروان يحب المجانسة والمطابقة في الاستعارة تشبيها بأبي تمام في أشعاره ، وقد ذكر له شيخنا ياقوت من آثاره العلمية كتاب زهرة الآداب ونشر اللباب ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وله مختصر نور الطرف ونور الطرف قال عنه الزركلي أنه مخطوط ، وله كتاب المصون في سر الهوى المكنون ذكر الزركلي أنه مخطوط في مكتبة عارف حكمت في المدينة برقم (٧٧٢) وله كتاب جمع الجواهر في الملح والنوادر ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وله فيه شعر فيه رقة (١).

أبو محمد أحمد بن علي الكاتب المصري ت : ٤٣١ هـ كان بليغا فاضلا ، مكثرا من العلم الذي ورثه عن والده ، متأثرا بالبيئة الأسرية التي عاش فيها ، من مصنفاته ديوان شعر صغير مطبوع ، وله مجموع رسائل ذات قيمة بلاغية (٢) .
أبو سعد محمد بن أحمد الملقب بالعميدى ت : ٤٣٣ هـ الذي اهتم بعلم البلاغة من خلال أشعاره التي امتدح بها أبي الحسين بن الصواف بمصر ، وقد تولى ديوان الترتيب والإنشاء بمصر ، ومن مؤلفاته التي تركها كتاب تنقيح البلاغة ذكر الزركلي أنه مطبوع في عشر مجلدات وله كتاب الإرشاد في حل المظالم وكتاب الهداية إلى نظم المنشور ذكر الزركلي أنهما مطبوعان (٣) .

تقريب :

من خلال عرض الباحث لبعض تراجم علماء البلاغة في القرن الخامس ، لاحظ أن علماء البلاغة في ذلك القرن اهتموا بالإشارة إلى أقسام علم البلاغة ، من حيث المادة العلمية التي جاءت كتب هؤلاء العلماء شاهدة عليها ، فقد تحدث هؤلاء العلماء عن الجنس ، والطباق ، والإرداف ، والمبالغة ، والالتفات ، والمساواة ، والمطابقة ، والموازنة

(١) معجم الأدباء: ٢٢٦/١ وابن خلكان، مرجع سابق: ١٥/١ ومعجم المؤلفين: ٦٤/١ والزركلي ، مرجع سابق: ٥٠/١
(٢) معجم الأدباء: ٤٩٢/١ والزركلي ، مرجع سابق: ١٧٢/١ .
(٣) معجم الأدباء: ١٤٦، ١٤٥/٥ ومعجم المؤلفين: ١٢/٩ والوافي بالوفيات: ٧٥/٢ والزركلي ، مرجع سابق: ٣١٤/٥

والإشارة والغلو، وقد نقد بعضهم ألوان البديع، بل واعتمد البعض الآخر على مؤلفات العلماء أثناء كتاباتهم في علم البلاغة.

وذكر ياقوت منه علماء البلاغة في القرن السادس الهجري :-

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت : ٥٦٥ هـ كان جل اهتمامه بالكتابة والتأليف في علم البلاغة، فقد ذكره شيخنا ياقوت من مؤلفاته كتاب معارج نهج البلاغة ذكر الزركلي أنه مخطوط، وكتاب وشاح دمية القصر ولقاح روضة العصر ذكر الزركلي أنه مطبوع، وكتاب غرر الأمثال ودرر الأقوال رتب فيه الأمثال على الحروف، ونكر لكل منها السبب ثم شرحها إعراباً ومعاني، وهو مأخذ المبدئي الذي أخذ منه الأمثال (١).

وذكر ياقوت منه علماء البلاغة في القرن السابع الهجري :-

الحسن بن علي الملقب بشميم الحلبي ت : ٦٠١ هـ اهتم بعلم البلاغة، فصنف فيه كتاب الأنيس الجليس في التجنيس (٢).

إسماعيل بن علي الخضير ت : ٦٠٣ هـ ببغداد، كان فاضلاً متميزاً، ذا لسان طلق، وبلاغة وبراعة، وله تصانيف ورسائل مدونة، وخطب، وله كتاب جيد في علم القراءة (٣).

والخلاصة : لقد توصل الباحث من خلال هذه الرسالة، عن طريق هذا العرض لعلماء البلاغة أن شيخه ياقوت قد أرخ لعلماء البلاغة، وبين في حديثه عن هؤلاء العلماء أقسام علم البلاغة، ونشاط كل بلد من البلدان الإسلامية تجاه علماء البلاغة بها، وقيام الأمراء بدور المؤسسات التمويلية تجاه هؤلاء العلماء حتى ينشطوا في الكتابة والتصنيف لأقسام البلاغة وبيان أنواعها، ولذلك يمكن أنبار كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي من

(١) معجم الأدباء : ٢١٩/٣ ومعجم المؤلفين : ٩٦/٧ وسير أعلام النبلاء : ٢٨٤/٢ وحاجي خليفة، مرجع سابق :

(٢) معجم الأدباء : ١٢٠٠/٢، ١٢٠٠/٣ - ١٢٠١/١ والزركلي، مرجع سابق : ٩٩٠/٤.

(٣) معجم الأدباء : ٥٠/٤ ومعجم المؤلفين : ٩٥٧/٣ وسير أعلام النبلاء : ٩٤/١٢.

الكتب التي تناولت الحديث عن علماء البلاغة وتطور هذا العلم وبذلك كانت هذه الرسالة حتى يمكن للمتصفح لها أن يحصل على ما يريده من هذا العلم وعلمائه وفي وقت قصير وبإفادة كبيرة ، فقد تحدث لياقوت عن علماء البلاغة في القرون الهجرية بداية من القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع الهجري ، وعن كتب هؤلاء العلماء في علم البلاغة ، الأمر الذي انفرد به لياقوت في هذه الفترة الطويلة من الزمن ، والذي كلف الباحث المزيد من الجهد لإيضاح ذلك وبصفة خاصة إذا كان كتاب معجم الأدباء كتاب غير متخصص في التربية ، فإن تلك يضاعف من أجله الجهد ، ولا يعد الباحث مبالغاً إذا ذكر أن كل البلاد العربية كانت مشتركة في التراث اللغوي والنحوي والبلاغي بحيث لم يكن يظهر كتاب مهم في بيئة من البلاد إلا نجده يصل إلى البلاد الأخرى .

ويمكن القول إن العصور الماضية مع ما فيها من قلة المواصلات كانت أفضل من عصرنا الذي كثرت به المواصلات ، فإننا لا نستطيع أن نبليغ مبلغ أسلافنا في سرعة التواصل بينهم ، في الكتب وفي شتى مجالات علوم الدراسة ، ساعدهم على ذلك الرحلات السنوية للحج والزيارة ، والتقاء العلماء ، بل كان بعض العلماء إذا افتقد كتاباً ولم يستطع الحصول عليه عن طريق الرحلة إلى العلماء ، قام بالنداء عليه في الحج ليخبره عنه بعض من رآه في مكتبة من المكتبات المتناثرة ، وكان العالم في أي علم أو فن يرى أن علمه لا يكتمل إلا إذا رحل بين البلدان ، وأبعد في رحلته حتى يلتقي بالعلماء ، ويقرأ الكثير من كتب التراث الخاصة بالعلم أو الفن الذي يريد دراسته ، والإجادة فيه ، وحتى ينقل إلى بلاده ما كتبه العلماء الذين سبقوه إلى هذه العلوم ، فكانت المؤلفات تسبق العلماء إلى البلدان ويقوم عليها علماء ومدرسون يقدمونها للطلاب ، بل كان عبداً لطلاب العلم أن يفد عليهم عالم من البلاد الإسلامية والعربية يستفيد منه الطلاب وأساتذتهم ، حتى يصبح في التو محاضراً ، يلتفت حوله طلاب العلم يفيدون من علمه .

وكما هو ملاحظ فإن علم البلاغة ، وكل ما تنتجه البيئات العربية من العلوم الدراسية يصبح حقاً مشاعاً لكل البيئات الأخرى ، أو يقوم العلماء بشرح مؤلفات غيرهم من العلماء كما شرحت كتب الإمام علي (كرم الله وجهه) ، وقد شرحت الكثير من كتب العلماء مثل كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وكتاب التبيين في علم البيان لابن الزمكاني^(١) .

ولذلك يمكن الاستفادة من هذه الدراسة ، فقد قام الباحث بتصنيف علماء البلاغة ومؤلفاتهم حسب تاريخ الوفاة لكل منهم ، وإذا قال البعض كيف ذلك وهو كتاب في الأدب نقول " إن هناك علوم مساعدة يمكن من خلالها التعاون بين المؤرخين والعلماء الآخرين تفيد كليهما كلا في مجاله ، وتوسع آفاقه فضلاً عن النتائج التي يصل إليها العلماء الآخرون ، والتي تساعد المؤرخون على إيجاد التكامل في البحث التاريخي ومن هذه العلوم علم الأدب ، وفقه اللغة ، اللذان ما رآنا يلعبان دوراً هاماً في البحث والدراسة التاريخية^(٢) :
الدواهي النقدية :

تحدث لياقوت عن بعض الدراسات النقدية بعد أن تحدث عن النشاط البلاغي ومن العلماء الذين شملوا في ذلك : -

الحسن بن بشر الأمدى ت : ٣٧١ هـ الذي اهتم بالكتابة في هذا المجال فهو صاحب كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري وقد تحدث الأمدى فيه عن مذهبين مختلفين من المذاهب النقدية في فهم الشعر وصنعه وعمله ، هما : مذهب المجددين من أنصار أبي تمام ، وأصحاب المعاني ، والفلسفة والبديع ومذهب المحافظين من أنصار البحتري الذين يتمسكون بالشعر العربي وتقاليدهم ، مؤثرين حسن العبارة ، وحلاوة اللفظ وجمال أنغامه^(٣) .

(١) الشوكاني ، البدر الطالع : ٣٢١/٢ .

(٢) حسين محمد سليمان ، المداخل إلى دراسة علم التاريخ ، (السعودية : دار الإصلاح ، ١٤٠٤ هـ) ص : ٦٣ - ٦٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٧٥/٤ ، والزركلي ، مرجع سابق : ١٨٥/٢ ، ونبأ الرواة : ٢٨٥/١ وشوقي ضيف في النقد الأدبي : دار المعارف ، د ، ت : ص : ٦٤ .

محمد بن عمران المزياني ت: ٢٨٤ هـ كان خرساني الأصل . وله كتاب الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء . وهو سجل لنقد اللغويين من القرن الثاني حتى القرن الرابع . وذلك شمل شعراء الجاهلية والإسلام . وشعراء العصر العباسي حتى نهايته متخللاً ذلك بنظرات نقدية كثيرة له وإسباقية^(١) .

المحور الثالث : العلوم العقلية وأهم أعلامها : -

أرخ شيخنا لياقوت للعلوم العقلية . وتحدث عن بعض أعلامها . ومن بين هذه العلوم العقلية التي تحدث عنها : علم الطب - علم الصيدلة - علم الكيمياء - علم الفلك والنجوم - علم الفلسفة والحكمة - علم التاريخ - علم الجغرافيا - علم الرياضيات - علم المنطق وعلم النفس .

أولاً : علم الطب : أرخ لياقوت الحموي لهذا العلم . فتحدث عن علماء الطب وذكر جهود هؤلاء العلماء في تصنيف كتب الطب .

ذكر لياقوت الحموي هذه علماء الطب في القرن الأول الهجري : -

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ت: ٨٥ هـ كان حكيماً في قریش . وعالم عصره في الطب . فقد أتقنه وألف فيه الكثير من الكتب . وكان موصوفاً بالعلم والعقل والدين . وله همة ومحبة للعلوم . جمع علم العرب والعجم في الطب . وقد ذكر له لياقوت كتاب السر البديع في فك الرمز المنيع^(٢) .

وقد استرعى انتباه الباحث أن شيخه لياقوت لم يتعرض لعلماء الطب قبل عصر الإسلام وعلماء الطب في صدر الإسلام . وعذره في ذلك أنه لم يهتم بتوضيح وإيضاح

(١) **مجموع الأدباء** : ٢٦٨/٥ ومجموع المؤلفين : ٩٧/١١ والطبيب البغدادي . يرجع سابق : ١٣٥/٣ والواقعي بالوفيات :

٢٢٥/٤ وابن كثير . يرجع سابق : ٣١٤/١١ .

(٢) **مجموع الأدباء** : ٢٨٤/٣ وابن خلكان . يرجع سابق : ١٦٨/١ ومجموع المؤلفين : ٩٨/٤ . والجاحظ . يرجع سابق : ١٧٨/١ وابن النديم . يرجع سابق : ٢٤٢/١ والزركلي . يرجع سابق : ٣٠٠/٢ .

الإطباء وإشاً ذكر شاذج من علماء كل قرن فقط ، وقد ترك من علماء الطب في القرن الأول الهجري من الذين كان لهم أثر في الطب :

أبو الحكم الدمشقي ، الذي استلمه عدد من الخلفاء الأمويين ابتداء من معاوية ابن أبي سفيان (٤١ - ٦١ هـ) حتى الوليد بن عبد الملك ت : ٩٦ هـ وقد توفي أبو الحكم إبان حكم الوليد ولم تعرف له مؤلفات في الطب ^(١) .

وقد كانت خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٥ - ١٥٨ هـ) وحفيده هارون الرشيد راحة بأعلام الطب اليوناني ، في الوقت الذي تضاعف فيه العلم في الكثير من المدن ^(٢) وذكر ياقوت هـ يه علماء الطب في الثالث الهجري : -

عيسى بن الحكم الدمشقي ت : بحدود : ٢٢٥ هـ كان من الأطباء ، ولذا يمكن اعتباره من أطباء العصر العباسي أكثر مما هو من العصر الأموي ومن مؤلفاته كتاب الكناش الكبير ومنافع الحيوان ^(٣) .

وذكر ياقوت هـ يه علماء الطب في القرن الرابع الهجري : -

أبو سعيد سنان بن ثابت الحراني ت : ٣٣١ هـ كان ماهراً بصناعة الطب ، رفيع المنزلة عند المقتدر العباسي ، وجعله رأساً للأطباء ، وكان لوالده ثابت معرفة جيدة بالطب وقد ترك من مؤلفاته كتاب مسائل في الطب وكتاب وجع المفاصل وكتاب الحصى المتولد في الكلى والمثانة وكتاب جوامع الأمراض الحادة لجالينوس وقد ساهم معه ابنه سنان في تقدم الطب ببغداد ، وكانا كلاهما طبيباً ممارساً ولقدرة سنان في الطب عهد إليه الخليفة المقتدر بامتحان الراغبين في تعاطي صناعة الطب للحصول على إجازة ممارسة الطب قبل

(١) محمود الحاج قاسم ، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات ، (الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م) من ص : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) المرجع السابق : من ص : ٦٠ ، ٦١ .

(٣) معجم الأدياء : ٢٦٠/٤ ومعجم المؤلفين : ٢١٠/٣ .

أن يباح لهم علاج المرضى ، وكان سبب ذلك أن بعض الأطباء أخطأ في معالجة مريض فمات ، وإليه يرجع فضل إنشاء أول مستشفى للسجون بأمر من وزير المقتدر (١).

ثابت بن سنان الصابي الحارثي ت : ٣٦٣ هـ كان طبيباً مؤرخاً ، جمع الكثير من علم الطب في عصره ، وخدم المستكفي والراضي بالله العباسي ، ثم التقى لله والطبع (٢).

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابي ت : ٣٦٥ هـ كان علامة في الطب تركن النفس إلى ما يوجهه من علمه ، وقد ورث ابنه الطب عنه ، فكان رأساً في الطب ، ولم يكن في زمانه من يماثله في الطب ، ومن تلاميذه (عيسى بن أسد النصرائي ت : ٢٨٨ هـ) (٣).

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيرواني ت : ٣٦٩ هـ كان مهتماً بعلم الطب ، وفرغ لتأليف العديد من مراجع الطب التي ظلت متداولة وفاد منه ، ومن آثاره العلمية كتاب زاد المسافر في صلاح الأمراض وقد ذكره الزركلي باسم زاد المسافر وقوت الحاضر وقال عنه أنه مخطوط في الطب يقع في مجلدين ، منه نسخة في مكتبة الشعب ببغداد ودرسدهن بالمانيا ، ويؤثر بالهند ، وهافانا بهولندا ، وشستريتي برقم ٥٢٢٢٣/٧ .

وله كتاب طب الفقراء ذكر الزركلي أنه مخطوط في المتحف العراقي ، ويقول رأيت مخطوطته مجموعة عند (حماد بن عباد) في الرباط ، وله كتاب التحذير من أخراج الدم ، وكتاب الخواص ونصائح الأبرار وله رسالة في الزكام وله رسالة في النوم واليقظة والمجربات وله مقالة في الجذام وله رسالة في المعدة (٤).

(١) معجم الأدياء : ٤٠٢/٣ وتاريخ الحكماء : ص ١٩١ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٢٠/١ والزركلي مرجع سابق : ١٤١/٣ .

(٢) معجم الأدياء : ٨٥/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ وتاريخ الحكماء : ص ٧٧ وابن الصمد ، مرجع سابق : ٤٤/٣ .

(٣) معجم الأدياء : ٣٦٤/٢ وتاريخ الحكماء : ص ٨٩ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٨/٢ .

(٤) معجم الأدياء : ٨٥/٢ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٨٩/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٨٥/١ .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الطب في القرن الرابع الهجري اهتموا بالكتابة والتصنيف في علم الطب ، بالإضافة إلى انشغالهم بتعليم طلابهم لفردات هذا العلم ، وقد ظهر على ايدي العلماء الكثير من أقسام علم الطب ، فقد صنفوا في كل قسم من أقسامه الكثير من مؤلفات هؤلاء العلماء .
وذكر شيخنا ياقوت هذه علماء الطب في القرون الخامسة الهجرية :

أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النخعي ت : ٤٢٠ هـ كان عالماً بالطب من أهل نيسابور . وكان عارفاً بصناعة الطب ، من آثاره العلمية كتاب اختصار كتاب المسائل لحنين في عدة مجلدات وله تلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس " مع شرح لأبن بكر الرازي (١)

أبو الفرج عبد الله بن الطبيب ت : ٤٣٥ هـ كان طبيباً من أهل العراق واسع العلم كثير التصنيف ، وكان يعلم الطب في البيمارستان العضدي ، ويعالج المرضى ، وكان معاصراً للرئيس ابن سينا ، ومن آثاره العلمية كتاب مقالات أرسطو ذكر الزركلي أنه مخطوط وله شرح أربع مسائل من كتب جالينوس وذكر الزركلي أنه مخطوط أيضاً (٢)
 أبو الحسن مختار بن الحسن المعروف بابن بطلان ، ت : ٤٥٨ هـ الذي قرأ على علماء عصره (من نصارى الكرخ) علم الطب ، ومن آثاره العلمية كتاب دعوة الأطباء ذكر الزركلي أنه مطبوع وله كتاب تقويم الصحة ذكر الزركلي أنه مخطوط ترجم إلى اللاتينية والألمانية وطبع بهما . ولا يبقى منه سوى ترجمة لاتينية . وأخرى ألمانية في عصر النهضة وهو من تلاميذ أبو الفرج الطبيب (٣)

(١) معجم الأدباء : ٣٧٩/٣ والثعالبي ، مرجع سابق : ٣٠٨/٤ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٧/٣ .
 (٢) ابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٣٩/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٤/٤ وهنية العارفين : ٤٥٠/١ .
 (٣) معجم المؤلفين : ٢١٠/١٦ وجورجي زيدان ، مرجع سابق : ١٠٥/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ١٩١/٧ .

أبو الحسن سعيد بن هبة بن الحسين ت : ٤٩٥ هـ كان طبيباً متميزاً ، فقد كان طبيب الخليفةين المقتدى بأمر الله ، وولده المستظهر بالله العباسيين ومن آثاره العلمية كتاب المغنى في تدبير الأمراض ذكر الزركلى أنه مخطوط في استامبول . وشسرتي رقم ٣٩٧٨ ، وله كتاب الإقناع في الطب ذكر الزركلى أنه مطبوع^(١) .

تعليق :

مما سبق لاحظ الباحث أن تقدم علماء الطب في القرن الخامس ، ساعد على إنشاء البيمارستانات (المستشفيات) ، فقد أنشأ عضد الدولة بيمارستان في بغداد يقول ابن خلكان عنه : " ليس في الدنيا مثل ترتيبه ، وبه من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه . وقد عين به ٢٤ طبيباً ، رتبهم لمعالجة المرضى^(٢) .

وذكر شيخنا ياقوت أنه يه علماء الطب في القرن السادس الهجري : -

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، ت : ٥٢٩ هـ كان من أهل دانية بالأندلس ، انتقل إلى المهديّة من بلاد القيروان ، وكان من أكابر الفضلاء في صناعة الطب . فقد بلغ في صناعته مبلغاً لم يصل إليه غيره من الأطباء ، ومن آثاره العلمية كتاب أبقرات ذكر الزركلى أنه بخط المؤلف (أبو الصلت) منه نسخة مبنورة ، غير قديمة رآها في خزنة الرباط برقم ٢٨١ ق^(٣) .

أبو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ النصراني ت : ٥٦٠ هـ كان عالماً بالطب وبه خدم خلفاء بني العباس ، وتولى البيمارستان العضدي إلى أن توفي . ومن آثاره العلمية كتاب حاشية على القانون لابن سينا ، وكتاب الكناش في الطب وله كتاب شرح فيه أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية وكتاب الموجز في البيمارستان يشتمل على ثلاثة عشر باباً ، وله مقال في الفصد ذكر الزركلى أنه مخطوط^(٤) .

(١) ابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٥٤/١ وهدية العارفين : ٣٩٠/١ والزركلى ، مرجع سابق : ١٠٣/٣ .

(٢) ابن خلكان ، مرجع سابق : ١٠٥/٣ وتاريخ المكاء : ص ١٩٨ .

(٣) معجم الأدياء : ٣١٧/٢ والتاريخ : ٧٧/١١ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٣/٢ .

(٤) معجم الأدياء : ٢٤٣/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٩١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٢/٨ .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت : ٥٦٥ هـ كان متبحراً في علم الطب والصيدلة وكتب فيهما كتاب أطعمة المرضى وكتاب قوام علوم الطب وكتاب المعالجات الاعتبارية وكتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها وكتاب تعليقات بقراط ذكر الزركلي أنها من الكتب المملوكة (١).

أبو بكر محمد بن عبد الملك الأندلسي ت : ٥٩٥ هـ كان من نوابغ الطب في الأندلس ، فلم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب ، وقد أخذ هذا العلم عن أبيه ، وعرف بالحفيد بن زهر ، وكان حسن المعالجة جيد التدبير ، ومن آثاره العلمية كتاب الترياق الخماسيني في الطب وله رسالة في الطب (٢).

تعقيب :

مما سبق استطاع الباحث أن يصنف علماء الطب حسب تواريخ الوفاة ، ومعرفة أهم مؤلفات كل منهم ، وذلك من خلال ما ذكره ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) ، حيث أن هذا الكتاب يعتبر من بين كتب التراث التي اهتم مؤلفها بتدوين بعض العلوم التي كانت سائدة آنذاك بين علماء المسلمين وبذلك يعد ياقوت الحموي من علماء التراث الذين علموا أن تراث أية أمة هو بذرة بقائها ، ودعامة وجودها الحضاري ولا يكون ذلك إلا عن طريق دراسة العلوم الدراسة ويحثها ، والتي تعد قدما تسير من خلالها الأمم إلى الأمام في خطى ثابتة ، وعن طريق ربط تراثها بخيوط حاضرها ومستقبلها وهو ما قدمه ياقوت نحو علم الطب فقد ذكر محصلة هذا العلم على مر القرون الهجرية الستة من القرن الأول حتى القرن السادس ، فهو لم ينسب هذا التقدم الهائل الذي نجده اليوم إلى الحضارة المعاصرة وإنما وضع حصيلة خبرات وتجارب أجيال وأجيال من قوافل الأطباء على مر هذه القرون والدور الريادي الذي قدمه الأطباء العرب المسلمين في هذه المحنة التاريخية لعلم الطب

(١) معجم الأدباء : ١١٧/٤ ومعجم المؤلفين : ٩٦/٧ والواقعي بالوفيات : ٦٨/١٢ والزركلي : مرجع سابق : ٢٩٠/٤
(٢) معجم الأدباء : ٣٥٤/٥ وابن أبي أصيبعة : مرجع سابق : ٦٧/٦ والواقعي بالوفيات : ٣٩/٤ والزركلي : مرجع سابق : ٢٥٠/٦

وعلمائه ، ووضح ياقوت دور الخلفاء المسلمين في تقدم هذا العلم وتطوره ، بإعتبار ذلك حافظاً وتنافس بين الأطباء ، كما لاحظ الباحث الدور التربوي الذي قامت به الأسرة في غرس هذا العلم في نفوس أبنائها ، وما قامت به البيئة الأسرية من دور تربوي تجاه أبنائها ، كما لاحظ الباحث أن تقدم علم الطب في كل قرن من القرون الهجرية كان رهن مساهمة الخلفاء والأمراء ويوجه خاص خلفاء بني العباس ، بالإضافة إلى ما قامت به البيمارستانات من دور تربوي تعلم من خلالها طلاب العلم الكثير من علم الطب عملياً ونظرياً وما تركه هؤلاء من تراث علمي . وقد قام الباحث في دراسته الحالية باستعراض أهم مراحل تطور علم الطب عند المسلمين والعرب ، وذلك من خلال منهجية التاريخي بدءاً من علم الطب أثناء عصر الخلفاء الراشدين ، ثم العصر الأموي ودور بني أمية في تطور علم الطب ، ثم المرحلة التالية والتي تمثلت في علم الطب أثناء العصر العباسي الأول والثاني والعصر الذهبي لعلم الطب ، وقد ذكرنا في كل مرحلة أبرز علماء الطب فيها ، وأهم ما قاموا به من مؤلفات ، غير أن ذلك كان من غير توسع فهدفنا تاريخ وليس دراسة أكاديمية وهناك أطباء كثيرون غير من ذكرنا ، ولكل منهم مآثرته وفضله في ناحية واحدة على الأقل من نواحي علم الطب ، لكننا اكتفينا بأشهرهم إذ لا يتسع المقام لجميعهم .

وقد لاحظ الباحث تباري الخلفاء والوزراء ونوؤ الجاه والثروة ، وأهل العلم والفضل في ترقية الطب ورفع شأنه ، فأنشأ الخليفة المنصور العباسي مدرسة طبية ببغداد وأقام الرشيد أخرى في دمشق ، وأسس الخليفة الناصر لدين الله الأموي الأندلسي مدرسة قرطبة ، ثم أخذت المدارس تتزايد في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، وكان يلحق بكل مدرسة بيمارستان (كلمة فارسية مؤلفة من مقطعين - بيمار - بمعنى مريض ، وستان بمعنى مكان أو موضع ^(١) .

(١) محمد عبد الرحمن مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، (بيروت - منشورات عويدات ، ١٩٨٨ م) .

ثانياً : علم الصيدلة :

الصيدلة هي علم الأدوية . وقد ذكر الدكتور مرحبا في كتابه تاريخ العلوم عند العرب أن هذه الكلمة من أصل هندي فإن " اللفظ صيدلاني أو صيدناني معرب من لفظ جندناني أو جندل بالهندية هو الصندل ، والصندل من العطور المعروفة عند العرب وأهل الهند يستعملونه في العلاج كثيراً^(١) وبالتالي أطلقت هذه الكلمة على مزاويل الأدوية . ويقول عنها حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون) : " اقربايزين هو لفظ يوناني معناه التركيب ، أي تركيب الأدوية المفردة وقوانينها^(٢) . أي أن كلمة صيدلة أصلها هندي ويوناني التي تقابل كلمة عقار ، ولكن الكلمة قد أخذت عند العرب مدلولاً دقيقاً فأصبحت تعني الأدوية المركبة .

ومن خلال ما أورده لياقوت في كتابه (معجم الأدباء) لاحظ الباحث أن كلمة الصيدلة كانت في بداية أمرها تابعة لعلم الطب ، ملحقه به ، غير مستقلة عنه ، إذ كان كل طبيب هو في الوقت نفسه صيدلانياً ، وكان له أعوان يساعدونه في عمله ، عن طريق جمع الأعشاب الطبيعية والنباتات الشافية ، وقد كثرت العقاقير وتشعبت طرق تركيبها فأشقت الحاجة إلى من يتفرغ لها وحدها بالإضافة إلى زهد الأطباء عن تناول زمن الدواء من المريض ، ولذلك قام العرب مع تفتح الطب الإسلامي بفصل الصيدلة عن الطب ، فهم المؤسسون الحقيقيون للصيدلة ، وأنشأوا لها المدارس لتعليمها .

وذكر لياقوت أنه بين علماء الصيدلة في القرن الرابع الهجري : -

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيرواني ت : ٣٥٠ هـ الذي أهتم بعلم الصيدلة ، وأكثر فيها من التصانيف ، ومن آثاره العلمية كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة ذكر الزركلي أنه مخطوط في الأدوية بالجزائر ، وأياصوفيا ويقع في ١٤٠ ورقة في المتحف البريطاني ، ألفه

(١) المرجع السابق : ص ٢٩١ .
(٢) حاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٣٦/١ .

لأحد الملوك الفاطميين بأفريقية ، ومنه مختصر في الرباط برقم (١٢١١) . . . وكان له أدوية يفرقها (أى يوزعها على نوى الحاجة إليها حسبة ويدون شئ) . . وله كتاب البغية فى الأدوية المركبة (١)

وذكر شيخنا ياقوت هـ بيه علماء الصيدلة فى القرن السادس الهجرى : -

أبو اللث أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت ت : ٥٢٩ هـ كان من علماء الصيدلة ومن المهتمين بها فقد صنف فيها كتاب الأدوية المفردة ذكر الزركلى أنه مخطوط ، وقد رآه فى مغنيسا برقم (١٨٨١٥) ، وقد كتب فى ١٨٨ ورقة ، وقد عبث به بعض الأغبياء فجعلوا فى أعلاه كتاب القارورة للإسرايلى (٢)

أبو الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ ، ت : ٥٦٠ هـ كان من المهتمين بعلم الصيدلة ، ومن أنشأه العلمية كتاب المقالة الأمينية فى الأدوية البيمارستانية ذكر الزركلى أنه مخطوط (٣) وعن صناعة الأدوية قال القفطى : " وفيه قومة يتناولون طبخ الأدوية " (٤)

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن العرب هم الذين يرجع إليهم الفضل فى فصل علم الصيدلة عن علم الطب ، فقد اقتتحوا الصيدليات العامة وذلك فى زمن المنصور ، كما الحقوا بكل بيمارستان صيدلة خاصة به ، بل أن صناعة الأدوية كانت تتم بأيدي عمال متخصصون بهذه البيمارستانات ، وكان ذلك الاهتمام العرب الشديد بعلم الطب ، لأن كل منهم متمم للآخر وجزء لا يكاد يتجزأ منه .

(١) معجم الأدباء : ٨٥/٢ والواقى بالوفيات : ١١/٥ وحاجى خليفة ، مرجع سابق : ٢٥٢/١ ومعجم المؤلفين :

١٣٧/١ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٣٨/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٨٥/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٣١٧/٢ وابن العماد ، مرجع سابق : ٨٣/٤ وابن أبى أصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلى

مرجع سابق : ٢٢/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٤٢/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٩١/٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٧٢/٨ وابن أبى

أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٥٩/١ .

(٤) تاريخ الحكماء : ص ٢٤٠ .

وقد اهتم الوزراء بجانب الخلفاء بالصيدلة وأقاموا عليها رجال متخصصين ، حتى لا يعطى المريض أى شىء مخالف يكون سبباً فى وقاته ، ولذلك : أمر المأمون ت : ٢١٨ هـ بإجراء امتحان للصيادلة لاختبار أهليتهم للصيدلة ، وأن يعطى الصيدلى الذى تثبت أهليته منشوراً يجيز له العمل ، وإلا حيل بينه وبين تعامله هذه الصناعة^(١) .

كما لاحظ الباحث أن علماء الصيدلة من العرب كانوا أول من وضعوا كتباً خاصة بتركيب الأدوية أطلقوا عليها اسم الصيدلة وأحياناً الأدوية وقد أخضعوا هذه للرقابة من رجال الشرطة (المحتسب) .

ثالثاً : علم الكيمياء :

قبل البدء بالكلام على الكيمياء عند لياقوت من خلال كتابه (معجم الأدباء) يجب أن نبحث أولاً عن اشتقاقات هذه الكلمة ، فقد ذهب البعض إلى أن الكلمة مشتقة من كلمتى *Kmtu Chem* أى التربة السوداء ، وهو الاسم الذى أطلقه المصريون القدماء على بلادهم إشارة إلى الخصب والبركة أورمزا إلى السر والخفاء الذى يكتنف هذا العلم ضناً به على غير أهله^(٢) . وقد نقل حاجى خليفة عن الصفدى فى لامية العجم أن " هذه اللفظة معربة من اللفظ العبرانى ، وأصله كيم به ومعناه أنه من الله^(٣) " ، أى أن هذا العلم من وحى الله وتنزيله يخص به من يشاء من عباده ، لكن الخوارزمى يرى أن هذه الكلمة من أصل عربى فيقول " اسم هذه الصناعة (الكيمياء) عربى ، واشتقاقه من كى يكى إذا ستر وأخفى^(٤) " . أى هو من العلوم السرية المضمون به على غير أهلها ، وهذا المعنى يتكرر كثيراً عند القدماء ، ولذلك يقول حاجى خليفة نقلاً عن الجلدكى " اعلم أن من

(١) المرجع السابق : من ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) محمد موسى الهاشمى ، الإسماء الصائقة لمعجم الكيمياء (المؤسسة السورية للدراسات ، القاهرة ، حلب - بغداد ، ١٩٥٩ م) ص ٢٠ .

(٣) حاجى خليفة ، مرجع سابق : ١٥٣ / ٢ .

(٤) الخوارزمى ، مقتضب العلوم ، (القاهرة ١٣٤٢ هـ) ص ١٤٦ .

المفترض علينا كتمان هذا العلم وتحريم إناعته لغير المستحق من بني نوعنا . وأن لا نكتمه عن أهله . لأن ذلك تضيقاً لهم ^(١) .

وبعد هذه الإشارة إلى معنى كلمة كيمياء نعود إلى "معجم الأدباء" فقد ذكر شيخنا ياقوت من بين علماء الكيمياء في القرن الأول الهجري : -

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ت : ٨٥ هـ كان يلقب بحكيم آل مروان فقد كان كما يذكر ابن خلكان من أعلم قريش بفنون العلم . وله كلام في صناعة الكيمياء والطب وقد كان بصيراً بهذين العلمين متقناً لهما . وأخذ علم الكيمياء عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الرومي . وقد تضمنت إحدى رسائله ما جرى له مع مريانس وصورة تعلمه منه . وهناك علم آخر اسمه اصطلفن الإسكندرازي . أمره خالد أن ينقل له بعض أصول الصناعة (الكيمياء) ومن آثاره العلمية الكتب الأتية كتاب الرشد وكتاب الحكمة في الكيمياء وكتاب الأدعية والقرايين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء وكتاب الاختيار النجومي للصناعة وكتاب الأوقات والأزمنة وكتاب التعليقات ^(٢) . ولم يذكر ياقوت هذه علماء الكيمياء في القرون التي تلي الهجرى : -

جابر بن حيان المتوفى في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . فهناك مجموعة من المؤلفات تحمل اسمه . تتم عن اطلاع واسع واعتماد كبير على التجارب العلمية والملاحظات الحسية . وعدم الاكتفاء بالفرضيات والتحليلات الفكرية التي كانت محور المعرفة عند اليونان . وهذه الأعمال تدل دلالة واضحة على قيام علم كيميائي عربي وبذلك كانت كيمياء جابر تنقسم بالاعتماد على التجربة واستبعاد الخوارق . ومن آثاره العلمية كتاب السبعين ^(٣) .

(١) حامى خليفة ، مرجع سابق : ١٥٣/٢ .
(٢) معجم الأدباء : ٢٨٤/٣ والتهذيب : ١٦٦/٥ ومعجم المذللين : ٩٨/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق : ١٦٨/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٠٠/٢ .
(٣) د. زكي نجيب محمود ، جابر بن حيان ، سلسلة أعلام العرب ، العدد السادس (القاهرة ١٩٦١ م) ص ٢١ .

ولم يذكر شيخنا ياقوت هؤلاء العلماء الكيمياء في القرن الرابع الهجري : -

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ت : ٣٢١ هـ والذي كان أحد أفضا ذ مفكرة الإسلام والذي أقام علم الكيمياء علماً تجريبياً مستقلاً بعيداً عن أوهام الرمزية والتنجيم والتصوف ويذكر الدكتور / سيد حسين نصر في كتابه (دراسات إسلامية) قوله : " إن الرازي رغم استخدامه تعابير جابر بن حيان ، ومع أنه أخذ حتى عناوين كتبه منه ، فقد عالج الرازي المواد الطبيعية من حيث واقعها الخارجي دون مدلولها الرمزي : فحقائق العالم ظلت موضوعاً للدرس كما كانت من قبل ، لكن بما هي حقائق لا بما هي رموز. وبذلك كان جابر أهم مصدر عن مصادر الرازي ومن آثاره العلمية في هذا العلم كتاب سر الأسرار وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية ، وإلى اللاتينية ، وإلى الألمانية ، وهذا الكتاب مختصر عن كتاب قبله يسمى الأسرار (١) .

وذكر شيخنا ياقوت هؤلاء علماء الكيمياء في القرن السادس الهجري : -

الحسين بن علي الأصبهاني الطغرائي ت : ٥١٢ هـ والذي كان ينعت بالأستاذ وقد صنف في هذا العلم كتاب جامع الأسرار في الكيمياء ذكر الزركلي أنه مخطوط يقع في ٥٥ ورقة ، وله كتاب حقائق الاستشهاد في الكيمياء ذكر الزركلي أنه مخطوط (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث الدور البارز الذي قام به علماء العرب والمسلمون تجاه علم الكيمياء ، وما قدموه من تجارب واستشهادات على سبقهم في هذا العلم ، ومن خلال ما صدره ياقوت كتابه (معجم الأدباء) ، نقول أن علم الكيمياء لم يكن من محصلة علوم الغرب ، وإنما هو محصلة علوم العرب .

(١) د. سيد حسين نصر ، دراسات إسلامية (بيروت ، ١٩٧٥ م) ص ٨١ .
(٢) معجم الأدباء : ١١٧/٢ ومعجم المؤلفين : ٣٦/٤ والوافي بالوفيات : ٩٣/١١ وسير النبلاء : ١٦٠/١٢ والزركلي مرجع سابق : ٢٤٦/٢ .

تابعاً : علم الهيئة (علم الفلك والنجوم) :

أرخ لياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء) للكثير من علماء الفلك والنجوم (الهيئة) . ولما للنجوم من أثر واضح في نفوس العرب والمسلمين رأى الباحث أن يتحدث في البداية عن معنى النجوم وكيفية تأثيرها . ثم تصيف علماء الفلك والنجوم : فقد " كان العرب تسميه علم الهيئة . وعلم هيئة الأفلاك . ويقال له في الاصطلاح الحديث علم الفلك وعلم النجوم التعليمي . وعلم النجوم . وعلم صناعة النجوم . ويقابله علم أحكام النجوم أو علم التنجيم^(١) " والنجوم " ظاهرة رآها الإنسان منذ القدم . فاثارت في نفسه كوامن الدهشة . ملأت قلبه روعة وجلالا . فهي التي تروى قصة الخلق بصمت عجيب . وهي التي تحتفظ بسر الخلق ولا تنوح به . وهي ساعة الإنسان القديم وتقويمه ودليله . اهتدى بها في حالك الديجور . فوجد فيها النور المشع . فأحس الإنسان بضالته . لأنه يشاهد ما يند عن سيطرته^(٢) .

وبذلك فعلم الهيئة هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة . فهو علم مبني على الرصد والمشاهدة . لا على أوهام صناعة التنجيم . وقد كان العرب قبل الإسلام على شيء من العلم بالسماء ومواقع النجوم . وكانوا ينتفعون بعلمهم هذا في حساب المواسم والأيام والشهور وتقدير حركتي الشمس والقمر تقديرا بدائيا بسيطا لا تدقيق فيه وكان للعرب أيضا معرفة بدائية بسيطة بالبروج . والبروج هي الصورة النجومية التي ترى في السماء . سواء أكانت في فلك الشمس أو خارجه . وقد سميت بذلك من البرج وهو المضيء المنير^(٣) .

(١) محمد عبد الرحمن مرجيا . ترجم سابقا : ص ٤١٧ .
(٢) يحيى عبد الأمير التامي . النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي . دكتوراة في الأدب العربي كلية الآداب . جامعة القدس (بيروت) منشورات الأفاق الجديدة . ١٩٨٠ م) ص ٢٢ .
(٣) محمد عبد الرحمن مرجيا . ترجم سابقا : ص ٤١٧ .

وبعد هذا العرض نستعرض آراء ياقوت عن علم النجوم في كتابه (معجم الأدياء) فقد ذكر ياقوت من علماء الفلك في القرن الأول الهجري : -
أبو الوليد حسان بن ثابت ت : ٥٤ هـ الذي اهتم بعلم النجوم ، واستخدم ألفاظه تلك في رثاء أهل البيت فقال :

أظلمت الأرض لفقدانه وأسود نور القمر الفاضل

فهو يقول هذه هي الأرض تظلم شمسها لمرح حمزة بن عبد المطلب ويشجب نور

القمر ويسود وجهه .

وذكر شيخنا ياقوت من علماء الفلك (الهيئة) في القرن الثاني الهجري : -

محمد بن إبراهيم الفزارى ت : ١٨٨ هـ كان مهتما بعلم الهيئة (الفلك والنجوم) فقد تقدم علم الفلك في العصر العباسي تقدما كبيرا ، كغيره من سائر العلوم ، وكان أبو جعفر المنصور أول من عنى بهذا العلم ، فهو الذي أمر بنقل كتاب السند هند إلى اللغة العربية ، فقد فملى في كتابه : أخبار الحكماء قال : قدم بغداد حكيم هندي خبير بمعرفة النجوم حوالي عام ١٥٦ هـ يحمل كتاب السند هند في علم الفلك ، فأمر المنصور بترجمته إلى العربية ، وأن يؤلف منه كتابا تتخذ العرب أصلا في حركات الكواكب ، فنقله أبو اسحق الفزارى ، وصنف على نهجه كتابا اتخذ العرب أصلا في حركات الكواكب وحول فيه سنين الهند النجومية إلى سنين عربية قمرية ، فضلا عن ذلك فإن الفزارى أول من عمل من المسلمين اسطرلابا ، وقد أطلق المنجمون على كتاب الفزارى كتاب السند هند الكبير ، وكلمة السند هند تعنى الدهر الداهر أو الأبد ، وقد بقي هذا الكتاب معمولا به إلى أيام المأمون . ومن آثاره العلمية أيضا كتاب الزيج على سنى العرب وكتاب المقياس للزوال (١) .

(١) معجم الأدياء : ١١٧/٥ ومعجم المؤلفين : ٩٠/١ وسير أعلام النبلاء : ٩٢/٦ وتخصيب التهذيب : ١٥١/١ وأخبار الحكماء : ص ١٧٧ والزركلبي ، مرجع سابق : ٢٩٢/٥ ..

وقد زاد اهتمام الناس بعلم الهيئة في ذلك القرن ، وزادت عناية المنصور به فعلى عهده نقل (أبو يحيى البطريق ، كتاب الأربع مقالات في صناعة أحكام النجوم لبطليموس ، ثم علق عليها (عمر بن الفرخان ت : ٢٠٠ هـ)^(١) .
وذكر شيخنا ياقوت في هذه علماء الفلك (الهيئة) في القرون الثالث الهجري :

أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت : ٢٧٦ هـ كان من المهتمين بالكتابة في علم النجوم فله كتاب الأنواء في مواسم العرب قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وهو خير أثر باق لمن أراد الرجوع إليه من حيث الاطلاع على النجوم ومعرفة منازلتها ، ومطالعها ومساقطها ، وأنوائها ، وله أيضا كتاب العرب وعلومها ذكر الزركلي أنه مخطوط^(٢) .
وذكر شيخنا ياقوت في هذه علماء القرن الرابع الهجري في علم الفلك :

أبو هلال الحسن بن عبد الله الملقب بالعسكري ت : ٣٩٥ هـ كان مهتما بعلم الفلك والنجوم وصنف في ذلك كتاب الأوائل أورد له الزركلي أنه قال : فرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة ٣٩٥ هـ^(٣) .
استدراك :

لاحظ الباحث أن شيخه ياقوت قد أغفل بعض علماء القرن الرابع والذين كانت لهم يد ساطعة في التأليف والكتابة في علم الفلك ، وقد ذكر من هؤلاء العلماء الدكتور / محمد عبد الرحمن مرجيا نقلا عن الصوفي في كتابه صور الكواكب :
أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي الرازي ت : ٣٧٦ هـ الذي كان من أفاضل المنجمين ومصنفي الكتب في علم الهيئة ، اشتهر بدقة وصفه للنجوم ورصده لهما نجما وتعيين أماكنها وأقذارها بحسب رصده ويقول الصوفي يزي غيره من العلماء المقلدين : عولوا على ما وجدوه في الكتب من أطوالها وعروضها فرسموها في الكرة من غير

(١) محمد عبد الرحمن مرجيا ، مرجع سابق : ص ٤٩٤ .
(٢) معجم الأدياء : ١٤٤/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢٥١/١ ونزهة الألباء : ص ٢٧٢ ولسان الميزان : ٣٥٧/٣ وجورج زيدان ، مرجع سابق : ١٧٠/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ١٣٧/٤ .

(٣) معجم الأدياء : ٣٦٠/٢ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/٢ ونزهة الألباء : ١١٢/١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٩٦/٢ .

معرفة بصوابها من خطئها " وقد اعتمد الصوفي في إثبات هذه النجوم على المشاهدة والعيان فقال : وأما أقدارها ومراتبها في العظم والصغر فعلى ما وجدناه بالعيان ، فليس الخير كالعيان (١) .

أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصديقي المصري ت : ٣٩٩ هـ الذي عرف الفاطميون قدره ونبوته فأجزلوا له العطاء ، وشجعوه على متابعة بحوثه في الهيئة والرياضيات فبنوا له مرصداً على جبل المقطم ، وجهزوه بكل ما يلزم من الآلات والأدوات وصنف في ذلك كتاب الزيج الكبير الذي رصد بداخله كسوف الشمس وخسوف القمر في القاهرة حوالي سنة ٩٧٨ م (٢) .

وذكر شيخنا ياقوت أنه يه علماء الفلك في القرن الخامس الهجري : -

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ت : ٤٤٨ هـ الذي قام بتدريس علم الفلك والنجوم بخوارزم وكانت بيته وبين ابن سينا مراسلات أشرت هذه الدراسات المتعددة أن يالك البيروني كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم وهو مصنف ضخيم ، تناول فيه علم الفلك بحثاً فبره فكان أكبر مؤلف في هذا العلم ، وله تاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ذكر الزركلي أنه مخطوط بالمتحف البريطاني (٣) .

وذكر ياقوت أنه يه علماء الفلك (الهيئة) في القرن السادس الهجري : -

أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت : ٥٠٢ هـ كان من المهتمين بعلم الفلك والنجوم ، وقد جاء كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء مليئاً بالحديث عن النجوم وأبعادها ، وقد ذكر الزركلي أن هذا الكتاب مطبوع في مجلدين تحدث فيه عن النجوم ومواقعها (٤) .

(١) محمد عبد الرحمن مريخا ، مرجع سابق : ص : ٤٦٦ نقلاً عن الصوفي في كتاب صور الكواكب : ص ٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٦٧ .

(٣) معجم الأدباء : ١٨٠/٥ وبخبر الوعائ : ص ٢٠ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٠/٢ .

(٤) معجم الأدباء : ٢٢٨/٣ والزركلي مرجع سابق : ٢٥٥/٢ ومعجم المولدين : ٥٩/٤ وحاجي خليفة ، مرجع سابق : ١٦٠٩/٣ .

أبو الحسن أحمد بن علي الأسواني المصري ت: ٥٦٣ هـ كان أوحد عصره في علم النجوم تحدث عن أبعادها فقال:

ولا تظن خفاء النجم من صغر فالذنب في ذلك محمول على البصر
النجم تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للخرق لا للنجم في الصغر (١)

استدراك:

لاحظ الباحث أن شيوخه لياقوت قد أغفل ذكر بعض علماء القرن السابع في الفلك، ممن كان لهم أثر كبير في تقدم هذا العلم ومن هؤلاء العلماء:

أبو جعفر محمد بن الحسين نصير الدين الطوسي ت: ٦٧٢ هـ الملقب بالحق والذي قضى شبابه في المغامرة مع النجوم، وبفضل مهارته العلمية في النجوم أولاه المغول الثقة، فخدم هولاكو حتى أصبح وزيراً له، وقد بنى له مرصد المراغة الذي تولى إدارته حتى وفاته ببغداد، وبه استطاع إنجاز تقاويم فكلية ضمنها كتابه الزيج الأيلخاني وله كتاب التذكرة في علم الهيئة (٢).

تعليق:

مما سبق عرضه لاحظ الباحث أن تعلم علم الفلك وحركة النجوم كان سببه الاعتناء من الملوك والأمراء بأصحاب هذا العلم، وتقريبهم من هؤلاء الأمراء، وقد سار هؤلاء العلماء في اكتشافاتهم ورصدتهم لحركة النجوم كل حسب قدراته وأدواته، وكان الواحد منهم يسجل هذه الظواهر التي يشاهدها في كتاب يطلق عليه اسم الزيج، ولم يكن هذا العلم وليد اهتمام الغرب بل سبقهم إلى ذلك علماء العرب وعامتهم، فقد عرف العرب في جاهليتهم النجوم، فقد اهتموا إلى هذا العلم عن طريق الملاحظة الدقيقة، والخبرة الطويلة لتتقنهم الدائم وضربهم في الصحارى ومعرفة النجوم كي يهتدوا بها.

(١) معجم الأدباء: ٥١٨/١ ومعجم المؤلفين: ٣١٥/١ والإندو: مرجع سابق ص ٤٧ وابن الصدي مرجع سابق: ١٩٧/١
(٢) محمد عبد الرحمن مرحبا، مرجع سابق: ص ٤٢٧.

بالإضافة إلى ذلك فإن العرب في جاهليتهم ، عبدوا فيما عبدوا بعض مظاهر الطبيعة ومن بينها الشمس والقمر ، وعدد من النجوم ، على أنها مستودع للأرواح ولل قوى الفاعلة والحركة . ولم يذكر ذلك المحدثين بكثرة تخوفاً من أثرها الاشرakis ، ومظهرها الوثني المنافي للإسلام ولدعوته التوحيدية . فلم يبق شئ ما تعتمد عليه سوى بعض الآيات القرآنية والإشارات التاريخية (١) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعبودات ، واستخدام الإنسان النجم كعلامات وطرق يسير على هداه

فقال تعالى : " وَعَلَّمَنَّاكَ سُبُوحَ رَبِّكَ وَالنَّجْمِ هُمْ يَتَخَذُونَ" (٢) .

وشعوب الشرق الأدنى القديم عبدوا الأجرام السماوية . ولا سيما الشمس والقمر بل أن قدماء المصريين كانت عندهم الشمس هي ينبوع الحياة . وكان ممثل آله الشمس (رع) هو الإله الخالق . وكان عندهم شروق الشمس هو الحياة وغروبها هو الموت (٣) .

وقد شهد العصر العباسي تجديداً لفكرة النجوم ، تأثراً بمعطيات الفكر والعلم ونتيجة لتمازج الثقافات واختلاط الشعوب ، فقد أخذت الصورة النجمية بعداً جديداً كما اكتسبت ألواناً جذابة ، وظلالاً مترفة ، أكسبتها قيمة وراثتها نوا وظهرت مصطلحات العلم ، وألفاظ الفلك والتنجيم ، وبرزت أسماء الكواكب ونجوم كانت شبه مجهولة كلفظة الفلك ، والقطب ، والمشتري ، والحمل ، والحوت ، والجدي والميزان (٤) .

ومما سبق نستطيع القول أن هذه النماذج من علم الفلك ورجالها عند العرب تظهر لنا فضل العرب على هذا العلم ، وتقدم صورة عامة عن المدى الذي بلغوه في تطويره وإعلاء

(١) بلاشير ، تاريخ الأديب العربي (العصر الجاهلي) ، (بيروت : دار الفكر العربي ، د ت) ص ١٠٧ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٦ .

(٣) إبراهيم نكس خورشيد و آخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ج ٩ ، النسخة العربية (الشعب ، د ت) ص ٤ وعد الحميد زيدان من أساطير الشرق الأدنى ، (مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث ، الكويت نوفمبر / ديسمبر ١٩٧٥ م) ص ١٧٣ .

(٤) يحيى عبد الأمير شامي ، مرجع سابق : ص ٢٤٥ .

شأنه . والجهود التي بذلوها في إقامته كعلم مستقل عن التنجيم ويستند إلى الملاحظة الحسية باستخدام الأرصاد لتعليل حركة النجوم السماوية وتفسير الظواهر الفلكية كل ذلك رغم إمكانياتهم المتواضعة وظروف العمل الصعبة . والمعوقات التي كانت تتعثر بها خطواتهم . بل أن العرب عندما لم تتوفر لهم الإمكانيات المطلوبة استعملوا عقولهم في تدليلها .

خامساً - علم الفلسفة والحكمة :

اهتم العلماء بالفلسفة عن طريق الترجمة لكتب الفلاسفة . وأضافوا إليها إضافة لا تكاد تحصى في كل فرع من فروع الفلسفة . والعلم على هدى ما قرأوه وجربوه بأنفسهم ونفذوا إليه بفطنتهم . وقد كان العصر العباسي بشقيه زاخراً بعلماء الفلسفة الذين أكثروا من مصنفاتهم في هذا العلم .

علماء الفلسفة والحكمة في القرنين الأول والثاني هـ الهجرة : -

لم يفرّد ياقوت هؤلاء العلماء بين صفحات علماء الفلسفة والحكمة . وذلك لاهتمام هؤلاء العلماء بعلوم الدين من الفقه والحديث والتفسير والقراءات . وعلوم اللغة من النحو والصرف والأدب والبلاغة . والشعر . ونظروهم إلى العلوم العقلية نظرة ثانوية . فقد ترك بعضهم هذا العلم مثل الكندي وغيره .

علماء الفلسفة والحكمة في القرن الثالث الهجري :

ذكر ياقوت هـ هؤلاء العلماء الذين نسطوا في تحصيل هذا العلم : -

أحمد بن الطيب المعروف بأبي الفرائضي ت : ٢٨٦ هـ كان من المهتمين بالفلسفة فقد تعلمها قراءة عن الكندي . وعلمها للمعتزلة . ومن آثاره العلمية : كتاب علوم الحكماء وكتاب الذهن الناقد الوقاد وكتاب بسطة الزراع وكتاب الشاكرين وطريق اعتقادهم وكتاب أدب النفس وقد ذكرهم الزركلي من المصنفات المطبوعة (١) .

(١) معجم الأدباء : ٣٩٢/١ ومعجم المؤلفين : ١٥٧/٢ وسير أعلام النبلاء : ١٠٥/٩ وتزويد أخبار الحكماء : من ص ٧٧ . وابن أبي اسيمة : مرجع سابق : ١٤/١ والوافي بالوفيات : ١٦/٦ والزركلي : مرجع سابق : ١٠٥/٢

علماء الفلسفة والحكمة في القرن الرابع الهجري :

لقد كثر هؤلاء العلماء في ذلك القرن فذكر ياقوت منه بينهم :

أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت : ٣٢٢ هـ كان من المهتمين بتعليم الفلسفة للصبيان ، وقد رفعه ذلك إلى مرتبة عليا ، من أثاره العلمية كتاب صور الأقاليم ذكر الزركلي أنه مخطوط ، وله كتاب البدء والتاريخ وهو كتاب مفيد مهذب عن الخرافات (١) وللبلخي كتاب : جمل مصالح الأنفس والأبدان وكتاب المصدر وكتاب أقسام علوم الفلسفة وكتاب البحث عن التأويلات وقد كتبه لأبي بكر بن المظفر شرح له فيه ما قبل في حدود الفلسفة وكتاب العلم والتعليم وكتاب شرائع الأديان وكتاب أخلاق الأمم وكان سيب بنوغل البلخي كما ذكره التوحيدي : أنه سافر إلى بغداد يجتو ، بين يدي العلماء ، فتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق وحصل من عنده علم الفلسفة (٢) . ومن علماء هذا القرن أيضا :-

أبو زكريا يحيى بن عدي البعقوبي ت : ٣٦٤ هـ كان ملازما لنسخ الكتب بيده تتلمذ على الفارابي ومثى بن يونس . وقد ترجم عن السريانية إلى العربية . وقد نسخ كثيرا من كتب المتكلمين ، من أثاره العلمية : كتاب شرح مقالة أرسطو في علم ما وراء الطبيعة ذكر الزركلي أنه مخطوط ، ومن المخطوطات التي ذكرها له الزركلي كتاب الرد على ما تعتقده الفرق الثلاث البعقوبية والنسطورية ، والملكية مخطوط في مكتبة الفاتيكان . وله كتاب المسائل مخطوط في سبع عشرة مسألة . وله رسالة في الرد على القائلين بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ ، ورسالة فيما تحقق من اعتقاد الحكماء . ومن الكتب التي ترجمها عن السريانية إلى العربية ، كتاب النواميس لأفلاطون ، وكتاب ما بعد الطبيعة (٣)

(١) معجم الأدياء : ٣٧٧/١ ولسان الميزان : ١٨٢/١ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/١ أبو حيان التوحيدي : مرجع سابق : ١٥/١ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ٢٢٧ - ٢٠٢ .
(٢) حاجي خليفة : مرجع سابق : ٢٢٧ - ٢٠٢ - ١٠٨٤ - ١٤٤٠ والزركلي : مرجع سابق : ١٣٤/١ .
(٣) ابن كثير : مرجع سابق : ٢٣٠/١١ والخيار الحكيم : من ص ٢٣٦ - ٢٣٨ وأبو حيان التوحيدي : مرجع سابق : ٢٧/١ وابن أبي أصيبعة : مرجع سابق : ٢٣٥/١ والزركلي : مرجع سابق : ١٥٦/٨ ، ١٠٦/٥ .

وقد تخرج على يعقوبى الكثير من العلماء المترجمين والفلاسفة مثل : عيسى بن على بن عيسى ت : ٣٩١ هـ الذى كان حاذقاً فى الترجمة ، فيما بعلم الأوائل ، وقد تعلم على يحيى بن عدى وقال عنه التوحيدى : " أنه حجة فى النقل والترجمة والتصرف فى فنون اللغات ، وضروب المعانى والعبارات . وقال عنه ابن كثير أنه كان صحيح السماع اتهم بشئ من مذهب الفلاسفة ، من مؤلفاته : كتاب الأمالي ^(١) . ومن هؤلاء العلماء :

أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ كان أحد الفلاسفة الفضلاء الفصحاء فى الفلسفة ، وقد عاش أيام المكتفى بالله العباسى . وقد كان والده لا يفكر فى هذا العلم ولا يعرفه ، ومن مؤلفاته : كتاب صناعة الجدل وكتاب صرف الهمم وكتاب ترياق الفكر ^(٢) .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابى ت : ٣٦٥ هـ كان إليه المنتهى فى علوم الأوائل ، لا يوجد من يماثله فى زمانه ، فى جميع أنواع الفلسفة ، وله فى ذلك تصانيف موصوفة بالجودة ، نال بها رتبة عالية عند المعتضد فكان يجلس عنده والوزير قائم ^(٣) .

تعليق :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء الفلسفة فى ذلك القرن اهتموا بأنواع وأفرع الفلسفة مثل الجدل والمناظرة ، وقد أكثروا من مصنفاتهم الفلسفية فى ذلك القرن ، بهدف التقرب إلى الوزراء والأمراء ، وقد ساهم علماء الفلسفة فى ذلك القرن بالكثير من الكتب التى ترجمت إلى الكثير من اللغات غير العربية ، بل أن العصر العباسى قد شهد نشاطاً ملحوظاً فى الترجمة ، فقد نبغ العلماء المسلمين فى ترجمة الكثير من كتب الفلسفة

(١) أبو حيان التوحيدى : مرجع سابق : ٣٦/١ وابن كثير : مرجع سابق : ٣٣٠/١١ ومعجم المؤلفين : ٢٤٠/١ وابن العماد : مرجع سابق : ١٦٩/٢ وسير أعلام النبلاء : ١٨/٩ .
(٢) معجم الأدباء : ٨/٥ ومعجم المؤلفين : ١٤٩/٣ وتذكرة الحفاظ : ٢٨٩/٢ والزركلى : مرجع سابق : ١٩١/٥ وتاريخ بغداد : ٢٠٥/٧ .
(٣) معجم الأدباء : ١٨٣/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ وأخبار الحكماء : من ص ٧٧ - ٩٨ وابن تقيى بردى : مرجع سابق : ١١٩/٤ وابن العماد : مرجع سابق : ٤٤/٣ .

ونقلها إلى اللغة العربية وبانتهاء هذا العصر ينتهي عصر المترجمين . ويدخل عصر الفلسفة الإسلامية الخاصة . والمشاركة العلمية الخصبة .

وذكر شيخنا لياقوت ^(١) بين علماء الفلسفة في القرن الخامس الهجري :

أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه ت : ٤٢١ هـ كان قد اشتغل بالفلسفة والحكمة وتعمق في ذلك أثناء قيامه على خزائن كتب ابن العميد ، حتى عرف بصاحب التجارب وقد كان فيه نزوع للإطلاع على علوم الأوائل ، ويعنى بمجالس الفلاسفة ومصاحبته مثل ابن الخمار ، والمنطقي والسجستاني ، ويستمع إلى ما في هذه المجالس من محاورات بين متفلسفة عصره . وقد تأثر بإقامته مع ابن العميد حتى أنه لم يستطع أحد أن يدعى علم الفلسفة والإلهيات في عصره . وقد شغل نفسه بالأخلاق حتى عد من أئمة نظرياتها وخصها بكتاب تهذيب الأخلاق الذي مزج فيه بين الروح الإسلامية كما يمثلها القرآن الكريم والسنة النبوية . وبين آراء فلاسفة اليونان . وآراء الكندي والفارابي وقد تأثر ابن مسكويه بكتاب الهوامل والشوامل وقد ضم هذا الكتاب مائة مسألة أجاب عنها ابن مسكويه ^(٢) .

ابن سينا ، ت : ٤٢٨ هـ كان من أكبر فلاسفة الإسلام . ولقب بالشيخ الرئيس ويقول عنه ابن قيم الجوزية : أنه تكلم في أشياء من الإلهيات ، والنسويات ، والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه . ولا وصلت إلى عقولهم ، ولا بلغت علومهم ، فأنه استفادها من المسلمين " ويقول عنه ابن أبي أصيبعة : " أن والد ابن سينا عنى بتربيته فأحضره معلماً للقرآن فحفظ القرآن في العاشرة من عمره ، وأقبل على دراسة الفقه وله معلماً يعلمه الأدب ، ثم أقبل على دراسة المنطق ، والهندسة ، والفلك على متفلسف يسمى التاتلي " وقد اطلع ابن سينا على كتب العلماء في علوم الأوائل بمكتبة القصر عند الأمير نوح بن منصور . وقد مزج

(١) معجم الأدباء : ٣/٢ وتاريخ الخلفاء المكياء : ص ٣٣١ وهدية العارفين : ٧٣/١ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق (٢) أبو حيان التوحيدي ، مرجع سابق : ٣٢/١ والزركللي ، مرجع سابق : ٢٦١/١ .

الفلسفة اليونانية بالحكمة الشرقية والروح الإسلامية ، وأكثر مؤلفاته بالعربية ، وله مؤلفات بالفارسية ومن آثاره العلمية كتاب الشفاء ذكر الزركلي أنه مطبوع يقع في أربعة أجزاء وقد حاول ابن سينا جاهداً أن يوفق بين آراء فلاسفة اليونان والقدماء وبين آراء الإسلام ، وقد نحا في كثير من أفكاره نحو الفارابي ، وكان يذهب إلى أن العقل أعلى قوى النفس ، ويبرز ابن سينا فلسفته بالتصوف الذي تفيض على المتصوف فيه اللذات الروحية ، فلا يرى في الكون سوى مبدعه وجماله ، ويسمى الصوفي بالعارف (١) .

أبو الريحان البيروني ت : ٤٤٨ هـ كان من علماء الفلسفة المتقدمين ، فقد أقام بالهند سنوات تعلم فيها اللغة السنسكريتية ، وقرأ ما كتبه فيها علماءها ودرس في عمق فلسفتها وعقائدها وتقاليدها ، وقد اعتبره لياقوت أنه أول عالم مسلم درس الفلسفة الهندية ووضع بذلك حلقة تربط علوم الهند بعلوم الإسلام وذلك بترجمة مؤلفات هندية في الفلسفة ونقلها إلى اللغة العربية فكان أقدر عالم استطاع أن يودع هذه النقائس كتبه القيمة فأخرج للمكتبة العربية نتائج بحوث ونظريات تعد بذا لتاريخ عصر جديد في الثقافة الإسلامية . وبذلك شهد القرن الخامس تطور للفلسفة ودمج آراء فلاسفة اليونان والفلسفة الأفلاطونية مع آراء الفلسفة الإسلامية (٢) .

أبو علي الحسين بن عبد الله المعروف بشبل البغدادي ت : ٤٧٤ هـ كان متميزاً بعلم الفلسفة والحكمة ، فكان يختلف إلى مجالس المتفلسفين في زمنه من أمثال يحيى بن عدى وأخذ عنه ما كان يعرف من علم الفلسفة وقد كتب ابن شبل القصيدة الرائية التي دلت على تفوقه في الحكمة والإطلاع على مكنوناتها (٣) . وذهب في قصيدته إلى اعتقاد

(١) معجم المؤلفين : ٢٠/٤ وسير النبلاء : ١١٨/١١ وخزانة الأدب : ٤٦٦/٤ وأخبار الحكماء : ص ٥٢ - ٧٢ وابن قيم الجوزية : إغاثة اللطائف ، (طبعة مصر ١٣٥٧ هـ) ج ٢٦٦/٢ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢/٢
(٢) معجم الأدباء : ١٨٠/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٤١/٨ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٤٥٩/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١١/٥
(٢) معجم الأدباء : ١٣٧/٣ - ١٥٤ ، وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٢٤٧/١ وسير النبلاء : ٢٤٦/١ والوفاء بالوفيات : ١١/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ١٠٠/١ ومعجم المؤلفين : ١٩٦/٩ وابن شاعر الكشي : مرجع سابق : ١٩٦/٩ والوفاء بالوفيات : ٣٩٢/٣ .

بعض الفلاسفة أن العالم يديره الفلك دورة مقصودة له ، ومنهم من يذهب إلى أن الكواكب ذات تأثير بعيد في حياة الناس ، وكل أحوال العالم ، ويصور حيرة لا قرار لها حول الفلك وحركته ، فهل هي اضطرارية من قبل الذات العلية أم هي اختيارية ، ويتساءل في أي شيء مداره وحركته ، وهل ترفع الأرواح إلى عالمه العلوي أم تغتنى مع الأجساد في العالم السفلي ويمضي البغدادى مبيناً عمق فلسفته في مخاطبة الدهر ، الذي تصوره يسقط الأعمار كما تسقط الورود في الروض وتذبل وتفارقها النضرة والحياة وهذه الدنيا كلما وضعت جنبنا لم ترضعه بل تركته لمرضعة غيرها ترضعه النواذب والخطوب ، ثم يتساءل عن الدنيا فيقول إنها عشواء لا تبصر ، وكل ما تأتى عليه من الأنفس يصبح هشيماً إنها لعجماء خرساء كل ما تخرجه يهدر ولا يصلح أبداً وما الحياة في نظره إلا يوم بدون أمس يسبقه ، ويوم بدون غد يلحقه ، إنها مأساة كبرى سببها ذنب آدم وعصيان ربه ، وأكله من الشجرة .

ويلاحظ الباحث بعد أن فسر بعض أبيات هذه القصيدة أن البغدادى يتفق في بعض مواقفه مع آيات الذكر الحكيم ، ثم يشطح أخرى شطحات الفلاسفة :

محمد بن أحمد المعموري البيهقي ت : ٤٨٥ هـ كان من عليّة الحكماء المشتغلين بالفلسفة ، وقد خدم الملك تاج الملوك الذي كان وزيراً بعد نظام الملك وقد قصده العامة لمعرفة أحوالهم لمعرفة بالنجوم^(١) . وهو ما يطلق عليه في عصرنا الحاضر الفلكيون أو قراء الكف ولم يترك المعموري في هذا العلم مؤلفات له .

تعليق :

لاحظ الباحث من خلال استعراضه لتراجم علماء الفلسفة الذين أوردهم ياقوت في كتابه معجم الأدباء ، أن القرن الخامس الهجري شهد انتقال علماء الفلسفة نقلة واضحة في هذا العلم ، فقد أظهروا نبوغاً وتقدماً في الفلسفة الإسلامية ، وما يتعلق منها

(١) معجم الأدباء : ١٥١/٥ والبيهقي : تاريخ حكماء الإسلام : ص ١٦٢ - ١٦٥ .

بالإلهيات ، وكذلك النفس والروح وحقيقة كل منهما ، والمستقرئ لهذا القرن يرى أن كتاب معجم الأدباء قد جمع فيه لياقوت للكثير من هؤلاء العلماء .

وذكر شيخنا لياقوت هه بيه علماء الفلسفة في القرن السادس الهجري :

أبو الفتوح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني ت : ٥٤٨ هـ الذي اشتهر في كتابه علم الفلسفة فله كتاب الملل والنحل الذي ألفه سنة ٥٢١ هـ وهو في علم مقارنة الأديان والملل ، والذي بين أن تسامح المسلمين مع أهل الكتاب ، كان سبباً في نشأة هذا العلم نشأة مبكرة لدى العرب . فقد كتب فيه البيروني كتاب تحقيق ما للهند من مقولة وهو يبحث مباحث دقيقة في الديانات (١) .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت : ٥٦٥ هـ الذي اهتم بعلم الفلسفة ، فقد رحل في الاستزادة من هذا العلم ، وأنفق من الأموال الكثير حتى يحصل الكثير من هذا العلم ، فقد تعلم على يد " قطب الدين محمد المرزوي الملقب بالمطلسي في عام ٥٣٠ هـ فقد أقام عنده حتى أنفق ما معه من الدنانير والدرهم ، وعاد إلى نيسابور في عام ٥٣٢ هـ وقد تعلم الكثير من هذا العلم فاشتغل بعلوم الحكمة ، وصنف فيها ٧٤ كتاباً منها كتاب ذخائر الحكم وقيل اسمه أسرار الحكم في الحكمة والفلسفة وكتاب شرح الموجز المعجز وكتاب تنمة صوان الحكمة (٢) .

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي يعد من الكتب التي اهتمت بتاريخ التربية بصفة عامة ، وعلم الفلسفة والحكمة بصفة خاصة ، بدأ من القرن الثالث الهجري حتى القرن السادس

(١) معجم الأدباء : ١٢٨/٥ وسير أعلام النبلاء : ٢١٠/١٢ والواقعي والواقعات : ٣٧٨/٣ وابن العباد : مرجع سابق .

(٢) معجم الأدباء : ١١٩/٤ والزركل : مرجع سابق : ٢١٥/٦ وحاجي خليفة : مرجع سابق : ١٧٠/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ١١٧/٤ ومعجم المؤلفين : ٦٨/٧ ومنية العارفين : ٦٩٩/١ وحاجي خليفة : مرجع سابق .

سادساً : علم التأريخ :

من خلال عرض لياقوت الحموي لبعض العلوم الدراسية تناول العلماء الذين كتبوا في علم التاريخ ، حيث أن كتابات العلماء في علم التاريخ قد نشطت في معجم البلدان العربية الإسلامية . في شتى فروع هذا العلم . وقد وضع ذلك في التراجم التي أوردها لياقوت لهؤلاء العلماء في كتاب معجم الأدباء .

فقد ذكر شيخنا لياقوت مه يبه علماء التأريخ في القرن الثاني الهجري :

أبو اليقطين الملقب بالنسابة ت ١٩٠ هـ الذي اهتم برواية أخبار القبائل وتاريخهم ، وصنف في ذلك العديد من الكتب منها كتاب أخبار سميم قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب النسب الكبير ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وقد تناول فيه نسب خندق وأخبارها . وله كتاب النوادر قال عنه الزركلي أنه مطبوع (١) .

تعقيب :

لاحظ الباحث أن علماء التاريخ في القرن الثاني اهتموا بالكتابة في علم الإنسان كفرع من فروع التاريخ ، وكانت بداية لأن يسير العلماء من بعدهم على منهاجهم في كتابة علم الأنساب .

وذكر لياقوت مه يبه علماء التأريخ في القرن الثالث الهجري :

أبو حذيفة البخاري ت : ٢٠٦ هـ الذي اهتم بالكتابة في علم الأنساب . وأرخ للسير والمغازي والفتوحات . وقد صنف في ذلك الكثير من الكتب حتى أن الخطيب البغدادي عدة أكثر من ألف في تاريخ المغازي والسير . ولذلك استقدمه هارون الرشيد من بخارى إلى بغداد . ومن بين مؤلفاته كتاب الفتوحات وكتاب الردة قال عنه الزركلي أنه مطبوع . وله كتاب الجمل وصفين وكتابه المشهور المبتدأ قال عنه الزركلي أن الجزء الرابع منه مخطوط في المجموع بالظاهرية تحت رقم ٧١ ، وقد صنعه في بدأ الخلق (٢) .

(١) معجم الأدباء : ٢١٩/٥ - والزركلي : مرجع سابق : ٧٩/٣ .
(٢) معجم الأدباء : ١٦٢/٢ والخطيب البغدادي : مرجع سابق : ٣٦٦/٦ والزركلي : مرجع سابق : ٢٩١/١ وحامى خليفة : مرجع سابق : ١٢٣٧/٢ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ .

الوافدي ت : ٢٠٧ هـ الذي أتاح له قدرته العلمية وإطلاعه على كتب التاريخ القيام بهذه المهمة ، فقد كان حافظاً للأخبار وأيام الناس ، وصنف في ذلك كتاب التاريخ الكبير ، وكتاب التاريخ والمغازي وكتاب أخبار مكة وقد عددهم الزركلي من الكتب المطبوعة وقد ذكر له ياقوت أكثر من عشرين مصنفاً في علم التاريخ ، وبخاصة السير وأيام الناس (١) .

أبو محمد الفارسي ت : ٢٢٥ هـ الذي نبغ في علم التاريخ ، وأفرد لنفسه من بين فروع علم التاريخ ، بالتاريخ السياسي ، المتعلق بأخبار القادة والملوك والأمراء ، فقد كتب في ذلك كتاب تدبير الملك والسياسة (٢) .

أبو محمد الملقب بابن النديم الموصلي ت : ٢٣٦ هـ الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء واشتهر بأنه من ندماء الخلفاء ، ولذلك تفرد بصناعة التاريخ في عصره ، فكان حافظاً للأخبار والأحداث التي يسمعها من هذه المجالس ، ولذا اهتم اهتماماً واضحاً بتصنيف الكتب في تاريخ القبائل ، ومن ينتسب إليها ، ومن هذه الكتب كتاب أخبار عجرد وكتاب أخبار محمد بن عائشة قال عنه الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب أخبار ذي الرمة وكتاب أخبار الأحوص وكتاب جواهر الكلام (٣) .

أبو جعفر الخزاز ، ت : ٢٥٧ هـ الذي اهتم بعلم التاريخ ، جامعاً بين التاريخ السياسي وتاريخ الأنساب ، ومن آثاره العلمية كتاب القبائل وكتاب أسماء الخلفاء وكتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب ، وأخبارهم في الجاهلية وكتاب المسالك والممالك وكتاب مغازي النبي (ص) وسراياه وأزواجه وكتاب الصحابة (٤) .

(١) معجم الأدياء : ٣٩٤/٥ ، وابن خلكان ، مرجع سابق : ٩٤٠/١ وابن العماد ، مرجع سابق : ١٨/٢ وحاجي خليفة مرجع سابق : ٤٦٠/١ ، ١٢٣٧/٢ ، ١٢٣٩ .
(٢) معجم الأدياء : ١٥٥/٢ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق : ١٨٦/١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٠٩/١ .
(٣) معجم الأدياء : ١٥٥/٢ وللباء الرواق : ٢١٥/١ والأصفهاني ، مرجع سابق : ٢٦٨/٥ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٩٢/١ .
(٤) معجم الأدياء : ٢٧٤/٢ وشذكرة الخفاجي : ١٥٦/٢ والصلبي ، مرجع سابق : ١٤٠/٥ .

أبو بكر النسائي ت: ٢٧٩ هـ الذي اهتم بعلم الأنساب، فقد كان بصيراً بأيام الناس، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ الكبير يقول عنه الزركلي أن الجزء الخامس منه مخطوط بالحمودية بالمدينة تحت رقم ٢٦ أصول حديث، ويقول: رأيت كراساً منه مكتوباً على الرق (هو جلد رقيق يكتب عليه، في صورة الصحيفة البيضاء) هو الكراس الثاني من الجزء الثامن، الذي تضمن تراجم لبعض الكوفيين وهو يوجد في خزانة الريايط برقم ٢٦٧١ كتابي، ويوجد جزء منه مجلداً في خزانة القرويين بفاس، وقد استفاد منه الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد وقال عنه: لا أعرف كتاب: أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي ألفه النسائي، فقد أحسن فيه وأكثر من الفوائد (١).

أبو الحسن الملقب بالبلاذري ت: ٢٧٩ هـ الذي اهتم بعلم التاريخ فهو مؤرخ جغرافي من أهل بغداد، فقد ترجم كتاب عهد أردشير، وكتاب القرابة وتاريخ الأشراف قال عنه الزركلي أنه طبع منه أجزاء ويسمى أنساب الأشراف، ومنه مخطوطة نفيسة في مجلد واحد، كتبت في دمشق سنة ٦٥٩ هـ في خزانة الريايط تحت رقم ٧١، وله كتاب الأخبار والأنساب ذكر الزركلي أنه يقع في عشرين مجلداً وقد كان ضائعاً فعثر عليه المستشرق الألماني (أهلوارد) في مكتبة شيفر، فطبع وفيه أخبار بني أمية وتفاصيل وقائع مصعب بن الزبير وأخيه عبد الله، وأخبار الخوارج (٢).

ابن واضح اليعقوبي ت: ٢٨٤ هـ الذي أفرد كتاباته في علم التاريخ، فمن كتبه كتاب أخبار الأمم السالفة وله كتاب مشاكلة الناس لزمانهم (٣).

(١) معجم الأدباء: ٣٥٧/١ وابن تقي الدين، مرجع سابق: ٨٢/٣ وابن العماد، مرجع سابق: ١٧٤/٢ والزركلي، مرجع سابق: ١٢٨/١.
(٢) معجم الأدباء: ٤٨/٢ وبروكلمان، مرجع سابق: ١٩١/٢ ولسان الميزان: ٣٢٢/١ وجورجي زيدان، مرجع سابق: ١٩٢/٢ والزركلي، مرجع سابق: ٦٦٧/١.
(٣) معجم الأدباء: ٢٤٤/٥ وابن خلكان، مرجع سابق: ٤٣١/٣ والزركلي، مرجع سابق: ١٤٨/٢ وحاجي خليفة، مرجع سابق: ١٢٣٧/٢، ٤٦٠/١.

تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء القرن الثاني الهجري في علم التاريخ قد جعلوا كل اهتماماتهم تجاه علم الأنساب ومعرفة القبائل، والكتابة عن تاريخ السير والمغازي وذلك من خلال تأثرهم بالأحداث التي سبقتهم، وكان لها عظيم الأثر في حياة الأمة الإسلامية، الأمر الذي دفع بهم للكتابة في هذين الفرعين من علم التاريخ حتى يسدوا للقارئ ملحمة الغزوات التي عهدها المسلمون الأوائل في نشر الدعوة الإسلامية، وبجانب هؤلاء العلماء فقد اهتم البعض الآخر منهم بالكتابة والتصنيف في تاريخ الأدباء، ورجال القبائل، وتاريخ الفن، وبذلك تنوعت الكتابة التاريخية في كل بلد عربي كثقافة عربية إسلامية.

وذكر شيخنا لياقوت رحمه الله علماء التاريخ في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر الطبري ت : ٣١٠ هـ كان مؤرخاً إيرانياً ، فقد كانت البلاد تعرف عن طريق مؤرخيها ، ويعرف المؤرخون ببلادهم ، وقد كتب الطبري الكثير من المؤلفات في علم التاريخ منها على سبيل المثال كتاب أخبار الرسل والملوك ذكر الزركلي أنه مطبوع ويقع في أجزاء وله كتاب تاريخ الرجال المسمى بذيّل المذيّل ، وقد حصل منه تلاميذه الكثير فقد قسموا عليهم أوراق مصنفاته فصار منها لكل منهم أربع عشرة ورقة (١)

أبو العباس أحمد بن عبيد الثقفي ت : ٣١٤ هـ الذي اهتم بالكتابة في علم التاريخ فقد كان الأمراء يكلفون العلماء والمؤرخون والكتاب بتأليف الكتب مقابل أجره ، فقد كتب الثقفي لابن الفرات كتاب أخبار المبيضة الكناية عن أعلام الطلاب التي كانت بيضاء ، والمسودة (كناية عن أعلام العباسيين) ، وله كتاب صفين وكتاب الجمل (أي موقعة الجمل التي دارت بين الإمام علي (كرم الله وجهه) وأم المؤمنين عائشة (رضی الله عنها) وقد كتب الثقفي هذه الكتب لابن الفرات مقابل عشرين ألف درهم (٢)

(١) مجمع الأدباء : ٢٤٤/٥ وسنن البلاء : ٢٠٦/٩ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٩/٦ .

(٢) مجمع الأدباء : ١٥١/١ ومنية القارئ : ٥/١ والسفدي ، مرجع سابق : ١٠٨/٤ .

أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي النجم ت: ٣٢٢ هـ الذي اهتم بعلم الآثار وصنف في الكثير من المؤلفات فله كتاب النواحي في أخبار البلدان وكتاب الجوابات المسكتة قال عنه الزركلي أنه مخطوط باسم الأجيبة المسكتة ويوجد بجامعة الرياض تحت رقم ٢٤٩ وله كتاب الدواوين (١).

وذكر بروكلمان في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية: من المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة في علم الآثار (المطهر بن طاهر المقدسي ت: ٣٥٥ هـ الذي كتب كتاب بدأ الخلق والتاريخ جمع فيه الكثير من المعارف عن الأديان، وبه كثير من الأخبار التاريخية وذكر من معاصريه (أبو بكر محمد بن إبراهيم الجوزي ت: ٣٥٤ هـ الذي كان علامة في معرفة الأنساب (٢).

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ت: ٣٤٦ هـ الذي اهتم بالبحث في تاريخ الدول وصنف العديد من الكتب منها كتاب مروج الذهب ذكر الزركلي أنه مطبوع، وله كتاب أخبار الزمان وهو من الكتب ذات القيمة العلمية، يقع في ثلاثين مجلداً، قال عنه الزركلي بقي منه الجزء الأول مخطوطاً، وله كتاب الإشراف والتنبيه قال عنه الزركلي أنه مطبوع. وله كتاب أخبار الأمم من العرب والعجم، وكتاب خزائن الملوك وسر العالمين وهذا الكتاب يتحدث فيه عن أصول الديانات، وكتاب البيان في أسماء الأئمة (٣).

أبو بكر أحمد بن كامل القاضي ت: ٣٥٠ هـ كان من المهتمين بعلم التاريخ وبالكتابة فيه فله كتاب التاريخ وكتاب الزمان وكتاب أمهات المؤمنين وقد ذكر الزركلي أن هذه الكتب من الكتب المطبوعة، ومن كتبه المخطوطة كتاب أخبار القضاة (٤).

(١) الزركلي، مرجع سابق: ٦٠/١ وعمر رضا كحالة، مرجع سابق: ١٦/١١.
(٢) كثر، بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس ومخير البعلكي، الطبعة الأولى، الجزء الثالث (بيروت - دار العلم للملايين، ١٩٨٨ م) ص ١١٤.
(٣) معجم الأدياء: ٥٠/٤ وتذكرة الحفاظ: ٧٠/٣ والزركلي، مرجع سابق: ٢٧٧/٤ وابن تغري بردي، مرجع سابق: ٢١٥/٣ وابن شاذان، مرجع سابق: ٤٥/٢.
(٤) معجم الأدياء: ٥٤٨/١ والزركلي، مرجع سابق: ١٩٩/١.

أبو محمد إسماعيل بن علي الخطمي ت : ٣٥٠ هـ كان مؤرخاً ثقة ، عارفاً بأيام الناس ، وأخبار الخلفاء ، واشتهر في أيام الراضي بالله العباسي ، ولم يذكر له ياقوت مؤلفات في علم التاريخ ، وقال الزركلي : له تاريخ كبير يسمى بتاريخ إسماعيل بن علي الخطمي (١) .

أبو الحسن ثابت بن سنان الصابي ت : ٣٦٥ هـ كان مؤرخاً ، خدم الخليفة الراضي بالله العباسي ، ثم المقتضى لله ، والمستكفي ، والمطيع ، ومن آثاره العلمية كتاب التاريخ ذكر فيه ما كان في أيامه من أحداث ، وختم بوفاته ، وله كتاب أخبار مصر والشام ، وقد تعلم أبناء الصابي علم التاريخ عن والدهم (٢) .

أبو خالد أحمد بن إبراهيم القيرواني ت : ٣٦٩ هـ كان مؤرخاً من أهل القيروان ومن مؤلفاته كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر ، وكتاب صحيح التاريخ وله كتاب أخبار دولة المهدي وظهوره بالمغرب ذكر الزركلي أنه من الكتب ذات القيمة العلمية (٣) .
أبو إسحاق الصابي ت : ٣٨٤ هـ الذي اهتم بالتاريخ السياسي ، الذي يمثل فرع من علم التاريخ ، وقد كتب الصابي في التاريخ السياسي كتاب الجامع المختصر (٤) .
تعقيب :

مما سبق لاحظ الباحث أن علماء التاريخ في القرن الرابع الهجري ، قد اهتموا بالكتابة حول التاريخ السياسي لبعض الدول والأسر ، التي سمعوا عنها وشاهدوا آثارها وقد عرف علماء التاريخ من خلال أماكن إقامتهم ببلادهم وأحياناً عرفت بلادهم عن طريقهم ، وقد حصل هؤلاء العلماء على مكانة رفيعة عند الأمراء والوزراء ، وكان اهتمام

(١) معجم الأدباء : ٢٩٩/٢ والطبيب البغدادي ، مرجع سابق : ٣٠٤/٦ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٩/١ .
(٢) معجم الأدباء : ٣٦٥/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ وابن العماد ، مرجع سابق : ٤٤/٣ وأخبار الحكماء : ص ٧٧ والزركلي ، مرجع سابق : ٩٨/٢ .
(٣) معجم الأدباء : ٢٥٢/١ ومعجم المؤلفين : ١٣٧/١ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٣٧٢/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٨٥/١ .
(٤) معجم الأدباء : ٢٩٤/٥ وابن تقي بردي ، مرجع سابق : ٣٩/٧ والمير : ١٣٢/٥ .

الأمراء يعلم التاريخ قد جعلهم ينفقون الأموال الطائلة للحصول على كتابات علماء التاريخ.

علماء التاريخ في القرن الخامس الهجري :

أرض ياقوت للكثير من علماء هذا القرن ، ونذكر من بين هؤلاء العلماء :

الراقي القيرواني ت : ٤٢٥ هـ كان من العلماء الذين غلب عليهم علم التاريخ وتأليف الأخبار . ومن آثاره العلمية : كتاب تاريخ أفريقيا والمغرب ذكر الزركلي أنه مطبوع في تونس وكتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك ^(١).

هلال بن المحسن الصائغ ت : ٤٤٨ هـ الذي كتب في التاريخ السياسي كتاب الوزراء ويذكر ياقوت أنه طبع منه قطعة في مجلد كبير خاصة بوزارة المقتدر . وهي حافلة بالأخبار السياسية والاقتصادية ^(٢).

بهاء الدين بن شداد ، صاحب كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية وقد تعلم بالمدرسة النظامية ببغداد وعين بها معيداً ، ثم تركها إلى نظامية الموصل والتحق بخدمة صلاح الدين ^(٣) . ومنه نلاحظ أن وظيفة المعيد كانت قائمة في القرن الخامس الهجري ، وذلك لمساعدة المدرس في أعماله التعليمية التي يقوم بها .

أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ت : ٤٨٨ هـ كان من المؤرخين الذين روى عن الخطيب البغدادي ، ومن آثاره العلمية : كتاب الذهب المسبوك في عظم الملوك وكتاب تسهيل السبيل إلى علم الترسل ذكر الزركلي أنهما مخطوطان ^(٤) . وذكر له ياقوت الكثير من المؤلفات .

(١) معجم الأدباء : ١٣٧/١ وابن خلكان : مرجع سابق : ١١٢/١ ومعجم المؤلفين : ٧٦/١ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٩٤/٥ وابن خلكان : مرجع سابق : ١٠١/٦ .

(٣) ابن خلكان : مرجع سابق : ٨٤/٧ .

(٤) معجم الأدباء : ٣٩٦/٥ ومعجم المؤلفين : ١٢١/١١ والزركلي : مرجع سابق : ٣٢٧/٦ واللبان : ٣٢١/١ والكنال في التاريخ : ٨٨/١٠ .

أحمد بن علي الخطيب البغدادي : ٤٦٣ هـ كان من المؤرخين المهتمين بالكتابة في تاريخ المدن ، فهو صاحب كتاب تاريخ بغداد الذي يعتبر تحفة نفيسة لا نظير له بين كتب التاريخ الخاصة بالمدن ، ولابن النجار ، ت : ٦٤٣ هـ ذيل عليه في ثلاثين مجلدا ، اختصره ابن الدماطي في كتاب اسماء المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ومنه نسخة في دار الكتب المصرية بخط مؤلفه (١)

أبو الوفاء ، مبشر بن فاتك الأمير ، ت : ٥٠٠ هـ من أهل دمشق ، ومن آثاره العلمية كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ذكر الزركلي أنه طبع في مدريد ، وكتاب سيرة المستنصر (٢)

علماء التأريخ في القرن السادس الهجري :

أرخ لياقوت للكثير من علماء التاريخ في هذا القرن نذكر من بينهم الذين صنفوا في هذا العلم من التصانيف الكثيرة :

أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي ت : ٥٥٢ هـ كان من مؤرخي واسط ، ومن آثاره العلمية : كتاب القضاة ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وكتاب تاريخ البطائع (٣)

أبو الغارات طلائع بن رزيق الملقب بالملك الصالح ت : ٥٥٦ هـ ترك من المؤلفات كتاب المذهب وكتاب الأنساب قال الزركلي أنه يقع في عشرين مجلدا ، كل مجلد يقع في عشرين كراسا (٤)

أبو محمد الحسن بن علي الأسواني المصري ت : ٥٦١ هـ كان من جلساء الصالح بن رزيق (٥)

(١) معجم المؤلفين : ٣/٣ وشوقي خيف تاريخ الأدب العربي : من ٣٢٠ وذكره المطالع : ١١٢/٤ ومعجم المؤلفين : ٤٠١/١٠
(٢) أخبار الحكماء : من ١٧٦ ومعجم المؤلفين : ١٧٤/٩ ومعجم الأدباء : ٢٨٨/٥ والزركلي : مرجع سابق : ٢٧٣/٥
والوفاي بالوفيات : ٣٢٥/٢ وتاريخ بغداد : ٢٧٧/٢
(٣) معجم الأدباء : ٢٣١/١ ومعجم المؤلفين : ١٧٢/١ وابن كثير : مرجع سابق : ٢٣٦/١٢ والمستنصر : ١٧٨/١٠
(٤) ابن شاذان الكشي : مرجع سابق : ١٢٤/١ والزركلي : مرجع سابق : ٢٠٢/٢
(٥) معجم الأدباء : ٢٦/٣ والأدقوى : مرجع سابق : من ١٠٠

أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب الأصفهاني ت: ٥٩٧ هـ كان من كبار الكتاب في تاريخ المدن ، قدم بغداد حدثاً ، فتأدب وتفقه ، واتصل بالوزير عماد الدين بن هبيرة ومن آثاره العلمية : كتاب خريدة القصر وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي ذكر الزركلي أنهما مطبوعان ، وكتاب البرق الشامي قال الزركلي أنه مخطوط يقع في سبع مجلدات (١) . وذكر ياقوت له الكثير من المؤلفات في علم التاريخ .

أبو العباس أحمد بن محمد الأبي ت: ٥٩٨ هـ كان من كتاب التاريخ ، فله كتاب نثر الدرر ذكر الزركلي أنه مطبوع (٢) .
علماء التاريخ في القرن السابع الهجري :

أرغ ياقوت في هذا القرن لبعض علماء التاريخ وهؤلاء العلماء :

أبو القاسم قثم بن طلحة الملقب القاضي ت: ٦٠٧ هـ كان من المهتمين بعلم الأنساب وقد جمع في ذلك الكثير (٣) .

محمد بن محمود المؤرخ البغدادي ت: ٦٤٣ هـ كان من العلماء الذين رحلوا بين البلدان للسمع من العلماء ، ومن مؤلفاته تاب ذيل تاريخ بغداد وله الكمال في معرفة الرجال (٤) .

تعليق :

مما سبق لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي يعتبر من المهتمين بتاريخ التربية والتعليم ، فقد تحدث عن بعض علماء التاريخ الذين نشطوا في الكتابة لمختلف فروع علم التاريخ . وقد وضع ذلك من خلال استعراض تراجم هؤلاء العلماء ، فقد كان القرن الأول والثاني من الهجرة من الفترات التي ظهر بها الكثير من علماء الأنساب ، وتاريخ القبائل

(١) معجم الأديباء : ٤٢٥/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٠٤/١١ وابن العماد : مرجع سابق : ٣٣٢/٤ .
(٢) معجم الأديباء : ٣/٢ ومعجم البلدان : ٣٥/١ ومعجم المؤلفين : ٦٢/٢ .
(٣) معجم الأديباء : ٧/٥ والزركلي : مرجع سابق : ٦٢/٢ .
(٤) معجم الأديباء : ٤٤٤/٥ ومعجم المؤلفين : ٣١٧/١١ وابن شاذان القسي : مرجع سابق : ٢٦٤/٢ والزركلي : مرجع سابق : ٨٦/٧ وهدية المارغين : ١٢٢/٢ .

وأنساب الرجال ، وظهر ذلك جلياً في القرن الثالث والرابع من الهجرة ، إذ اهتم علماء التاريخ بكتابة مؤلفاتهم في تاريخ الرجال ، إذ تاملنا كتب مختلفة ، ذكرها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) وكان من بين هذه الكتب كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة الذي كتبه ابن الأثير ، وكتاب اللبان مختصر كتاب الأنساب للسمعاني ، ولف الدارقطني وابن النجار كتاب المؤلف والمؤلف ، والمتفق والمفترق في نسبه المحدثين إلى الأبياء والبلدان ، وكتاب جنة الناظرين في معرفة التابعين وكتاب الكمال في معرفة الرجال .

بالإضافة إلى ذلك فقد صنف علماء التاريخ الكثير من أمهات الكتب في مجال التاريخ السياسي ، وكان هدفهم في ذلك أحياناً من أجل التقرب إلى الأمراء والوزراء حتى ينالوا بعض المناصب السياسية وأحياناً أخرى من أجل الحصول على الأموال .
سابعاً : علم الجغرافيا :

ذكر ياقوت الحموي في معجمه عدداً من العلماء الذين اهتموا بعلم الجغرافيا فالفوا فيه الكتب وصنفوا التصانيف واجتهدوا في تعليمه لغيرهم خاصة وأن البيئة الطبيعية التي يعيشها الإنسان تؤثر في تشكيل فكره ، واتجاهاته العلمية ، تعنى الجغرافيا بها ويدرسها ، فهذه هي البيئة الصحراوية التي أنجبت الكثير من العلماء ، وإن كان ياقوت لم يظهر اهتمام علماء الجغرافيا بالكتابة في هذا العلم ، في القرنين الأول والثاني من الهجرة .

وقد ذكر شيخنا ياقوت هذه علماء الجغرافيا في القرون الثلاثة الهجرية :

أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت : ٢١١ هـ كان من المهتمين بالكتابة في الجغرافيا المناخية وقد صنف في الجغرافيا الاقتصادية كتاب صفات الغنم وأنواعها وعلاجها وأسبابها (١) .

(١) معجم الأدباء ٣/٣٨٥ ومعجم المؤلفين ١/٢٢١/٤ وسير أعلام النبلاء : ١٨٨/٧ والزركلي ، مرجع سابق : ١٠١/٣

أبو جعفر محمد بن حبيب : ٢٤٥ هـ كان مؤدياً للكثير من أهل بغداد ، ومن آثاره العلمية كتاب النبات والشجرة ذكر الزركلي أن مطبوع ، وله كتاب الخيل ^(١) .

أبو زيد سعيد بن أوس الملقب بالإمام ت : ٢٥١ هـ كان من كتاب الجغرافيا فقد ترك لنا الكثير من المؤلفات الجغرافية والتي تنوعت بين الجغرافية الاقتصادية والمناخية وجغرافية المدن والعمارة ، ومن أهم هذه الكتب كتاب الإبل والشاة ، وكتاب المطر وكتاب بيوتات العرب ^(٢) .

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه " تاريخ بغداد أن الحركة العلمية قد نشطت بالعراق ويوجه خاص علم الجغرافيا ، فقد كتب العراقيون فيها الكثير من أمهات الكتب في هذا العلم فإلقانا منهم الإصطخري صاحب كتاب المسالك والممالك تحدث فيه عن مملكة الإسلام ، وصورة أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها وسهولها وجبالها ^(٣) وذكر شيخنا ياقوت هـ يده علماء الجغرافيا في القرن الرابع الهجري :

أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت : ٣٢٢ هـ كان له السبق على علماء البلدان في الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض في كتابه صور الأقاليم الإسلامية ^(٤) .

وذكر شيخنا ياقوت هـ يده علماء الجغرافيا في القرن الخامس الهجري :

أبو الريحان البيروني ت : ٤٤٨ هـ كان من المهتمين بالعلوم العقلية والتي منها علم الجغرافيا ، وله الكثير من المؤلفات كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية طبع وترجم إلى الإنجليزية ، وله كتاب تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ذكر الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة وله كتاب الكسوفين عند الهند ، ولعرفة المزيد من هذه المؤلفات يمكن الرجوع إلى الجزء الثاني من كتاب " معجم الأدباء " لياقوت الحموي ^(٥) .

(١) معجم الأدباء: ٢٨٩/٥ وابن القيم ، مرجع سابق: ٦/١ ومعجم المؤلفين: ٢٤٠/١ والزركلي ، مرجع سابق: ٧٨/٦

(٢) معجم الأدباء: ٣٥٦/١ وسطر أعلام النبلاء: ٩٩/٩ ومعجم المؤلفين: ٢١٨/١

(٣) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق: ٢٧٧/٢

(٤) معجم الأدباء: ٦٦٧/١ والواقعي بالهولاء: ٦/٦ - ٨ والزركلي ، مرجع سابق: ١٣٩/١

(٥) معجم الأدباء: ٢٢١/٢ والزركلي ، مرجع سابق: ٣١٤/٥

أبو الوليد إسماعيل بن محمد الكاتب ت : ٤٤٠ هـ كان من علماء الجغرافيا الذين كتبوا في الجغرافية الطبيعية فقد فرضت عليه البيئة أن يتبحر في علم الجغرافيا وكتب في ذلك كتاب البديع في فصل الربيع . وقد تحدث فيه عن فصل الربيع . وما يعتريه من متغيرات في المناخ^(١)

وهو بينه علماء الجغرافيا في القرن السابع الهجري : -

كان أهم جغرافي ظهر في العراق ، في ذلك القرن هو ياقوت الحموي البغدادي ت : ٦٢٦ هـ صاحب كتاب " معجم الأدياء " موضوع الدراسة . وقد ظهر ياقوت في ذلك العلم من خلال كتاباته الجغرافية متعددة الجوانب . ويعتبر كتابه " معجم البلدان " من أنفس كتب الجغرافيا العربية . ويقع في ست مجلدات ضخام . وذكر فيه ياقوت أنه لم يترك كتابا في المكتبة العربية إلا ذكر أنه اطلع عليه ونقل عنه . ولم يكتف ياقوت بتلك الكتب التي كون منها مادته العلمية لهذا الكتاب بل رجع إلى دواوين الشعراء ينقل عنها وألم في بلدة بأهم من عاش فيها من العلماء والأدياء مما يضيف قيمة واسعة للكتاب . إذ يصبح مصدرا من مصادر العلم والأدب ورجالها . وله في الجغرافيا أيضا كتاب المشترك وضعه والمختلف صقعا وهو مطبوع في سنة ١٨٤٦ م . وقام بنشره (فرديناند وستنفيلد) الذي نشر كتاب " معجم البلدان " وغيرها من أمهات كتب التراث^(٢)

أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف الموصلی المعروف بابن اللباد . ت : ٦٢٩ هـ كان من المهتمين بالكتابة في علم الجغرافيا . ومن آثاره العلمية كتاب الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار . وقد وصف فيه مصر وآثارها وصفا بديعا . وصور كثير من شئونها الاجتماعية^(٣)

(١) معجم الأدياء : ٣١٢/٢ ومعجم البلدان : ٢٥٤/١ والزركلي : مرجع سابق : ٣٢٣/٨ .
(٢) معجم الأدياء : ١٨/١ - ٤٤ ومعجم المؤلفين : ١٧٩/١٣ وابن تفری برقی : مرجع سابق : ١٨٧/٨ والزركلي : مرجع سابق : ١٣١/٨ .
(٣) معجم المؤلفين : ١٣١/٤ وابن شاکر الکنتی : مرجع سابق : ١٠٧/٢ والزركلي : مرجع سابق : ٢١/٤ .

تعليق :

لاحظ الباحث من خلال استعراضه لتراجم العلماء الذين أوردتهم ياقوت في معجمه أن علم الجغرافيا كان من العلوم العقلية التي عنى بها العلماء . على وجه الخصوص الجغرافيا البنية والاقتصادية . والمناخية ، والجغرافيا الإقليمية . ولذلك فمن المقرر أن أوروبا وعلماء الغرب قد استفادوا من معارف علماء المسلمين ففي كتاباتهم الجغرافية ، وأنهم مدينون لهم في معارفهم الجغرافية والملاحية ، حتى أن علماء الغرب ما زالوا يستخدموا بعض الكلمات العربية المستخدمة في الملاحية . وفي تاريخ الجغرافيا وكان الجغرافيون العرب قد بدأوا بتحديد تقويم البلدان داخل دولة الإسلام . ورسموا صورة الأرض ولم يعارضوا فكرة كرويتها . وأضافوا إلى الجغرافيا الفلكية الكثير . واهتموا بغير بلاد الإسلام . مثل الشرق الأقصى وبلاد الهند . وبذلك فإن تقدم الجغرافيا يرجع إلى أعمال أجيال من العلماء المسلمين الذين لم يكتفوا بالنقل بل جالوا في البلدان وسافروا في البحار .

تلخيص : علم الرياضيات (الحساب - الجبر والمقابلة - الهندسة) :

أرخ ياقوت الحموي من خلال كتابه " معجم الأدياء " للكثير من علماء الرياضيات الذين نبغوا في هذا العلم . وفي فروع . وصنفوا فيه الكثير من التصنيف . وقد ذكر ياقوت هؤلاء علماء الرياضيات في القرن الثالث الهجري :

أبو العنيس محمد بن إسحاق الملقب بالصيمري ت : ٢٧٥ هـ الذي اهتم بعلم الرياضيات وبوجه خاص علم الهندسة . وقد صنف في ذلك كتاب هندسة العقل^(١) .
أبو حنيفة الدينوري ت : ٢٨٢ هـ الذي اهتم بعلم الحساب والهندسة والجبر . فكان مهندساً حاسباً . وترك من مؤلفاته العلمية كتاب نوازل الجبر وكتاب الجبر وكتاب الجبر والمقابلة وكتاب البحث في حساب الهند وكتاب حساب الدور^(٢) .

(١) معجم الأدياء : ٢٢٢/٥ - ٢٢٣ والخطيب البغدادي : مرجع سابق : ٢٢٨/١ ومعجم المؤلفين : ٢٨/٩ والوفاء بالوفيات : ١٩١/٢ والزركل : مرجع سابق : ٢٨/٦ .
(٢) معجم الأدياء : ٣٥٢/١ والزركل : مرجع سابق : ١٥٧/٧ والزركل : مرجع سابق : ١٢٣/١ .

وقد ترك ياقوت هذه علماء الرياضيات في القرون الأول الهجري :-

يعقوب بن طارق ، ومحمد بن إبراهيم القراري ، فقد ذكر الدكتور محمد عبد الرحمن مرحباً في كتاب الجامع في تاريخ العلوم عند العرب قوله : في سنة ١٥٤ هـ وفد على بلاط الخليفة العباسي المنصور ببغداد حكيم هندي خبير بمعرفة النجوم . ومعه كتاب أثار اهتمام أثنان من متجمل المنصور فنقلوه إلى العربية . فكان ذلك بدءاً احتكاك العرب بالفكر الهندي ، وكان العرب قبل ذلك منذ العصر الأموي أي في نهاية القرن الأول للهجرة قد تعرفوا على الفكر اليوناني بعلومه الرياضية (١) .

وتبين للباحث أيضاً أن ياقوت الحموي قد ترك من علماء الرياضيات في القرن

الثالث الهجري :-

الخوارزمي م ، سس علم الجبر ، فقد كان : * محمد بن موسى الخوارزمي ت : ٢٢٢ هـ أول من وضع أسس هذا العلم وجعله علماً مستقلاً منتظماً . بعد أن كانت مبادئه مشتقة ومختلطة في موضوعات الرياضيات وبخاصة الحساب والهندسة . وكان الخوارزمي أول من أطلق على الجبر هذا الاسم ووضع مصطلحاته . وكان ذلك في أيام الخليفة المأمون الذي كلفه بذلك . فوضع كتاب الجبر والمقابلة ، وهذا العلم ، يعني به عند الخوارزمي نقل الحدود (٢) .

وذكر ياقوت هذه علماء الرياضيات في القرون الرابع الهجري :-

أبو النصر محمد بن إسحاق الكندي المصري ت : ٣١١ هـ كان مشاركاً في علم الهندسة وغيرها من علوم الأوائل . وقد أخذ هذا العلم عن علماء أنطاكية ، ثم سار عنها إلى مصر ، حتى يدرس بها هذا العلم لغيره من طلاب العلم (٣) .

أبو سعيد سنان بن ثابت الحرائي الصابي ت : ٢٣١ هـ كان مهتماً بعلم الهندسة ساعده على ذلك ما حصل عليه من تشجيع عضد الدولة له . وقد صنف الصابي في تلك

(١) محمد عبد الرحمن مرحباً ، مرجع سابق : ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٩٥ .

(٣) معجم الأدباء : ٢٢٧/٥ وحسن المحاضرة : ٣٠٧/١ والواقف بالوفات : ١٩٥/٢ ومعجم المؤلفين : ٢٩/٩ .

الكثير من الكتب والتي من بينها كتاب إقليدس في الأصول الهندسية وله رسالة في الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة^(١).

ابن الداية ت : ٣٤٠ هـ كان مهتماً بالبحث والاستقراء ، ومن جلة الكتاب بمصر وقد انفرد بعلم الحساب ، فكان يعلمه لطلابه من خلال مجالسه التي كان يعقدها^(٢).

أبو الحسن ثابت بن سنان الصائغ ت : ٣٦٥ هـ كان مهتماً بعلم الحساب والهندسة فقد كان عالماً مهندساً تركن النفس إلى ما يوجهه^(٣).

ليس ذلك فقط فقد نبغ علماء العرب في أصول البناء وفن العمارة حتى أن علماء الغرب لا يزالوا يدرسون أصول هذا البناء والنقوش وبعض أشكال الزينة التي تركها هؤلاء المهندسون ، وحتى لا نسأل عن من هم هؤلاء المهندسون ؟ نذكر بعض هؤلاء من خلال كتاب الجامع في تاريخ العلوم عند العرب للدكتور / مرجحيا : -

أبو عثمان سعد ت : ٢٩ هـ الذي بنى قنطرة من قناطر خليج مصر في عهد عبد العزيز بن مروان .

صالح بن كيعان ت : ٨٧ هـ الذي أشرف على تعمير مسجد النبی (ﷺ) أيام حكم الوليد .

يحيى بن حنظلة ت : ٩٢ هـ الذي بنى مسجد عمرو بن العاص في أيام قرة بن شريك .

فتح الله ت : ١٥٠ هـ الذي بنى مسجد الزيتونة^(٤) ، وللمزيد يمكن الرجوع إلى هذا الكتاب

تقديم :

مما سبق لاحظ الباحث أن القرن الرابع الهجري ظهر فيه تقدم وتطور لعلم الهندسة ، فقد اعتمد علمائه على الأصول الهندسية التي وضعها إقليدس فتدروسها وشرحوا بعض نواتجها وابتكروا بعض التمارين لتطورها ، وقد أظهر هؤلاء العلماء اهتماماً شديداً بالنواحي العلمية والتطبيقية للهندسة وخاصة في المساحة والبناء .

(١) معجم الأدباء : ٤٠٢/٣ وتاريخ الحكماء : من ١٩١ والزركلي ، مرجع سابق : ١٤١/٣ .
(٢) معجم الأدباء : ٨٥/٢ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ١٩٠/١ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٧٢/١ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٦٤/٢ ومعجم المؤلفين : ١٠٠/٣ .
(٤) محمد عبد الرحمن مرجحيا ، مرجع سابق : من ٤١٢ .

وذكر ياقوت منه بينه علماء الرياضيات في القرن الخامس الهجري :

أبو الريحان البيروني ت : ٤٤٨ هـ كان من علماء الرياضيات المتفوقين ، وإليه يرجع صناعة الإسطرلاب ، ومن آثاره العلمية كتاب الإسطرلاب وكتاب الاستيعاب في صناعة الإسطرلاب ذكر الزركلي أن هذه الكتب من الكتب المخطوطة بمكتبة برلين رقم ٢٣٨٢/عربي . وقد نشر معهد الدومنيكان للدراسات الشرقية قائمة بمؤلفات البيروني منها في الحساب كتاب استخراج الحساب وإصلاح ما وراءه من مراتب الحساب وكتاب تذكرة الحساب والعد بأرقام الهنود وكيفية رسوم الهند فيها وكتاب استخراج الأوتار في الدائرة وكتاب جمع الطرق السائرة في معرفة أوتار الدائرة . وكان البيروني يعتمد على العقل في استنباط المعرفة ^(١) .

الحسين بن محمد الملقب حى التجيبي القرطبي ت : ٤٥٦ هـ كان عالماً بصناعة وكلفا بصناعة التعديل ، متقدماً في الهندسة . وقد أخذ علم الهندسة والعدد عن أبي عبد الله المعروف بابن برغوث الرياضي ^(٢) .

ومنه بينه العلماء الذين ذكرهم ياقوت في القرن السادس الهجري :

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، ت : ٥٢٩ هـ كان من علماء الهندسة وقد رحل إلى المشرق فأقام بمصر عشرين عاماً ، واتصل بالمهدية في المغرب وخدم أميرها يحيى بن تميم الصنهاجي ، وابنه علي بن يحيى ، والحسن بن يحيى . ومن خلال تقدمه في علم الهندسة أعد أبو الصلت تجربة لرفع الأنقال من المياه ، ولكنها فشلت مؤخراً (يمكن الرجوع إلى الجزء الثاني من كتاب معجم الأدباء لعرفتيا) ومن آثاره العلمية التي تركها رسالة في عمل الإسطرلاب ذكر الزركلي أنها مخطوطة بالمتحف العراقي برقم ١٢٤٨ ، وفي شستريتي برقم ٣١٨٣ ^(٣) .

(١) معجم الأدباء : ١٦٦/٥ ومعجم المؤلفين : ٢٤١/٨ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١٤/٥ ومحمد التوتسي ، مرجع سابق : ص ٤٥ .

(٢) معجم الأدباء : ١٩٨/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٥٤/٢ .

(٣) معجم الأدباء : ٣١٧/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٨٠/١ وابن أبي أصيبعة ، مرجع سابق : ٥٢/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٢٢/٢ .

أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت : ٥٦٥ هـ كان من المهتمين بعلم الحساب ، ولذا رحل إلى أسانذته بمختلف البلدان فقد نزل الرى سنه ٥٢٦ هـ وأقام بها ينظر في الحساب والجبر والمقابلة ، فلما رجع منها أكمل تلمذته على يد أستاذ خراسان " عثمان بن جاذوكار " ومن آثاره العديدة : كتاب في الحساب ذكر الزركلى أنه يقع في مجلد واحد وكتاب معرفة ذات الحلق والكرة والإسطرلاب (١) .

وهو يسهل علماء الرياضيات الذين ذكروهم لياقوت في القرون السابح العجى : -

أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير ، ت : ٦٠٦ هـ كان مهتما بتأليف الكتب في العلوم العقلية والتي تعتمد في تعلمها على العقل ، فقد صنف في الحساب كتباً أملها على طلبته ، وهم يعتون بالنسخ والمراجعة ، ومن بين هذه الكتب رسائل في الحساب في صورة جداول يسهل تناولها وفهمها (٢) .

أبو النصر محمد بن سليمان البغدادي ت : ٦٢٠ هـ كان من المهتمين بالعلوم العقلية ، فقد كانت له يد باسطة ومقدرة تامة في حل إقليدس ، وعلم الهندسة (٣) .

تتبع :

مما سبق لاحظ الباحث أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي يعد مصدراً من المصادر التي اهتمت بتاريخ التربية والتعليم ، وعلى وجه الخصوص التاريخ للعلوم العقلية إذ يبرز بالكثير من العلماء والمصنفات التي تركها هؤلاء العلماء للمكتبة الإسلامية ، وقد كان الدافع لهؤلاء العلماء هو تشجيع الحكام لهم ، لأنهم كانوا في حاجة شديدة إلى الاستعانة بهؤلاء العلماء على تطبيق البرامج الحربية التي وضعوها تنفيذاً لسياستهم القائمة على حب الفتح والتوسع ، والبرامج العمرانية التي تخلد ذكر أمجادهم .

(١) معجم الأدباء : ١١٥/٤ وهدية المارفين : ٦٩٩/١ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٩٠/٤ .
(٢) معجم الأدباء : ٥٢/٥ وابن كثير ، مرجع سابق : ٥٤/١٣ والكامل في التاريخ : ١١٣/١٢ والزركلى ، مرجع سابق : ٢٧١/٥ .
(٣) معجم الأدباء : ٣٤٦/٥ والواقى بالوفات : ١٢٥/٣ وابن العماد ، مرجع سابق : ٩٣/٥ .

وقد كان البيروني صاحب الفضل في ابتداع أسلوب التأمل وابتكار طرق ووسائل تقريب قضايا علم الفلك ، فكان من أوائل المبتكرين لطريقة شرح النصوص الدينية وتقوية قضايا الحكمة بآيات القرآن الكريم . وقد أشاع البيروني في الأوساط العلمية الإسلامية فلسفة رياضية جديدة ، وهي نظرية الإسلام الديناميكية للعالم ، ويعلماء الإسلام قفزت الرياضيات قفزة مذهلة بعد أن كانت مجرد خليط مشوش ضخم لا يكاد يربط بينها رابط ولم يكن ذلك التطور والتقدم في جانب واحد من جوانب علم الرياضيات بل كان في الجبر والحساب والهندسة ، ولذلك فالتفكير الرياضي بعامة لا يفي بأغراض تلك النهضة العظيمة لعلماء المسلمين وما زالت الحضارة الغربية تدين لهؤلاء العلماء بجهودهم في تقدم هذا العلم ، الذي كان سبباً في إخراج أوروبا من العصور المظلمة .

تاسعا : المنطق وعلم النفس :

تحدث لياقوت عن علم المنطق وعلم النفس من بين العلوم العقلية التي زخر بها كتاب معجم الأدباء ، فذكر من علماء المنطق في القرن الثالث الهجري : -
أبو زيد سعيد بن أوس الملقب بالإمام الأديب ، ت : ٢٥٩ هـ كان من ثقات البصريين المهتمين بالعلوم العقلية ، ومن مؤلفات في علم النفس كتاب الغرائز ، وله أيضاً كتاب المنطق (١) .

وهه يهه علماء القره الرابعه العجرى في المنطق ذكر لياقوت : -

أبو النصر محمد بن إسحاق الكندي المصري ت : ٣١١ هـ كان شيخاً في علم المنطق يجتمع مع العلماء في مجالس سيف الدولة وقد تعلم على يد الزجاج (٢) .
أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت : ٣٣٧ هـ وقد كان من أصحاب المتقدمين في علم المنطق عاش أيام المكتفى بالله العباسى وكان يشار إليه في علم المنطق وقد تعلم من خلال حضوره مجلس الوزير : الفضل بن الفرات وقت مناظرة أبى سعيد

(١) معجم الأدباء : ٣٧٨/٣ وابن خلكان ، مرجع سابق : ٢٠٧/١ والزركل ، مرجع سابق : ٩٦/٣ .

(٢) معجم الأدباء : ٢٦٦/٥ ومعجم المؤلفين : ٣٩/٩ وحسن البنا ، مرجع سابق : ٢٠٧/١ .

السيرافي ومتى المنطقي صاحب علم المنطق ، وكان المنطق في هذا العصر لم يتحرر ولم يقوم ولم يحسن مثل ما هو عليه الآن ^(١) .

أبو منصور محمد بن أحمد الملقب بالأزهري ت : ٣٧٠ هـ كان مهتما بدراسة علم المنطق ، وكتب في ذلك كتاب إصلاح المنطق ^(٢) .
وذكر ياقوت هـ يه علماء المنطق في القرن السادس الهجري : -

أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخضاب ت : ٥٦٨ هـ كان من المهتمين بعلم المنطق وقد صنف في ذلك كتاب الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح ، وهو يقصد به إصلاح المنطق ، ساعده في ذلك أنه كان عارفاً بعلوم الدين ، مطلعاً على شئ من الفلسفة ^(٣) .

وهه يه علماء المنطق في القرن السابع الهجري ذكر ياقوت : -

رمضان بن رستم الملقب فخر الدين بن الساعاتي ت : ٦٠٤ هـ كانت له معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكيمة ، وكانت تعقد له مجالس ينشر من خلالها علمه ، ففي رواية أخوه بهاء الدين قال : حضرت مجلسه بدمشق غير مرة ^(٤) .
عاشراً : علم الحيوان :

قد يظن البعض أن هذا العلم وليد العصر الحاضر غير أنه ياقوت الحموي قد أرخ لهذا العلم منذ القرن الرابع الهجري ، فقد ذكر من علمائه في القرن الرابع : -

أبو الفضل جعفر بن الفضل الملقب بسيدوك ت : ٣٩١ هـ كان من المهتمين بعلم الحيوان ففي رواية : محمد بن أسعد الجواني المعروف بابن النحوي قال : كان الوزير

(١) معجم الأدياء : ٨/٥ وابن تيمري بردي ، مرجع سابق : ٢٩٧/٣ والزركلي ، مرجع سابق : ١٩١/٥ .
 (٢) معجم الأدياء : ١١٣/٥ وجورجي زيدان ، مرجع سابق : ٣٠٨/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٣١١/٥ .
 (٣) معجم الأدياء : ٤٤٥/٣ والبيهقي الرواة : ٩٩/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٦٧/٤ .
 (٤) معجم الأدياء : ٢٢٦/٥ وحسن المحاضر : ٣٠٧/١ وهنية العارفين : ١٥٩/٢ والزركلي ، مرجع سابق : ٣٣٠/٤ .

جعفر بن الفضل يهوى النظر والتأمل والملاحظة للحشرات والأفاعي والحيات والعقارب وقد خصص لذلك داراً مستقلاً^(١).

وبذلك نستطيع القول أن علم الحيوان الذي يدرس بالكلية العلمية في العصر الحاضر، ظهر منذ القرن الرابع الهجري وقد اهتم بذلك الوزراء أنفسهم ولم يكن الهدف من ذلك الزينة أو الترفيه لذلك كانت هناك منازل خاصة بهذه الحيوانات تعد بمثابة معامل يلاحظ من خلالها نمو هذه الحيوانات وتطورها.

والخلاصة : مما سبق لاحظ الباحث من خلال عرضه للعلوم الدراسية التي تحدث عنها أن لياقوت الحموي قد اهتم ببعض القضايا التربوية التي ما زالت تخدم أغراض التربية والتعليم، ومن أهم هذه القضايا المعلم ودوره في العملية التعليمية. فقد ذكر لياقوت بعض الصفات التي يجب توافرها في المعلم التربوي من حسن الخلق والقدرة على التعليم وحسن المظهر والتعليم ابتغاء وجه الله تعالى وغيرها من الصفات الكثيرة والتي ذكرت سابقاً.

ثم قضية الكتاب المدرسي الذي يكتبه العلماء ليستفيد منه المتعلمون وقد لاحظ الباحث أن الكتاب في التراث العربي الإسلامي سار على نمط موحد في الكتابة عبر القرون الثلاثة الأولى من الهجرة فقد حاول العلماء بقدر الإمكان التوصل إلى ضوابط تتميز بها كتاباتهم، في كل علم من العلوم الدراسية، التي أجراها المعلمون والعلماء، ثم تحولت كتابات العلماء بعد ذلك إلى تصنيف كتب العلماء السابقين عليهم محاولين بذلك اختصار هذه الكتب، فلم يذكر الباحث ترجمة من التراجم إلا ويجد صاحبها يكتب مختصراً عن بعض كتابات العلماء في العلم الذي نبغ فيه، وقد كان الهدف من ذلك أن يسهل حفظ هذه الكتب لطلاب العلم.

(١) معجم الأدباء: ٣٨٠/٢ وحسن المحاضر: ١٩٩/١ والطبيب البغدادي: مرجع سابق: ٢٢١/٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ١١٠/٦.

وقد ذكر الدكتور / سليمان عطية في كتابه " بحوث في التربية " قوله " إن الهدف من هذه الاختصارات أن يحفظها طلاب العلم حفظاً آلياً تهيداً لدراستها بعد ذلك دراسة واعية (١) .

وقد ذهب حاجي خليفة إلى مخالفة ذلك مظنة أن هذه الاختصارات تحدث إخلالاً في التحصيل فقال : " وأما كثرة الاختصارات فإنها مخلة بالتعليم ، وإن قد ذهب بعض العلماء من المتقدمين والمتأخرين إلى اختصار الطرق في العلوم ، يدونون منها مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله ، وأدلتها باختصار في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة ، فصار ذلك مخلاً بالبلاغة ، وعسيراً على الفهم (٢) .

وبمثل الباحث إلى أن اختصار الكتب من أجل الحفظ يخل بطريقة التحصيل للطلاب ، لأنه يهمل ملكة الفهم عندهم ، ويساعد على عدم الابتكار لأنه يهمل العمل لأن العقل الذي يبني على الاختصار في المعلومات يكون قاصراً عليها فقط .

وبهذا العرض تتضح أهمية كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي كمصدر أساسي للتعرف بعلوم العرب والتاريخ لها ، وذلك منذ البدايات الأولى لهذه العلوم ، فهذا التراث العربي الذي تناوله كتاب معجم الأدباء والذي تكون في ظروف قاسية لا بد وأن يعاد إحيائه ، ويكون إحيائه هو حافظنا الروحي من أجل الإسهام في حركتي التجديد والتقدم والنهضة العلمية والثقافية ، وإن كتب تقسيمات العلوم العربية وعلى رأسها كتاب معجم الأدباء كانت النموذج الذي اقتدى به كثير من الباحثين الأوربيين في دراسة علوم العرب كما مثلت هذه الكتب المادة الأولية التي عليها بنوا دراساتهم في العلوم المقارنة وتاريخها

(١) سليمان اسحق محمد عطية ، بحوث في التربية (مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٩٧٧ م) ص ٦ .
(٢) حاجي خليفة ، مرجع سابق : ٣٥/١ - ١٤ .

الفصل الثالث الوسائل التعليمية

تحدث الباحث في هذا الفصل من الدراسة عن أهم الطرق والوسائل التي - تعلم من خلالها الطلاب - ساهم بها العلماء في تقدم التربية في تلك العصور التي تحدث عنها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء)، وقد رأى الباحث أن يتحدث عن أهم هذه الطرق التعليمية، بعد أن تحدث في الفصل الثاني عن العلوم الدراسية، وفي الفصل الثالث عن أهم المؤسسات التعليمية التي شاركت في النهضة العلمية، والتربوية في عصور الدراسة كما ذكرها ياقوت الحموي.

ولما للوسائل التعليمية من أثر إيجابي على تقدم الطلاب في علومهم التي يطلبونها رأى الباحث أن يركز الحديث على أهم هذه الوسائل، متحدثاً في كل عصر عن أهم هذه الوسائل التي ساهمت في تعليم الطلاب واستخدمها المعلمون، ومن بين هذه الوسائل:

- السماع: سواء أكان من العلماء إلى الطلاب أم العكس.

- القراءة: على العلماء أو منهم.

- الإملاء.

- حفظ كتب العلماء واستظهارها.

- الرحلة لطلب العلم.

- الملازمة.

- المصاحبة.

- المناظرة.

- الخطابة والإلقاء.

- التعلم من أفواه العامة.

- النقل من كتب العلماء.

- القياس والمطابقة والاقتباس.

- الإجازة من العلماء لطلابهم.

هذا هو المحور الأول من الفصل الرابع.

والمحور الثاني: يشمل الكتابة وأدواتها ودورها في التعليم والنهضة العلمية وحركة

الترجمة من العربية وإليها.

وقد اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني للعلماء الذين تعلموا

في كل من القرون الستة الهجرية. حتى يسهل على التصفح لهذه الرسالة الحصول على

المعلومة المتعلقة بطريقة معينة وفي أقصر وقت ممكن. ومن خلال هذا العرض الذي نقدمه

لهذا المصدر (معجم الأدباء) يمكن التعرف على أهم الأعلام الذين نبغوا في طريقة معينة

من الطرق التربوية دون الأخرى.

لقد رصد لياقوت الحموي في كتابه أهم طرائق التدريس التي سادت في القرنين

الأول والثاني الهجريين ومن أهمهما:

أولاً: السماع: ويعني سماع المعلم وهو يروي من الذاكرة، أو يقرأ من كتاب وهو في

طلبة الطرق التعليمية من حيث الأهمية والمرتبة، لأنه يتيح للطلاب أن يطلع على العلم

الذي يرغب في تعلمه نصاً ولفظاً. ويعترض عليه البعض لأن الطلاب لا يستطيعون

استيعاب المعلومات كاملة بمجرد سماعها لذلك يلجئون إلى ساعات تعليمية إضافية.

يتأكدون من سلامة المعلومات التي أمكنهم سماعها. وقد عرض لياقوت لبعض العلماء

والطلاب الذين اهتموا بالسماع في القرن الثاني الهجري ومنهم:

أبو الحجاج، مجاهد بن جبر الملقب بالقارئ، ت: ١٠٤ هـ كان مفسراً من أهل مكة

ومن كبار التابعين، سمع علم التفسير من ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد

الخدري، وأبي ریحانة، وعبد الله بن عمرو^(١).

(١) معجم الأدباء، ٥٥ / ٥، وميزان الاعتدال، ٩ / ٣، وطبقات المفسرين، ص ١١١ والزركلي، مرجع سابق، ٥ / ٢٧٨.

- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار، ت: ١٥٠هـ كان من الذين اهتموا بالرحلة إلى البلدان لإسماع أهلها، فقد سمع منه بالري أهلها، فأكثروا عنه الرواية. وأتى بغداد فسمع منه أهلها، وسمع منه أهل الكوفة في المغازي، وسمع منه أهل الجزيرة حينما كان مع العباس بن محمد^(١).
 - أبو محرز خلف بن حبان البصري الملقب بالأحمر، ت: ١٨٠هـ كان أول من أحدث السماع بالبصرة فقد سمع منه حماد، وكان ضئيلاً بآدبه، ومعلماً للأصمعي، وأهل البصرة^(٢).
- ومنه لاحظ الباحث أن السماع كان من الطرق التعليمية التي تعلم منها الطلاب في القرن الثاني الهجري، ولم يقتصر السماع على العلوم الدينية فقط، وإضا كان أيضاً في العلوم اللغوية، وتعلم الشعر والسماع أصبح في الوقت الحاضر يشمل جانباً هاماً في طرق التعليم الخاص مثل تعليم المكفوفين فالمكتبة المسموعة تمثل عاملاً هاماً في الوقت الحالي لذوي الظروف الخاصة.
- وانتشرت طريقة السماع في القرن الثالث الهجري، وتعلم الكثير من العلماء والطلاب عن هذه الطريقة، فقد ذكر ياقوت الكثير من العلماء الذين تعلموا عن هذه الطريقة في القرن الثالث ومن بين هؤلاء:
- الواقدي ت: ٢٠٧هـ سمع من مالك بن أنس، والثوري، ومعمربن راشد بن أبي ذئيب^(٣).
 - أبو زيد سعيد بن أوس الإمام ت: ٢١٥هـ كان قد اعتمد على السماع من العلماء في تعليمه، وفي نقل علمه ومعرفته فكان كثير السماع من العرب، ومن أبي القاسم بن

(١) معجم الأدباء، ٢١٩ / ٥، وابن خلكان، مرجع سابق، ٢٧٦ / ٤ وتهذيب التهذيب، ٣٨ / ٩ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٢١٤ / ١.

(٢) معجم الأدباء، ٢٩٨ / ٣ وإنباء الرواة: ٣٤٨ / ١ والزركلي، مرجع سابق، ٣١٠ / ٢.

(٣) معجم الأدباء، ٢٩١ / ٥ ومعجم المؤلفين ٩٥ / ١١ والوافي بالوفيات: ٢٣٩ / ٤.

سلام، وعمر بن عبيد، وأبو العيلاء، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شبيه، ورؤبة بن العجاج^(١).

وكان المتعلم يمكنه السماع من أكثر من عالم في علم واحد فقد كان أبو عبد الله ابن الأعرابي ت: ٢٣٢هـ يسمع من الفضل الضبي، ومن الكسائي، ومن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن المسعودي، ومن إبراهيم الحري، ومن أبي عكرمة الضبي، وأبي العباس ثعلب، وابن السكيت^(٢). وكان المتعلم يلتحق بمجالس العلماء للسماع من العلماء فقد كان أبو عبد الله الملقب بالكاتب ت: ٢٧٧هـ يستمع إلى مجالس يونس بن حبيب، قيل أن يؤدب ولد أمير المؤمنين^(٣).

والسماع في الحديث كان يتم عن طريق أن يسمع الطالب الحديث ومعه نص مكتوب وبذلك يستطيع أن يصحح الأخطاء التي قد تحدث في أثناء النسخ، وقد ذكر ياقوت من هؤلاء العلماء النسائي ت: ٢٧٩هـ، وأبو بكر أحمد بن يحيى البلاذري ت: ٢٧٩هـ^(٤) وإسماعيل بن إسحاق الأزدي ت: ٢٨٢هـ^(٥).

وقد كان علماء القرن الثالث الهجري يعتمدون في كتاباتهم على السماع دون الاقتباس أو الرجوع إلى كتب من قبلهم من العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن إسماعيل بن الخصيب ت: ٢٩٠هـ أنه سمع من المتقدمين عليه في السن. فصنف كتاب أسماع الجموع وهو يشتمل على سماعته من العلماء، وكتاب طبقات الكتاب الذي اعتمد في تصنيفه أيضًا على السماع^(٦).

(١) معجم الأدياء: ٢٧٧ / ٣ وخزانة الأدب: ٤٣ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٤ / ٣.
(٢) معجم الأدياء: ٢٧٧ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٢٨٢ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ١٢١ / ١.
(٣) معجم الأدياء: ٢٨٤ / ٥ وإنباء الرواة: ٨٨ / ٣.
(٤) معجم الأدياء: ٢٥٨ / ١ وتذكرة الحفاظ: ١٥٦ / ٢ ولسان الميزان: ٣٣٢ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٢٦٧ / ١، ١٢٨ / ١.
(٥) معجم الأدياء: ١٦٥ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢٦١ / ٢ وسير أعلام النبلاء: ٧٩ / ٩.
(٦) معجم الأدياء: ٣٠٦ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٩٦ / ١.

العلماء والطلاب الذين اعتمدوا على السماع في القرن الرابع الهجري:

أرخ لياقوت لبعض الطلاب الذين تعلموا عن طريق السماع من العلماء، وقد ذكر لياقوت أن السماع من العلماء قد يكون لكتب غيرهم من العلماء فقد سمع محمد بن عاصم ت: ٣١٠هـ من ثعلب كتاب المعاني للقرآن^(١). وقد سمع أبو العيضاء ت: ٢٨٣هـ من الأصمعي الفقه على المذاهب الأربعة^(٢). وقد سمع الطبري ت: ٣١٠هـ من علماء البصرة وتعلم على شيوخها مثل: محمد بن موسى الحرشي وعمار بن موسى القزاق، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، ويشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بشار، ومحمد بن الحنفية ومن غيرهم^(٣). ومن علماء القرن الرابع الذين تعلموا بالسماع:

- أبو الفضل المنذري الهروي ت: ٣٢٩هـ الذي اختلف إلى ثعلب سنة كاملة في سماع كتاب النوادر لابن الأعرابي، وكان ثعلب يعلمه في مجلس حتى سمع الكتاب كله منه^(٤).

وعن طريق السماع قد يتقدم الطلاب في علوم أساتذتهم بل قد يتفوق البعض على معلمه، فقد ذكر لياقوت في ترجمة: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الملقب بالحكيم ت: ٣٣١هـ أنه سمع من محمد بن وضاح، وأخذ عنه ثم عاد إلى الأندلس فحدث بها وانتشر بها عنه علم جم، وسمع من محمد الخشني ت: ٢٨٦هـ، وهو من حفاظ الحديث وسمع من مطرف بن قيس ت: ٢٨٢هـ وعبد الله بن مسرّة، ومحمد بن عبد الله الغان وبذلك صار الحكيم عالماً في النحو لا يتقدمه أحد في ذلك^(٥). ومن هؤلاء العلماء:

- أبو سهل محمد بن أحمد القطان المعروف بالمتون ت: ٣٤٩هـ الذي سمع الكثير من الأدب عن بشر بن موسى الأسدي، ومحمد بن يونس الكندي، وأبي العيضاء، وثعلب والمبرد، وسمع من علي بن سعيد العسكري ت: ٣٠٠هـ بعض أشعار اللصوص^(٦).

(١) معجم الأبياء: ٣٩١ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٤٠ / ٤.

(٢) معجم الأبياء: ٣٩٧ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٣٩ / ١١.

(٣) معجم الأبياء: ٢٤٨ / ٥ وتذكرة الحفاظ: ٣٥١ / ٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١٦٦ / ٢.

(٤) معجم الأبياء: ٢٧٨ / ٥ والكمال في التاريخ: ٨٩ / ٨ وابن شاذان: مرجع سابق: ١٨٥ / ٢.

(٥) معجم الأبياء: ٢٣٥ / ٥ ولسان الميزان: ٤٩٦ / ٥ والزرقي: مرجع سابق: ١٢٢ / ٧، ٢٥٠ / ٧.

(٦) معجم الأبياء: ١٢١ / ٥ ومعجم البلدان: ٤١٦ / ٤.

وهو طلاب العلم الذين تعلموا منه طريق السماع في القرن الرابع.

- أبو محمد إسماعيل بن علي الخطي ت: ٣٥٠ هـ الذي سمع من الحارث بن أبي أسامة ومن الكديبي وعبدالله بن أحمد. وكان الطالب يصل إلى مرحلة من التعليم يوصف به أعلم معاصريه عن طريق السماع. فقد سئل يونس عن الخطي وعمله فقال: لو كان فيهم من جمع إلى ذكائه وذهنه وثقافته، لكان أعلم الناس^(١).

وكان الطالب في القرن الرابع يحفظ الكثير مما يسمعه من العلماء، دون الكتابة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ت: ٣٥٦ هـ أنه سمع من أبي القاسم البغوي، وأبي سعيد العدوي، وأبي عبد الله السجستاني، فصار بسماعه منهم أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب^(٢). وقد تعلم عن طريق السماع في هذا القرن:

- أبو الصقر أحمد بن الفضل الملقب بساسي دوير ت: ٣٥٠ هـ الذي سمع من إبراهيم بن ذيل، ومن محمد بن بن يزيد المبرد، ومن ثعلب، وابن دريد، والعسكري، ومن علي بن الفضل الرشدي. وكان المتعلم يجلس في صدر مجلس التعليم بعد سماعه عن شيوخه حتى يُسمع غيره فقد سمع عن ساسي دوير أبو بكر بن بلال، وخلف بن محمد الخطاط وابن رزقة، وأبو عبدالله الكاتب^(٣).

وقد ذكر ياقوت الكثير من هؤلاء العلماء في القرن الرابع فذكرهم حصراً دون الإيضاح: أبو بكر محمد بن موسى المعروف بابن الجي ت: ٣٥٨ هـ^(٤)، وأبو العباس إسماعيل بن عبدالله الميكالي ت: ٣٦٢ هـ^(٥)، وأبو بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية ت: ٣٦٧ هـ بقرطبة^(٦)، وأبو عبدالله محمد بن عمران المزياني ت: ٣٧٨ هـ^(٧).

(١) معجم الأدباء: ٢٩٩ / ٢ ومعجم الأدباء: ٢٨٠ / ٢ وسير أعلام النبلاء: ١٠ / ١٢٩ واللباب: ١ / ٣٧٩ والزركلي: ٣٩٩ / ١.
(٢) معجم الأدباء: ٣٠٣ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢٨٩ / ٢ وإنباء الرواة: ١ / ٢٠٤ والزركلي: ٣٩٩ / ١.
(٣) معجم الأدباء: ٥٤٥ / ١ والسيرافي: ٥٤٥ / ١ مرجع سابق: ص ٥٤.
(٤) معجم الأدباء: ٥٤٥ / ١ وابن حزم: ٤١٦.
(٥) معجم الأدباء: ٢٩٣ / ٢ وهدية المارفين: ١ / ٦١٨.
(٦) معجم الأدباء: ٢٩٠ / ٥ والزركلي: ٣٩٩ / ٥.
(٧) معجم الأدباء: ٣٨٦ / ٥ وابن العماد: ١ / ٦٨٨.

وأبو عمر محمد بن أحمد النوقاني ت: ٣٨٢هـ^(١)، وأبو الحسن محمد بن أحمد الفقيه الأديب ت: ٣٧٢هـ^(٢)، وأبو القاسم صاحب ت: ٣٨٥هـ^(٣) - ولم يقتصر السماع في هذا القرن على العلوم الدينية فقط، وإنما تعداه إلى العلوم العربية فقد كان (أبا القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠هـ يسمع العربية عن ابن القوطية، وسمع من أبي طاهر الذهلي^(٤)).

وقد تعلم هذه طلاب القرن الرابع عن طريق السماع وبه صار معلماً:

- أبو طالب علي بن عبداً ملك القزويني ت: ٣٩٨هـ الذي سمع من مهرويه، والقطان فكان إماماً في شأنه، وأخذ عنه خلق كثير^(٥).

وقد نشط طلاب العلم في تلقي العلوم عن أساتذتهم عن طريق السماع، وذلك في القرن الخامس الهجري أيضاً، وقد أرخ لياقوت الحموي للكثير من هؤلاء الطلاب والعلماء مثل:

- أبا الحسن أحمد بن علي البتي ت: ٤٠٣هـ الذي سمع الحديث من علمائه، وكان يميل إلى سماع فقه أبي حنيفة، وكان يكتب للقادر بالله العباسي في ديوان الخلافة^(٦).

- أبو إبراهيم أسعد بن مسعود الخُثي ت: ٤٠٤هـ كان قد دخل بغداد فسمع بها من أبي منصور الخوافي، وسمع من جده أبي النصر العتي^(٧)، ومن الذين تعلموا عن طريق السماع:

(١) معجم الأئمة: ١٤١ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٢٥ / ٨.
(٢) معجم الأئمة: ١٤٣ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦١ / ١.
(٣) معجم الأئمة: ٢١٥ / ٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢٢٨ / ١.
(٤) معجم الأئمة: ٢١٠ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٦١ / ٢.
(٥) معجم الأئمة: ١٧٨ / ٤.
(٦) معجم الأئمة: ٤٨١ / ١ ومعجم المؤلفين: ٣٧٩ / ١ واللباب: ٩٧ / ١.
(٧) معجم الأئمة: ١٧٧ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢١٨ / ٢ وإنباء الزواجر: ١٢٠ / ٢ وبغية الوعاظ: من ٢٨٢.

- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي ت: ٤٤٣ هـ كان ممن سمع الحديث من أبي نصر الحمودي ولذلك روى عنه القاضي أبو منصور السمعاني، فقد صار من أصحاب الحديث^(١).
- أبو محمد الحسن بن علي الملقب بالمصحح ت: ٤٤٤ هـ والذي سمع من أبي بكر الجناني وأبي بكر بن أبي الحديد، والرُّماني. ويعد سماعه من العلماء صار عالماً ومن المشتغلين بالحديث روى عنه عبدالعزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، ت: ٤٦٩ هـ، وكان المصحح يروي عن القطيعي مسند الإمام أحمد بأسره^(٢).
- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣ هـ كان قد سمع ببغداد شيوخ وقته، وسمع من علماء البصرة، والدينور، والكوفة، ورحل إلى نيسابور، ثم إلى صور وتوجه إلى طرابلس وحلب لكي يتمكن من اكتساب العلم وزيادة المعرفة^(٣).
- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨ هـ كان أول من سمع من القاسم بن أصبغ وتفقه على أبي زيد القيرواني، وسمع بمكة، وسمع بمصر من أبي محمد الحسن بن إسماعيل المصري المعروف بالضراب، وسمع بالأندلس من ابن عبد البر، وابن حزم الظاهري، وسمع بإفريقية ودمشق من العلماء^(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخاصة ت: ٤٨٩ هـ الذي سمع من علماء مكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر الخطيب، وأصحاب أبي طاهر الخُليص والكتاني ويعيسى بن علي الوزير ومطبقتهم، ويقول لياقوت: سمع ابن الخاصة جماعة من مشايخنا وسمع بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجتمعين على الثناء عليه والمدح له^(٥).

(١) معجم الأدباء: ٣٥٩ / ٥ وابن شاذان الكوفي: مرجع سابق: ١٣٥ / ٤ وتاريخ بغداد: ٨٠ / ٧ - ٨٢ / ١.
 (٢) معجم الأدباء: ١٣ / ٣ وابن العماد: مرجع سابق: ٢٧١ / ٣ ولسان الميزان: ١٤٨ / ٦ والزرقي: مرجع سابق: ٢٠١ / ٢.
 (٣) معجم المؤلفين: ٣ / ٢ وسير أعلام النبلاء: ٢٠٨ / ١١.
 (٤) معجم المؤلفين: ١١ / ١١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢٨٣ / ٤ وتذكرة المفصل: ٩١ / ٤ والتكملة في التاريخ: ٨٠ / ١٠ والوالي بوفيات: ٣١٧ / ٤.
 (٥) معجم الأدباء: ١٥٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٧٢ / ٨ وهدية العارفين: ٧٧ / ٢.

- أبو القاسم أسعد بن علي التوزني الملقب البارع ت: ٤٩٢ هـ كان يسمع الحديث ويكتبه إلى أواخر عمره، وسمع بالعراق من أبي عبد الرحمن الناذري، ومن أبي جعفر البجائي وبذلك علت شهرته، فروى عنه أبو البركات الفراء، وأبو منصور الشحامي^(١).
- ومنه لاحظ الباحث أن البارع اهتم بجمع الحديث عن طريق السماع من علماء رجال الحديث وكتابة ما يسمعه بعد أن يعرضه على رجال الحديث فهو كما قال القائل العلم طير والكتابة صيده فقيد طيورك بالحيال الوثيقة
- أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن أبي البقاء القصياني، وعبيد الله الرقي، والحسن بن رجاء وابن الدهان، وسمع الحديث بالكوفة^(٢).
- أبو محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت: ٥٠٠ هـ كان قد حصل الكثير من الشعر والنحو عن طريق السماع من أبي علي بن شاذان، وابن شاهين، والفتح بن شيطا وأبي الحسين التوزني، وقال أبو العباس: ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من أبي محمد التوزني^(٣).
- وإذا تحدثنا عن القرن السادس نجد أن لياقوت الحموي ترجم للكثير من طلاب العلم الذين درسوا عن طريق السماع من علمائهم وشيوخهم ومن هؤلاء الطلاب:
- أبو منصور محمد بن أحمد بن طاهر ت: ٥١٠ هـ وقد سمع من التنوخي، ومن ابن غيلان ويقول السيوطي: وجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة ٤٣٢ هـ^(٤).
- الحسين بن محمد بن محمود الملقب بالدياس ت: ٥٢٤ هـ الذي سمع من أبي علي الموصلي وروى عنه ابن عساكر، ومع نبوغه وتقدمه سمع منه ابن الجوزي، وأبو عبد الله الباقدراني^(٥).

(١) معجم الأديباء: ١٧٤ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٠ / ١ واللباب: ٨٦ / ١.
(٢) معجم الأديباء: ٣٦٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٧٧ / ١٠ والوفاي بالوفيات: ٩ / ٤.
(٣) معجم الأديباء: ٣٧١ / ٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١٢ / ١ وإنباء الرواة: ١٢٦ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٢١ / ٢.
(٤) معجم الأديباء: ١٨٠ / ٥ وبغية الوعاة: ص ١٦.
(٥) معجم الأديباء: ١٩٤ / ٣ وإنباء الرواة: ٣٢٨ / ١ والوفاي بالوفيات: ١٠٦ / ١ وابن العماد: مرجع سابق: ٦٩ / ٤ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٧٧٨، ٧٧٩.

وهو الطلاب الذين أخذوا عن علمائهم بطريق السماع في القرن السادس الهجري:

- أبو رشاد أحمد بن محمد الأحمسي الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨ هـ الذي تنتم له تلمذة مباشرة أكثر فضلاء خراسان فسمعوا منه. ويقول أبو المظفر السمعاني: سمعت منه كتاب الآداب والمواعظ للشجري، بروايته عن الصيرافي^(١).
- أبو محمد دعوان بن علي الجبائي الملقب بالضرير، ت: ٥٤٢ هـ الذي سمع من الحسين بن النعالي، ومن الحسين البصري، ومن أبي المعالي ثابت بن بندار^(٢).
- محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني ت: ٥٤٨ هـ الذي سمع بدمشق من هاشم بن أحمد الحلبي ت: ٥٧٧ هـ، ومن أبي طاهر الخطيب، وبعد نبوغه وتعلمه سمع منه أبو سعيد السمعاني، وابن عساكر، والحظيري، وقد شبهه ابن العماد في الخريدة بابن منير الطرابلسي شاعر الشام^(٣).
- أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي جرادة العُقَيْلي الأنطاكي ت: ٥٥١ هـ كان قد سمع بحلب من أبي الفتح بن أبي عيسى الحلبي، وأبي الغيثان بن حبّوس الغنوي^(٤).
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشرف الدولة ت: ٥٥٤ هـ وقد سمع بقرائه في مكة والمدينة (مدارس في القراءات)، وسمع ببغداد من مشايخها، وسمع من أبي القاسم الربيعي^(٥).
- أبو الحسن علي بن زيد الديهقي ت: ٥٦٥ هـ الذي سمع من الإمام محمد الغزاري كتاب غريب الحديث للخطابي^(٦).

(١) معجم الأدباء: ٢٨ / ٢ ومعجم المؤلفين: ١٤٤ / ٢ وإليه الرواة: ١٣٢ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٢٦٥ / ١.

(٢) معجم الأدباء: ٣٢١ / ٣.

(٣) معجم الأدباء: ٤٥٣ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٧٧ / ١٢ وابن العماد: مرجع سابق: ١٥٠ / ٤ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١٠٤ والعماد الأصمهاني: مرجع سابق: ٩٦ / ١.

(٤) معجم الأدباء: ١٥٣ / ٤ ومعجم المؤلفين: ١٣١ / ٧.

(٥) معجم الأدباء: ٢٦ / ٤.

(٦) معجم الأدباء: ١١٤ / ٤ والواقعي: المؤلفات: ١٢ م ٦٩ وسير أعلام النبلاء: ٢٨٤ / ٢.

- أبو محمد سعيد بن المبارك الملقب بالدهان، ت: ٥٦٩ هـ بالموصل، وقد سمع الحديث ببغداد، ورحل إلى أصبهان وسمع بها واستفاد من خزائن كتبها، وسمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد الحصين وغيرهما^(١).
- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١ هـ الذي تنوع في سماعه من العلماء، فقد رث العلم عن طريق السماع من والده، وسمع من ابن الألفاني، وذكر خلقاً من شيوخ دمشق، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره^(٢). وسمع ابن عساكر بكة والمدينة، والكوفة، وأصبهان القديمة واليهودية، ومرو ونيساور وهراة وسرخس، ولم يقتصر ابن عساكر في الأخذ عن المشايخ الرجال فقط بل أخذ عن النساء أيضاً فقد كان عنه شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ ومن النساء بضع وثلاثون امرأة، ومع تقدمه في العلم ونبوغه عاد إلى بغداد فحدث بها وبكة ونيساور وأصبهان، وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هم أسن منه^(٣). ومن الطلاب الذين أخذوا العلم عن طريق السماع:
- أبو علي الحسين بن عبد الله الملقب بالحموي ت: ٥٨٥ هـ الذي رحل إلى دمشق فأقام بها مدة، واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من ابن عساكر، ومن عمه، ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية من العلماء، ثم عاد إلى دمشق فظل يُعَلِّم بها^(٤).
- أبو عبد الله محمد بن حامد والملقب بالعماد الكاتب الأصبهاني ت: ٥٦٧ هـ الذي تفقه على أبي منصور ابن الرزّان وسمع منه، ومن أبي بكر الأشقر، وأب بالحسن علي بن عبد السلام، وأبن الصباغ، وأبي منصور بن خير، وأبي الكارم المبارك بن علي السمرقندي، وبالسماح أصبح الأصبهاني عالماً بالأدب بل من أكابر الكُتّاب، فقد قدم بغداد حدثاً فتأدب وتفقه، ومن مصنفاته الشاهدة على إبداعه خريدة القصر^(٥).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٢٧٩ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٢٢٩ والوفاء بالوفاء: ١٣ / ٨٥.
 (٢) معجم الأدباء: ٤ / ٤١ وتذكرة الحفاظ: ٤ / ١١٨ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩١.
 (٣) سير أعلام النبلاء: ٢ / ٢٨٠ وابن كثير: مرجع سابق: ١٢ / ٢٩٤ والزركلي: مرجع سابق: ٤ / ٢٧٢ وابن تيمية: مرجع سابق: ٦ / ٧٧.
 (٤) معجم الأدباء: ٣ / ١٤٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٤٢ والعماد الأصبهاني: مرجع سابق: ١ / ١٨١ - ١٩٦.
 (٥) معجم الأدباء: ٥ / ٤٢٠ ومعجم المؤلفين: ١١ / ٢٠٤ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣ / ٦١ وابن العماد: مرجع سابق: ٤ / ٢٢٢ والزركلي: مرجع سابق: ٧ / ٢٦ والباقي: مرجع سابق: ٣ / ١٩٣.

- ابن حيدرة شيب بن إبراهيم المعروف بابن الحاج القنأوي ت: ٥٩٨ هـ كان أحد أكابر المعاصرين الذين أفادوا من التدريس عن طريق السماع فقد سمع من الحافظ أبي طاهر السلفي، وقد حدث ودرس لطلابه بعد سماعه من العلماء (١).

- أبو الحسن علي بن الحسن العبدي المعروف بابن مقلة ت: ٥٩٩ هـ الذي سمع بالبصرة من أبي محمد بن جابر الأنصاري، وأبي العز المالكي، ومن أبي الحسن بن عبد الملك الواعظ، ومن أبي إسحاق بن عطية الشافعي إمام جامع البصرة، وسمع ببغداد من الشهرستاني، ومن أبي بكر الزعواني وغيرهم (٢).

وهو طراب العلم في القره السابح العجزي، والذي أخذ العلم عن طريق السماع :

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله المرسى السلمي الملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥ هـ الذي أخذ علم الحديث سماعاً عن علماء الحديث فقد سمع الحديث بواسط من ابن عبد السمیع وابن الماندائي ومشيكته، وسمع بهمدان من جماعة، وبنيسابور سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، وسمع جزءاً من ابن نجيد، وسمع بن منصور بن عبد المنعم الفراءوي، وسمع بهرة من ابن روح الهروي، وبكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، وسمع تقدمه في علم الحديث عن طريق السماع أخذ عنه بعض طلابه فقد: حدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن الفراءوي، وحدث بكتاب غريب الحديث للخطابي، وكان يترك كتبه في البلاد التي ينتقل إليها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما لديه من الكتب في البلد الذي يسافر إليه (٣).

ولم يقتصر شرف الدين في سماعه من العلماء على الذكور فقط بل تعداه إلى السماع من العلماء فقد " سمع من أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن الجرجاني الشعري ت

(١) معجم الأدباء: ٤١٢ / ٢ وحسن المحاضرة: ٢٥٨ / ١ والإنفوي: مرجع سابق: ص ١٢٧ - ١٢٩ وإنباء الرواة: ٧٤ / ١.

(٢) معجم الأدباء: ٤٧ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٦٠ / ٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٤ / ٤.

(٣) معجم الأدباء: ٣٤٩ / ٥ وبغية الوعاة: ص ٦٠ والوفاء بالوفيات: ٣٥٤ / ٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١٩٧ / ١ والوفيات: ٣٥٥ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٢٢ / ٦.

٦١٥هـ فقد كان لها اشتغال بالحديث، وأخذت عن جماعة من العلماء رواية وإجازة وانقطع بموتها إسناد عال في الحديث^(١).

الخلاصة: مما سبق يتضح أن لياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية التي تعلم من خلالها طلاب العلم والتي كانت شائعة على مر القرون الست الهجرية الأولى طريقة السماع، وهي من الطرق التقليدية التي يجلس فيها المتعلم أمام شيخه، ويحمل معه الكتاب الذي يريد تصحيحه ويستمع إلى شيخه ويصحح ما به من أخطاء، ولاحظ الباحث أن السماع من العلماء لم يقتصر على تعلم العلوم الدينية فقط وإنما تعداه إلى العلوم اللغوية، وعلى وجه الخصوص الأدب والشعر، كما تبين للباحث أن الطلاب لم يعتمدوا في سماعهم من العلماء على الذكور فقط وإنما شاركهم النساء في هذا الدور، وبذلك يكون لياقوت الحموي قد أرخ لطريقة السماع كواحدة من الطرق التعليمية التقليدية وبهذا فإن معجم الأدباء يُعد مصدراً هاماً من مصادر تاريخ التربية لا يمكن الاستغناء عنه.

نتائج الإملاء.

أرخ لياقوت لطريقة الإملاء كواحدة من الطرق التعليمية التي كانت سائدة في المدة التي تناولها بالحديث في معجم الأدباء، وهذه الطريقة تعلم من خلالها الكثير من طلاب العلم في مختلف القرون الهجرية التي بدأت من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري وقد ذكر لياقوت من بين طلاب القرن الثاني الذين أخذوا عن علمائهم عن طريق الإملاء - أبو سلمة بن دينار الملقب بالإمام ت: ١٦٧هـ الذي اتخذ من الإملاء طريقاً يتعلم من خلاله النحو ويسجله فيقول: كان سببويه يستملي على حماد، وأنا أدون^(٢).

(١) ابن الصاد: مرجع سابق: ٦٣ / ٥ وابن شهر آشوب: مرجع سابق: ١٨١ / ٦، ٩٢ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٦٦ / ٢ ومعجم الأدباء: ٣٥٠ / ٥.

(٢) معجم الأدباء: ٢٤٥ / ٢.

- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر، ت: ١٩٤ هـ كان شيخ النحلة في عصره، فقد أُمليَ على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء أن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر^(١).

وهنا لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمون يفضلون بعض العلماء على بعض في نفس مادة التعليم.

وذكر ياقوت أنه يهبط الطلاب والعلماء الذي اتكفوا به الإملاء وسيلة تعليمية في القرن الثالث الهجري:

- أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٣٢ هـ روى عنه ثعلب قال: قال لي ابن الأعرابي أمليت قبل أن تجيئي يا أحمد حملٌ جمل^(٢).

- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الملقب بالضرير البغدادي ت: ٢٨٢ هـ الذي حضر إلى نيسابور وأقام بها وأُمليَ بها المعاني والنوادر^(٣).

- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١ هـ كانت له مجالسات وأمال أملها على أصحابه في مجالسه تحتوي على النحو واللغة والأخبار ومعاني القرآن والشعر رواها عنه جماعة^(٤).

وهو طلاب وعلماء القرن الثالث الهجري الذين تعلموا به طريق الإملاء:

- أبو الهيثم العقيلي اللخوي ت: ٢٩٠ هـ أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان، ت: ٢٩٩ هـ الذي روى عنه العسال قال في آخر العروض: إلى ها هنا أُمليَ عليّ ابن كيسان وأنا أكتب وأستمليه وفرغنا من العروض سنة ٢٩٨ هـ^(٥).

(١) معجم الأبياء: ٥ / ٤ وبغية الوعاة: ص ٣٢٤ وميزان الاعتدال: ٢١٨ / ٤ وإنباء الرواة: ٣١٣ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧١ / ٤.

(٢) معجم الأبياء: ٣٧ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١١ / ١٠ وابن العديم: مرجع سابق: ٧٠ / ٢ والوالقي بالوفيات: ٨٠ / ٣ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢٨٢ / ٥.

(٣) معجم الأبياء: ٣٤٦ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢١٤ / ١ وإنباء الرواة: ١٢٨ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٧٧ / ٢.

(٤) معجم الأبياء: ٢٦٧ / ١ وبغية الوعاة: ص ٢١٣ / ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.

(٥) معجم الأبياء: ٢٦٠ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٩٤ / ٨ وبغية الوعاة: ص ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.

وفي القرن الرابع الهجري جمع الطلاب بين الإملاء والسماع ومن هؤلاء الذين تقلد لهم الكثير من طلاب العلم:

- أبو جعفر الطبري ت: ٢١٠هـ الذي روى عنه ابن كامل قال: أُملى علينا الطبري من كتابه جامع التفسير في تأويل القرآن الكريم مائة وخمسين آية، ثم خرج إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك سنة ٢٧٠هـ وقرأ عليه كبار الناس. فقد ذكر ابن خزيمة أنه سب ابن خالويه قال: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قال: نعم كتبت التفسير عنه إملاء، قال كله؟ قلت: نعم، قال: في أي سنة؟ قلت: من سنة ٢٨٣هـ إلى ٢٩٠هـ، وقد ترك الإملاء في نهاية حياته، وكان يظن أن فيه حاجة^(١).
- أبو إسحاق إبراهيم بن السري ت: ٣١١هـ قال دخل الزجاج إلى ثعلب في أيام المبرد وقد أُملى عليه شيئاً من المقتضب^(٢).
- أبو العباس أحمد بن عبيد الله الثقفي، ت: ٣١٤هـ الذي كتب كتاباً في أستاذته ابن الرومي وجلس بين طلابه يُمليه على الناس^(٣).
- أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الصغير، ت: ٣١٥هـ كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة ما يُملِي^(٤).
- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بابن الخياط، ت: ٣٢٠هـ الذي كان يؤخذ عنه ما يُمليه دون ما كان يُقرأ عليه، كما ذكره الفارسي^(٥).
- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد، ت: ٣٢١هـ الذي أُملى الجمهرة على طلابه في فارس، ثم أملاها بالبصرة، ويغداد معتمداً على حفظه، ولذلك لم تتفق^(٦).

(١) معجم الأدباء: ٢٥٥ / ٥ وسير أعلام النبلاء: ٢١٠ / ٩ وابن العماد: مرجع سابق: ٦٠ / ٢ وتذكرة الحفاظ: ٢ / ٣٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ٦٩ / ٦.

(٢) معجم الأدباء: ٨٦ / ١ ونبذ الرواة: ١٥٩ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٤٠ / ١.

(٣) معجم الأدباء: ٤٧٧ / ١.

(٤) المرجع السابق: ١٣٠ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٢٩١ / ٤.

(٥) معجم الأدباء: ٩٦ / ٥ والأدباء: مرجع سابق: ص ٢١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.

(٦) معجم الأدباء: ٢٩٨ / ٥ ولسان الميزان: ١٣٢ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٨٠ / ٦.

وهو علماء القرون الرابع التي تعلموا منه طريق الإملاء:

- أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت: ٣٢٢ هـ كان يعلم الصبيان عن طريق الإملاء عليه وتصله على ذلك جوار (أجرة ومكافأة) يدرها عليه ابن الجيهاني وزيد بن أحمد الساماني^(١).
- أبو عبد الله إبراهيم بن محمد الملقب بنقطويه ت: ٣٢٣ هـ كان يُعَلِّمُ طلابه عن طريق الإملاء عليهم ففي رواية أبي هلال في كتابه الأوائل قال: كنا في مجلس بنقطويه وهو يولي على طلابه النحو والحديث^(٢).
- أبو القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت: ٣٢٣ هـ كان يجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره، وشعر غيره، وكان يولي أيضاً من الحكايات المستطابة وشيئاً من النوادر المؤلفة، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به^(٣).
- أبو الحسن أحمد بن جعفر الملقب بجحظة البرمكي ت: ٣٢٤ هـ كان له مجلس يُعَلِّمُ منه ففي رواية الحسين بن العباس قال: جثت يوماً في مجلس الأدب لجحظة البرمكي والناس عنده وهو يولي عليهم من علمه، لكي أتعلّم منه مما يُعَلِّمُ الناس^(٤).
- أبو الفضل محمد بن أحمد الهروي ت: ٣٢٩ هـ وقد كان شيخاً لأبي منصور الأزهري أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه^(٥).
- أبو الحسن المسعودي، ت: ٣٤٦ هـ بمصر، وقد أملى الكثير في مجالسه، وعجز لضعفه عن الإملاء في باقي المجالس، فقرأ عليه وهو يسمع^(٦).

(١) معجم الأدباء: ٣٧٤ / ١، ومعجم المؤلفين: ٢٤٠ / ١، والواقعي بالوفيات: ٧ / ٦، والزركلي: مرجع سابق: ١٣٤ / ١.
 (٢) معجم الأدباء: ١٦٧ / ١، وابن كثير: مرجع سابق: ١٨٣ / ١١، وسير النبلاء: ١٨ / ١٠، وإنباء الرواة: ١٧٦ / ١.
 (٣) معجم الأدباء: ٣٩٢ / ٢.
 (٤) معجم الأدباء: ٣٢٢ / ١، وسير النبلاء: ٥٤ / ١٠، والمستنظم: ٢٨٣ / ٦.
 (٥) معجم الأدباء: ٢٧٨ / ٥، وابن شاذان: مرجع سابق: ١٨٥ / ٢.
 (٦) معجم الأدباء: ٤٩ / ٤، ولسان الميزان: ٢٢٤ / ٤، والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٧ / ٤.

- أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمي ت: ٣٥٠هـ الذي تعلم عن طريق الإملاء فقد كان مُستملي أبي جعفر الجَلُودي، وسمع كتبه كلها ورواها^(١).
- ومن هؤلاء العلماء أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت: ٣٥٠هـ الذي أملى كتاب السير وأخذ عنه عدد من العلماء: مثل الوراق، والمزني، وابن رزقويه، والحمامي^(٢).
- أبو علي القالي البغدادي: ٣٥٦هـ الذي دخل قرطبة في أيام عبدالرحمن الناصر. وأملى كتبه بها عن ظهر قلبه فقد أملى كتاب الأمثال^(٣). وعاصره أبو جعفر الميكالي ت: ٣٨٨هـ^(٤).

الإملاء كطريقة من طرق التعليم في القرن الخامس الهجري:

- أرخ لياقوت الحموي في معجمه لكثير من الطلاب والمتعلمين الذين درسوا وتعلموا عن طريق الإملاء ومن هؤلاء الطلاب والمتعلمين والعلماء:
- أبو علي المحسن بن إبراهيم الملقب بالصائغ ت: ٤٠١هـ وأبو القاسم بن كوجك ت: ٤١٦هـ الذي أملى بصيدا على طلابه حكايات مقطوعة عن ابن خالويه وأخبار ابن طلائب قال: أملى علينا الأستاذ أبو القاسم، وقرأنا عليه^(٥). وقد كان الإملاء في العلوم الدينية وغيرها، ففي ترجمة: أبي بكر محمد بن أحمد المَعْمَرِي ت: ٤٢٨هـ قال سمعت أبا حفص محمد بن علي واستمليت له الفقه^(٦).
 - أبو الفتوح الجرجاني ت: ٤٣١هـ الذي رحل إلى الأندلس فأملى بها كتاب شرح الجمل للزجاجي، وروى ببغداد عن ابن جني، والريعي، وابن الحسين البصري^(٧).

(١) معجم الأبياء: ٣٠٥ / ١.
(٢) المرجع السابق: ٥٤٨ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ١٩٩ / ١.
(٣) معجم الأبياء: ٣٠٤ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢٨٦ / ٢.
(٤) معجم الأبياء: ٢٣٥ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٨ / ١.
(٥) معجم الأبياء: ٦٠ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٢٨٥ / ٥.
(٦) معجم الأبياء: ٦١ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٨٢ / ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢٨٦ / ٥.
(٧) معجم الأبياء: ٣٦٧ / ٢ ونبأ الرواة: ٦٦٣ / ١ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ٦٠٤.

وكان الطلاب بعد أن يكملوا تعليمهم عن طريق الإملاء يجلسوا ليعلموا غيرهم من طلاب العلم فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي المظفر إبراهيم بن أحمد بن الليث، كان حياً: ٤٣٢ هـ أنه كان كتب ما أملاه عليه العلماء في علم النحو، ثم جلس يُعَلِّم من حفظه وما يشك فيه يجعل بعض طلابه يعاونه فإذا صح أمرهم بإثباته إلى أن يتم الكتاب^(١) وبعض العلماء كان يُعَلِّم من الكتاب دون الاعتماد على الحفظ، ففي ترجمة أبي القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦ هـ أنه كانت له مجالس أملاها من كتابه المسمى بالغرر والدرر المشتمل على فنون من معاني الأدب، وتكلم فيه عن النحو واللغة^(٢).

وطريقة الإملاء كانت تساعد أصحاب العاهات مثل المكفوفين في تأليف الكتب فقد كان أبو العلاء المعري ت: ٤٤٩ هـ مكفوقاً، فإذا أراد التأليف أملى على كاتبه التنوخي حتى كان له من الكتب الكثير^(٣).

وقد يكون لطريقة الإملاء بعض السلبيات التي من بينها قلة المؤلفات التي يتركها العالم بعد وفاته فقد ذكر ياقوت في ترجمة (علي بن عبد الله المعروف بابن أبي الطيب ت: ٤٥٨ هـ أنه كان يُعَلِّم من حفظه، ولما مات لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربعة مجلدات في الفقه والأدب والتاريخ^(٤)).

وقد كان العلماء يتخذون من طريقة الإملاء وسيلة للتدريس بالمساجد ففي ترجمة ياقوت للخطيب البغدادي ت: ٤٦٣ هـ ببغداد، قال: كان البغدادي يُعَلِّم على تلاميذه بجامع المنصور، ففي رواية أبي سعد السمعاني قال: سمعت جميع كتاب مدينة السلام

(١) معجم الأدباء: ٣٦ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٨ / ١ وابن عسكراً: مرجع سابق: ١٨٢ / ٢ - ١٨٤.

(٢) معجم الأدباء: ٧٤ / ٤ ولسان الميزان: ٢٢٣ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٨ / ٤.

(٣) معجم الأدباء: ٤١٧ / ١ وسير النبلاء: ١٥٦ / ١١ وابن عسكراً: مرجع سابق: ٢٨١ / ٢.

(٤) معجم الأدباء: ١٢١ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٤ / ٤.

من مصنفه أبي بكر إماماً، غير جزءين (السادس، والثلاثين) وكان قد شرط في الابتداء ألا يعاد أكفوات لأحد، فبقيا غير مسموعين^(١).

وهنا يلاحظ الباحث سلبية أخرى من سلبيات طريقة الإمام وهي ترك المتعلم لما لم يدركه مع غيره من المتعلمين من أساتذته.

وقد استخدم العلماء طريقة الإمام في تعليم النحول لتلاميذهم في القرن الخامس الهجري ومن هؤلاء: أبو القاسم زيد بن علي الفارسي الفسوي ت: ٤٦٧ هـ الذي كان يقوم بتعليم أهل البلاد التي ينزل بها عن طريق الإمام، متخذاً من ذلك وسيلة لشرح العلوم والكتب التي كتبها العلماء، فقد استوطن الفسوي حلب لإقراء النحول بها، فقرأوا عليه واستفاد أهلها منه، وسكن دمشق مدة أملى بها كتاب شرح الإيضاح وكتاب شرح الحماسة^(٢).

- أبو نصر محمد بن محمد الرامشي النيسابوري ت: ٤٨٩ هـ كان قد تخرج به جماعة أملى عليهم بنيسابور^(٣).

وهذه علماء القرن السادس الذين اتكنا هذه الإمام طريقة تعليمية:

- أبو طاهر إسماعيل بن محمد الملقب بالوثابي ت: ٥٢٣ هـ قال عنه السمعاني: أضيف الوثابي في آخر عمره، فدخلت عليه داره بأصبهان واقترحت عليه رسالة فقال لي: خذ القلم واكتب وأملئ علي في الحال بلا بروي ولا تفكر، كأحسن ما يكون^(٤).

(١) معجم الأدباء: ٤٩٨ / ١ - ٥٠٤ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢ وسير أعلام النبلاء: ٢١١ / ١١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢٢ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٧٦ / ١ وثكنة المجلد: ٣١٩ / ٣.
(٢) معجم الأدباء: ٣٥٦ / ٣ وبصية الوعاظ: من ٢٥٠ ومعجم المؤلفين: ١٩٠ / ٤ والوافي بلوقيات: ١٩ / ١٣ والزركلي: مرجع سابق: ٦٠ / ٣.
(٣) معجم الأدباء: ١١٠ / ٥.
(٤) المرجع السابق: ٣٠٨ / ٢.

- أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني الملقب بجامع العلوم ت: ٥٣٥ هـ قال عنه البيهقي: قرأت في خاتمة كتاب كشف المشكلات للجامع قوله: وقد أملتُ بعد كتاب الجواهر، وكتاب المجمل وكتاب الاستدراك^(١).

ومما سبق نلاحظ أن كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي يُعد مصدراً هاماً من مصادر تاريخ التربية، الذي أرخ من خلاله لياقوت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة آنذاك، في القرون الست الأولى من الهجرة بدءاً من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري ثالثاً: القراءة:

ذكر لياقوت من بين الطرق التربوية والتعليمية التي تعلم من خلالها طلاب العلم القراءة والتي يقصد بها العرض أي أن الطالب يقرأ أمام المعلم النصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها وهي تتبع للمعلم الإطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعلم السابقة، وتستخدم هذه الطريقة بصورة مستقلة أو مساعدة لطريقة السماع.

وقد ذكر لياقوت هذه بين طلاب العلم الذين درسوا هذه طريق القراءة في القرية التي الهجري:

- أبو الحجاج مجاهد بن جبر القارئ ت: ١٠٤ هـ الذي قرأ على علي بن أبي طالب، وأخذ القراءات عن عبدالله بن عباس ت: ٦٨ هـ وعن عبدالله بن أبي ليلى، وأبي بن كعب^(٢)
- أبو الخطاب السدوسي ت: ١٧٧ هـ الذي قرأ على أبي الحسن البصري، وابن سيرين وبالقراءة أصبح قتادة أجمع الناس ويقول الإمام أحمد بن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة وما كنا نفتقد في كل يوم راكباً من ناحية بني أمية يُنذخ على باب قتادة، يسأله عن خير أو نسب أو شعر^(٣).

(١) معجم الأدباء: ٨٦ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٧٥ / ٧ ونكت الهميان: ص ٢١١ وإنباء الرواة: ٢١٧ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٩ / ٤.
(٢) معجم الأدباء: ٥٤ / ٥ وطبقات المفسرين: ص ٤٢ وميزان الاعتدال: ٩٣ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٨ / ٥ - ٩٥ / ٤.
(٣) معجم الأدباء: ٦ / ٥ ونكت الخلفاء: ١١٥ / ١ والمصنفات: مرجع سابق: ١٢٢ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٠ / ٥ - ١٨٩ ونكت الهميان: ص ٢٢٠.

- أبو عمر زيان بن العلاء الملقب بالإمام ت: ١٥٤ هـ بالكوفة، الذي قرأ بمكة والمدينة والكوفة عن شيوخ كثيرة منهم: أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد بن جدير وعكرمة، ومجاهد^(١).

- أبو بكر بن عياش المعروف بابن الخطاط، ت: ١٩٣ هـ الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة ففي رواية المزياني قال: بعث أبو بكر بن عياش إلى يوسف الأعشى فمضيت معه، ومعنا عبد الوهاب بن عمر، والعباس بن عمير فدخلنا عليه، فقال لأبي يوسف قد قرأت علي من رأس المائة من براءة^(٢).

ويلاحظ الباحث أن العلماء لم يقصروا استخدامهم على الطرق التقليدية للتربية بل اهتموا بالطرق التربوية من المراجعة والمناقشة لمعلومات الطالب على يد أستاذه خشية النسيان، وأفضلية التعلم في الصبي جعل من ابن الخطاط هذا العالم الذي يضرب بعلمه المثل.

وقد يكون العرض من الشيخ على تلاميذه، غير أن ذلك يتوقف على سعة عقل الطلاب وذاكراتهم، وقدرتهم على حفظ واستيعاب هذه المعلومات فقد ذكر ابن الخطاط أن أبا عاصم كان يأتيه زرين حبيش الأسدي، فيُقرؤه خمس آيات لا يزيد عليها شيئاً، وكان زرين حبيش قد قرأ على عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) القرآن كله في كل يوم آية واحدة لا يزيد شيئاً^(٣).

(١) معجم الأدباء: ٣٤٧ / ٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٨٦ / ١ والوالي بالوفيات: ١٦٤ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ١١ / ٣.

(٢) معجم الأدباء: ٣٣٨ / ٢ - ٣٤٠ والوالي بالوفيات: ١٩ / ٣.

(٣) معجم الأدباء: ٣٤٠ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٣ / ٣.

وهه علماء القره الثالث العجري الذين اهتموا بالقراءة :

- أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب الكوفي ت: ٢١٤هـ الذي تحدث عن طرق التعليم والتي منها التعليم التلقائي وهو ما ينقله الطلاب عن أساتذتهم عن طريق القراءة^(١)

وقد كان الصبيان يأخذون العلم عن العلماء عن طريق القراءة فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي حاتم السجستاني ت: ٢٥٥هـ قال: كان المبرد يحضر حلقاته ويلزم القراءة عليه وهو غلام^(٢))

ويقول أبو العباس سمعت السجستاني يقول: قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين وكان حسن العلم بالعروض^(٣)

وهه العلماء مه يجمع بين القراءة والهاية في التعليم، وهه هؤلاء :

- أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت: ٢٥٩هـ الذي جمع بين القراءة والرواية فقد كان حسن الرواية جيد الدراية، وقد روى عنه أبو عبد الله البرزدي، وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم سنة ٢٥٠هـ، وقد روى هو عن محمد بن زياد ابن الأعرابي، وعن نبطويه النحوي^(٤)

وهه هؤلاء العلماء المتهتميه بطريقة القراءة :

- أبو ع مزين حمدويه الهروي ت: ٢٥٥هـ الذي رحل إلى خراسان، وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث، وفي العراق قرأ على ابن الأعرابي، والأصمعي، وسلمة بن عاصم والفراء، وأبي حاتم السجستاني، وأبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة الرياشي^(٥)

(١) معجم الأدباء: ٩٧ / ٢ والطبيب البغدادي: مرجع سابق: ٢١٦ / ٥ وابن كثير: مرجع سابق: ٢٦٩ / ١٠
(٢) معجم الأدباء: ٤٠٣ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٢٨٥ / ٤ وسير النبلاء: ٢٠٦ / ٨ والوافي بالوفيات: ٥ / ١٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ٤٣٢ / ٢

(٣) الزركلي: مرجع سابق: ٧٩ / ١
(٤) معجم الأدباء: ٢٩٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٩١ / ٩ وابن القيم: مرجع سابق: ٧٩ / ١
(٥) معجم الأدباء: ١١٠ / ٣ وبغية الوعاة: ص ٢٦٦ وإليه الرواة: ٧٧ / ٢

وقد تأثر الهروي بالبيئة الطبيعية التي تنقل بينها الهروي، وقد وضع ذلك في كتابه غير أنه كان يضمن بهذه المصنفات من الكتب، ولم يعلم أن الضن من الصفات غير المحمودة بين العلماء.

وقد ظهر في القرن الرابع الهجري الكثير من الطلاب والعلماء الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من الطرق التعليمية ومنهم:

- أبو موسى سليمان بن محمد الملقب بالحامض البغدادي ت: ٣٠٥ هـ الذي قرأ على أبي علي النصار، كتاب الإغمام للقراء، فقال له أبو علي، يا أبا موسى أراك تتلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب، فقال له: هذه شرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة^(١).

ويلاحظ الباحث أن مصاحبة وملازمة العلماء تُكسب الطلاب المزيد من طرق نقل العلوم عنهم، والنبوغ والتفوق فيها، وإظهار الإعجاز من خلالها، ومن هؤلاء الطلاب: - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٢٦٠ هـ الذي كان قديماً يقرأ لحمزة قبل أن يختار قراءته، وفي رواية أبي عبد الله الفرغاني قال: قال لنا أبو جعفر قرأت القرآن على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، وقد كان الطلحي يقرأ على خلاد، وخلاد قرأ على سليم بن عيسى، وقرأ سليم على حمزة، ثم أخذ القراءة أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن كيسة عن سليم عن حمزة.

ونذكر لياقوت في معجمه: أن أبا جعفر الطبري، لم يكن منتصباً للإقراء ولا قرأ عليه إلا آحاد من الناس كالصغار، ثم يقول: أما القراءة عليه باختيار فإني ما رأيت أحداً أقرأ به غير أبي الحسين الجني، وكان ضئيلاً به^(٢).

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٩٨ والقراء: معجم القرآن: تحقيق أحمد يوسف نجاشي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م وابن العماد: معجم سابق: ص ٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٥٨ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٤٧ وتذكر المطبوعات: ٢ / ٣٥١ والكتاب: ٩ / ٨١.

وقد لاحظ الباحث أن شيوخه ياقوت قصر الطرف عن بعض شيوخ الطبري الذين أخذ عنهم، وتلاميذه الذين أخذوا عنه، ففي كتاب ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه للدكتور / محمد عثمان يقول: تتلمذ أبو جعفر الطبري على: يحيى بن عثمان المصري ت: ٢٨٣هـ. وقد أثبت الطبري مرويات عن يحيى عن طريق ابن بكير عن الليث بن سعد عن ابن لهيعة، عن عبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهؤلاء العلماء ممن تتلمذ عليهم الطبري تلمذة مباشرة، وتفسير ابن كثير ناخر بروايات المصريين الثقات، وهؤلاء الشيوخ هم أعمدة المدرسة المصرية في التفسير والتي جمعت بين المدرسة المكية والمدنية^(١).

ومن شيوخ الطبري الذين تتلمذ عليهم بطريق غير مباشر: عبدالله بن لهيعة ت: ١٧٤هـ وشيخ الديار المصرية: الليث بن سعد، ت: ١٧٥هـ، ويزيد بن سويد الأزدي المصري النوبي ت: ١٢٨هـ، وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة الكندي ت: ١٣٠هـ والخارث بن يعقوب مولى قيس بن عبادة ت: ١٣٠هـ والكناني المعروف بالولاء المصري ت: ١٣٦هـ وابن الجمحي الإسكندراني ت: ١٣٦هـ وخبر بن نعيم بن مرة قاضي مصر ت: ١٣٧هـ وسعيد بن يزيد الحميري الإسكندراني ت: ١٥٢هـ^(٢).

ليس ذلك فقط وإنما تتلمذ على الطبري الكثير من طلاب العلم الذين روى عنه فقد روى عن ابن المبارك، وهيثم، والوليد بن مسلم، وابن وهب، وأبو صالح كاتب الليث، ويحيى بن بكير، وقد تعلم الطبري من شيوخ كان لهم اليد الطولى في العلم فكان من أساتذته المباشرين: زكريا بن يحيى الوقار المصري ت: ٢٥٤هـ، وعبد الرحمن بن عبد الحكم ت: ٢٥٧هـ وابن وهب ت: ٢٦٤هـ، ويونس بن عبد الأعلى ت: ٢٦٤هـ ويحضر بن نصر

(١) محمد محمد عثمان: ابن جرير الطبري في مصر شيوخه وتلاميذه: ص ١١٠.
(٢) ابن العماد: مرجع سابق: ١ / ٢٦٠ وابن كثير: مرجع سابق: ٣ / ١٠٥ والفرازي: مرجع سابق: ٣ / ١٧٩.

الحولائي ت: ٢٦٧هـ ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم ت: ٢٦٨هـ وأحمد بن عبد الرحيم البرقي ت: ٢٧٠هـ والربيع بن سليمان ت: ٢٧٠هـ وعلي بن داود ت: ٢٧٠هـ^(١).

وهو طلاب هذا القرن الذي تعلموا بالقراءة على العلماء:

- أبو الحسن علي بن سليمان الملقب بالأخفش الصغير ت: ٢١٥هـ الذي قرأ على ثعلب والمبرد، وأبي العلاء، واليزيدي^(٢).

- ابن الخطاط، ت: ٣٢٠هـ الذي قرأ عليه أبو علي الفارسي النحوي، وأخذ عنه بالقراءة الزجاج وغيره^(٣).

- أبو عبدالله أحمد بن سليمان الطوسي ت: ٣٢٢هـ الذي قرأ كتاب لنسب للزبير فحصل على الإجازة^(٤). ويرى الباحث أن الإجازة تعني سماع المتعلم من المعلم، وتقتصر الإجازة على الحديث وأحياناً على كتب النحو، وقد تكون محدودة بأحاديث معينة أو عامة تشمل جميع المادة التي حدث بها أو صنفها، وقد تكون الإجازة شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية.

وقد عاصم الطوسي هو طلاب العلم الذين درسوا على طريق القراءة على العلماء:

- أبو عبدالله إسماعيل بن القاسم الملقب بالقالي البغدادي ت: ٣٥٦هـ ببغداد، الذي اهتم بتلقي العلم من العلماء عن طريق القراءة فقد "قرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه، وسأله عنه حرفاً حرفاً"^(٥).

ويلاحظ الباحث أن ياقوت بصمت عن إقرار طريقة تربية تتم بين الطالب وأستاذه في إجابته عن الأسئلة التي يوجهها الطلاب إلى أساتذتهم، وقد رحل القالي إلى

(١) عبدالله خورشيد: مرجع سابق: ص ٢٣٠.

(٢) معجم الأبياء: ٩٦ / ٥ ونسخة الوعاء: ص ١٩.

(٣) الزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.

(٤) معجم الأبياء: ٣٦٨ / ١ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢٨٠ / ١.

(٥) معجم الأبياء: ٣٠٣ / ٢ ومعجم المولفين: ٢٨٦ / ٢ وسير النبلاء: ٧٤ / ١ ونبذ الرواة: ٢٠٤ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٢١ / ١.

المقرب بعد أن تأدب ببغداد بهدف الحصول على علم آخر من العلوم. ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب. ت: ٣٨٥هـ. كان من العلماء المهتمين بالقراءة من الطلاب ففي رواية أبي سعيد السيرافي: شيخ البلد بأصبهان. وفرد الأدب بها. قال رفيعي الصاحب إلى جنبه وأبتدا فقرأ عليّ من كتاب المختضب باب ما يجري وما لا يجري^(١).

ومن خلال هذا العرض لطلاب وعلماء القرن الرابع الهجري، الذين اعتمدوا على القراءة كواحدة من طرق التعليم، حتى يحصل عن طريقها المتعلم على الإجازة فلم يكن في ذلك العصر درجات علمية يحصل عليها من أتم دراسته، بعد امتحان وإما الامتحان كان امتحاناً للرأي المحيط به من علماء ومتعلمين، فمن أنس من نفسه القدرة على أن يجلس مجلس المعلم جلس، وتعرض لجدل العلماء ومناقشاتهم وتجديدهم.

ومن هؤلاء المتعلمين والعلماء في القرن الخامس الهجري:

- أبو الحسن، محمد بن جعفر المعروف بابن النجار. ت: ٤٠٣هـ. كان من مُجَوِّدي القراءة من أهل الكوفة، كان يُقرئ لحمزة والكسائي، ولقي أحمد بن يونس، وروى قراءة عاصم عنه عن الأعمش عن أبي بكر بن عياش بن عاصم، وعنه أخذ الحسن النخعي بالكوفة ت: ٣٤٣هـ^(٢). ومن الذين تعلموا عن طريق القراءة:

- أبو علي أحمد بن محمد المروزي ت: ٤٢١هـ. الذي قرأ كتاب سيدييه على أبي علي الفارسي، وتلقاه له، ثم قرئ عليه بعد ذلك^(٣).

(١) معجم الأدياء: ٢٧١ / ٢ وابن الصاد: مرجع سابق: ١١٥ / ٣ وثالثي: مرجع سابق: ٢٠٥ / ٣
(٢) معجم الأدياء: ٢٨١ / ٥ وابن الصاد: مرجع سابق: ١٦٤ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٧١ / ٦
(٣) معجم الأدياء: ١٩٩ / ٢، ونبذة الرواة: ١٠٦ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٩٩٢ / ١

ومنه طلاب القرن الخامس الهجري الذين تعلموا منه طريق القراءة :

- أبو عبدالعزيز بن الحارث الملقب بالحنبلي المقرئ ت: ٤٨٨ هـ الذي قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي، وأبي عمر مهدي وأبي الحسين بن بشران وجماعة، وقال ابن سكرة قرأت القرآن حتمه وروى عنه ببغداد أبو الحسن بن البطي، وآخر من روى عنه إجازة أبو طاهر السلفي^(١) . وفي القرن السادس الهجري ظهر كل من :

- أبو بكر محمد بن أحمد الشيرازي الملقب بالقطان ت: ٥١١ هـ الذي قرأ على ابن فضال المجاشيعي القيرواني وعلى غيره، ومن نبوغه وتقدمه قرأ عليه أبي محمد بن الخشاب وعنه أخذ النحو، فكان أبو بكر مؤديه ومخرجه^(٢) .

ومنه لاحظ الباحث أن الطلاب المتعلمين كانوا يتخذون من أساتذتهم ومعلميهم القدوة لهم، فكان ابن القطان مولعاً بأستاذه المحولي، وبغيره من العلماء.

- أبو الحسن علي بن عبد الجبار الهذلي التونسي ت: ٥١٩ هـ بالإسكندرية، الذي قرأ عليه الكثير من الطلاب، وفي رواية المرتد البغدادي قال: رأيت ابن عبد البر بصقلية وعزمت على أن أقرأ عليه، لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، غير أنني لم أقرأ عليه فقد أحوجتني الضرورة إلى الخروج من صقلية^(٣) .

أما ابن رشيح الأزدي فيقول: قرأت على أبي القاسم الكثير من العلوم^(٤) .

- الحسين بن محمد الملقب بالدباس البارع ت: ٥٢٤ هـ الذي قرأ القرآن على أبي علي بن البناء، وأقرأ خلقاً كثيراً فقد قرأ عليه بالروايات أبو جعفر الواسطي الضرير^(٥) .

(١) معجم الأدباء: ٣ / ٣٢٤ وطبقات المفسرين: من ٨٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٦ .

(٢) معجم الأدباء: ٥ / ١٨٢ وإنباء الرواة: ٢ / ٥٨٩ ومعجم المؤلفين: ٨ / ٦٦٨ .

(٣) معجم الأدباء: ١ / ١٥٥ ومعجم المؤلفين: ٧ / ١١٧ .

(٤) بغية الوعاة: ص ٣٤٠ .

(٥) معجم الأدباء: ٣ / ٩٤ والوفاء بالوفيات: ١١ / ١٠٦ وإنباء الرواة: ١ / ٣٢٨ وابن خلكان: مرجع سابق: ١ / ١٥٨ .

- أبو الحسن علي بن عراقي الصناري الخوارزمي ت: ٥٣٩هـ الذي قرأ الأدب على أبي علي الضرير النيسابوري، وقرأ الفقه بخوارزم على الإمام أبي عبدالله الوبري، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه على مشايخها^(١).

وكانت القراءة التي تأخذ عن العلماء غير المتصفين بحسن الاعتقاد وصحة المذهب لا تجاز فقي ترجمة ياقوت لأبي الحسن علي بن عبدالله العقيلي الأنطاكي ت: ٥٤٠هـ قال السمعاني: قرأت عليه بحلب شيئاً من الحديث وخرجت من عنده فقرأني بعض الصالحين، فأنكر علي ذلك، وقال أنه يقول بالنجوم، ويرى رأي الأوائل، فلا تجاز قرأته^(٢) - أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعري ت: ٤٤٩هـ الذي قصد أبا الحسن علي بن الربيع ليقرأ عليه الكتب، فدعاه أبو الحسن بلقب يكرهه فخرج مغضباً ولم يعد إليه^(٣).

ومنه لاحظ الباحث أن على المعلم أن يكون ثاقب البصر، وأن يترك الألقاب التي تس كرامة المتعلم، كالأعمى والأعرج، والأبرص وغيرهم من الألقاب التي تشمئز منها النفس، ومن المنادة بها، وقد رأينا أبا العلاء المعري يترك أستاذه ومجالسه والتعليم من أجل مناداته إياه بلقب يكرهه.

- أبو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن شرف القيرواني ت: ٤٦٠هـ الذي قرأ النحو على أبي عبدالله الغزالي وقرأ الأدب على أبي إسحاق الحصري، وقد جعله ذلك يكتب كتاب أبحار الأفكار وهو مختارات جمعها من شعره ونثره، وله مقامات عارض بها الديدع الهمداني، وقد ذكر الزركلي أنها مطبوعة نشرها السيد حسن حسني عبدالوهاب في مجلة المقتبس باسم رسائل الانتقاد ثم نشرت في رسالة منفردة باسم أعلام الكلام وهذا من كتبه المفقودة، وقد ذكرها ياقوت باسم رسالة الانتقاد وهو الأصح^(٤). ومن هؤلاء المهتمين بطريقة القراءة:

(١) معجم الأدباء: ١٨٥ / ٤ وفيه الوعظ: من ٣٤٣ والزركلي: يرجع سابق: ٣١٢ / ٤.
(٢) معجم الأدباء: ١٥٣ / ٤ ومعجم المؤلفين: ١٣١ / ٧.
(٣) معجم الأدباء: ٤٠٦ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢٩٠ / ١ وابن كثير: يرجع سابق: ٧٢ / ١١ وسير النبلاء: ١٥٦ / ١١.
(٤) معجم الأدباء: ٤٣٥ / ٥ وفيه الوعظ: من ٤٦ وابن شاذان الكشي: يرجع سابق: ٧٩ / ٣، ٢٠٤ / ٢ والزركلي: يرجع سابق: ١٣٨ / ٦.

- أبو جعفر محمد بن إسحاق الملقب بالقاضي البجلي ت: ٤٦٣ هـ الذي كتب نسخة من غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، وقرأها على جدي الشيخ عبد الغافر بن محمد الفارسي، قراءة سماع، وعلى الإمام الحاكم بن دوست قراءة تصحيح وإتقان ولم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أصح منها، وهي الآن بخزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم^(١).

- أبو القاسم الفسوي ت: ٥٦٧ هـ بطرابلس، كان قد قرأ على الشريف أبي البركات الكوفي وأقرأ النحو بطلب، وأفاد أهلها، عمّر إلى أن قرأ عليه الشريف أبو البركات^(٢).

- أبو نصر محمد بن أحمد الملقب بالإمام الوالد، ت: ٣٨٤ هـ الذي قرأ القرآن على جماعة كثيرة منهم يروى أستاذه أبي الحسين الدهان المقرئ، وقرأ ينيسابور على أبي محمد البخاري، وأبي عثمان المعتل، وبيغداد على أبي الحسن بن الحماني، ثم اهتم بتعليم غيره عن طريق القراءة، ولكن مقابل أجره^(٣).

وذكر ياقوت أنه يروى علماء القرن السادس الهجري الذين درسوا على طريقة القراءة:

- أبو محمد دعوان بن علي الملقب بالضرير المقرئ ت: ٥٤٢ هـ الذي كان من أعيان القراءة بيغداد متميزاً بالقراءة، حسن الطريقة، قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهر بن سوار وابن الجراح، وابن السني، وقرأ عليه القرآن خلق كثير^(٤).

- ابن القيسراني الحلبي ت: ٥٤٨ هـ الذي قرأ الأدب على توفيق الدمشقي، وابن الخطاط^(٥). وقد قرأ السمعاني على ابن أبي جرادة بطلب شيئاً من الحديث^(٦).

(١) معجم الأدياء: ٤٣٥ / ٥، ٢٢٩ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٤١ / ٩ والذباب: ٩٩ / ١ والوافي بالوفيات: ١٩٧ / ٢ - ١٩٩.

(٢) معجم الأدياء: ٣٥٦ / ٣ ومعجم المؤلفين: ١٩٠ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٦٠ / ٣.

(٣) معجم الأدياء: ١٥٨ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٦ / ٥ والذباب: ٣٦ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٢٩٥ / ٨.

(٤) معجم الأدياء: ٣٢١ / ٢.

(٥) المرجع السابق: ٤٥٣ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٧٧ / ١٢ والوافي بالوفيات: ٩٣ / ٤.

(٦) معجم الأدياء: ١٥٣ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٣١ / ٧.

- أبو منصور محمد بن علي العتائبي البغدادي ت: ٥٥٦ هـ الذي قرأ النحو على أبي السعادات ابن الشجري، وقرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي، ثم تصدّر للإقراء، ليقرأ الناس عليه^(١).
- أبو الحسن علي بن زيد البيهقي ت: ٥٦٥ هـ الذي قرأ نحو ابن فضال على أبي جعفر المقرئ، وقرأ عليه فصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيد، والأمثال للميكالي وانتقل إلى موافقاً على تاج القضاة أبي سعيد يحيى بن صاعد ت: ٣١٨ هـ^(٢).
- أبو محمد عبدالله بن أحمد الملقب بالخشاب، ت: ٥٦٨ هـ الذي قرأ اللغة العربية على أبي علي الحسن بن علي المحولي، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، وكان مداوماً القراءة على المشايخ في علومه، ومع نبوغه وتقدمه في العلم أقرأ الناس مدة وتخرج به جماعة في علم النحو فكان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى قيل أنه في درجة أبي علي الفارسي، وكان الخشاب يكتب المصنفات بأجرة فقد: وصله ألف دينار مقابل كتاب شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة^(٣). ومن هؤلاء العلماء:
- أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطائحي ت: ٥٧٢ هـ الذي قرأ القرآن على أبي العز الواسطي والبارع ابن الدياس، والمرزوقي، وأبي محمد بن بنت الشيخ، وقرأ النحو على البارع، وقد قرأ عليه الناس مدة، وحدث الكثير^(٤). وعاصره سعد بن محمد الملقب حيص بيص ت: ٥٧٤ هـ^(٥).
- أبو العباس الخضر بن ثروان، الملقب بالضرير التوماني ت: ٥٨٠ هـ الذي قرأ اللغة على ابن الجواليقي، والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي^(٦).

(١) معجم الأدياء: ٣٧٥ / ٥ والزركلي: يرجع سابق: ٢٧٨ / ٦ وإليه الرواة: ٣ / ١٨٨.
 (٢) معجم الأدياء: ١١٤ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٩٦ / ٧ والزركلي: يرجع سابق: ٢٩٠ / ٤ - ١٥٠ / ٨.
 (٣) معجم الأدياء: ٤٤٣ / ٣.
 (٤) المرجع السابق: ١٨٤ / ٤ والزركلي: يرجع سابق: ٢٣٣ / ٤.
 (٥) معجم الأدياء: ٣٦٨ / ٣.
 (٦) معجم الأدياء: ٣٩٤ / ٣ ونكت الهميان: ص ١٤٩.

وقد عاصره أبي محمد عبدالله بن بُرَيْت: ت: ٥٨٢هـ الذي قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر، وقصده الطلبة من الأفاق وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص^(١).

ومن الطلاب الذين درسوا وتعلموا عن طريق القراءة في القرن السابع الهجري كما أوردهم لياقوت في كتابه معجم الأدباء:

- أبو السعادات المبارك بن محمد الملقب مجداً الدين والمعروف بابن الأثير: ت: ٦٠٦هـ الذي قرأ الأدب على ابن الدهان البغدادي، وعلى أبي بكر بن سعدون المغربي القرطبي، وأبي الحزم مكي بن الريان: ت: ٦٠٣هـ^(٢). وكانت القراءة تستخدم لمراجعة الأعمال التي يكتبها الطلاب، فقد كتب "أبو الفضل أحمد بن أبي بكر الملقب بحمدويه: ت: ٦٢٠هـ الكثير من الكتب بخطه، ثم قرأها على مشايخه لمراجعتها"^(٣). ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو علي الحسن بن أبي المعالي الملقب بالباقلاني النحوي: ت: ٦٣٧هـ الذي قرأ العربية على أبي البقاء العكبري، وقرأ اللغة على محمد بن المأمون وغيره، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصر الدين الطوسي، وأخذ فقه الحنفية عن ابن الدمغاني الحنفي: ت: ٦٣٥هـ ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي^(٤).

- الحسن بن محمد الصنعاني النحوي: ت: ٦٥٠هـ الذي كان يقرأ عليه أهل اليمن فكان يُقرأ عليه بعدد معالم السنن للخطابي، وكان معجباً بهذا الكتاب ويكلام مصنفه^(٥).

- أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملقب بشرف الدين: ت: ٦٥٥هـ الذي قرأ القرآن على ابن غلبون والنحو على أبي الحسن بن الداني، وابن المطلب النحوي، والشلوبيني، والكندي وقرأ الأصول على ابن دقماق والعميدي، وقرأ الخلاف على مُعين الدين الحاجرزي^(٦).

(١) معجم الأدباء: ٤٤٨ / ٣ وخزانة الأنب: ٥٦٩ / ٢.

(٢) معجم الأدباء: ٤٩ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٧٤ / ٨ وسير النبلاء: ١٢ / ١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٢ / ٥.

(٣) معجم الأدباء: ٣١٢ / ١ ومعجم المؤلفين: ١٧٨ / ١.

(٤) معجم الأدباء: ٩٨ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٧٥ / ٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢١٧ / ٨.

(٥) معجم الأدباء: ٩٤ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٢٧٩ / ٣.

(٦) معجم الأدباء: ٤٣٩ / ٥ والوفاء بالوفيات: ٣٥٤ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٣٣ / ٦.

والخلاصة: بعد هذا العرض تبين للباحث أن القراءة كانت من الطرق التربوية التي اعتمد عليها الطلاب المتعلمين في الحصول على العلم من العلماء، والقراءة أو العرض: هي قراءة الطالب أمام المعلم، أو مراجعة المعلم للنصوص التي كتبها الطالب للتأكد من صحتها، وهي تتيح للمعلم الاطلاع على مدى ضبط الطالب لمادة التعليم.

ولاحظ الباحث أيضاً أن القراءة لم يقتصر استخدامها في العلوم الدينية فقط وإنما اعتمد عليها كطريقة يتعلم بها الطلاب العلوم اللغوية، وكان الطلاب ينتقلون من بلد إلى آخر للقراءة على علماء هذا البلد، وأحياناً كان يحصل العلماء على أجره مقابل القراءة لكتبهم أو كتب غيرهم. وبذلك فإن لياقوت أرخ لطريقة القراءة كواحدة من طرق التعليم على مر القرون الهجرية الست هذا لأولى، وبه أصبح معجم الأدباء أحد مصادر تاريخ التربية المهمة.

ثانياً: الحفظ والاستظهار:

ذكر لياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الحفظ يعد واحد من الطرق التعليمية التي اعتمد عليها الطلاب في تحصيل العلم، ورغم ما يشوب هذه الطريقة من سلبيات إلا أنها كانت تناسب القرون هذا لتي أرخ لها لياقوت، وبالرجوع إلى تراجم العلماء التي ذكرها لياقوت تبين للباحث أن طريقة الحفظ والاستظهار ظهرت بوضوح مع طلاب القرن الثالث الهجري ومن بين هؤلاء الطلاب:

- الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي كان يحظى بقدرة فائقة على الحفظ وسرعته، ففي رواية ابن جبرية النيسابوري عن الربيع قال: قال الشافعي: كنت أسمع المعلم يُلقن الصبي الآية فأحفظها وكنت وهم يعلمون طلابهم القرآن، ما أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم أكون قد حفظت ما أُملي^(١). ولم تقتصر هذه الطريقة على حفظ القرآن الكريم والحديث فقط، وإنما تعداه إلى حفظ كتب العلماء، ومن الطلاب الذين اهتموا بحفظ كتب العلماء:

(١) معجم الأدباء: ٥ / ١٩٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ٣٢ والزركلي: مرجع سابق: ٦ / ٢٦.

- الواقيدي ت: ٢٠٧ هـ الذي قال: ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه، وكان حفظي أكثر من كتي، وفي رواية يعقوب بن شيبه قال: كان للواقيدي جمل كُتبه على عشرين ومائة وقر (الحمل الثقيل)، وقيل: كان من كبار النحاة وأهل اللغة، وكان يحفظ كُتبه وكتب أبي زيد، وعنه أخذ أبي العباس محمد بن زيد، وابن دريد، وكان الرياشي يحفظ شعر مالك بن أسماء ت: ١٠٠ هـ (١).

- أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادي ت: ٢١٧ هـ الذي قال: سمعت شعر الكميت (شاعر يتعصب لآل البيت) في مجالس ابن الأعرابي، فحفظت بعرضه، وحفظت النكت التي أفاد منها (٢).

- أبو عثمان الرشاشي ت: ٢٧٢ هـ الذي كان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب ويضرب المثل بفصاحته، فكان من أهل الرواية والحفظ والشعر والحديث (٣).

- أبو العباس ثعلب ت: ٢٩١ هـ كان مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، فقد فضل أهل عصره بالحفظ للعلوم التي تضيق عنها الصدور، وكان لا يسر بيده كتاباً، عند تلقي الرجال التعليم منه اعتماداً على حفظه، بينما كان السكري غير مفارق للكتاب عند ملاقة الرجال (٤).

وقد استخدم الطلاب طريقة الحفظ لكي يتفوق كل منهم على أساتذته، بحفظ هذه العلوم:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب كيسان ت: ٢٩٩ هـ الذي أولى اهتمامه لحفظ علم النحو فكان يحفظ المذهبين (الكوفي والبصري) في النحو، وقد أخذ عن الميرد وثلعب، وربما كان التلميذ يتفوق على أساتذته فقد كان كيسان أخصي (كثير النحو) من الشخين يعني

(١) معجم الأدباء: ٤٤٢ / ٣ وتهذيب التهذيب: ١٢٤ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٢٤٦ / ١.

(٢) معجم الأدباء: ٣٥٢ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢١٤ / ١.

(٣) معجم الأدباء: ٢٧٩ / ٣.

(٤) المرجع السابق: ٥٨ / ٢ وإنباء الرواة: ١٣٨ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢٠٣ / ٢ وشذكرة الحفاظ: ٢١٤ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢١٧ / ١.

المبرد وثعلب^(١). واستخدم الطلاب طريقة الحفظ لدواوين العرب في القرن الرابع الهجري ومن هؤلاء:

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٣٢١ هـ الذي قال عنه الخطيب البغدادي: ما رأيت أحفظ من ابن دريد، فقد كان واسع الحفظ، كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها من حفظه، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه. وفي رواية الميكالي قال: أملى عليّ الثريدي كتاب الجهرة من أوله إلى آخره حفظاً في سنة ٢٩٧ هـ فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب^(٢).

- أبو جعفر أحمد بن عبد الله الكاتب ت: ٣٢٢ هـ الذي حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً ولم يكن معه كتاب، وقد عُرف فضله بمصر فأقبل عليه طلاب العلوم والآداب^(٣).

ويلاحظ الباحث هنا أن ملكة الحفظ كانت من الطرق التربوية القوية في ذلك العصر، فابن قتيبة لم يصل إلى ما وصل إليه من فضل وعزارة علم إلا بحفظه لكتب أبيه التي عددها بإحدى وعشرين كتاباً في غريب القرآن والحديث والأدب والأخبار.

- أبو بكر محمد بن القاسم الملقب بالأنباري ت: ٣٢٧ هـ الذي كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها، وقد سئل الأنباري عما يحفظه فقال: ثلاثة عشر صندوقاً أي لو وضعت هذه الكتب التي يحفظها في صناديق لملأت هذا القدر، أخذ ذلك عن والده، فكان أبو بكر آية من آيات الله في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر^(٤).

(١) معجم الأدباء: ٩٣ / ٥ وابن السكيت: مرجع سابق: ٢٢٢ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢١٢ / ٨ وبيضة الوعاة: ص ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.

(٢) معجم الأدباء: ٢٩٨ / ٥ والمنهاج: ٢٦١ / ٦ والأنباري: مرجع سابق: ص ٢٢٢ وسير النبلاء: ١٠ / ٢٢ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ١٩٥ / ٢.

(٣) معجم الأدباء: ٣٩٥ / ١ وتاريخ بغداد: ٢٢٩ / ٤ وإنباء الرواة: ٤٥ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ١٩٥ / ٢.

(٤) معجم الأدباء: ٤١٠ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٢٢٤ / ٦.

- التنوخي ت: ٣٤٢هـ الذي رحل إلى بغداد في حياته، فتفقه بها على مذهب أبي حنيفة وكان يحفظ سبعمائة قصيدة ومقطوعة، وله كتاب يحتوي على رؤوس ما يحفظه من القصائد يقع في مائتين وثلاثين ورقة أشان. وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً^(١).

وكان التنوخي يحفظ ما اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوة، وفي حفظ علم العروض، وكان يحفظ ويحجب فيما يفوق على عشرين ألف حديث^(٢). ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا عن طريق الحفظ:

- أبو عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد المطر: ت: ٣٤٥هـ الذي لم يُرَ قط أحفظ منه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة، وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة، وكان المحدثون يوثقونه^(٣).

- أبو عثمان سعيد بن هاشم ت: ٣٧١هـ الذي حفظ ألف سفر كل سفر مائة ورقة، وكان هو وأخوه إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حباً كان أو ميئاً لا عجزاً منهما ولكن كذا كان طبعهما^(٤).

ومنه لاحظ الباحث أن هذا الصنيع يتنافى والأمانة العلمية التي توجب على العالم عدم نسبة عمل غيره إليه، مثل ما قد يحدث في الكتابات العلمية بأن يُحذف اسم المؤلف ويوضع اسم هذا المُدعي عمل غيره. وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بخلام ابن درستويه ت: ٣٨٧هـ الذي كان يحفظ خمسين ألف بيتاً من الشعر شواهد للقرآن الكريم، وصنف كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن^(٥).

(١) معجم الأدياء: ٢٤٢ / ٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٥٣ / ١.
(٢) معجم الأدياء: ٣٦١ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٥٠٠ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٢٤ / ٤.
(٣) جرحي زبدان: مرجع سابق: ٣٠٤ / ٢ ونذرة الطائيل: ٨٦ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣٥٤ / ٦.
(٤) معجم الأدياء: ٣٧٤ / ٣ وابن شاذان: مرجع سابق: ١٧٠ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ١٠٣ / ٣ واللباب: ٣٢٩ / ١ والتملي: مرجع سابق: ٤٧١ / ١.
(٥) معجم الأدياء: ١١٨ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٢٦ / ٨.

وقد تعلم منه طريق الحفظ منه الطلاب في القرنين السادس والسابع الهجريين :

- أبو الحسن الهذلي التونسي ت: ٥١٩ هـ بالإسكندرية، كان يجيد الحفظ وينشأ القصائد التي تبلغ إحدى عشر ألف بيت على قافية واحدة من حفظه، ولذلك قال القيرواني: لم أر قط أحفظ للعربية واللغة من الهذلي^(١).

- البيهقي ت: ٥٦٥ هـ الذي قال حفظت في عهد الصبا كتاب الشادي للهادي وكتاب السامي في الأسامي وكتاب المصادر للزوزني وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وكتاب غريب القرآن للعريزي وكتاب المختل للميكالي، وأشعار المتنبي، وكتاب الحماسة لأبي تمام وكتاب المجمل في اللغة وكتاب تاج المصادر لأبي جعفر المقرئ^(٢) ومن طلاب العلم الذين اعتمدوا على الحفظ في أخذهم عن العلماء في القرن السابع الهجري:

- أبو سليمان داود بن أحمد اللقب بالضرير المهلي ت: ٦١٥ هـ ببغداد كان بارعاً في الأدب مولعاً بشعر المعري، يحفظ منه جملة صالحة^(٣).

تقييم: لاحظ الباحث من خلال هذا العرض لبعض طرق التعليم التي ذكرها لياقوت في كتابه معجم الأدباء أن هذه الطرق كانت متعددة وأخذت صوراً كثيرة مثل التلقين: وهو من الأساليب الشائعة، وقد عبر عنه بالسماع من جانب التلاميذ بحيث كثر إيراد هذه الكلمة في ترجمات أكثر من أن تعد، فعلى وجه التقريب ما من عالم أو متعلم ألا وتقرأ أنه سمع كذا من فلان وقد عرضنا الكثير من هذه النماذج في صلب هذه الدراسة، ومن هذه الطرق الإملاء: وهي تفيد في تقييد العلم بحيث يستطيع التلميذ أن يرجع إلى الموضوع عندما يريد فيتعلمه، وكانت هذه الطريقة لها أهميتها بطبيعة الحال في مجتمع لم يعرف الطباعة بعد، ولذلك نجد عدد غير قليل من الكتب العربية تسمى بالأمل، وقد عاصرت هذه

(١) معجم الأدباء: ١٥٥ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٩٦ / ٧.
(٢) معجم الأدباء: ١١٤ / ٤ والوفاء بالموفيات: ٦٨ / ١٢ - ٧٠ والزركلي: مرجع سابق: ٢٩٠ / ٤.
(٣) معجم الأدباء: ٣١٢ / ٣ ونكت الهميان: من ١٤٩ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٦ / ٢.

الطريقة بعض الطرق الأخرى مثل القراءة حيث كان بعض المعلمين يطلبون من الطالب أن يقرأ أمامه فيصحح له ما يقرأ ويشرحه، وقد أوضح ياقوت أن هذه الطريقة كانت من الطرق الشائعة بين المتعلمين وأكثر من تراجم الطلاب والمعلمين الذي اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم.

ومن هذه الطرق أيضاً الحفظ: فقد كان الحفظ بطبيعة الحال هو أهم الطرق والأشهرها وأكثر شيوعاً واستخداماً ولا عجب في ذلك فالاجتماع الذي عاش فيه هؤلاء تسوده الأمية، ولا مطابع هناك، ووسيلة النشر الوحيدة هي النسخ وهي عملية صعبة ومكلفة فكان الاعتماد على الذاكرة ففيها يودع الكتاب، فكانها توفر لصاحبها نسخة منه وتبين شيوع الحفظ من كثرة الإشارة إليه لدى الشخصيات التي ترجم لها ياقوت الحموي في معجمه، وكانت المجالس تعتمد في بعض الأحوال لاختبار الحافظ أمام جمع غير قليل من الناس.

خاتمة: الرحلة.

ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أن الكثير من العلماء وطلاب العلم أفادوا من الرحلة إلى العلماء في مختلف الأمصار، وكذلك الرحلة إلى المكتبات الإسلامية حتى يطلعوا على أمهات الكتب التي تزخر بها هذه المكتبات، ولم تكن الرحلة قاصرة على تعلم العلوم الدينية فقط، وإنما كانت لتعلم الكثير من أنواع العلوم المختلفة ففي القرن الثالث الهجري تعلم عن طريق الرحلة:

- أبو عمر حفص بن عمر ت: ٢٤٦هـ الذي رحل في طلب القراءات فقرأ بالحروف السبعة وبالشواذ، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي، وقرأ العربية على أبي محمد البزدي فقد حصل أبو عمر عن طريق الرحلة الكثير من علم العلماء^(١). وقد عاصره من العلماء:

(١) معجم الأدباء: ٢٢٧ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦٤.

- أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالمحدث الحافظ ت: ٢٥٧هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وقدم بغداد وذاكر الحفاظ بها، وأخذ بها عن الأصمعي والنضر بن شميل وبهذه الرحلة حصل على معرفة تامة بالعربية واللغة^(١). ومنهم السهمي ت: ٢٩٦هـ^(٢).

وكان اهتمام طلاب الحديث بالرحلة أكثر من غيرهم من طلاب العلم فقد ظهر من بين طلاب العلم في القرن الرابع الهجري:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠هـ الذي رحل إلى مصر، ولم تكن رحلته هذه من فراغ فهو يعلم فضل الرحلة في طلب العلم فقد رحل إلى مصر فوصلها عام ٢٥٣هـ وأقام مدة بالفسطاط يسمع العلماء، ثم عاد إلى الشام، فلما قضى منها أرباً علمياً رجع إلى مصر في عام ٢٥٦هـ^(٣). وفي فضل الرحلة لطلب الحديث ذكر ابن عبد البر في جامعته في باب ذكر الرحلة لطلب العلم قوله: أخبرنا هدية ويزيد بن هارون قالا: حدثنا همام قال سمعت عبد الله بن محمد يحدث عن جابر قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأتيت منزله وأرسلت إليه أن جابراً على الباب، فخرج إليّ فقلت له: حديث بلغني عنك أنك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع أنا منه، فذكره له^(٤).

ومن هنا كانت رحلة الطبري إلى الأمصار الإسلامية لأنها متحدة ومتماسكة رغم تباعد أقاليمها، ووعورة الطرق فيما بينها، وهكذا كانت المملكة الإسلامية في سهولة انتقال العلماء من مكان إلى مكان، فترى العالم من المشرق فإذا هو في الأندلس، ومن المغرب فإذا هو بالعراق. ومن طلاب القرن الرابع الهجري الذين تعلموا عن طريق الرحلة

(١) مجمع الأبياء: ٣ / ٣٩٩ ومجمع المؤلفين: ١ / ٢٧٦ وتهذيب التهذيب: ٤ / ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) مجمع الأبياء: ٢ / ٢٢٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٦٢.

(٣) مجمع الأبياء: ٥ / ٢٤٤ وأحمد محمد الحوافي: مرجع سابق: من ٣٧.

(٤) ابن عبد البر: مرجع سابق: من ١٥١.

- أبو بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت: ٢٢٦هـ الذي رحل إلى البصرة فتعلم بها اللغة، وأسعار العرب، ثم صار إلى علماء عمان فأقام بها مدة تبلغ اثني عشر عاماً، ثم عاد إلى البصرة، ثم رحل إلى نواحي فارس في جزيرة ابن عمر فسكنها مدة، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات^(١). ولم يقتصر ابن دريد في رحلته على تعلم العلم وإثاء هدف إلى تقلد بعض المناصب التي يحصل من خلالها على أجرة فقد " قلده آل ميكال ديوان فارس واتصل بالقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً^(٢)."
- أبو الفضل الهروي ت: ٢٢٩هـ الذي رحل إلى أبي العباس ثعلب بالعراق فدخل عليه مدينة السلام، وعرفه بقصده إياه، فأتخذه مجلساً في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي. حتى سمع الكتاب كله منه^(٣). ومن الطلاب الذين اتخذوا من الرحلة طريقاً للتعليم:
- أبو عمر الصفي الأنديسي المنتجلي ت: ٣٥٠هـ الذي رحل إلى ما المشرق فسمع بمكة من أبي جعفر القليلي، وأبي بكر المذخر صاحب الإشراف، وابن الأعرابي، وسمع بمصر على جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن الربيع، ورحل إلى القيروان للأخذ عن أحمد بن نصر ومحمد بن اللباد، ثم رحل إلى الأندلس وبها صنف تاريخاً في الحديثين^(٤).
- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت: ٣٥٦هـ الذي رحل إليه طلاب العلم من الأندلس ففي رواية أبو علي المحسن قال: كان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج، وكان أبو الفرج يكرمه ويذكر ثقته^(٥).

(١) معجم الأدياء: ٢٢٦ / ٥ والمطلب البغدادي: مرجع سابق: ١٩٥ / ٢ والسبكي: مرجع سابق: ١٤٥ / ٢.

(٢) جورج زبدان: مرجع سابق: ١٨٨ / ٢ وأمين السبكي: ١٣٢ / ٥.

(٣) معجم الأدياء: ١٧٨ / ٥ وابن شاذان الكندي: مرجع سابق: ١٨٥ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٧١ / ٦.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٨٩ / ٨ وابن كثير: مرجع سابق: ١٩٦ / ١١.

(٥) معجم الأدياء: ٦٧ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٧٨ / ٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٨ / ٤.

ومنه لاحظ الباحث أن طلاب العلم كانوا إذا استقر بهم المقام في بلد من البلدان التي بها العلماء، كان الطلاب يلزمون هؤلاء العلماء من أجل اكتساب المعرفة والتزود من العلم.

وهو الطلاب الذين تعلموا منه طريق الرحلة في القرن الرابع الهجري:

- أبو عبد الله بن خالويه: ٣٧٠ هـ الذي رحل إلى بغداد طالباً للعلم سنة ٣١٤ هـ، فلقى بها أكابر العلماء، وأخذ بها عنهم، ثم رحل إلى الشام واستوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر وأدرك بها جُلَّة من العلماء، ومع تقدمه وشوغه في مجالات علمه قصده المتعلمون فكانت الرحلة إليه من الأفاق، وآل حمدان يدرسون عليه ويقتنون منه، وفي رواية أبي عمر الدائلي قال: جاء رجل إلى ابن خالويه فقال به: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لسانني، فقال له: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لسانني^(١). وقد عاصره من هؤلاء الطلاب:

- الخليل بن أحمد السجزي ت: ٣٧٨ هـ الذي كان شيخاً لأهل الري في عصره، وصاحب فنون من العلوم طاف بلاداً كثيرة فقد رحل إلى نيسابور ودمشق لطلب الحديث، وقد رحل إلى الري والعراق والحجاز، ثم عاد إلى نيسابور محدثاً ومفيداً عام ٣٥٩ هـ، وله قصائد تحدث فيها عن فضل الرحلة والتنقل في الرزق والعلم فقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدة فثم بلاد رزقها غير ضيق
وإياك والسكنى بدار مرزلة فتسقى بكأس الدُّكَّة المتدفق
فما ضاقت الدنيا عليك برزخها ولا بات رزق الله عنك بمُغلق^(٢)

(١) معجم الأدباء: ٩٩ / ٣ والسبكي: مرجع سابق: ٢١٢ / ٢، ٢١٣ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٣١٠ / ٣ وإليه الرواق: ٣٢٥ / ١ والوافي بالوفيات: ٥٧ / ١١، ٥٨ / ٥٨ والزركلي: مرجع سابق: ٢٢١ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ٣٠٣ / ٣ وابن السكيت: مرجع سابق: ٩١ / ٣ وابن تيمية: مرجع سابق: ١٥٣ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٤ / ٣.

- أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني ت: ٣٩٢ هـ كان كثير الرحلات فقد طوَّف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس من العلوم والآداب، ولقي مشايخ وقته وعلماء عصره^(١). ومن طلاب العلم الذين اهتموا بالرحلة في ذلك القرن:
- أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان الهمداني ت: ٣٩٨ هـ كان محباً للرحلة فقد رحل في طلب العلم وقارِقَ وطنه إلى حضرة الصاحب بن عباد، ولم يكد يبلغ الثانية والعشرين من عمره، ثم رحل عن حضرة الصاحب مولباً وجهه شطر جرجان، فنزل بأسرة معروفة بالفراء وتشجيع العلماء والأدباء^(٢).
- وهه الطلاب المهتمين بالتعلم عبر طريق الرحلة في القرون الخامسة الهجرية:
- أبو الحسين محمد بن الحسين، ت: ٤٢١ هـ الذي أخذ عن خاله علم العربية، وطوَّف في الأفاق، فقد أوفده خاله علي الصاحب بن عباد بالري، ثم رحل إلى خراسان، ونزل نيسابور، ثم رحل إلى مكة وجاورها، ثم عاد منها إلى غزنة، ورجع إلى نيسابور ثم رحل إلى اسفراين وأخذ بكل منها عن علمائها، واستقر في جرجان مدة فقرأ عليه أهلها ومنهم عبدالقاهر الجرجاني وليس له استاذ سواه، وقد توفي بها^(٣).
- أبو علي الحسين بن سعد الملقب بالأمدي اللغوي ت: ٤٤٤ هـ الذي رحل إلى بغداد فأخذ بها عن أبي علي الفراء، وأبي طالب بن غيلان، ورحل إلى الشام فأخذ عن جماعة من العلماء، ثم استوطن أصبهان ليعلم بها، وبها توفي^(٤).
- وقد تكون الرحلة إلى البلدان بهدف نشر العلم، وليس للأخذ عن العلماء فقد ذكر ياقوت في ترجمة الحسين بن محمد المعروف بابن جني ت: ٤٥٦ هـ أنه رحل من الأندلس

(١) معجم الأدباء: ١٥٩ / ٤ / ٤ والسبكي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٢ والثعالبي: مرجع سابق: ٢٣٨ / ٣ ومثقات الفهرست: ص ١٧٣ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٢٤ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٠ / ٤.

(٢) معجم الأدباء: ٣٦٧ / ١ ومعجم المؤلفين: ٦٠٩ / ١ ونكتة الحفاظ: ٦١٧ / ٣ وابن كثير: مرجع سابق: ١١ / ٢٤١ وشوقي خيف: المقامة طدار المعارف دت ص ٩٣ والزركلي: مرجع سابق: ١١٥ / ١.

(٣) معجم الأدباء: ٣٣٤ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٩٩ / ٦ والواقعي: المؤلفات: ٩ / ٣ وبغية الوعاة: ص ٣٨.

(٤) معجم الأدباء: ١٢٧ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٣٨ / ٢.

إلى مصر، ثم نزل بالقاهرة، ثم رحل إلى اليمن، واتصل بأميرها سنة ٤٤٢هـ فبعثه إلى المنتصر بالله (معد بن الظاهر علي)، فحظي عنده بدنيا عريضة وإقبال من المتعلمين وصنف بها كتاب زيج مختصر أهداه لأمير اليمن الصليحي^(١)
وهو طلاب العلم الذين تعلموا منه طريق الرحلة في ذلك القرن:

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشار ت: ٤٦٢هـ الذي رحل إلى العلماء للأخذ عنهم، وقد اتخذ لنفسه منهجاً جمع فيه بين الرواية والفهم، وشدة العناية، وقد أخذ العلم عنه خلق كثير مثل أبو الحسين الكاتب صاحب أبي علي الفارسي، فقد كانت إليه الرحلة لطلب العلم والتزود من المعرفة في زمانه فهو عين وقته وأوانه، ويقول لياقوت أن ابن بشار له مؤلفات غير أنها ذهبت على طول المدى ذكر منها كتاب فضائل بيت المقدس قال الزركلي: أنه مخطوط في دار الكتب مصوراً عن نسخة كتبت سنة ٥٤٣هـ^(٢).

وهو هؤلاء الطلاب في القرن الخامس الهجري الذين تعلموا منه طريق الرحلة:

- أبو نصر محمد بن أحمد الكركنجي ت: ٤٨٤هـ الذي رحل إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طلب علم القرآن، وتعلم القراءة على المشايخ إلى أن صار أوجد عصره وفريد دهره في هذا العلم^(٣).

- أبو الوليد سليمان بن خلف الملقب بالباجي ت: ٤٩٤هـ بالمرية، الذي رحل إلى المشرق فأقام بالحجاز ملازماً للحافظ أبي ذر المحدث، وسمع من ابن سحنويه، وابن محرز وأطوحي، ورحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام سمع فيها من ابن الدماغي الكبير ت: ٤٧٨هـ وابن عمرو، وأخذ عن الخطيب البغدادي، ورحل إلى الموصل فأقام بها عاماً أخذ فيه عن السمعاني علم الكلام، ورحل إلى الشام فأخذ بدمشق وحلب عن

(١) معجم الأدباء: ١٩٨ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٥٤ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ١٤٧ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٦٧ / ٨ ولسان الميزان: ١٣ / ٥.
(٣) معجم الأدباء: ١٧٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٩٥ / ٨ وكتاب: ٣٦ / ٢.

السمسار، وقد تقدم الباجي في العلوم عن طريق الرحلة إلى العلماء، ولذلك فقد سمع منه خلق كثير منهم: الصُّوفي المعروف بابن سكرة الصدي ت: ٥١٤ هـ، والجَيَّاني: الحسين بن محمد الغساني الأندلسي ت: ٤٩٨ هـ^(١).

ومما سبق لاحظ الباحث أن الطلاب اهتموا بالرحلة إلى العلماء، كواحدة من الطرق التعليمية التي يتعلَّم من خلالها هؤلاء الطلاب، واكتسبوا المزيد من علم العلماء في مختلف أنواع العلوم، دون الاقتصار على تعلم العلوم الدينية فقط، وبالرحلة كان الأمراء ينزلون العلماء منزلة خاصة لنشر علومهم بين أهل البلدة التي يسكنها هؤلاء العلماء.

وفي القرن السادس والسابع الهجريين استخدم الطلاب طريقة الرحلة في الحصول على المعرفة ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر ت: ٥٧١ هـ الذي رحل في طلب العلم إلى العراق فل سنة ٥٢١ هـ وأقام بها خمس سنين، رافق خلالها السمعاني ولقي الكثير من المشايخ بها^(٢).

- أبو محمد سعد بن الحسن النُّوراني الحراني ت: ٥٨٠ هـ الذي رحل إلى الشام والعراق ومصر، وخراسان، وسكن بغداد مدة أخذ فيها عن الجوالقي وغيره^(٣).

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلبي ت: ٦٠١ هـ الذي إلى بغداد وبها تأدب ثم رحل إلى الموصل والشام، ويقول ياقوت: وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النخاعة، الذي ساعده على جمع كتاب الحماسة^(٤).

- محمد بن محمود الملقب بالحافظ المؤرخ البغدادي ت: ٦٤٣ هـ الذي رحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر، وهراة ونيسابور، فسمع الكثير من العلماء، وحصل الأصول

(١) معجم الأدياء: ٣٩٤ / ٣، والتهذيب: ٢٤٨ / ٦، ومعجم المؤلفين: ١٨ / ١١، وابن العماد: يرجع سابق: ٤٣ / ٤، ومعجم المؤلفين: ١١ / ١، ونكتة الخطيب: ٣٠ / ٤، وابن كثير: يرجع سابق: ١٢ / ٦٥، والزركلي: يرجع سابق: ١٢٥ / ٣.

(٢) معجم الأدياء: ١١ / ٤، ومعجم المؤلفين: ٦٩ / ٧، والزركلي: يرجع سابق: ٢٧٣ / ٤.

(٣) معجم الأدياء: ٣٦٤ / ٣.

(٤) معجم الأدياء: ٢٧ / ٤، ومعجم المؤلفين: ٢٥٧ / ٣، وسير أعلام النبلاء: ٩٤ / ١٣.

والمسانيد، وقد استمرت رحلته سبعاً وعشرين سنة، وعن طريق الرحلة صنف الكثير من الكتب وقفها على المدرسة النظامية^(١).

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسى السلمي والملقب بشرف الدين ت: ٦٥٥هـ الذي رحل من بلاد المغرب سنة ٦٠٧هـ، ودخل مصر، ثم رحل إلى الحجاز، ودخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد وأقام بها يقرأ ويسمع بالمدرسة النظامية، ورحل إلى خراسان ونيسابور وهراة و مرو، ولقي بهم العديد من المشايخ، ثم عاد إلى بغداد ثم رحل عنها إلى حلب ودمشق، ويقول لياقوت: رأيت بالموصل ثم حج ورجع إلى دمشق، ثم عاد إلى المدينة فأقام بها على الإقراء، ثم رحل على مصر وأقام بها وقد لزم النفسك والعسادة والانقطاع^(٢).

وتختلف أهمية الرحلة عند أصحاب المذاهب، فعند الإمامية: اتخذت طابعاً يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهي عند الشيعة تحقق غرضاً دينياً إمامياً في طابعه، بالإضافة إلى الغرض العلمي فالطالب الإمامي يرحل للقاء الإمام ليأخذ الحديث من مصدره الذي لا شك في قوله، في حين أن الطالب غير الإمامي، يرحل لتلقي الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة^(٣).

سادساً: ملازمة العلماء:

ذكر لياقوت من بين الطرق التعليمية التي أرخ لها والتي تعلم الطلاب من خلالها طريقة الملازمة للعلماء، فقد كان طلاب العلم يلزموا مشايخهم في حلهم وترحالهم لأخذ العلوم عنهم، وقد انتشرت هذه الطريقة مع بداية القرن الثالث الهجري، لأن القرنين الأول

(١) مجمع الأدباء: ٤٤٣ / ٥ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٦٩ / ٣ ومجمع المؤلفين: ٣١٧ / ١١ وابن الصدا: مرجع سابق: ٢٢٦ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٨٦ / ٧ وشكره البغدادي: ٢٢٢ / ٤ وابن كثير: مرجع سابق: ١١٩ / ٢٢.

(٢) مجمع الأدباء: ٣١٩ / ٥ والواقفي بالوفيات: ٣٥٤ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ١٢٢ / ٦.

(٣) علاء الدين القزويني، الفكر القروي عند الشيعة الإسلامية دكتوراه في أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٤ وابن الصدا: مرجع سابق: من ص ١٧ - ١٩.

والثاني الهجريين ساد فيهما السماع والإملاء والقراءة أكثر من ملازمة العلماء ومن هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري:

١- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤ هـ الذي يقول: خرجت من إلى مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها، وأخذ عنها طباعها، فقد كانت أفصح العرب، وبقيت سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما عدت جعلت أنشد الأشعار والأدب والأخبار وأيام العرب^(١). ويتضح لنا هنا أن لياقوت بروايته هذه يثبت أن مهنة التعليم لم تكن قاصرة على العلماء المتخصصين فقط في هذا القرن، بل إن الأسرة قامت بدور حيوي لا يقل أهمية عن دور العلماء.

٢- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت: ٢٠٥ هـ الذي لازمه أبناء بني شيبان فادب بعض أبنائهم، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه أحمد بن حنبل، الذي كتب عنه الحديث^(٢).

٣- أبو عمر صالح بن إسحاق ت: ٢٢٥ هـ الذي لازم الجوهرى فأخذ عنه كتاب اللغة المسمى بالصحيح، ولزم يونس بن حبيب فأخذ عنه العربية ببغداد، وكان يلزم أبا زيد الأنصاري، وأبا عبيدة والأصمعي، وبالملازمة للعلماء حصل من العلم ما جعله يكتب كتاب مختصر في النحو، وكتاب التنبيه وكتاب الأبنية^(٣).

٤- أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت: ٢٢٠ هـ الذي لازمه الأصمعي يضع عشرة سنة ليأخذ عنه علم اللغة فقد كان علامة بها، ويقول الأصمعي: ما رأيت بيده كتاباً قط وما أشك في أنه أملى عنه الناس ما يحمل على أجمال^(٤).

٥- سليمان بن مسلم الملقب بصريع الغواني ت: ٢٧٩ هـ الذي لازم بشار بن برد يأخذ عنه الشعر حتى أصبح من شعراء الكوفة، ويقول في شأن بشار:

(١) معجم الأدباء: ١٩٩ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٣٢ / ٩ وابن تيمية: مرجع سابق: ١٧٦ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ١٦٧ / ٢ وابن خلكان: مرجع سابق: أوائل المعجم مرجع سابق: ٦٥ والزركلي: مرجع سابق: ١ / ٢٩٦.
(٣) معجم الأدباء: ١١٨ / ٣ والأثيري: مرجع سابق: من ٢٠٦ والزركلي: مرجع سابق: ٣ / ١٨٩.
(٤) معجم الأدباء: ٣٣٧ / ٥ والمطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢٨٢ / ٥.

إن في ذي الجسم معتبراً لمزيد العلم ملتقمة^(١).

وهو طلاب العلم في القرن الرابع الهجري الذين تعلموا على طريق ملازمة العلماء :

- ١- أبوبكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨ هـ الذي كان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي وعنه تعلم النحو. وكان صادقاً في علمه وبيان من يُسئل عنه. وصنف كتاب الضاد والطاء ذكر الزركلي أنه مملوع^(٢). ومنه نلاحظ أن طريقة الملازمة للعلماء كانت ذات أهمية في ذلك القرن قد أنجبت الكثير من العلماء الأفاضل.
- ٢- أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الملقب بالخلادي ت: ٣٦٠ هـ الذي كان محدث العجم في زمانه وكان ملازماً لمنزله قليل البروز لحاجته (لزيادة تعلمه من كتب العلماء) وكان يقول نعم صومعة الرجل بيته. ونتيجة لهذه الملازمة لمنزله كتب العديد من الكتب في علوم متعددة فله كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ذكر الزركلي أنه مخطوط في علوم الحديث. وقال من أحسنه من كتاب يقع في سبعة أجزاء في مجلدة وحدة بسوهاج تحت رقم ٩٣/حديث ومنه نسخة في الأسكوريال تحت رقم ١٦٠٨. وله كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق وكتاب الأمثال وكتاب المراثي والتعازي وكتاب النوادر^(٣).

وفي القرن الخامس الهجري :

- ١- أبو عبدالله محمد بن فتوح الملقب بالحميدي ت: ٤٨٨ هـ الذي كان ملازماً لأبي محمد بن حزم الظاهري. فقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر الأخذ عنه. واشتهر بصحته وكان على مذهبه غير أنه لم يتظاهر بذلك^(٤).

(١) مجمع الأدباء: ٣٩٨ / ٣ ومجمع المؤلفين: ٢٢٢ / ١٢ وسير أعلام النبلاء: ٢٤٢ / ٦ وابن رشيقي: مرجع سابق: ٦٤ / ١ والوافي بالوفيات: ٦٦٠ / ٦٤.
(٢) ر: ٣٠١ / ١ ومجمع المؤلفين: ١٣٩ / ١ وإنباء الرواة: ٢٧ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٨٥ / ١.
(٣) مجمع الأدباء: ٣ / ٣ والتمهيد: ٢٢٢ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٩١ / ٢.
(٤) مجمع الأدباء: ٣٩٥ / ٥ ومجمع المؤلفين: ١٢١ / ١١ وتذكرة الحفاظ: ١٧ / ٢٠ والزركلي: مرجع سابق: ٢٢٧ / ٦ والوافي بالوفيات: ٣١٧ / ٤.

وفي القرن السادس الهجري:

١- أبو عبيد الله محمد بن علي المعروف بابن حميدة ت: ٥٥٠ هـ الذي كان ملازماً لأبي محمد بن الخشاب البغدادي يقرأ عليه حتى برع في علم العربية، وصنف كتاب شرح اللمع لابن جني وكتاب شرح أبيات الجمل لأبي بكر بن السراج وكتاب شرح المقامات الحربية وكتاب التصريف وكتاب الروضة في النحو وكتاب الأنوار في النحو وكتاب الفرق بين الضاد والظاء^(١).

٢- أبو العلاء المعروف بابن العصار اللخوي ت: ٥٧٦ هـ الذي كان يلازم الجواليقي ليقرا عليه، حتى برع في فنه، وقد تخرج به جماعة منهم أبو البقاء الكُتُبِي الضير^(٢).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر بن الدهان الملقب بالوجيه ت: ٦١٢ هـ الذي أدرك ببغداد ابن الخشاب، فلزمه وأخذ عنه ولزم ابن الأنباري فقرأ عليه وتعلم له، فهو أشهر شيوخه، وسمع منه تصانيفه^(٣).

سابقاً: المصاحبة:

ذكر لياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء الكثير من الطرق التعليمية التي انتشرت على مر القرون الهجرية الست الأولى، ومن بين هذه الطرق طريقة المصاحبة التي يصحب فيها التلميذ شيخه وأستاذه، وهي تختلف عن الملازمة فقد يصحب التلميذ شيخه دون أن يلزمه، ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريق المصاحبة في القرن الثاني الهجري:

(١) معجم الأدباء: ٢٧٦ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٧ / ٦.

(٢) معجم الأدباء: ١٥٦ / ٤ ومعجم المؤلفين: ١٢٦ / ٧.

(٣) معجم الأدباء: ٤١٥ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ١٠ / ١٤ ونكت الهميان: ص ٢٣٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٢ / ٥.

١- أبو جعفر محمد بن منذر ت: ١٩٨ هـ الذي صحب الخليل بن أحمد، وأبا عبيدة، وأخذ عنهما الأدب واللغة، وعن طريق المصاحبة للعلماء صار محمد بن منذر من علماء الأدب واللغة، وتفقّه وروى الحديث بالبصرة^(١).

وفي القرن الرابع الهجري:

١- أبو علي إسماعيل بن محمد الملقب بالصفار ت: ٢٤٦ هـ الذي صحب المبرد صبيحة اشتهر بها وأخذ عنه، وروى عنه وسمع الكثير من أبي العباس المبرد، وصنف الصفار من الكتب كتاب حديث الصفار ذكر الزركلي أنه مخطوطة جزء منه، في مخطوطات شهيد علي برقم ٥٤٦/٥^(٢).

٢- أبو عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد الملقب ت: ٣٤٥ هـ الذي صحب ثعلب زمناً طويلاً فنسب عليه وعُرف بفلام ثعلب، ومع تقدمه في العلم أخذ عنه أبو علي الحاتمي وأبو القاسم بن برهان^(٣).

٣- صاحب بن عباد (كافي الكفاة إسماعيل بن عباد) ت: ٣٨٥ هـ الذي كان يعمل مع ابن العميد وقد عُني به فوصله منذ نعومة أظفاره بأحمد بن فارس اللغوي، حتى إذا أتضحت فيه مخايل الأدب الحقه بابن العميد، فكان يصحبه دائماً مما جعل الناس يطلقون عليه لقب صاحب ابن العميد، وظل هذا اللقب علماً عليه^(٤).

٤- أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المعروف بشؤون الطبري النحوي ت: ٣٩٣ هـ الذي صحب أبا عمر الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة^(٥).

(١) معجم الأدباء: ٤٤٧/٥ والأصفيهني: مرجع سابق: ١١/١٧ ولسان الميزان: ٣٩٠/٥.
(٢) معجم الأدباء: ٣٦٠/٢ وابن السكيت: مرجع سابق: ٢٥٨/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣٢٢/١.
(٣) معجم الأدباء: ٣٦٣/٥ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣٠٤/٢ وتذكرة الحفاظ: ٨٦/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣٥٤/٦.
(٤) معجم الأدباء: ٣١٢/٢ وإنباء الرواة: ٢٠١/١ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٦/١ والمنتهى: ١٧٩/٧ وابن شهر آشوب: مرجع سابق: ١٦٩/٤.
(٥) معجم الأدباء: ٦٨/١ ومعجم المؤلفين: ٥/١.

وفي القرن الخامس الهجري:

- ١- أبو عبدالله محمد بن عثمان بلبل ت: ٤٦٠ هـ الذي صاحب السيرافي ليأخذ عنه علم النحو، وصاحب كذلك الفارسي وروى عنه كتاب الحجة في القراءات، وسمع منه ابن بشران النحوي^(١).
- ٢- أبو الحسن أحمد بن يحيى السدي المنجي الملقب بالطائي ت: ٤٦٥ هـ الذي صاحب الإمام الشافعي وتفقه على يديه، وتعلم منه^(٢).
- ٣- أبو الخير محمد بن عبدالله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣ هـ الذي صار من أصحاب الحديث بصحبه الإمام أبي بكر القلمان، وبصحبه للإمام القطان صنف كتاب شرح مختصر المزني في الفقه^(٣).

وظهر من بين هؤلاء الطلاب في القرن السادس الهجري:

- ١- أبو الحسين سراج بن عبد الملك ت: ٥٠٨ هـ الذي صاحب أبياء نحو أربعين سنة، واقتصر في الرواية عليه، وكان يجتمع إليه مهرة النخاعة كابن الأبرش، وابن الباذش، ومن في طبقتهم يتلقون عنه، لوقوعه على دقائق النحو، ولغات العرب، وأشعارها وأخبارها^(٤).
- ٢- أبو البدر الحسن بن علي الإسكاف ت: ٥٩٦ هـ الذي صاحب أبا محمد الخشاب النحوي، أعلم أهل زمانه بالنحو، وله معرفة جيدة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم إلا كانت له فيه يد حسنة ت: ٥٨٧ هـ فقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق واختيارات^(٥).

(١) معجم الأدباء: ٣٧٤ / ٥.

(٢) معجم البلدان: ٤٨ / ٥، معجم الأدباء: ٨٠ / ٢.

(٣) معجم الأدباء: ٣٥١ / ٥، ومعجم المؤلفين: ٢٤٨ / ١٠ وابن شاذان الكندي: مرجع سابق: ١٣ / ١٣٥.

(٤) معجم الأدباء: ٣٥٩ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٨٠ / ٣.

(٥) معجم الأدباء: ٣٦ / ٣، ومعجم المؤلفين: ٢٦٢ / ٣، وبغية الوعاة: ص ٢٢٥.

تألفنا: المناظرة والجدال:

أرخ ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ذكرها في كتابه معجم الأدباء طريقة المناظرة. ولاشك أن هذا الأسلوب كان أرقى وأرفع الأساليب التي يجدها المؤرخ للتربية. وعلى وجه الخصوص في هذه القرون التي تناولها ياقوت وهي القرون الست الأولى من الهجرة. ولم تكن في أغلب الأحوال تمارس داخل قاعات الدرس والتعليم في المؤسسات التربوية. وإنما كانت تمارس في المحافل والمجالس العلمية. كذلك لم تكن في غالب الأحوال بين التلاميذ والمعلم. وإنما كانت بين العلماء والمفكرين والفقهاء كأنداء. ومن اشتهروا بالمناظرة والجدال في القرن الثاني والثالث الهجريين:

- ١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩هـ حيث اجتمع إبراهيم النخّام وضارر بن يدي الرشيد فتناظرا في القدس حتى دقت مناظرتهما، فقال الرشيد لبعض خدمه اذهب بهذين إلى الكسائي، حتى يتناظرا بين يديه، ثم يخيرك من الغلج^(١) منهما.
- ويلاحظ الباحث أن المناظرة التي تمارس بين العلماء في مجالس الأمراء، كانت تتم تحت إشراف الأمراء، وعند عدم الفصل بينهما كان يتم إرسالها إلى أحد العلماء حتى يحكم ويثبت لمن الغلبة والتفوق في علمه، بشرط تخصص الحكم في موضوع المناظرة.
- ٢- الإمام الشافعي ت: ٢٠٤هـ ففي رواية الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي صاحب أبي حنيفة، فكنا لا نقدر على مناظرتة، فقدم علينا الشافعي فمشينا إليه وسألناه شيئاً من كتبه ثم جئنا إلى بشر المريسي فناظرتاه فقطعناه (غلبناه وأبطلنا حجته) فقال المريسي: ليس هذا من كَيْسِكُمْ (فمَلَّتْكُمْ وَحَذَقَكُمْ)، هذا من كلام رجل رأيته بمكة (وهو يقصد الإمام الشافعي وقد صدق) معه نصف عقل أهل الدنيا^(٢).

(١) معجم الأدباء: ١٠٠ / ٤ ومعجم المؤلفين: ٨٤ / ٧ والزرزكي: مرجع سابق: ٢٨٣ / ٤ وإنباء الرواة: ٢٥٦ / ٢ والمطرب البغدادي: ٤٠٣ / ١١.

(٢) معجم الأدباء: ٢٠٤ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٣٢ / ٩ وسير النبلاء: ١٤٧ / ٧ والسبكي: مرجع سابق: ٤ / ٥١ وابن تيمية: ١٧٦ / ٢.

٣- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٩هـ الذي كان لا يناظر أحداً إلا قَطْعَهُ، لقدرته على الكلام، وقد أخذ الأدب عن الأخفش، وناظره في أشياء كثيرة منه فقطعه^(١).
٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب ثعلب الشيباني ت: ٢٩١هـ ففي رواية الخطيب قال: حضر ثعلب والمبرد مجلس محمد بن عبدالله ابن طاهر، فتناظرا في شيء من علم النحو، فما أغرقه كنت أشركهما فيه^(٢).
وظهر من بين هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

١- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخطيب ت: ٣٢٠هـ الذي قدم من البصرة إلى بغداد فجزت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة، على المذهبين للبصري والكوفي في النحو^(٣).
٢- أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بولاد ت: ٣٢٢هـ الذي رحل إلى بغداد، وأخذ علم النحو عن الزجاج، وقد جمع ملوك مصر بين ابن ولاد وابن النحاس في المناظرة وهما من تلاميذ الزجاج، وابن ولاد هو صاحب كتاب الانتصار لسبويه على المبرد^(٤).
ولاحظ الباحث أن مجالس المناظرة التي كانت تعقد بين العلماء هدفها معرفة مدى علم كل منهما، وأن يتعلم العامة من خلال هذه المناظرات.
٣- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالرازي اللغوي ت: ٣٦٩هـ الذي كان يناظر صاحبه في مسائل من جنس العلم الذي يتعامل به، فإذا وجده بارعاً جدلاً، جره في المجادلة إلى اللغة فيغلبه بها، وقد اختص ابن فارس من نفسه القيام بعلم اللغة فكتب فيه الكثير فله كتاب مقاييس اللغة قال الزركلي أنه مطبوع في ستة أجزاء وكتاب المجمل ذكر الزركلي

(١) معجم الأدياء: ٣٤٦، ٣٤٥ / ٢ - ٣٥٣ ومعجم المولفين: ٧١ / ٣ وإنباء الرواة: ٢٤٦ / ١ - ٢٥٦ والياقي: مرجع سابق: ١١٠ / ٢ وابن العماد: مرجع سابق: ١١٤ / ٢.
(٢) معجم الأدياء: ٩٦ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٦٧ / ١ وإنباء الرواة: ٢٤٦ / ٢ وابن كثير: مرجع سابق: ٩٨ / ١١.
(٣) معجم الأدياء: ٩٦ / ٥ والأدياري: مرجع سابق: ٣١٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥.
(٤) معجم الأدياء: ٦٠٣ / ١ ومعجم المولفين: ١٦٧ / ٢ وإنباء الرواة: ٩٩ / ١ وابن العماد: مرجع سابق: ٣٢٢ / ٢ وحاجي خليفة: مرجع سابق: ١٧٣ / ١.

أنه مخطوط. وقد وصف هذا المخطوط عام ٤٦٩هـ وأهدى هذا الوصف إلى مكتبة جامعة طهران. وقد طُبعت منه أجزاء صغيرة الآن. وكتاب الصاحب مطبوع في علم اللغة الفه لخزانة الصاحب ابن عباد^(١).

٤- من مجالس المناظرات في هذا القرن: مجلس البزيري بن سعدان ت: ٣٧٥هـ وقد قص منها أطرافاً كثيرة أبو حيان في كتابه: الإمتاع والمؤانسة. وكان هذا المجلس يضم الشعراء وبعض المتفلسفة وبعض المترجمين. وبعض المهندسين. وبعض الأخلاقيين. وبعض إخوان الصفا. وبعض الكتاب والأدباء. وكان مجلساً حافلاً تعرض فيه جوانب الثقافة من لغة وشعر والنبات وأفكار فلسفية وخلقية. ويتحاور هؤلاء المفكرون في كل تلك محاورات بديعة. وكانت تنار مناظرات كثيرة في المساجد بين الفقهاء بعضهم البعض وكذلك بين المتكلمين واللغويين. وبلغ من اتساع المناظرات أنهم نقلوها أحياناً إلى الأسواق ويعرض أبو حيان مناظرة طويلة جرت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى المقدسي وكان موضوعها عن الصلة بين الفلسفة والدين^(٢).

٥- أبو الحسين إسحاق بن يحيى الملقب بالكاتب النصراني ت: ٣٧٧هـ كان جيد المعرفة بمناظرة الغمائل. وله معرفة تامة بالنجوم. ومن كتبه: كتاب الخراج الكبير. ذكر الزركلي أنه يقع في ألف ورقة. وله كتاب الخرج محاسن في أيدي الناس يقع في مائتي ورقة وكتاب عمل المؤامرات بالحضرة. وكتاب جمل التاريخ^(٣).

وقد كانت المناظرة تعقد في بعض الأحيان في ذلك القرن بهدف إعلاء اسم العالم وشهرته. وأخرى لاختلاف المذاهب الفقهية فقد عقدت مناظرة بين بديع الزمان الهمداني والخوارزمي. انتصر فيها بديع الزمان. فعلا صيته. وتآلق نجمه. إذ كان الخوارزمي يُعَدُّ في

(١) معجم الأدباء: ١/ ٥٣٤ وإليه الرواة: ١/ ١٢ وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ١١٨ والزركلي: مرجع سابق: ١/ ١٩٣.

(٢) معجم الأدباء: ١/ ٥٣٥ وأبو حيان التوحيدي: مرجع سابق: ٢/ ٣ - ٥.

(٣) معجم الأدباء: ٢/ ١٧٢.

الذرية من الكتاب والشعراء في عصره، وتصادف أن توفي سريعاً فخلا الجو للبديع الهمداني، وطارت شهرته، وحينئذ دعاه بنو ميكال أعيان نيسابور وأدباؤها النابيهون لتعليم أبنائهم، كانت المكافآت تُعَدُّ عليه منهم، ولكن سرعان ما فارقتها سنة ٣٨٢هـ راحلاً من بلد إلى بلد في خراسان^(١).

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين اشتهر بالمناظرة هؤلاء العلماء:

١- أبو الخير محمد بن عبد الله المروزي الملقب بالضرير ت: ٤٤٣هـ الذي ناظر بين العقل والمال من خلال بعض أبيات من الشعر ذكرها في هذا الصدد فقال:

تنافى المال والعقلُ فما بينهما شكلٌ
فَعَقْلٌ حيث لا مالٌ ومالٌ حيث لا عقلٌ^(٢)

فهو بذلك يقول لا يجتمع المال والعقل في إنسان إلا بقلّة، فإنما جمع المال فلا عقل له، وهو لا يقصد به ذهاب عقله، ولكنه يريد أن عقله خالياً مما يصقله من العلم ويزينه فكأنه غير موجود، وإذا كان عالماً يزين عقله العلم نجد المال يحدو عنه ويبتعد، وقد يقصد به حالته.

٢- أبو رشاد أحمد بن محمد الأخشيك^(٣) الملقب بذي الفضائل ت: ٥٢٨هـ الذي قام بمناظرة قول العلماء الكبراء، لقياس مدى تمكنهم في مجالاتهم العلمية، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الزوائد في شرح سقط الزند للمعري، وكتاب عرف بتاريخ أبي رشاد^(٤).

(١) والزركلي: مرجع سابق: ١١٥/١ والوافي بالقوافي: ١٥٩/٥ ومعجم المؤلفين: ٢٠٩/١ وابن العسك: مرجع سابق: ١٥٠/٣ وتذكرة الحفاظ: ٢١٧/٣ وابن شهر آشوب: ٢١٨/٤.

(٢) معجم الأدباء: ٣٥٢/٥ ومعجم المؤلفين: ٢١٨/١٠.

(٣) أشتيكت: مدينة في دول ما وراء النهر، وهي قصة تاحية فرغاة على شاطئ الشاش - معجم البلدان: ١٥٠/١.

(٤) معجم الأدباء: ٢٨/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢١٥/١ ومعجم المؤلفين: ١٤٤/٢ وإنباء الزوائد: ١٣٢/١.

٣- أبو منصور محمد بن علي الملقب بالعناني البغدادي ت: ٥٥٦ هـ الذي جرت بينه وبين ابن الخشاب النحوي البغدادي مناظرات، تعلم من خلالها الحاضرون من علومهما^(١).

٤- أبو الحسن علي بن زيد المعروف بالبيهقي ت: ٥٦٥ هـ الذي يقول: خضت في المناظرات والمجادلة سنة جرداء (خالية من النبات)، فكانته يقول لم أشتغل بغير الجدل والمناظرة حتى رضيت عن نفسي فيه. ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد مجلس الوعظ والمناظرة بالمدرسة النظامية، وفي الجامع القديم، ثم انصرفت واشتغلت بمرور، بتوزيع (زواج) صديني عن التحصيل صداً^(٢).

تعقيب:

لاحظ الباحث أن ياقوت الحموي أرخ لبعض الطرق التعليمية وذكر من بينها المناظرة والجدل، التي سادت في القرون الهجرية التي ذكرها ياقوت الحموي والتي كانت تتم بين العلماء، حتى يكتسب المتعلمين المزيد من العلم، يُمنّهم من عقد مجالس التعليم والتدريس بحلقات الجامع والمدرسة، وكان سبب ظهور المناظرات هو النهضة العلمية وأثارها التي تحدث عنها ياقوت الحموي، فقد كثر عدد في كل علم وفن، كثرة مغرلة ويخيل للإنسان أنه لم يكن هناك شخص في بغداد مثلاً إلا وهو يُنم بعلم أو بباطلة من العلوم، وكان هناك الكثير من بين هؤلاء يشبهين الصحفيين في العصر الحالي، فيهم يستطيعون أن يتحدثوا في كل موضوع ويناقشوا كل فكرة، وهباً ذلك لندوات كثيرة كانت تعقد أحياناً في قصور السلاطين والوزراء، وعُلّية القوم، وكثيراً ما دارت في هذه الندوات

(١) معجم الأدباء: ٣٧٦ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٨٩ / ٤ وإليه الرواق: ١٨٨ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٨ / ٦.

(٢) معجم الأدباء: ١١٤ / ٤، ١١٥، ومعجم المؤلفين: ٩٦ / ٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢٩٠ / ٤ وبيير النبلان: ٢٨٥ والواقعي بالوفيات: ١٢ / ٦٨ - ٧٠.

مناظرات خصبة على نحو ما في: " مجلس عز الدولة بختيار، وما أثر فيه من المناظرات التي دارت حول مسائل كلامية، أو تتصل ببعض قراءات الذكر الحكيم" (١).
وبذلك يكون معجم الأدباء من المصادر التاريخية الهامة التي أرخت لبعض طرق التعليم التي كانت سائدة في تلك القرون الهجرية.

تاسعاً: الإلقاء والخطابة (الوعظ)

ذكر لياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي أرخ لها طريقة الوعظ، وهي ما تتناوله اليوم في باب الدعوة والتوجيه، والنصح والإرشاد وهذه الطريقة كانت تتناول الموضوعات الدينية المحقة، ولاشك أن الجمهور الكبير من الفقهاء لا يد وأن تكون قد مارسها. لأن طرق التعليم تختلف تبعاً لطروفت المسلمين ولناسية عقول هؤلاء المسلمين ومن العلماء الذين استخدموا هذه الطريقة في التعليم في القرن الثاني الهجري:

١- أبو صفوان خالد بن صفوان الملقب بإبيقري^٢ ت: ١٢٥ هـ الذي كان أحد الفصحاء العرب، وخطبائهم، فكان خطيباً مفوهاً بليغاً، اهتم بمجالسة هشام بن عبد الملك وخالد القسري للتعليم (٣).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر منه هؤلاء العلماء :

١- أبو الفضل أحمد بن محمد المعروف بابن الصخري ت: ٤٠٦ هـ الذي أخذ طرق الإتيان والإحسان ثم هو في الارتجال فرد الرجال، بسرعة خاطره، وسلامة منعه، وحصوله على أئنة القوافي في يده (٣).
ومنه نلاحظ أن العلماء في هذه الطريقة اعتمدوا على الارتجال في الإلقاء دون الاعتماد على النقل من الكتب، أو مكتوب يحمله بيده، فقط كان اعتمادهم على البلاغة وسرعة الخاطر.

(١) أبو حيان التوحيدي: معجم سابق، ١٣٩ / ١.
(٢) معجم الأدباء، ٢٧٤ / ٣ وابن خلكان: معجم سابق، ١٣ / ١ ونكت الهميان، ص ١٨ والزركلي: معجم سابق، ٢٩٧ / ٢.
(٣) معجم الأدباء، ١١ / ٢ و معجم المؤلفين، ١٢٢ / ٢.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣ هـ ببغداد، الذي كان يرتاد الخطابة لكي يتعلم منه العامة. ففي رواية السمعاني قال: كان أبو بكر الخطيب البغدادي يخطب في بعض قرى بغداد، فقد كان حافظاً فهماً (قوي الغم) (١).
٣- أبو بكر محمد بن أحمد الملقب بالصفار الأديب، ت: ٤٧٠ هـ الذي اهتم بتعليم أهل بلده التي كان يقطعها عن طريق الوعظ، ففي رواية يحيى بن عبد الوهاب بن مندة قال كان أبو بكر يعظ الناس مدة، ثم اشتغل بالعلم، تحصيلاً وتعلماً إلى أن مات، وقد اتصف بصفات العلماء الأجلاء والأساتذة المعلمين، فقد كان حسن الخلق، مائلاً إلى الخيرات (٢).

هائلاً: التعلم هو أفواه العامة كمصدره مصادر التعليم:

ذكر لياقوت الحموي من بين طرق التعليم التي أرخ لها في معجم الأدباء طريقة الاكتساب والتعليم من أفواه العامة، وقد كثرت في العصر الحالي الكثير من الأبحاث التربوية التي تتناول البيئة كمؤثر في التعليم، وكذلك تحليل الأمثال الشعبية، وقد ذكر لياقوت الحموي في القرن الثاني الهجري من هؤلاء الطلاب:

١- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٦٩ هـ الذي أخذ اللغة عن أعراب الحطيمية (قرية بالقرب من بغداد)، ولما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه، وفي رواية المزياني والرياشي قال: قدم علينا الكسائي البصرة فلقني عيسى والخليل، وأخذ عنهما نحواً كثيراً ثم صار إلي بغداد فلقني أعراب الحطيمية فأخذ عنهم (٣).

وقد تصدر الكسائي مجالس التعليم ببغداد بعد إتمامه التعليم عن العامة، فقد لقي الكسائي، الخليل وجلس في حلقته ثم خرج الكسائي إلى بواقي الحجاز ونجد وقد أنفذ

(١) معجم الأدباء: ٥٠٥ / ١، ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢، والزركلي: يرجع سابق: ١٧٢ / ١.

(٢) معجم الأدباء: ١٥٣ / ٥، ١٥٤ / ٥، ومعجم المؤلفين: ٢٣٠ / ٢.

(٣) معجم الأدباء: ٩١ / ٤، ٩٥ / ٤، ومعجم المؤلفين: ٨١ / ٢، والزركلي: يرجع سابق: ٢٨٣ / ٤ وإليه الرواة ٢ / ٢٥٦.

خمس عشرة قتيبة جبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، ثم عاد إلى البصرة فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهما مسائل أقرّله يونس فيها وصّره موضعه (١).

وهه هؤلاء الطلاب في القرن الثالث الهجري :

١- أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت: ٢٨٢هـ الذي أخذ عن الأعراب الفصحاء الذين جلبهم ابن طاهر نيسابور، وأكثر الأخذ عنهم، وكان أبو الهيثم وشمر يوثقانه (يحكمان بأنه ثقة ثبت) (٢).

وقد لاحظ الباحث أن الأمراء والعامة معاً كانوا يؤيدون (يعلمون) أبناءهم بما يأخذونه عن أولئك الأعراب، وبهم تخرج (تعلم) أبو سعيد.

٢- أبو سليمان كيسان بن العرف الملقب بالهَجْثِي ت: ٢٩٩هـ كان يخرج إلى الأعراب وهم ينشدون من أشعارهم، فيكتب في الواحه مما ينشدونه، ثم ينقل من الواحه إلى الدفاتر ثم يحفظ من هذه الدفاتر ثم يُحدث (٣).

ويلاحظ الباحث أن أبا سليمان الهجيمي، وضع بعض خطوات البحث التربوي منذ ذلك القرن في أوضح صوره، فكما يقوم الباحث بجمع معلوماته في بطاقات من خلال المراجع التي يرجع إليها، ثم يقوم بتفريخ هذه البطاقات في أوراق تجمع بعضها إلى بعض حتى يكتمل البحث، فقد قام أبو سليمان بذلك غير أن مراجعه كانت من أفواه العامة من الأعراب.

وفي القرن الرابع ظهر هه يه هؤلاء الطلاب :

١- أبو عمر أحمد بن سعيد الصدي الأندلسي ت: ٣٥٠هـ الذي جمع الكثير من علومه من أقوال الناس، فقد سمع بالأندلس جماعة، وارتحل في سنة ٣١١هـ

(١) معجم الأنبياء: ٨٨ / ١ والطبيب البغدادي: ٤٠٣ / ١١.
(٢) معجم الأنبياء: ٣٤٧ / ١ ومعجم المؤلفين: ٦١٤ / ١ وإسناد الميزان: ١٦٦ / ١ وبغية الوعاة: ص ١٣٦، ١٣٧.
(٣) معجم الأنبياء: ٢١ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢١٣ / ٨ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٨ / ٥ وابن العماد: مرجع سابق: ٢٣٢ / ٢.

إلى مصر فسمع بها وبمكة، وبالقبروان، ثم رجع إلى الأندلس، ولم يزل يحدث إلى أن مات^(١).

وقد أشار الصاغاني في كتاب الأضداد إلى ذلك بقوله: أنه منذ القرن الأول الهجري حرص العلماء على جمع اللغة من مصادرها الأصلية، وأخذها من أفواه الأعراب الخُص. وتدوينها فيما صدر عنهم من كتب ورسائل^(٢).
جلدي عشر: الأخذ من العلماء والاقتباس من كتبهم:

ذكر ياقوت من بين الطرق التي تعلم الطلاب عن طريقها وأمكنهم تحصيل الكثير من علوم العلماء طريقة الاقتباس والأخذ من كتب العلماء، ومن بين العلماء الذين تعلموا بهذه الطريقة في القرن الثالث الهجري:

١- ثابت بن أبي ثابت الكوفي، كان حياً: ٢٢٤هـ الذي اهتم بالأخذ عن العلماء، ففي رواية الزبيدي قال: كان ثابت أمثل (أفضل) أصحاب أبي عبيد القاسم، فقد لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم فهو بذلك من كبار الكوفيين^(٣).

ويلاحظ الباحث هنا أثر البيئة المطبعية على طلاب العلم، فقد تأثر الكوفي بهذه البيئة التي عاش بين أفرادها، واتخذ منها محكاً له، هذه الكتابات التي كتبها عن العلماء

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الواسطي ت: ٢٣٦هـ الذي قال بقيت زماناً طويلاً من دهري أغلس (أسير وقت الغلس) إلى هشيم فاسمع منه الحديث ثم أصير إلى الكسائي فأقرأ عليه جزءاً من القرآن، وأتي الفراء فأقرأ عليه جزءاً، ثم أتى منصور الرزّل فيضاريني طريقتين أو ثلاثة، ثم أتى عائكة بنت شهدة فأخذ عنها صوتاً

(١) معجم الأدياء: ٣٦٦ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢٣٢ / ١ وسير النبلاء: ١٦٩ / ١٠ والوفاء بالوفيات: ١٧١ / ٥ والزرقي: مرجع سابق: ١٣٠ / ١.

(٢) الصاغاني: مرجع سابق: ص ٥٢.
(٣) معجم الأدياء: ٣٦٣ / ٢ ومعجم المؤلفين: ١٠٠ / ٣ وإنباء الرواة: ٢٦١ / ١.

أوصوتين، ثم أتى الأصمعي فأنشده، ثم أتى أبا عبيدة فأنشده، ثم أصبح إلى أبي فاعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت، فإذا كان العشاء رُحِت إلى مجلس الرشيد^(١) وما سبق يلاحظ أن ذلك القرن ظهر به علم الأصوات (الصوتيات)، والألحان التي قد يظن البعض أنها وليدة العصر الحديث، كما يُلاحظ أن هناك أوقات يمكن للمتعلم أن يذهب فيها إلى شيخه أو أستاذه، بعيداً عن أوقات الراحة وقضاء الحاجة، ويمكن للمتعلم أن يذهب إلى أستاذه ليلاً إذا سمح له في ذلك.

كما يلاحظ أيضاً مشاركة النساء في العملية التعليمية، بل احتلاتن مكاناً بارزاً في التعليم والتدريس، مع ظهور دور الأسرة في متابعة حركة تقدم أبنائهن في التحصيل لدروسهم، حيث يقوم الأب بدور المرجع الذي يصب إليه ابنه ما يحصله من علوم العلماء وفقه الفقهاء، وأحكام الحكماء.

٣- أبو العباس جعفر بن أحمد الملقب بالروزي ت: ٢٧٤هـ الذي كان أحد جماعي كتب العلماء في شتى أنواع العلم وهو من مؤلفي اللكتب فله كتاب الناجم وكتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان في البلاغة والخطابة، وله كتاب المسالك والممالك لم يتمه وقد نقلت هذه الكتب إلى بغداد، وبيعت هناك^(٢)

٤- أبو الفضل جعفر بن موسى المعروف بابن الحداد، ت: ٢٨٩هـ الذي اقتبس من كتب أبي عبيدة والثعلبي، ولذلك كُتِب عنه شيئاً من اللغة وغريب الحديث^(٣) وفي القرن الرابع الهجري اهتم بعض العلماء بترجمة الكتب ونقلها إلى العربية، ثم الاقتباس منها، ومن هؤلاء:

(١) معجم الأدباء: ١٣١ / ٢، ١٣٢، وإنباء الرواة: ٢١٥ / ١، ومعجم المؤلفين: ٢٢٧ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١
٢٩٦ والطبيب البغدادي: مرجع سابق: ٣٣٨ / ٦
(٢) معجم الأدباء: ٣٧٠ / ٢، ٣٧١، ومعجم المؤلفين: ١٣٣ / ٣، ومعجم البلدان: ٦ / ٦
(٣) معجم الأدباء: ٣٩٩ / ٢

١- أبو العباس محمد بن المرتزباني الملقب بالدميري ت: ٣٠٩هـ كان أحد المترجمين الذي ينقلون الكتب الفارسية إلى العربية، وكان عالماً بجازي اللغة، تصدر عنه الكتب الكبار، وله أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس، ومن مصنفاته كتاب الحاوي في علوم القرآن وكتاب ذم الثغلاء قال الزركلي أنه مخطوط، وكتاب المنتخب من كتاب الهدايا قال الزركلي أنه مخطوط أيضاً^(١).

٢- أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي ت: ٣٣٥هـ الذي اهتم بالنقل من كتب العلماء في تصنيف كتبه، فله كتاب تكملة العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد، وكتاب التفصلة الذي سماه البخاري كتاب التحصيل، وقد ذكر في صدر هذا الكتاب أنه أخذ معلوماته واستفادها من كتاب الأجناس للأصمعي، وكتاب النوادر لابن عيينة، وكتاب الصفات وكتاب غريب الحديث، وكتاب الصفات لابن شميل، وكتاب المصنف، وكتاب الأمثال، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب الألفاظ وكتاب الممدود والمقصود وكتاب المعاني، وكتاب النوادر، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب النوادر بزيادات ابن مالك لأبي زيد، وكتاب الصفات لأبي خيرة، وكتاب الغرر والأزمنة وكتاب اشتقاق الأسماء لقطرب^(٢).

٤- أبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب ت: ٣٨٥هـ الذي أخذ عن الخليل علم العروض، وعن أبي عمرو بن العلاء علم اللغة، وعن أبي يوسف القضاء، وعن الإسكافي الموازنة وعن ابن مجاهد في الفراءات، وعن ابن ثوبخت في الآراء والديانات، وعن ابن جرير في التفسير، وعن أرسطاطاليس في المنطق، وعن الكندي في الجدل، وأخذ عن ابن سيرين في تفسير الرقي، وعن أبي العيناء في البديهة، وعن ابن أبي خالد في الخط، وعن الجاحظ في الحيوان، وعن سهل بن هارون في الفقه، وعن يوحنا في الطب، وعن ابن

(١) معجم الأدياء: ٤٤٤ / ٥ وابن تقي الدين: مرجع سابق: ٢٠٣ / ٢ والواقي: بلوفيات: ٤٤ / ٣ واللباب: ١٠٨ / ٣.

(٢) وتكررة المخطوط: ٢٩٠ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١١٥ / ٦.

(٣) معجم الأدياء: ٦٠٤ / ١ ومعجم البلدان: ٢٧٦ / ٣ وإنباء الرواة: ١٠٧ / ١ وحاجي خليفة: ٤٨٣ / ١.

يزيد في الكيمياء، صاحب كتاب الفردوس، وعن عيسى بن كعب في الرواية ن وعن الواقدي في الحفظ وعن النجار في البدل، وعن أبي الحسن في العروض^(١) وما سبق يُلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن، اهتموا بتلقي العلم عن مشايخهم بالإضافة إلى التنوع في مصادر العلم، دون الاقتصار على علم واحد.

٥- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان، ت: ٣٩٨ هـ الذي كان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتعلة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع^(٢).

ومنه يلاحظ أن بديع الزمان الهمداني كان يجيد اللغتين جميعاً، فقد قوّي ساعد الترجمة في ذلك القرن، وبرع علماءها، فكان بديع الزمان ينقل القصيدة من الفارسية فيولس معانيها الثوب العربي فإنما بها أبلغ ما كانت في إبداع وسرعة.

وكان بعض العلماء في القرن الثالث الهجري يعتمدون إلى الاقتباس من القرآن الكريم.

فقد كان أبو داود سليمان بن معبد الملقب بالحدث ت: ٢٥٧ هـ الذي كان ينظم الشعر معتمداً على اقتباسه من القرآن الكريم وتذكر به من ذلك قوله:

يا أمر الناس بالمعروف مجتهداً	وإن رأى عاملاً بالمنكر انتهره
أبدأ بنفسك قبل الناس كلهم	فأوصها وأتل ما في سورة البقرة
أأمرهم بـسركـاركين له	ناسين ذلك دأب الخيب الخسره
وإن أمرت بسركم كنت على	خلافه لم تكن إلا من الفجـره ^(٣)

(١) معجم الأدياء: ٢٢٠ / ٦ والثعالي: مرجع سابق: ١٦٩ / ٣ والتكميل في التاريخ: ٣٧ / ٩ وسير النبلاء: ١٠ / ٢٧٥ وابن السكيت: مرجع سابق: ١١٢ / ٣ - ١١٦.

(٢) معجم الأدياء: ٢٦٨ / ١ والسعدي: مرجع سابق: ٥٩٢ / ٥ وتذكرة الحفاظ: ٢١٧ / ٣ والوافي بالوفيات: ١٥٩ والزركلي: مرجع سابق: ١١٥ / ١.

(٣) معجم الأدياء: ٣٩٩ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٢٧٦ / ٤ وتهذيب التهذيب: ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤.

ومنه الطلاب الذي تعلموا منه طريق الاقتباس منه كتب العلماء في القرن الخامس الهجري:

١- أبو نصر إسماعيل بن حماد الملقب بالجوهري، ويُعرف بالفارابي نسبة إلى فاراب من بلاد الترك ت: ٤٠١ هـ كان يؤثر السفر على الوطن، فقد دخل ديار ربيعة ومضر في طلب الأدب، وإتقان لغة العرب، وحين قضى وطره من قطع الافاق والاقتباس من علماء الشام وبغداد عاود خراسان، وأصبح إماماً في علم اللغة^(١).

ومما سبق يُلاحظ أن الفارابي كان يطوف البلاد والأوطان، للاقتباس من علم العلماء فقد استوطن الغربية على ساق من أجل اقتباس العلم والتدويع فيه، واجهد نفسه في الطلب من العلماء والأخذ من علومهم.

٢- أبو الحسن محمد بن جعفر المعروف بابن النجار ت: ٤٠٢ هـ الذي نقل من تاريخ ابن الجوزي، وكان ابن الجوزي قد نقله من تاريخ الخطيب البغدادي حرفاً حرفاً^(٢) ومنه نلاحظ أن أبا الحسن استخدم طريقة ومنهجاً جديداً في التعليم وتحصيل

المعرفة واكتسابها وهي النقل من كتب العلماء، والاقتباس منها.

٣- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي، ت: ٤٠٦ هـ الذي استخدم منهجاً علمياً في التعلم وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أوضح منهج استخدمه الرياضيين في التعليم، فكان لهذا المنهج أثر واضح وحقيقي في تقدم العلوم الرياضية، وقد كتب الكرخي كثيراً من الكتب في العلوم الطبيعية المتنوعة، ويعكس هذا التنوع في عناوين الكتب سمتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، ومطابقته في التعليم والتعلم، وعقليته الإبداعية، وقد اعتمد الكرخي في منهجه على الاقتباس من علوم الأوائل، حتى يُطور علم الرياضيات^(٣).

(١) معجم الأدباء: ٢٠٦/٢ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٣/١ وإنباء الرواة: ١٩٤/١ والتعليق: مرجع سابق: ٢٨٩/٤.
(٢) معجم الأدباء: ٢٨٠/٥ والزركلي: مرجع سابق: ٧١/٦ وابن الصاد: مرجع سابق: ١٩٤/٢.
(٣) معجم الأدباء: ١٢٦/٥ ومعجم البلدان: ٢٦٢/١ وأحمد فؤاد باشا، أساسيات علوم المعاصرة في التراث الإسلامي، (القاهرة، دار الهداية، ١٩٩٧) ص ٩٦ والزركلي: مرجع سابق: ٨٣/٦.

- ٤- أبو القاسم علي بن عبيدالله الملقب بالدقيقي ت: ٤١٥هـ الذي قرأ كتاب سيبويه على أبي الحسن الرُّماني، قراءة تفهم، وانتفع الناس به^(١).
- ٥- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ت: بعد عام: ٤٢٣هـ الذي درس تفاضل الرياضيات، والفلك والطب على يد أستاذه (عبدالصمد)، وأستاذه (أبي الطيب الأنجم)، وأبي سهل المسيحي، ومن أستاذته الذين كانوا يعطون عليه ويرشدونه على أجوبة المسائل العلمية، إجابات شافية الأستاذ (أبو نصر منصور بن علي بن عراق) وكان يتردد على كتب نوح الساماني صاحب خزانة الكتب المشهورة التي تحتوي من نفائس الكتب الكثير^(٢).
- ٦- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت: ٤٣٦هـ كان ينقل العلم من بين دفتي كتب العلماء ففي رواية أبي بكر المقدسي قال: ذكر شيخنا أبا الفضل محمد بن طاهر فقال: نقلت من خطه وسمعت منه الكثير، وقد كان الشعراء يدخلون إليه يمدحونه فاسمع منهم^(٣).
- ٧- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦١هـ الذي أخذ العديد من العلوم التي ألف فيها أستاذه السوري، فقد كان للصوري بصور أخت، مات وخلف عندها اثني عشر عدلاً (الرزمة والغرارة) محزوماً من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام حصل من كتب السوري ما صنف منها كتبه^(٤).
- ٨- أبو جعفر محمد بن فرج الغساني الكوفي ت: ٤٩٧هـ الذي أخذ العلم عن سلمة بن عاصم صاحب الغراء، ففي رواية الداني قال: أخذ الغساني القراءة عن أبي عمرو، وله عنه نسخة وروى عنه الحروف^(٥).

(١) معجم الأدباء: ١٨٩ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٠ / ٤.
 (٢) معجم الأدباء: ١٦٥ / ٥ وعلي الشحات: مرجع سابق: ص ٧٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٤ / ٥.
 (٣) معجم الأدباء: ٨١ / ٤ وإليه الرواة ٢٩٤ / ٢ وشبان النجار: ٢٢٣ / ٤ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٨ / ٤.
 (٤) معجم الأدباء: ٥١ / ١ وتذكرة الحفاظ: ٣١٢ / ٣ والوفاء بالوفيات: ٨٢ - ٨٦ والزركلي: مرجع سابق: ٧٢ / ١.
 (٥) معجم الأدباء: ٢٩٧ / ٥ والزركلي: مرجع سابق: ٣٢٨ / ٦.

٩- أبو الحسن علي بن طاهر بن جعفر السلمي النحوي ت: ٥٠٠ هـ الذي يقول نقل ابن اللبان من خط السمعاني، ما أفاده في تصنيف مؤلفاته (١).

والخلاصة: يتضح لنا من خلال هذا العرض أن ياقوت الحموي ذكر أن القرن الخامس الهجري زخر ببعض الطلاب الذين تعلموا الكثير من العلوم عن طريق الأخذ عن العلماء، والاقتراس من آيات القرآن الكريم، والاقتراس من كتب العلماء، الأمر الذي ساعدهم على التقدم في هذه العلوم، وكذلك تصنيف الكثير من الكتب في شتى أنواع العلوم وفي القرن السادس الهجري كان تعلم النحو والأدب عن طريق الأخذ من العلماء ومن هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو عبدالله محمد بن بركات الملقب بالسعيد الصوفي ت: ٥٢٠ هـ الذي أخذ علم النحو والأدب عن ابن بابشاذ، فأتقنه، وصنف من الكتب كتاب الإيجاز في معرفة ما في القرآن من منسوخ وناسخ ذكر الزركلي أنه مخطوط ألفه للأفضل بن أمير الجيوش وكتاب خطط مصر قال الزركلي إنه مطبوع، وقال عن السعيد أنه شيخ عصره في مصر في علم اللغة (٢).

بعد هذا العرض لبعض الطرق التعليمية التي ذكرها ياقوت في كتابه (معجم الأدباء) نلاحظ أنه لم يقتصر في تناوله لهذه الطرق بالحديث عن الطرق التقليدية القديمة فقط مثل: الإملاء والحفظ والتلقين، والقراءة، والوعظ، والمحاضرة، والتلقين، والمناظرة والجدل، والاقتراس من كتب العلماء والأخذ عنهم، وإنما تناول بالحديث بعض الطرق الحديثة في التعليم مثل: المناقشة بين المعلم والمتعلم والتجربة، والابتكار، وتشويق الطلاب إلى موضوع الدرس، والامتحان الذي يتم في صورة تقويم لما سبق أن تعلمه الطلاب، وسوف يتناول الباحث كل طريقة من هذه الطرق بشيء من الإيضاح تبعاً لظهورها في القرون الهجرية.

(١) معجم الأدباء: ٤ / ١٢٢ وبغية الواعظ: من ٣٣٩.
(٢) معجم الأدباء: ٥ / ٢٢٩ ومعجم المؤلفين: ٩ / ١٠١ وبغية الواعظ: من ٢٤ والزركلي: مرجع سابق: ٥١ / ٦.

أولاً: المناقشة:

ظهرت هذه الطريقة في القرن الثاني الهجري وكانت تتم في مجالس العلماء وأحياناً بين الشعراء، حينما يريدون معرفة معلومة جديدة على أفهامهم. ومن هؤلاء:

١- رؤية بن العجاج ت: ١٤٥هـ كان من أعيان أهل اللغة في الدولتين الأموية والعباسية وكان العلماء يحتجون بشعره، ويقولون بإمامته في اللغة، فقد اتخذ من المناقشة طريقاً للتعليم من خلال مجالسه ففي رواية يونس بن حبيب النحوي قال: كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه رؤية، وعند شبل بن عروة الضيعي، فسأله أبو عمرو عن معنى الرؤية؟ فلم يجبه من بالجلس، فأجابه رؤية بأنها القطعة التي يشعب (ينظف) بها الإناء، فتعلم من بالجلس معلومة جديدة على أفهامهم، وذكر ابن خلكان قوله: لما مات رؤية قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والقصاحة (١).

وكانت الأسئلة التي تلقى من الطلاب في مجالس التعليم تعد إحدى طرق التعليم ففي القرن الثالث الهجري كانت الأسئلة تساهم بهذا النور التعليمي ومن الطلاب الذين تعلموا بهذه الطريقة:

١- أبو العباس الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي روى عنه ححلة في أماليه قوله: كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل: ياسيدي ما البعجة؟ فقال: لا أعرفها في كلام العرب (٢).

ومما سبق نلاحظ أن أبا العباس أعطى صورة تربوية أخرى وهي أن المتعلم لا يجيب إجابة خاطئة خروجاً من الموقف، ولكنه عندما يكون غير متمكن من إجابته يقول الله أعلم فيكون بذلك قد أجاب.

(١) معجم الأدباء: ٣/ ٣٤١ وابن كثير: مرجع سابق: ١٠/ ٩٦ ولسان الميزان: ٢/ ٢٦٤ وخزانة الألب: ١/ ١٣ والزركلي: مرجع سابق: ٣/ ٣٤ وابن خلكان: مرجع سابق: ١/ ١٨٧.
(٢) معجم الأدباء: ٢/ ٧٢ ومعجم المؤلفين: ٢/ ٢٠٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٢/ ١٨١ وابن كثير: مرجع سابق: ١١/ ٩٨ وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٢١٤ ولباء الرواة: ١/ ١٣٨ والزركلي: مرجع سابق: ١/ ٢٦٧.

ثانياً: التجربة:

ذكر لياقوت أن علماء وطلاب القرنين الرابع والخامس الهجريين، لم يقتصرُوا في تعلمهم على نقل وسرد المعلومات، وإنما اتخذُوا من التجربة العلمية نموذجاً يحكمون به على صدق معلوماتهم.

وهو علماء القرن الرابع الهجري الذي استخدموا التجربة كواحدة من طرق التدريس:

١- أبو علي محمد بن الحسن الملقب بالحاشمي ت: ٣٨٨ هـ كان لا يقصر معلوماته على النظر، ولكنه أمعن النظر في شيء من علوم العرب فكان يلقي الحجر في البئر ليعرف به غزارة مائها من قلته، وقد حكى ذلك ابن الأعرابي، ومن مؤلفاته كتاب حلية المحاضرة قال الزركلي إنه مخطوط في الأدب والأخبار، يقع في مجلدين منها نسخة في القرويين بفاس تحت رقم ٥٩٠ (١).

وكان علماء ذلك العصر يعتمدون على التفكير والعقل وعدم الاقتباس في تعلمهم وهو هؤلاء:

٢- أبو علي الخسَن بن علي التنوخي ت: ٣٨٤ هـ ببغداد، الذي اعتمد على الابتكار والتفكير في تأليف الكتب فقد صنف كتاب الفرج بعد الشدة ذكر الزركلي أنه مطبوع في ثلاثة مجلدات، وكتاب نشوار المحاضرة فاشترط فيه أن لا يضمته شيئاً نقله من كتاب، وقد بلغ الكتاب أحد عشر مجلداً، كل مجلد له فاتحة بخطه، وفي رواية غرس النعمة قال صنفه التنوخي (كتاب نشوار المحاضرة) في عشرين سنة (٢).

وهو علماء القرن الخامس الذين اعتمدوا على التجربة:

١- أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي ت: ٤٠٦ هـ الذي اعتمد على المنهج العلمي والتجربة في التعليم فقد وصفه سميث في كتابه: تاريخ الرياضيات، بأنه أعظم الرياضيين الذين

(١) معجم الأدباء: ٣٢٨ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٢٢ / ٩ والوالمعجم المؤلفين: ٢٢٢ / ٩ والزركلي: مرجع سابق: ٦
٨٢ وابن العماد: مرجع سابق: ١٢١ / ٣ وهدية العارفين: ٥٦ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ٦٣ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٥٢ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٢٤ / ٤ والتمالي: مرجع سابق: ١٠٥ / ٢ - ١١٥ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٧٧ / ٢٢.

كان لهم أثر حقيقي في تقدم العلوم الرياضية، فهو من علماء الرياضيات والهندسة في عصر النهضة الإسلامية، عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وقد ترك مؤلفات نفيسة تخبرنا عن مآثره العلمية، وتعكس سميتي الموسوعية والمنهجية في شخصية الكرخي العلمية، وطريقته في التعلم والتعليم، وعقليته الإبداعية^(١).

ويذكر الكرخي في مقدمة كتابه: الفخري في الجبر والمقابلة (نسبة إلى الوزير البغدادى فخر الملك) قوله: إني وجدت موضوعاً لإخراج المجهولات في جميع أنواعها وألفت أوضح الأبواب إليه وأول الأسباب عليه، صناعة الجبر والمقابلة لغوتها وطرادها في جميع المسائل الحسابية على اختلافها، ورأيت الكتب المصنفة فيها غير ضامنة لما يحتاج إليه من معرفة أصولها، ولا وافية بما يستعان به على معرفة قرونها، وأن مصنفها أهملوا شرح مقدماتها التي هي السبيل إلى الغاية والموصلة إلى النهاية ثم إني استخرجت في هذه الصناعة بدائع لم أر لأحد فيها كلاماً، واستنبطت غوامض لم أجد في كتبهم لها ذكراً ولا بياناً^(٢).

ويعترف المستشرق الشهير (ويكه) بأن الكرخي في حله كان مبتكراً، وذا شخصية متميزة في معالجة المباحث الرياضية، ويمثل طابع التفكير العلمي المستقل عند العرب^(٣).

ومن ذلك نلاحظ أن طريقة التجربة والابتكار والإبداع كانت سائدة ومتميزة في ذلك القرن بين علماء المسلمين، وأضافت إلى كتب العلماء إضافات وشروح متعددة يتجلى ذلك في شرح الكرخي لمقدمات كتب العلماء، حتى يستفيد الدارسين من هذه الشروحات، ويكفي هنا أن نشير إلى أن الكرخي كان أول من برهن النظريات التي تتعلق بإيجاد

(١) معجم الأدياء: ٥ / ١٢٦ ومعجم البلدان: ١ / ٢٦٢ وأحمد فؤاد باشا: ترجم سابق: ص ٩٦ وقدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، الطبعة الثالثة، (القاهرة: دار العلم، ١٩٦٣)، ص ١١٢.

(٢) ومعجم المؤلفين: ٩ / ٢١١ والزركللى: ترجم سابق: ٦ / ٨٢ وقدرى حافظ طوقان: ترجم سابق: ص ١١٧.

(٣) عبدالمجيد نصر، الرياضيات في الحضارة الإسلامية، أعمال ندوة التراث العلمي العربي في العلوم الإسلامية (جامعة القادش: ليبيا - طرابلس، ١٩٩٠)، ص ٨٩.

مجموع مربعات ومكعبات الأعداد الطبيعية، وهو صاحب أقدم نص يوضح نظرية ذات الحدين، بل إنه وضع لها جدولاً على شكل مثلث صار يعرف الآن بمثلث باسكال، ومن الحق أن ينسب هذا المثلث إلى الكرخي لو كان التاريخ ينصف صانعيه الحقيقيين. واهتم الكرخي بغرس طريقته العلمية أيضاً في وضع تقنية جديدة للأبحاث العلمية فقد قدم لنفسه في كتابه إنباط المياه الخفية باعتباره عالماً وخبيراً ذا قدرة على تعويض قصور المتقدمين في صناعة الحفر لاستخراج المياه الجوفية على أسس علمية وتقنية تتطلب معرفة الدورة المائية (الهيدرولوجية)، وأنواع المياه الجوفية، وطرق الاستدلال عليها وقد ضمن كتابه براهين رياضية وتحليلات هندسية، وشرح عدداً من الحركات التي تحدث في الأرض وربط بين المياه وبين الاختلافات التضاريسية على سطح الأرض^(١). كما ربط بين الأحواض المائية الجوفية والتكوينات الجيرية الجيولوجية، وقدم الكرخي وصفاً تفصيلياً لأجهزة القياس ولتنفيذ أعمال إنشائية، وصنف أنواع التربة تبعاً لخصائصها، ومدى صلاحيتها لأعمال الحفر، وأفاض في بيان الأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية التي تحكم مصادر المياه الجوفية^(٢).

٢- أبو الريحان البيروني ت: ٤٢٢ هـ كان من أوائل المسلمين الذين اتخذوا من البحث والتجربة والابتكار وسيلة إلى تحصيل المعارف فهو لا يؤمن بقاعدة اعتناق الآراء المسلم بها دون ما تحييص ولا تحقيق، وكان يصير على المباشرة والمراقبة للأمور، فكان يمتحن الأشياء بعقله ويبحث عنها، فهو يدعو إلى الاستقصاء في البحث، ويحذر مما يسمى كلام التقليد، ويقول أن جملة (الله أعلم) ليس فيها مسامحة بالجهل (أي من يقولها في رأي البيروني لا يعفي نفسه من الجهل بالأمور) ويصرح البيروني بأن

(١) المرجع السابق: ص ٩٠ وأبو بكر حسن الكرخي، إنباط المياه الخفية، تحقيق بغداد عبدالمنعم، (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٧)، ص ١٨، ١٩.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩.

النجاح موهبة من الله - تعالى - غير مكتسبة، بل يخص بها قومًا دون قوم، لا يصلون إلى الممكن إلا بالمواظبة والدأب على الممارسة^(١) ونلاحظ أن البيروني قد وضع هذا المنهج العلمي الذي يعد من الوسائل التي عن طريقها يمكن الكشف عن الحقائق.

وقد استمرت هذه الطرق العلمية الحديثة حتى القرنين السادس والسابع الهجريين ومن علماء القرن السابع الهجري:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشيخ الحلي ت: ٦٠١ هـ الذي اعتمد على الطرق التربوية الحديثة في الكتابة والتعليم فقد كان يعتمد على العقل والابتكار والتجديد وإعمال الفكر في حصوله على العلوم حيث يقول: إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم ويؤيها وأما أنا فكل ما عندي فمن نتاج أفكاري، وكنت كلما رأيت الناس مُجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض (أبطل) به المتقدم. ويقول: إن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته، وأما أنا فعملت حماسة من أشعاري وبنات أفكاري، ثم أجمع الناس على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر، فعملت كتاب الخمريات من شعري لو عاش أبو نواس وسمعه لاستحى أن يذكر شعر نفسه، وصنفت في الخط كتاب لاشتغال الناس بسواه^(٢).

ومن الطرق التربوية الحديثة في القرن الثالث الهجري، تشويق الطلاب إلى موضوع الدرس قبل تعليمهم، فقد ذكر لياقوت في ترجمة (أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي) ٢٧٦ هـ أنه كان منصباً على تعليم الطلاب من خلال مجالسه، ففي رواية سفيان الثوري قال كُحِّتْ عن بقي أنه قال يوماً لطلابه أنتم تطلبون العلم ؟ ثم يجيب عن سؤاله فيقول لهم هكذا يُطلب العلم: إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضي

(١) معجم الأدياء: ١٢٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٤١ / ٨ والزرقي: مرجع سابق: ٣١١ / ٥.
(٢) معجم الأدياء: ٢٩ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢٥٧ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ٩١ / ١٢.

أسمع العلم، كأنه يقول لهم هذا خطأ أن تذهب إلى المعلم وقت فراغك، وتهتم بشغلك لكي تجمع المال، ثم يضرب لهم مثال على أهل العلم فيقول: إني لأعرف رجلاً يمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم لا يكون عنده قوت يومه، إلا من بقايا طعام غيره، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شراء كاغد (ما يكتب عليه) حتى يسوق الله عليه من حيث يخلقها^(١).

ومنه نلاحظ أن هذه دعوة صريحة لطلب العلم، وترك العلم الذي يحول بين الإنسان وبين التعليم، وإن أدى ذلك إلى ترك الإنسان لمقاع المال، فإنه يحق للإنسان أن يبيع ملبسه لكي يشتري بها أدوات التعليم وأدوات الكتابة، فإن ذلك سيخلفه الله تعالى - فالعلم خير من المال، كل ذلك عن طريق التشويق للطلاب كي يقدموا على التعليم. وضع علامة صح للإجابة الصحيحة وعلامة خطأ للخطئة:

ظهرت هذه الطريقة مع علماء القرن الخامس الهجري، ومن بين العلماء الذين اعتمدوا على هذه الطريقة:

- ١- أبو القاسم إبراهيم بن زكريا الملقب بالإفريقي النحوي ت: ٤٤٦هـ الذي اتخذ هذه الطريقة في تدريسه لأبنائه فيقول: كان إذا كتب على إجابة الطلاب صح (صاد حاء) كان لا دليلاً وعلامة على صحتها، لئلا يتوهم متوهم عليه خطأ، أو نقصاً فوضع حرفاً على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان ذلك علامة على أن الحرف سقيم، فوضع عليه حرف غير تام، ليدل على نقص الإجابة وعدم صحتها^(٢).

(١) معجم الأدباء: ٢٢٢ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٥٢ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ٦٨ / ٩ وابن تغري بردي: مرجع سابق.

(٢) ٧٥ / ٢ وابن السكيت: مرجع سابق: ١٦٩ / ٢. معجم الأدباء: ٥١٢ / ١ ومعجم المؤلفين: ٩٤ / ١ وإنباء الرواة: ١٨٢ / ١ والوفاء بالوفيات: ٧٨ / ٥ وابن السكيت: مرجع سابق: ٢٦٦ / ٣ والزركللي: مرجع سابق: ٦١ / ١ وبغية الوعاة: ١٨٦.

المراجعة والتكرار:

ذكر ياقوت في كتابه معجم الأدياء بعض الطرق الحديثة في التربية وذكر من بينها طريقة المراجعة والتكرار، ومن علماء القرن الخامس الهجري الذين اعتمدوا على هذه الطريقة في التعليم والكتابة:

١- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت ٤٠٦ هـ الذي ذكره بديع الزمان الهمذاني بخصائص منها سرعة الإتيان بالارتجالات وإثباتها بالافتراحات، فكان يكتب الكتاب المقترح عليه، يبتدئ بآخر سطر، ثم هلم جر إلى آخر السطر الأول حتى يخرج منه مستوفي الألفاظ والمعاني، ثم يراجع ما كتبه على أساتذته حتى يكتنه معرفة موطن الخطأ^(١).

وفي القرن السابع الهجري:

١- أبو بكر المبارك بن المبارك الملقب بالوجيه ت: ٦١٢ هـ كان يكرر إجابته على طلابه بهدف التحصيل فقد جاءه رجل في حلقة، فسلم عليه ثم سأل عن مسألة نحوية فأجابه الشيخ بأحسن جواب، ونه على محجة الصواب (طريقته)، فقال له الرجل أخطأت فأعاد الشيخ الجواب بالطف من تلك الخطأ، وسهل له طريقته وبين له حقيقته فقال: أخطأت أيها الشيخ، فقال له يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحبيت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت: فقال له لقد فهمت ما قلت، وقد عرفت مرادك ووقفت على مقصودك^(٢).

ومن هذا العرض نلاحظ أن ياقوت الحموي ذكر من بين الطرق التربوية الحديثة التي كانت سائدة في القرن الخامس الهجري، والقرن السابع الهجري طريقة المراجعة والتكرار التي كان المعلمون يهتمون بها، أثناء تدريسهم، فقد كان الدرس يعاد مرة تلو

(١) معجم الأدياء: ١٢٦ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١١٢ / ٢.
(٢) معجم الأدياء: ٤٥ / ٥ وابن خلكان: مرجع سابق: ٤٤ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٢ / ٥ وابن تغري
بردي: مرجع سابق: ٦ / ٦ ونكت الهميان: ص ٢٢٢.

الأخرى حتى يتمكن هؤلاء الطلاب من استيعاب وفهم دروسهم، دون أن يغضب المعلم أو يسفه أحلام هؤلاء الطلاب.

ثالثاً الامتحان والتقويم:

ذكر لياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء من بين الطرق التربوية الحديثة طريقة التقويم والامتحان للمعلمين والطلاب على حد سواء، للوقوف على مستوى العلماء ومعرفة ما حصله الطلاب، فكان العالم يتحن قبل أن يستد إليه تعليم الطلاب. ومن علماء القرن الثالث الهجري الذين تم امتحانهم:

١- أبو عثمان بكر بن محمد المازني ت: ٢٤٨ هـ الذي روى عنه الأصفهاني قال: ذكر الواثق أمير المؤمنين قوماً من العلماء بقوله: إن هاهنا قوماً يختلفون إلى أولادنا، فأمره أن يمتحنهم، فمن كان عالماً ينتفع به، الزمناهم إياه، ومن كان بخير هذه الصفة قطعناهم عنه، قال ممتحنهم فما وجدت فيهم طائلاً (القدرة)، وحذروا ناحيتي (قاموا واحترزوا وخافوا) فقلت لا بأس على أحد منكم^(١).

وما سبق نلاحظ أن هؤلاء المعلمون قاموا بهذه الطريقة التربوية الحديثة للتأكد من أنهم أهلاً للتعليم، حتى يؤدوا رسالتهم تجاه الطلاب، ولا يقوم بالتدريس إلا من كان أهلاً له، بعلمه وقدرته على إيصال العلوم إلى هؤلاء الأبناء، والامتحان للعلماء يمكن القائمين من الوقوف على مدى معرفة العلماء، ومدى تمكنهم من القيام بالتدريس لهذه العلوم، وهو ما تفعله الآن كليات التربية، من التربية العملية والامتحانات الشخصية للطلاب عند القبول بهذه الكليات.

(١) ومعجم المؤلفين: ٧١ / ٣ والأدباري: مرجع سابق: ص ٢٤٢ - ٢٥١ وإنباء فرواة: ٢٤٦ / ١ - ٢٥٦ والكامل في التاريخ: ٣٤ / ٧ والمطيب البغدادي: مرجع سابق: ٩٣ / ٧، وابن العماد: مرجع سابق: ١١٣ / ٢.

ومن هؤلاء العلماء في القرن الرابع الهجري:

- ١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣١٠ هـ كان الامتحان من الوسائل التي يقاس بها علمه، ليتصدر مجالس الإقراء والتعليم. ففي رواية هارون بن عبدالعزيز قال: قال أبو جعفر لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتنحني في العلم الذي يتحقق به، فجاء رجل فسألني في شيء من العروض فقلت له، فإذا كان في غير فصر إليّ وطلبت من صديق لي كتاب العروض للخليل بن أحمد فجاء به فطهرت فيه ليلتي فأسميت غير عريضٍ وأصبحت عروضياً^(١)
- ٢- أبو عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥ هـ الذي قال عنه الخليلي البغدادي: رأيت جميع شيوخنا يوثقونه، ويصدقونه، وكان يُسئل عن الشيء فيجيب عنه ثم يُسئل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب^(٢)
- ٣- أبو منصور محمد بن أحمد الملقب بالأزهري ت: ٣٢٧٠ هـ الذي أستخدم معه الامتحان لمعرفة ما وصل إليه من التعليم وأنواع المعرفة فيقول: كنت أمتحنت بالأسار (الأسر) سنة عارضت القرامطة (فرقة من غلاة الشيعة) الحاج بالهيري (رُود في طريقة مكة كانت عنده موقعة ابن أبي القرمطي سنة ٣١٢ هـ)^(٣)
- ومنه نلاحظ أن الامتحان الذي تعرض له الأزهري كان الأساتذة الممتحنين له قوماً من البادية لمعرفة ما وصل إليه الأزهري، من تقدم في العربية واللغة والمذاهب السائدة ورأيه فيها خاصة الشيعة، وذلك كمقياس لمستوى التعليم عنده.
- ٤- أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف ت: ٣٩٠ هـ كان يمتحن العلماء قبل أن يُسند إليهم تعليم أبناء الأمراء، لمعرفة المادة التي ينبغي فيها حتى ينال المتعلم قسماً

(١) معجم الأدباء: ٢٥١ / ٥، ومعجم المؤلفين: ١٤٧ / ٩ وابن كثير يردى: مرجع سابق: ٢٠٥ / ٣ وميزان الاعتدال: ٣٥٣ / ٢ والذباب: ٨١ / ٢، وابن العماد: مرجع سابق: ٢٠٠ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ٣٦١ / ٥ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣٠٤ / ٦ وتذكرة الحفاظ: ٨٦ / ٣ والزركلي: مرجع سابق: ٢٥١ / ٦.
(٣) معجم الأدباء: ١١٣ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢٣٠ / ٨ وسير أعلام النبلاء: ٢٢٦ / ١٠ والزركلي: مرجع سابق: ٣١١ / ٥.

من المعرفة واللعلم حيث يقول المنصور لعلماء مجلسه: هذا الرجل (صاعد) القادم علينا يزعم أنه متقدم في العلم وأحب أن يُمتحن. فلما مثل بين يديه والمجلس قد عصّ بالعلماء والأشراف أقبل عليه ابن العريف وسأله عن أبي سعيد السيراقي. فرغم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن كتاب سيبويه، فلم يحضره جواب السؤال. واعتذر بأن النحوليس جُلّ بضاعته، قال له ابن العريف: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب، فقال له: فاوِّزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا إضاً يسأل عنه صبيان المكتب، وناظر صاعد ابن العريف فظهر عليه صاعد، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً، وحكاية تناسبها فأعجب المنصور به، فقرّبه وقدمه، وأمر له بألف دينار، ومائة ثوب، ورتب له كل شهر ثلاثين ديناراً، واختاره مؤدّباً لأولاده^(١).

ومنه نلاحظ أن بعض القضايا التربوية التي عالجها ياقوت الحموي في ذلك القرن عن طريق ذكره إياها هي تقويم العلماء وامتحانهم لمعرفة نوع العلم الذي يقوم العالم بتدريسه للمتعلمين، ولابد أن تكون أسئلة التقويم على درجة استعداد العالم فلا يكون السؤال صعباً يؤدي إلى التعقيد، ولا يكون بسيطاً فلا يقيس علماً ويدلل على جهل السائل. كما نلاحظ أن العلماء كانوا إذا أثبتوا تفوقهم في علومهم كافأهم الأمراء بالمال على تفوقهم، مثل ما يقدم الآن في العصر الحاضر من جوائز الدولة والأفراد التشجيعية للعلماء، مقابل نبوغهم وتفوقهم في أعمالهم العلمية، بل كان الأمراء يقدمون أبنائهم للأخذ عن هؤلاء العلماء الذين أثبتوا تفوقهم العلمي.

تابعاً: الإجازة:

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التي تعلم من خلالها الطلاب طريقة الإجازة وهي تعني: سماع المتعلم من المعلم، وهي دون طريقتي العرض والسماع في المرتبة وتقتصر

(١) معجم الأدياء: ٣ / ٢١٠، ٢١١ ومعجم المؤلفين: ٤ / ٦٧ والزركلي: مرجع سابق: ٢ / ٢٦١.

الإجازة في معظم الأحيان على الحديث، فقد تكون الإجازة محدودة بأحاديث معينة أو عامة تشمل جميع المادة التي حدث بها أو صنفها، وتأخذ الإجازة عدة أشكال: فقد تكون شفوية أو تحريرية، والإجازات الشفوية أسبق إلى الظهور من الإجازات التحريرية ومن أشكالها أيضاً:

- أن يأتي المتعلم إلى المحدث ويطلعه على بعض المعلومات التي اقتبسها من مصنفاته ويطلب منه أن يتأكد مما تحتويه، ويسمح له بروايته.
- أن يسمح المعلم (الشيخ) لأحد تلاميذه برواية جزء من أو كل ما سمعه في حياته وتعلمه عن شيوخه.

- أن يسمح شخص لأخر برواية هذا حصل عليه عن طريق الإجازة.
وترتكز المناولة شكل من أشكال الإجازة تتم بأن:

يقدم الشيخ (العالم) بعض ما كتبه من كتب أو كلها لعالم آخر وهي منسوخة بخط يده ويذكر له العلماء الذين أخذ عنهم المادة والأسلوب الذي حصل بواسطته على هذه المعلومات، ثم يسمح له برواية ما في هذه الكتب.

ونذكر هنا بعض النماذج التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء للدلالة بها على ما سبق أن ذكرناها في أشكال الإجازة. وقد عدّ ياقوت الحموي أن موافقة الأمراء على ما يلقيه الشعراء من قصائد في مجالسهم بمثابة إجازة.

ففي القرن الثاني الهجري كان الإجازة هي الأمراء للشعراء وهذه بيده هؤلاء :

١- أبو ثابت ربيعة بن ثابت الملقب بالرقي الشاعر، ت: ١٩٨ هـ الذي منحه أمير المؤمنين الإجازة فقد استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة، فأجازته وأجزل صلته (١).

وفي القرن الثالث كانت الإجازة (التي تعد بمثابة الشهادة) شتخ عن طريق القراءة، ومن بين هؤلاء العلماء:

١- أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤ الذي اهتم بالقراءة على أساتذته ومنهم (مالك بن أنس)، لنيل الإجازة التي يتصدر بها مجالس التعليم فقد كان لمالك بن أنس فراسة (من التفريس)، فقال للإمام الشافعي، إذا كان غداً تجيبني ويجيبني من يقرأ لك، قال أنا أقوم بالقراءة، يقول الشافعي: فغدوت عليه وابتدأت أنا أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما أردت أن أقطع أعجبه قراءتي وإعرابي (إقصاحي وعدم اللحن في الإعراب) فيقول: يا فتى زد، حتى قرأته في أيام يسيرة، فلما توفي مالك بن أنس رحلت إلى اليمن، فكان لي بها شأن^(١).

ومنه نلاحظ أن القراءة التي قام بها الشافعي أمام أستاذه مالك بن أنس تعد أحد أشكال الإجازة التي تصدر بها مجالس التعليم بعد وفاة أستاذه.

٢- أبو جعفر أحمد بن الحارث الملقب بالخران، ت: ٢٥٧هـ كان يعرض أعماله على العلماء ليصح ما بها من أخطاء فقد أسمع المدائني كتبه كلها، وهو ببغداد، لينال بها الإجازة^(٢).

وفي القرن الرابع الهجري كانت الإجازة يحصل عليها العلماء عن طريق السماع، والمناولة للكتب، ومن هؤلاء العلماء:

١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ الذي أعطى الإجازة لغيره عن طريق السماع. ففي رواية عبدالله بن أحمد الفرغاني قال: وجدت على جزء من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني قوله: أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن

(١) معجم الأدباء: ١٩٣ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٣٢ / ٩ ومطبوعات المفسرين: ص ٢٢٧ وتهذيب التهذيب: ٢٥ / ٩ - ٣١
والله تعالى أعلم
(٢) معجم الأدباء: ٣٤١ / ١ والفرغاني: مرجع سابق: ١٧٦ / ٩ وتاريخ بغداد: ٥٦ / ٩ والوافي بالوفيات: ٩٤٠ / ٥

محمد (من تلاميذه) ما سمعته من الطبري من كتابه المسمى بجامع البيان، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك، وقد أخذته عنه إجازة^(١). وكانت الإجازة تتم عن طريق المناولة بين كتب العلماء ومقابلتها فيقول الطبري حدثني نفسي وأنا صبي بكتاب التفسير فكان أبو عمر الزاهد يعيش زماناً طويلاً بمقابلة الكتب مع الناس، فيقول: سألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأ في نحو ولا لغة^(٢).

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن السري، ت: ٣٦٦هـ الذي مُنح الإجازة عن طريق الحفظ والاستظهار ففي رواية الغراء قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية، وبها منح الإجازة^(٣).

ومنه نلاحظ أن المتعلم كان يمنح الإجازة (الشهادة) إذا تمكن من حفظ ما تعلمه.

٣- أبو القاسم إبراهيم بن عثمان القيرواني النحوي ت: ٣٤٦هـ كان يحفظ كتاب العين للخليل بن أحمد وغريب المصنف لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم من الكتب، وحفظ قبل ذلك كله كتاب سيبويه^(٤).

ومنه نلاحظ أن الانتقال من علم الفقه إلى الحديث إلى علم اللغة إلى النحو إلى المنطق كان بمثابة الدرجات العلمية والشهادات التي يحصل عليها المتعلم في ذلك القرن.

٤- أبو العباس إسماعيل بن عبد الله الملقب بالميكالي ت: ٣٦٢هـ الذي حصل على الإجازة بسماعه من العلماء وقراءته عليهم ففي رواية الحاكم قال: سمعت أبا العباس وقد

(١) معجم الأدياء: ٢٤٥ / ٥٠ ومعجم المؤلفين: ١٧ / ٩ وسير النبلاء: ٩٠ / ٦ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٢ / ١٦٩ - ١٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ١٢ / ٨ وبتكررة الحفاظ: ٣٥١ / ٢ وابن الصاد: مرجع سابق: ٢٦٠ / ٢.

(٣) معجم الأدياء: ٨٧ / ١.

(٤) معجم الأدياء: ١٣٠ / ١ ومعجم المؤلفين: ٥٨ / ١ والواقعي بالوفيات: ٥١ / ٥ وبقية الوفاة: ص ٢٨٣.

سئل عن مقصورة الدريدي فقال: أنشدني فيها مؤيدي أبو بكر الدريدي، ثم قرأتها عليه مراراً فأقر بها لي^(١).

وفي القرن الخامس الهجري حصل على الإجازة منه العلماء:

١- أبو علي الحسن بن علي الملقب بالأهوازي المقرئ ت: ٤٤٦ هـ الذي قرأ على العلماء كي يحصل منهم على الإجازة لتصدر مجالس التعليم، ففي رواية أحمد بن منصور قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات، ووصل إلى بغداد وقرأ على بعض الشيوخ الذين روى عنهم، جاءوا له بالإجازات ويخطوهم، ثم قدم الأهوازي دمشق سنة ٣٩٦ هـ وسكنها وقرأ القرآن بروايات كثيرة، وأقرأه غيره^(٢).
ونلاحظ أن الإجازة هنا كانت إجازة تحريرية يخط العلماء.

٢- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت: ٤٦٣ هـ ببغداد، الذي يقول: اجتمعت بالفاضي الأكرم في عدة مجالس بحضرته، وأجازني برواية، وقد اجتمعت بالدقيقي بأجرته، والدقيقي عالم من أهل مصر توفي بالقاهرة، وهو صاحب كتاب اتفاق المباني واقتراح المعاني، قال الزركلي إنه مخطوط في اللغة، وكتاب لناب الألباب ذكر الزركلي أنه مخطوط في شرح كتاب سيبويه الجزء الأول منه في خزانة حسن حسني عبدالوهاب بتونس^(٣).

خاتمة: الكتابة وأدواتها:

ذكر ياقوت الحموي من بين الطرق التعليمية التي ساهمت في تعليم العامة والخاصة من طلاب العلم طريقة الكتابة. وقد تناول ياقوت بعض أدوات الكتابة التي كانت سائدة في تلك العصور التي أرخ لها ياقوت.

(١) معجم الأدباء: ٢٩٢ / ٦ والزركلي: مرجع سابق: ٣١٨ / ١.
(٢) معجم الأدباء: ١٩ / ٣ ولسان الميزان: ٢٣٧ / ٦ وابن تقي الدين: مرجع سابق: ٥٦ / ٥ وسير النبلاء: ١٥٢ / ١٦ ومعجم المؤلفين: ٢٤٧ / ٣.
(٣) معجم الأدباء: ٥٠٤ / ١ ومعجم المؤلفين: ٣ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٦٢ / ٣.

ففي القرن الثاني الهجري كان من بين العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت: ١٩٤هـ الذي كان يأمر صبياناً أن يدفعوا بعض أدوات الكتابة إلى تلاميذه كي يستخدمونها في التعليم، ففي رواية محمد بن الجهم السمرقي قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فتدخل، ويدفع إلينا الكاغد والجلود، وقد صُفِّلت (أعدت للكتابة) والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا الأحمر وعليه ثياب الملوك، فقد كان مؤدباً للماثرون العباسي، وأوصله الكسائي إلى الرشيد فعهد إليه بتأديب أبنائه واستمر في نعمه إلى أن توفي^(١).

ومنه نلاحظ أن أدوات الكتابة التي كانت سائدة في القرن الثاني الهجري هي الكاغد وهو القرطاس المعد للكتابة، والجلد وهو معروف والأقلام التي كانت تصنع من البوص أو الغاب، وبيجانه المحبرة التي كانت تملأ بحبر أحمر أو أسود والسكاكين التي تستخدم لتنظيف الأقلام وإزالة أسنانها، كما نلاحظ أن العلماء والشيوخ كانوا يخرجون في أحسن زينتهم كي يعملوا طلابهم لأن ذلك أوقع إلى نفس المتعلم يستشعره بالوقار والاحترام.

وفي القرن الثالث الهجري ظهرت الرقاع: وهي القطعة من الثوب أو ما يرقع به الثوب أو القطعة من الورق أو الجلد يكتب فيها. وقد استخدم الشافعي ت: ٢٠٤هـ الرقاع يجيب عن الأسئلة التي بداخلها، ففي رواية: أبي سليمان الخطابي قال: كان الشافعي يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة برقعة وألقت إليه بها فأجاب عنها^(٢).

(١) معجم الأدباء: ٥ / ٤ وبغية الوعاع: من ٣٣٤ وإليه الرواة: ٣١٣ / ٢ وميزان الاعتدال: ٢٦٨ / ٤ والزرقي: مرجع سابق: ٢٧١ / ٤.
(٢) معجم الأدباء: ٢٠٥ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٣٢ / ٩ والسبكي: مرجع سابق: ١ / ٤ والخطيب البغدادي: مرجع سابق: ٥٦ / ٢ - ٧٣.

ونلاحظ هنا اهتمام النساء بطلب العلم.

ولم يقتصر الشافعي على استخدام الرقاع وإنما استخدم العديد من أدوات التعليم التي كانت متاحة في عصره فقد استخدم الخزف (وهو ما صنع من الطين ويشوي حتى صار فخاراً) والدفوف (الجلود التي يعمل منها الطبل والضمامات) وكرب النخيل (أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معه) وعسيب النخيل (جريدة النخلة المستقيمة يكشط خوصها) واكتاف الجمال (عظم عريض خلف الكتف) يكتب عليهم الحديث ويقول: كنت أجيء إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور (الأوراق) فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب (جرار جمع جرة) ملاتها أكتافاً وخزفاً وكرباً ملوثة حديثاً^(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يستخدمون الأدوات الكتابية التي يمكنهم الحصول عليها من البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها، رغم صعوبة استخدام هذه الأدوات. ومع ذلك نبغ هؤلاء العلماء وتغفوا في شتى أنواع العلوم، وكانت الدولة أحياناً تساهم في توفير أدوات الكتابة للعلماء، فقد أخذ الشافعي الأوراق من الدواوين كهيئة له.

٢- أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي المعروف بابن النديم ت: ٢٢٦هـ الذي كان يكتب شعره على الرقاع، ويعرضها على الواثق بالله، فيأمر له بالعطايا^(٢).

٣- أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق الملقب بالأزدي ت: ٢٨٢هـ كانت تعرض عليه الأسئلة من تلاميذه مكتوبة على الرقاع، فيجيب عن هذه الرقاع^(٣).

٤- أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب ت: ٢٩١هـ الذي استخدم الرقاع في نقل العلم بين العلماء حيث يقول: بعث إليّ عبدالله بن أخت أبي الوزير رقة فيها خط المبرد يسأل عن مسألة في القتل فأجبت^(٤).

(١) ابن تقي الدين: معجم سابق: ١٧٦ / ٢ وتهذيب التهذيب: ٣١، ٣٠ / ٩.
(٢) معجم الأدباء: ١٤٥ / ٩ ومعجم المؤلفين: ٢٢٧ / ٢ وابن خلكان: معجم سابق: ٨٩ / ١ ولباء الرواة: ٢٢٥ / ١ والأسفهانى: معجم سابق: ١٣٥ - ٢٦٨ / ٥.
(٣) معجم الأدباء: ١٩٨ / ٢ ومعجم المؤلفين: ٢٦١ / ٢ وبيروت: التلاوة: ٧٩/٩ والخطيب البغدادي: معجم سابق: ٢٨٤ / ٦.
(٤) معجم الأدباء: ٦١ / ٢ وجوزجى زيدان: معجم سابق: ٩٨١ / ٢ وثكنة الحفائض: ٢٩٤ / ٢.

ومنه العلماء الذين استخدموا الرقاع كواحدة من أدوات التعليم في القرن الرابع الهجري :

١- أبو بكر أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي ت: ٣١٨ هـ كان يجلس إلى أسطوانة (السارية والعمود) من أساطين الجامع، يستلم الرقعة من الرقاع التي كتبت فيها الأسئلة فيجيب عنها^(١).

٢- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخطاب، ت: ٣٢٠ هـ كان يجيب على الرقاع التي تصل إليه من العلماء والأمراء، ويكتب إجابته على رقعة أخرى، في قد أجاب على رقعة كتبها إلى سيف الدولة، جواباً عن رقعة وردت منه^(٢).

٣- أبو عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد المطرز ت: ٣٤٥ هـ الذي استخدم الرقاع كوسيلة للتخاطب بينه وبين العلماء والأمراء، فقد أنفذ إليه إبراهيم بن أيوب بن ماسي رقعة يسأله فيها عن مسألة فكتب له الإجابة على ظهرها وردّها إليه^(٣).

٤- أبو بكر محمد بن الحسن الملقب بالنقاش ت: ٣٥١ هـ الذي استخدم الرقاع في التعلم ففي رواية المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن زياد النقاش قال: لقيت رقعة قد رفع فيها سؤال إلى القاضي أبي بكر الأنطاكي، فأخذتها وكتبت الإجابة على ظهرها، وردتها إليه^(٤).

ومنه نلاحظ أن الرقاع التي كان يجيب عنها العلماء، إذا نالت القبول عند طلاب العلم والعلماء كان يأتي الرد عليها من هؤلاء الطلاب متضمنًا حسن الأسلوب، والمعرفة التي حصل عليها هؤلاء الطلاب من تلك الرقاع.

(١) معجم الأدباء: ٣٠١ / ١ والوافي بالوفيات: ١٠٧ / ٥.

(٢) معجم الأدباء: ٩٦ / ٥.

(٣) معجم الأدباء: ٣٦٣ / ٥ وتذكر الحافظ: ٨٦ / ٣ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ٣٠٤ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ٢٥٤ / ٦.

(٤) معجم الأدباء: ٣٠٩ / ٥ ومعجم المؤلفين: ٢١١ / ٩ وابن خلكان: مرجع سابق: ٦١٩ / ١ وسير النبلاء: ١٠ / ١٤٦ والوافي بالوفيات: ٣٤٥ / ٢.

٦- أبو الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن حنابلة ت: ٢٩٩ هـ الذي استخدم العديد من أدوات التعليم ووسائله، فقد أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدير الكاتب، وقد كان من أعيان كتاب آبائه ودولته، فأجاب عنها ابن المدير وردّها إليه^(١). ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء استخدموا الرقاع في التعليم، فقد أرسلوها إلى العلماء وأجاب عنها العلماء بما يفيد هؤلاء الأمراء في مجال العلم الذي يطلبونه.

٧- أبو الفضل الحسين بن يحيى الملقب ببديع الزمان الهمداني ت: ٣٩٨ هـ الذي استخدم الرقاع في التعليم عن طريق إرسالها إلى العلماء فقد كتب رقعة إلى الخوارزمي يسأله عن مسائل في الرياضيات واعتذر له عن ذلك بقوله: يعز عليّ أن ينوب في خدمتك قلبي عن قدمي، ويسعد برؤيتك رسولي دون وصولي^(٢).

ولم يقتصر استخدام الرقاع في التعليم على الرجال فقط، وإنما شاركتهن النساء في ذلك وقد ظهر استخدام النساء للرقاع في التعلم في القرن السادس الهجري ومن بين هؤلاء النساء في ذلك القرن:

حفصة بنت الحاج الزكواني ت: ٥٨٦ هـ بمراكش، التي انخرطت في عصرها بالتفوق في الأدب وسرعة الخاطر بالشعر، وقد نعتت بأستاذة وقتها فكانت تعلم النساء في دار المنصور، واستخدمت الرقاع في نشر ما تكتبه من شعر، وعلم الحديث، فقد أرسلت إلى أبي جعفر بن سعيد وهو بين جلسائه، رقعة مكتوب عليها أبيات من الشعر، تسأله عن معناها فلما قرأها، قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة^(٣).

وقد استخدمت الرقاع في التعليم أيضاً في القرن السابع الهجري، ومن بين هؤلاء الذين تعلموا عن طريق الرقاع:

(١) معجم الأدباء: ٣٨١ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٢٦ / ٢ وابن تقي الدين: مرجع سابق: ٢٠٣ / ٤ والخطوب البغدادي: مرجع سابق: ٢٢٤ / ٧.

(٢) معجم الأدباء: ٢٧٠ / ١ والوفاي بالوفيات: ١٥٩ / ٣ والكمال في التاريخ: ٧٢ / ٩ وابن القيم: مرجع سابق: ٣ / ١٥٠ ونشرة المغايط: ٢١٧ / ٣.

(٣) معجم الأدباء: ٢٣٠ / ٣، ٢٣١ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٢٥ / ٧ ومعجم المؤلفين: ٢٤٠ / ١١.

- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلبي ت: ٦٠١ هـ الذي استخدم الرقاع في تعليم غيره عن طريق الإجابة عنها. ففي رواية محمد بن حامد الموصلي قال: لما ورد شميم الحلبي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس منه ومن علومه، فدخلت عليه، وجرت مذكرات بيبي وبينه، ثم أجوجت رقعة له مكتوب بها، ما معني قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر يا يدك ؟ فقال: شطر أعاديك، ديك، وقلبه: كيد، أردت أن تقول الكيد حظ من كفر يا يدك، فقلت له: أحسنت^(١).

وهه أدوات التعليم الأقلام والدفاتر والمحابير:

فقد استخدم الطلاب والعلماء معاً هذه الأدوات في نقل العلوم، ففي القرن الثالث الهجري استخدم (إبراهيم بن العباس الصولي ت: ٢٤٣ هـ) هذه الأدوات في التعلم فقد تآدب ببغداد وكان كاتباً للمعتصم والوائق والمتوكل. وفي رواية أبي الغيث قال: كنت عند إبراهيم الصولي وهو يكتب فنقط القلم نقطة مفسدة فمسحها بكفه، فعجبت فقال: لا تعجب المال فرع، والقلم أصل ومن السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع، ومع نبوغه وتقدمه في العلم يقول ياقوت: كان الصولي إذا قال شعراً اختاره وأسقط رذله وأثبت نخيته^(٢).

وقد استخدم الصولي الدفاتر والأوراق في مؤلفاته وتصنيف الكتب، ففي رواية الجهشباري قال: رأيت دفترًا بخط إبراهيم الصولي وقد كتب فيه شعراً، وقد صنف كتاب الدولة^(٣).

(١) معجم الأدباء: ٣٥ / ١ ومعجم المؤلفين: ٢٥٧ / ٣ وسير أعلام النبلاء: ٩٤ / ١٢
(٢) معجم الأدباء: ١١٥ / ١ وابن خلكان: مرجع سابق: ٩ / ٦ والوافي بالوفيات: ٤٢ / ٥ / ٥ والأصفهاني: مرجع سابق: ٢٠ / ٩ وابن تيمزي يزدني: مرجع سابق: ٣١٥ / ٢ والمسعودي: مرجع سابق: ٢٩٩ / ٢ والمطرب: بغدادي: مرجع سابق: ١١٧ / ٦
(٣) ابن التميمي: مرجع سابق: ١٢٢ / ١ - ١٢٦ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٤٥ / ١

وهذه العلماء الذين استخدموا الأقلام في القرون الثالث الهجري:

- أبو عبدالله محمد بن القاسم المعروف بابن أبي العيناء، ت: ٢٨٣ هـ الذي استخدم القلم كوسيلة من الوسائل التي تساعد على تقدم العملية التعليمية، ففي رواية ابن الخصيب قال: وصف أحد العلماء قلم ابن أبي العيناء قال: كنت أرى قلم ابن أبي العيناء يكتب بما يصيب، ولو نطق لنطق بنوك (١) حق.

وكان طلاب العلم في ذلك القرن تلازمهم محابيرهم ودفاترهم كوسائل تساعدهم على التعليم.

- فقد كان الدينوري ت: ٢٨٩ هـ يتخطى أصحاب ثعلب على باب داره، ومعه محبرته ليحضر مجلسه، ويكتب عنه ما يُلقى من العلم (٢).

وقد استمر ظهور هذه الأدوات في القرن الرابع الهجري، ومن بين هؤلاء العلماء الذين استخدموا هذه الأدوات:

١- أبو عبدالله الحسن بن علي الملقب ابن مقله ت: ٣٠٩ هـ كان ينزل في دارقوراء (واسعة) حسنة، وفيها فرش تشاكلها، ومجلس دست (صدر المجلس)، وله شيء للنسخ، وحوض فيه محابر وأقلام، وإذا ضاق صدره من الكتابة والتعلم، كان يقوم ويتمشى في الدار، ثم يعود فيجلس في تلك المجالس، وينسخ ما يخف عليه، ثم يقوم حول البستان ثم يعود يجلس في مجلسه وينسخ أوراقاً أخرى، ولذلك اجتمع من خطه في خزائن بغداد ما لا يحصى (٣).

ومنه نلاحظ أن ابن مقله يعطي بذلك درساً تربوياً، وهو أن الطالب الذي يجلس للتعلم لابد وأن يكون حاضر الذهن غير فاطر وإذا أصابه ضيق أو ملل فعليه أن يجدد نشاطه عن طريق الحركة ولو كان ذلك بداخل المنزل، حتى يعود إلى التعلم وهو نشيط صافي الذهن، لديه القدرة على التركيز والتحصيل.

(١) معجم الأدباء: ٤٠٦ / ٥ ومعجم المؤلفين: ١٢٩ / ١١ والوطي دالوق: ٣٤٩ / ٤.
(٢) معجم الأدباء: ٣١٢ / ١ وإنباء الرواة: ٣٣ / ١ وجورجي زيدان: مرجع سابق: ١٨١ / ٢ والزركلي: مرجع سابق: ١٠٧ / ١.
(٣) معجم الأدباء: ١٦ / ٣ ومعجم المؤلفين: ٦٠ / ٧ وإنباء الرواة: ٢٤٢ / ٩ والزركلي: مرجع سابق: ٢٧٤ / ٤.

٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٢٦٠هـ الذي استخدم الأقلام والورق لكي يرصد ويسجل كل ما يأخذه عن العلماء، ففي رواية السمسري قال: إن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، وفي رواية الاسفراييني قال: لو سافر رجل إلى الصين حتى يُحصّل كتاب الطبري في التفسير لم يك ذلك كثير، وقال الطبري لتلاميذه أنتمشطلون لتفسير القرآن ؟ فقالوا: كم يكون مقداره ؟ قال: ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة^(١).

وقد استخدم علماء القرن الرابع الهجري الحبر كأداة من أدوات التعليم، وكانوا يفتخرون بالتصاق الحبر بثيابهم، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول الملقب بالتنوخى ت: ٣١٨هـ كان يفتخر بأن الحبر إذا لطيخ ثياب العلماء وأصابهم فإن ذلك لا ينقص من عظمتهم ومكانتهم ويقول في ذلك:

رأيت العيب يلصق بالعالى لصوق الحبر في لفق الثياب
ويخفي في السثنى فلا تراه كما يخفى السواد على الإهاب^(٢)

وقد جمع علماء ذلك القرن بين الكاغذ، والحبر، والورق في التعليم، ونقل العلوم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الحسن محمد بن أحمد الملقب بملطاطيا، ت: ٣٢٢هـ الذي طلب من أصحابه محبرة وكاغذاً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطوعات من الشعر، فسأله بعضهم لن هي ؟ فلم يجبه حتى فرغ من نسخها، وملء منها خمس ورقات، وأحصيت الأبيات قبل عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً، كان قد حفظها^(٣).

(١) معجم الأدباء: ٢٥٠/٥ وابن شعري بردي: مرجع سابق: ٢٠٥/٣ والزركلي: مرجع سابق: ٦٩/٦ وجامع البيان: ٤٧/١.

(٢) معجم الأدباء: ٢٦١/١ ومعجم المؤلفين: ٦٦٠/١ والوفاي: بلاغيات: ٦٢٠/٥.

(٣) معجم الأدباء: ٩٨/٥ ومعجم المؤلفين: ٣١٦/٨ والزركلي: مرجع سبق: ٣٠٨/٥.

- أبو الحسن علي بن عبد الله الملقب بالناشي الحلاء، ت: ٣٦٥ هـ قال: كان المجلس يستعمل المحبرة في كتاباته، ففي رواية بديع الزمان قال: فيما قرأت على ابن فارس سمعت أبا الحسن الناشي قال: حضرت مجلس أبي الحسين المجلس الفقيه، فأنقلبت محبرة كان يستعملها في الكتابة للحصول على المعرفة واكتساب العلم، فترفع عن رفع ثيابه عنها^(١).

واستعمل علماء القرن الرابع الهجري الكاغد كأداة من أدوات التعليم ففي ترجمة (ابن خنزابة ت: ٣٩١ هـ قال: كان إبراهيم بن سعيد الحبال قد حرّج للحافظ السجزي أكثر من مائة شيخ، في عشرين جزء كان قد كتبها في كاغد عتيق، فمسئل الحبال عن الكاغد فقال: هذا من الكاغد، الذي يحمل للوزير^(٢)).

ومنه نلاحظ أن هناك كانت أدوات خاصة يستعملها العلماء في الكتابة للأمراء والوزراء. - أبو العباس، أحمد بن إبراهيم الملقب بالكافي الأوحدي، ت: ٣٩٩ هـ الذي كان يكتب للأمراء كتباً باسمائهم مقابل أن تقدم لهم أدوات الكتابة فقد قدّم له فخر الدولة الدواة والكاغد، وطالبهم يكتب بخطوطهم بما يصححونه، فألزموا له عشرة آلاف درهم^(٣). ومنه نلاحظ أن الأمراء والوزراء كانوا يقدمون أدوات الكتابة من كاغد وورق وحبر إلى العلماء، من أجل أن يكتبون له مؤلفات وكتب باسمائهم. بالإضافة إلى الأجرة التي كانت تصل هؤلاء العلماء.

وقد كان الأمراء والوزراء إذا اتهم أحد العلماء جعلوا عليه فدية لنفسه، فقد قبض فخر الدولة على (أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد) والعلماء الذين معه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف درهم، فأدوا ذلك من شن الورق الذي كتبوا عليه علومهم^(٤).

(١) معجم الأدباء: ١٥٩ / ٤ ومعجم المؤلفين: ١٤٢ / ٧ وابن خلكان: مرجع سابق: ٣٥٤ / ١ والزركلي: مرجع سابق: ٣٠٤ / ٤.

(٢) معجم الأدباء: ٣٨١ / ٢ والمطبوع البغدادي: مرجع سابق: ٢٢٤ / ٧.

(٣) معجم الأدباء: ٢١٢ / ١.

(٤) معجم الأدباء: ٢٤٠ / ١.

ومنه نلاحظ أن القاضي وأبي العباس قدموا فدية لأنفسهم من خلال بيعهم للأوراق التي كانوا قد كتبوا عليها كتبهم.

وفي القرن الخامس الهجري استخدم العلماء الأقلام والقراطيس في الكتابة والتعليم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو الفضل أحمد بن محمد الملقب بالصخري ت: ٤٠٦ هـ الذي استخدم القلم والقراطيس في كتاباته فقد كان يكتب الكتاب يبدأ بأخر سطر فيه ثم يمضي قدماً في الكتاب حتى أوله^(١).

- أبو إسحاق سعيد بن إبراهيم بن عقيل ت: ٤٧٤ هـ الذي قرأ تعليقه أبي الأسود الدؤلي التي ألغها إليه علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وكانت مكتوبة على الورق ومكونة تقريباً من عشرة أوراق.

وفي ذلك القرن أطلق العلماء على الورق اسم الكرايس ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء المعري ت: ٤٤٩ هـ الذي أرشده تلاميذه إلى استخدام الكراسيات في التعليم فقد أملى على تلاميذه كتاب الفصول والغايات في البلاغة وكتاب القوافي ذكر الزركلي أنه مطبوع يقع في سبعة أجزاء مقداره مائة كراسة، وكتاب اللامع العزيمي ذكر الزركلي أنه مخطوط من مخطوطات جامعة الرياض، وهو شرح لديوان المتنبي ألفه لعزيم الدولة (فاتك بن عبد الله) يقع في ٢٤٠ ورقة، وكتاب رسالة الغفران مطبوع من أشهر كتبه وهي تقع في عشر كرايس^(٢).

والخلاصة:

مما سبق عرضه بالنسبة لأدوات الكتابة يتضح أن معجم الأدباء لياقوت الحموي يعد مصدراً هاماً من مصادر التاريخ لأدوات الكتابة ووسائل التعليم على مدار عدة قرون حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم أدوات الكتابة.

(١) معجم الأدباء: ١١ / ٢ ومعجم المؤلفين: ١١٢ / ٢.
(٢) معجم الأدباء: ١١ / ١ - ١٢٥ - وابن السكيت: مرجع سابق: ٢٨٠ / ٣ وابن تيمية: مرجع سابق: ٦١٠ / ٥ وابن الجوزي: مرجع سابق: ١٨١ / ٨ - ١٨٨ - والزركلي: مرجع سابق: ١٥٧ / ١.

مثل: الرقاع وهي القطعة من الثياب أو ما يرقع به الثوب، أو القطعة من الورق أو الجلد والتي يكتب عليها الكثير من أنواع العلم مثل علم الحديث والفقه والتفسير وكذا بعض العلوم اللغوية والعقلية، وكذا الرق: أداة من أدوات الكتابة التي ذكرها ياقوت وهي الجلد الرقيق الذي يكتب عليه، وكذلك الكاغد، والخزف، وهو ما عمل من الطين وشوي حتى صار فخاراً، وأكتاف الجمال، وعسيب النخيل، وغيره من أدوات التعليم التي ساعدت على انتشار التعليم بين الطلاب والعلماء على حد سواء، ولم يمنع أمر صعوبة هذه الوسائل المستخدمة في الكتابة العلماء من عدم التسجيل للعلوم، فرغم صعوبة الكتابة على هذه الأدوات فقد استخدموها في الكتابة، وورثها اللاحقون من السابقين، وقدم خدمة هذه الكتابات أغراض التربية فقد وصلتنا علوم هؤلاء العلماء عن طريقها وتوريثها لتكون محفظة لما هو مطلوب منها، وقد ذكرنا هذه الخبايا التي ملأها الإمام الشافعي بأكتاف الجمال وعسيب النخيل والخزف والتي كتب عليها الكثير من الأحاديث ومن علم الفقه وإن كان ياقوت لم يذكر بالتحديد بداية استخدام هذه الأدوات غير أنه ذكرها بدأ من القرن الثاني الهجري، لكن هذه الأدوات كانت مستخدمة في الكتابة منذ الجاهلية وفي صدر الإسلام فقد ذكر الدكتور / حسين محمد سليمان في كتابه التراث العربي الإسلامي قال " لم تكن القراءة والكتابة وليدة الفترة التي قبيل الإسلام ومما ينص على ذلك كتابة مكة لعمر بن شبة، الذي كتبه بخطه، وكان عرب الحجاز يستخدمون الكتابة على الحجر، فقد كانت القراءة والكتابة منتشرة في البيئة التي نزل فيها القرآن سواء في مكة أو يثرب وفي كل الأماكن المحيطة بها مثل الطائف وغيرها"^(١).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأدوات الكتابية التي كانت مألوفة في هذا المجتمع والتي يعرفها جيداً هذا المجتمع، وبذلك فقد أضاء القرآن الكريم الطريق أمام هؤلاء العلماء لمسيرة استخدام هذه الأدوات في الكتابة والتعليم، فيقسم المولى سبحانه بقوله:

(١) حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، (القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٧)، ص ٢٢٤.

(ب) وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

فقد أشارت الآية إلى القلم كأداة من أدوات الكتابة والتعلم، فالسطر هنا بمعنى الكتابة. ومن ذلك جاء قوله تعالى:

(وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ فَتٍّ فِي قَرْنٍ لَفَسَدُوا وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَسْمُوهُ بِأَيْدِيهِمْ... ﴿٢﴾)

فقد ورد في الآية الكريمة أداة من أدوات التعليم وهو القرطاس المقصود به الورق الذي يكتب عليه، ويقول سبحانه:

(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَعْرَافٍ... ﴿٣﴾)

وفي هذه الآية وردت أداة القلم كواحدة من أدوات التعليم، ويقول سبحانه:

(وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ فِي رَقٍّ مُنْشُورٍ ﴿٤﴾)

والرق هنا، بمعنى الجلد الرقيق الذي يكتب عليه أو الصحيفة البيضاء، وهذه الآيات جميعاً تؤكد معرفة العلماء العرب بوسائل الكتابة، بل لا تقتصر هذه على الآيات على ما سبق أن ذكرناه، بل تعدد إلى أكثر من ذلك حيث تعرف الجلود، والقرطاس (الورق من بردي وغيره) والوسيلة المستخدمة في الكتابة وهو القلم، والوسائل المستخدمة وهو الحبر كما أن الكتابة واستخدام أدواتها في التعليم لم تقتصر على الرجال بل كان هناك من النساء من يستطعن الكتابة والتدوين واستخدام هذه الأدوات مثل حفصة بنت الحاح، كما تضمن هذا الفصل الإجابة على سؤال البحث الذي يقول: ما أهم الطرق التعليمية والوسائل التي عرض لها كتاب معجم الأدباء لياقوت؟ وكانت الإجابة عليه تتضمن ذكر بعض الطرق التي كانت سائدة في القرون الهجرية التي أرخ لياقوت، ومن هذه الطرق طريقة.

(١) سورة القلم : الآية ١ .
(٢) سورة الأنعام : من الآية ٧ .
(٣) سورة لقمان : من الآية ٢٧ .
(٤) سورة الطور : الآيات ٢ : ٣ .

الفصل الرابع أماكن التعليم

مقدمة

يتحدث الباحث في هذا الفصل عن أماكن التعليم التي أوردتها ياقوت الحموي في كتابه "معجم الأدباء" والتي كان الطلاب يتلقون من خلالها مع أساتذتهم للأخذ من علومهم، والتزود من معارفهم، وقد أرخ ياقوت الحموي لهذه الأماكن التعليمية، من خلال حديثه عن الطلاب والعلماء الذين حصلوا الكثير من العلوم بداخل هذه الأماكن والمؤسسات التعليمية، يقصد بها الأماكن التي تقوم بمهمة تعليم الناس مثل:

أولاً: المساجد وتشمل (حلقات العلماء).

ثانياً: الكتاتيب (الكتاب).

ثالثاً: المدارس.

رابعاً: منازل العلماء وتشمل (مجالس العلماء).

خامساً: مجالس الأمراء الوزراء.

سادساً: أماكن الحرب وتشمل (الأريطة والخوانق).

سابعاً: الأسواق.

تاسعاً: أماكن التجارة، وتشمل معها:

أ- المكتبات

ب- البيمارستانات.

وفي تصنيف الباحث لأماكن التعليم، وتصنيف الطلاب الذين تعلموا من خلالها والعلماء الذين درسوا بها، اتبع الباحث التصنيف الذي يعتمد على الترتيب القرني، حتى يسهل على المتصفح لهذه الرسالة الحصول على المعلومة المتعلقة بمؤسسة معينة من المؤسسات التعليمية في أقصر وقت ممكن.

أولاً : المساجد

تعد المساجد التي قامت بدور تعليمي تربوي في عصور الإسلام، والتي تزود منها الطلاب متعددة وكثيرة، وقد أجمعت آراء كثير من رجال التربية والمفكرين في الوقت الحاضر على أهمية التربية غير المدرسية، في إعداد وتنشئة الأحوال وذلك لما يواجهه التعليم النظامي من مشكلات، والمسجد كمؤسسة تربوية داخل المجتمع (قديماً وحديثاً) يعمل في مجال التنمية البشرية، ويمكنه القيام بدور كبير في بناء وتربية العقل الإنساني وصلته بالعلوم الدينية والدنيوية، من خلال الخطب المأثورة التي تلقى فيه، والندوات التي تعقد بداخله، ومن خلال ذلك نلاحظ أن للمساجد دوراً تربوياً كبيراً في داخل المجتمع. ساعد ذلك أن التربية ليست عملية قائمة بذاتها، بل أنها في جوهرها عملية ثقافية فهي تشتق مادتها من واقع حياة المجتمع وثقافته، كما أن الثقافة والتعليم لا يستمران إلا باكتساب الأفراد لأصنافها ومعانيها، ولذا كان على الباحث التربوي أن يحفر تحت أرض الواقع التي يعيش فيه بحثاً عن الجذور التي أنبتته وليست مهمته أن يغلق على نفسه باب مكتنه ليصول ويجول بعقله في تأملات فلسفية، فظهور الإسلام كان ثورة تربوية عامة، والمساجد كانت من أبرز الوسائط التربوية، التي لعبت دوراً تربوياً هاماً في بدء الدعوة الإسلامية وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول من اتخذ المسجد مكاناً للدعوة والتعليم، فبعد الهجرة انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم بنشاطه الديني والتعليمي إلى المسجد، وكان مسجد قباء أول المساجد التي قامت في الإسلام على نشاط التعليم لأموال الدين، فالمسجد هو المكان الطبيعي والأصلي للكلمة الطيبة الأمينة المتعلمة التي تزود المسلمين بالمعرفة، وبذا لا تستطيع أي مؤسسة تربوية أن تنافس ث ١٣٤٤ لمسجد في التفاد إلى نفوس الناس

ومشاعرهم، وأن الفرق بين توجيه أي مؤسسة تربوية وتوجيه المسجد، أن رواد المسجد يذهبون إليه متعبدين بكل خطوة يخطونها إليه متقربين إلى الله. راجين مغفرته^(١). وبذلك كان المسلمون في أول عهدهم بالتعليم يتخذون مدارسهم في الجوامع والمساجد، وكانوا يسمون التلاميذ المجتمعين حول أستاذهم لتلقي العلم (حلقة) وينسبون كل حلقة في الغالب إلى أستاذها^(٢). ومن المساجد التي اشتهرت بالتدريس في القرن الثاني الهجري كما تحدث عنها ياقوت، وعما يدور فيها من حلقات علم:

١ - مسجد المدينة:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي. فقد عقد بداخله حلقات الفقهاء التي عقدت لتفقيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، وهذا يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي ولقي ذلك تأييد كثير من العلماء والمفكرين وبشكل خاص أنصار المذهب الديني المحافظ الذي يسيطر على التوجيه الديني، وقد أورد ياقوت ترجمة لبعض المحدثين كانوا يقومون بالدريس في مسجد المدينة، ومن هؤلاء العلماء:

أ- أبو سعيد أبان بن رباح الجريزي، ت ١٤١ هـ:

الذي اهتم بتعليم غيره عن طريق المساجد فقد كان من غلاة الشيعة، من أهل الكوفة، لقي أبان كلا من محمد بن علي بن الحسين، وأبا جعفر فقال له أبو جعفر: يا أبان اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فأبى أحب أن أبى في شعبي مثلك^(٣).

(١) سعيد إسماعيل علي، دراسات في التربية الإسلامية، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م)، ص ٢٦، وخليفة محمد إبراهيم، الدور التربوي لمؤثر الثقافة الجماهيرية في مصر، ماجستير (أصول التربية) كلية التربية بسوهاج - جامعة أسيوط ١٩٨٧م ص ٢٨.
ومحمد ملوس مرسى، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، الطبعة الثانية (القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٣م)، ص ٢٠٥.
وسعيد إسماعيل علي، ديمقراطية التربية الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨٢م)، ص ١٠٣.
(٢) مصطفى أمين، تاريخ التربية، الطبعة الثانية، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٦٦م)، ص ١٧١.
(٣) معجم الأدياء ٦٧/١، والفرزكلي، مرجع سبق، ٢٦/١، والديلم ٦٦٤/١.

ومنه نلاحظ أن مسجد المدينة كان يستقبل العلماء لعقد حلقات فقهية لنشر بعض المذاهب، فهذا أبان كان يعتنق المذهب الشيعي في داخل الكوفة.

ب- أبو سلمة، حماد بن سلمة الملقب بالإمام ت ١٦٧ هـ:

كان أحد رجال الحديث، اهتم بتعليم العربية لغيره بعد تفوقه، وبعد أن حصل منها ما يستطيع أنه يجلس به أمام طلابه، فكان حماد يمر بالحسن البصري في الجامع يعلم الفقه والحديث فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم، وكان يحفز طلابه على تعلم النحو فيقول: مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها^(١).

ومنه نلاحظ دعوة حماد لغيره من طلاب العلم، والعلماء حتى يتعلموا أصول العربية لكي يتمكنوا من طلب العلوم الأخرى، فالعربية بمثابة الأرض الصلبة التي تخطوا عليها العلوم الأخرى. وقد لعبت حلقات العلماء دوراً بارزاً في تعلم العربية.

ومع تفوق حماد في العربية، أخذ عنه يونس بن حبيب ت ١٨٢ هـ النحو، وكانت حلقاته بالبصرة يرتادها طلاب العلم، وأهل الأدب وفصحاء العرب والأعراب، ووفود البادية، حتى قال أبو عبيد: اختلفت إلى يونس أربعين سنة، أملاً كل يوم الواحي من حفظه، وفي رواية يونس بن حبيب قال: كان حماد رأس حلقتنا ومنه تعلمت العربية وتعلم منه سيبويه^(٢).

٢ - مسجد السبيح:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي في القرن الثاني الهجري، فقد عقدت بداخله حلقات للعلماء، ومن هؤلاء العلماء:

(١) معجم الأدباء ٢٤٥/٣، الزركلي، مرجع سابق، ٢٧٧/٢، وتهذيب التهذيب ١١٦/٣، وإنشاء الرواة ٣٠٩/١.
(٢) معجم الأدباء ٢٤٤/٣، الزركلي، مرجع سابق، ٢٦١/٨، وإنشاء الرواة ٣٠٩/١، الزركلي، مرجع سابق، ٢٧٧/٢، وتهذيب التهذيب ١١٦/٣.

- أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت ١٩٢ هـ الذي دخل الكوفة. فجاء إلى مسجد السبيح إلى حلقة حمزة بن حبيب الزيات ت ١٥٦ هـ أحد القراء السبعة. وقدم أقام حلقة بمسجد السبيح يقرأ فيها غيره من طلاب العلم^(١).

وفي القرن الثالث الهجري قامت بعض المساجد بدور تعليمي تروى هذه المساجد:

١- مساجد الكوفة: قامت مساجد الكوفة بنشاطها التعليمي عن طريق حلقات العلماء التي كانت تعقد بداخلها ومن العلماء الذين نبغوا في التعليم من خلال هذه المساجد:

- أبو عمرو إسحاق بن مرار الملقب بالأحوص ت ٢٠٥ هـ الذي أدب بعض أولاد بني شيمان من رعاة الكوفة. وجلس يعلم غيره من خلال مساجدها. ففي رواية الخليلي البغدادي قال: جعل الأحوص الشيباني في مسجد الكوفة نيفاً وثمانين مصحفاً بخط يده للتعليم منها^(٢).

وعن طريق الحلقات العلمية في ذلك القرن كان الشافعي ت ٢٠٤ هـ يعلم طلابه الكثير من أنواع العلوم ففي رواية الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي (رحمه الله) يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجئ به أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والتظن. فإذا ارتفع الضحى تفرقوا. وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار^(٣).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يهتمون بنشر علومهم بين المتعلمين دون أن يستأثروا بهذه العلوم لأنفسهم. فقد كانت الحلقات العلمية، التي تعقد بالمساجد بمثابة أماكن للتدريس. ساهمت وتعليم الكثير من العامة والخاصة.

(١) إنباء الرواة ٢ / ٢٥٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٢٣٠، الزركلي ٢ / ٢٧٧، طبقات البصريين ص ١٦٩.

(٢) معجم الأدياء ١ / ١٦٨، الأثيري، مرجع سابق ص ١٢٠، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٩٦.

(٣) معجم الأدياء ٥ / ٢٠٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٥٦٨، معجم الموليين ٩ / ٣٢، ابن تغري بريد، مرجع سابق ٢ / ١٧٧، وشيخي، مرجع سابق ٤ / ١٠٥، ٢ / ٥.

٢- مسجد ابن رعيان:

كانت المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، وأحياناً يغلب عليها أن تسمى بحلقة عالم دون آخر، ففي ترجمة لياقوت (لأبي حذيفة إسحاق بن بشر البخاري ت ٢٠٦ الذي استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد ليُعلم أهلها، فجلس في مسجد ابن رعيان، يُعلمهم الحديث، وقد جمع البخاري بين تعليم غيره والتأليف، فله كتاب: المقتدا مخطوط الجزء الرابع منه، في المجموع ٧١ بالظاهرية، صنفه في بدء الخلق^(١) .

٣- مسجد الكسائي:

عرف هذا المسجد باسم مسجد الكسائي نسبة إلى حلقة التي كان يعقدها به فيذكر لياقوت في ترجمة (أبي الحسن، سعيد بن مسعدة الملقب بالأخفش الأوسط ت ٢١١ هـ الذي قال: وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي، فصليت خلفه الغداة، فلما انقفل من الصلاة قعد بين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، فسلمت عليه وسألته عن مائة مسألة، فأجابني عنها^(٢) .

٤- المسجد الجامع:

الذي عقدت فيه حلقات تعليمية لتعليم الشعر واللغة، فلم يتوقف دور المساجد على نشر العلوم الدينية فقط، ففي ترجمة لياقوت (لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ الذي كان علامة بالأنساب والشعر والأخبار، وكان مؤدياً لأهل سامراء اتخذ من المساجد مؤسسات تعليمية وحلقات يعلم من خلالها طلابه ورواد مجلسه، فقد تتلمذ عليه تلميذة مباشرة الكثير من طلاب العلم، وتتلمذ هو على أيدي العلماء، ففي رواية ثعلب قال: أتيت

(١) معجم الأدياء ١٦٤ / ٦، معجم المؤلفين ٢٢١ / ٤، والبيان الميزان ٣٥٤ / ١، وقاربه دمشق ٣٣٧ / ٢، الخطيب

البيهقي، مرجع سابق ٣٢٦ / ٦، القزويني ٢٩٤ / ١، (٢) معجم الأدياء ٣٨٥ / ٣، إنباء الرواة ٢٦ / ٢، معجم المؤلفين ٢٢١ / ٤، سير أعلام النبلاء ١٨٨ / ٧، ابن شاذكر

ابن حبيب وقد بلغني أنه يملئ شعر حسان بن ثابت، في المسجد الجامع، إليه الناس فسأله سائل عن أبيات ففسر ما فيها من اللغة^(١).

وفي القرن الرابع الهجري، قامت المساجد بدورها التعليمي على مستوى أرفع من القرنين السابقين، وكانت هذه المساجد تعرف بحلقات العلماء التي تعقد بداخلها، فقد كان لكل عالم مسجد، وذكر ذلك لياقوت في كتابه (معجم الأدباء) ومن هذه المساجد التي عرفت بأسماء علمائها:

- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.
- مسجد بني علان.
- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضري.
- مسجد الطبري.

وقد ذكرها النعمي في كتابه "الدارس في تاريخ المدارس" وقد أوردها^(٢) لياقوت في ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ قال: عرفت المساجد بدورها التعليمي في هذا العصر، وكان تعرف بعلمائها أصحاب الحلقات، ففي رواية عبد العزيز بن محمد قال: قرأت قنطرة البردان، وهي مخطوطة، فكان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام ومسجده وراء سوق جعفر، ومسجده معروف به، وكان فيها علان الأزدي (وقد ذكره النعمي بمسجد بني علان) ومسجده معروف به، وكان فيها أبو بكر هشام بن معاوية الضري، وكان مسجده عند مسجد الكسائي وقد نزل الطبري دمشق وقرأ عليه كبار الناس في مسجده^(٣).

(١) معجم الأدباء ٢٨٨ / ٥، معجم المؤلفين ١٧٤ / ٩، جورج زيدان، مرجع سابق ١٩٣ / ٢، الخطيب البغدادي مرجع سابق ٢٧٧ / ٦، الزركلي، مرجع سابق ٧٨ / ٦.

(٢) النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، الطبعة الأولى، الجزء الثاني (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨ م، ص ٢١٤).

(٣) معجم الأدباء ٢٥٨ / ٥، معجم المؤلفين ١٤٧ / ٩، تذكرة الحفاظ ٣٥١ / ٢، ابن العماد ٢٦٠ / ٢، ابن خلكان، مرجع سابق ١٩١ / ٤، ابن تقي الدين، مرجع سابق ٢٠٥ / ٣، الكافي في التاريخ ٤٢ / ٨.

- مسجد الأنباريين:

عرف هذا المسجد بدوره التربوي التعليمي في القرن الرابع ومن العلماء أصحاب الحلقات به:

١- أبي عبد الله إبراهيم بن محمد الملقب بنقطويه ت ٣٢٣ هـ كان فقيهاً، ومستنداً في الحديث، أتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، وجلس إلى أسطوانة (عمود) بجامع المدينة يدرس لتلاميذه فيقول: جلست إلى هذه الأسطوانة منذ خمسين سنة للتدريس وكان أول ما يتدنى به في مجلسه بمسجد الأنباريين القرآن الكريم، ثم كتب العلوم الأخرى من بعده^(١).

٢- أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بالأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي كان يجلس ليملي على طلابه في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى، فقد كان الأنباري، يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد في القرآن^(٢).

ولم يقتصر الأنباري على التعليم العام لطلاب المسلمين، بل كان يهتم بالتعليم الخاص أيضاً فقد كان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله يعلمهم^(٣).

- جامع البصرة:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، ولم يقتصر التدريس في ذلك المسجد على العلوم الدينية بل كانت العلوم اللغوية لها نصيب من التدريس بذلك المساجد، ومن أصحاب الحلقات بذلك المسجد:

١- أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بالفجج ت ٣٣٥ هـ الذي اتخذ من جامع البصرة مكاناً يلتقي فيه مع طلابه، ففي رواية: أبي محمد بن عبد الله بن بشران قال: كان الفجج يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه طلابه، ويقرؤوا عليه الشعر واللغة والمصنفات.

(١) معجم الأدياء ١/ ١٦٦، إنباء الرواد ١/ ١٧٦، الخطوب البخاري، مرجع سابق ٦/ ١٥٩، الكامل في التاريخ ٨/ ١٠٠.
(٢) معجم الأدياء ١/ ١٦٠، جوهر زبدان، مرجع سابق ٢/ ١٨٦، الزركلي، مرجع سابق ٦/ ٢٢٤.
(٣) جوهر زبدان، مرجع سابق ٢/ ١٨٦، الزركلي، مرجع سابق ٦/ ٢٢٤.

وكان العلماء يمتنعون عن الحضور إلى حلقات التعليم إذا لحقهم أذى من طلابهم، فقد امتنع المفجع من الجلوس مدة إلى طلابه، بسبب سب لحقه من بعض من حضره فخطب في ذلك، فقال: لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت^(١). ومنه نلاحظ أن تطبيق مبدأ الثواب والعقاب كان محققاً في ذلك القرن، فكان العلماء يعاقبون الطلاب المخطئين بحرمانهم من إلقاء العلم عليهم، بسبب سوء أخلاقهم وهو ما يحدث الآن في الوقت الحاضر عند إساءة الطلاب لأساتذتهم، فإنهم يعاقبون بمثل ذلك الحرمان.

وفي بغداد كانت حلقة أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي الملقب بالمقرئ، ت ٣٢٤ هـ التي كان يعلم تلاميذه القراءة والكتابة من خلالها، وقد قرأ في حلقة، نحو ثلاثمائة مصدر، وكان له في حلقة أربعة وشانون خليفة، يأخذون على الناس، وبذلك كان أبو بكر مؤدباً في أهل بغداد^(٢).

ومنه نلاحظ أن المعلم كان يتخذ لنفسه مساعدين (خلفاء) من بين تلاميذه وكانت مهمتهم مساعدة الطلاب والمتعلمين في توصيل أسئلتهم إلى المعلم، وكذلك ترتيب الجلوس.

- مسجد الجامع بالأندلس:

كان من المساجد التي قامت بدور تربوي في ذلك القرن، ففي ترجمة ياقوت (لأبي الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ قال: كان أبو زكريا يعلم في حلقة بالمسجد الجامع ببلدة من بلاد الأندلس^(٣).

(١) بغية الوعاة ص ١٣، الزركلي، مرجع سابق ٢٠٨ / ٥.
(٢) معجم الأدباء ٣٧ / ٢، معجم المؤلفين ١٨٨ / ٦، سير أعلام النبلاء ١٠ / ٦٦، الزركلي ٢٦٦ / ١.
(٣) نداء الزواجر ٢٥١ / ٢، الزركلي، مرجع سابق ٢٧٨ / ٤.

- المسجد الجامع بالكوفة:

كان من المساجد التي درس بها العلماء العلوم اللغوية لتلاميذهم في القرن الرابع، ومن أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسين علي بن عبد الله بن واصيف الملقب بالناشي الحلاء، ت ٣٦٥ هـ الذي اتخذ من هذا المسجد مؤسسة تربوية يعلم بها تلاميذه، ففي رواية الخال قال: حدثني أبو الحسين الناشي قال: كنت بالكوفة في سنة ٣٢٥ هـ، أمني شعري في المسجد الجامع بها، والناس يكتبونه عني، وكان المتني إذ ذاك يحضر وهو بعد لم يعرف ولم يلق بالمتني وكان للناشي قصائد كثيرة في أهل البيت يحفظها فأبلاها للمتلمين^(١).

- جامع المقياس بمصر:

كان من المساجد التي تعلم من خلالها الطلاب علم النحو، ومن العلماء أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو أسامة، جنادة بن محمد الهروي الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق المساجد التي كانت بمثابة أماكن للتعليم يلتقي بها العلماء مع طلابهم، فقد كان للهروي حلقة بمصر في جامع المقياس، يأخذ عنه أهلها علم النحو، وقد أخذ عنه أبو سهل الهروي^(٢).

- الجامع القديم بنيسابور:

كان من المساجد التي تعلم الطلاب من خلالها، فقد أورد ياقوت في ترجمة (أبي نصر، إسماعيل بن حماد، الملقب بالجوهر أو الغارابي ت ٤٠٠ هـ قال: اتخذ أبو نصر من الجامع القديم بنيسابور مكاناً للتعليم، يقصده الناس، وكان الجوهر يصعد مكاناً عالياً (مرتفعاً) للتمييز بين طلابه، ف رؤية المعلم أوقع في نفوس المتعلمين^(٣).

(١) معجم الأدياء ١٤٦ / ٤، معجم المؤلفين ١٤٢ / ٤، الزركلي، مرجع سابق ٣٠٤ / ٤.
(٢) معجم الأدياء ١٠٠ / ٢، ابن خلكان، مرجع سابق ١١٧ / ١، الزركلي، مرجع سابق ١٤٠ / ٢.
(٣) معجم الأدياء ٢٠٨ / ١، الثعالبي، مرجع سابق ٢٨٩ / ٤، الزركلي، مرجع سابق ٣١٣ / ١.

- الجامع المنيعي بنيسابور:

الذي اتخذته العلماء مكاناً للتعليم عن طريق حلقاتهم. ومن أصحاب الحلقات به - أبو إبراهيم، أسعد بن مسعود العتيق ت ٤٠٠ هـ كان يعقد حلقة بالجامع المنيعي يولي فيها على المتعلمين. وكان يحضر عنده المحدثون والأئمة، للأخذ عنه والتعلم^(١).
وهذه المساجد التي قامت بدور تعليمي نهوي في القرن الخامس الهجري:

- المسجد الجامع بواسط:

كان من المساجد التي ساهمت في تعليم الصبيان. فقد اتضح للباحث من استقراء التراجم، التي أوردها ياقوت في كتابه، أن الحلقات التي عقدت بالمساجد في القرن الخامس الهجري، كانت تتسع لحضور الصبيان لا سيما إذا كانت لديهم دافعية للعلم وأظهروا نبوغاً. فقد أورد ياقوت على لسان أبي إسحاق، إبراهيم بن سعيد الرقاعي ت ٤٢٢ هـ أنه قدم من بغداد إلى واسط وكان صبيّاً ذا فاقة (فقيراً)، فدخل إلى الجامع بها إلى حلقة (عبد الغفار الحسبي) فتلقن القرآن. ومع كتب اللغة والدواوين بها. وكان معاشه من أهل الحلقة^(٢).

- جامع عمرو بن العاص:

الذي تعلم من خلاله طلاب العلم فقد تعلم به أبي سهل الهروي ت ٤٢٣ هـ الذي سمع به في حلقة أبي عبيد الهروي، وأبي يعقوب البخيري. وأبي أسامة جنادة النحوي ومع تقدمه في العلم عن طريق حضوره حلقات العلماء، صنف كتاب شرح فصيح ثعلب سماه أسفار الفصيح. قال الزركلي: رأيته بخطه في خزانة مجلة المنهل بمكة^(٣).

(١) معجم الأدياء ١٧٧ / ٢، معجم المؤلفين ٢١٨ / ٢.

(٢) معجم الأدياء ١٠٩٨ / ١، تذكرة الحفاظ ٨٩ / ٦، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٩٢ / ٦.

(٣) معجم الأدياء ١٠٩٩ / ٥، التوفي بالوفيات ١٢٠ / ٩، والنزه الرواة ١٩٥ / ٣، الزركلي ٢٧٥ / ٦.

- جامع المعرفة:

الذي اتخذ المعري لتعليم تلاميذه ففي ترجمة ياقوت (لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ قال: رحل المعري إلى بغداد وأقام بها سنة وسبعة أشهر وكان يقوم بتعليم تلاميذه في مسجده، ففي رواية السمعاني قال: ذكر القريزي وهو من تلاميذ المعري قال: كان المعري في مسجده بمعة النعمان فدخلت عليه وجلست بين يديه أقرأ عليه شيئاً من تصانيفه^(١).

- الجامع الكبير بأصبهان:

الذي تعلم من خلاله الطلاب علم الحديث ومن هؤلاء الطلاب أحمد بن الفضل الباطرقاني ت ٤٦٠ هـ الذي سمع الحديث بالجامع الكبير من أبي عبد الله إسحاق بن خريشيد القاجر^(٢).

- جامع دمشق من المساجد التي قامت بدور تربوي تعليمي، وقد ذكر قتادة قوله: إن الله (تبارك وتعالى) أقسم بمساجد أربعة فقال: والذين (وهو مسجد دمشق بما به من شجر التين)، والزيتون (وهو مسجد بيت المقدس) وطور سين (وهو حيث كلم الله تعالى موسى عليه السلام)، والبلد الأمين (وهو مكة المكرمة)^(٣).

وهذه العلماء أصحاب الخلفاء في هذه المسجدين في ذلك الزمان:

- أبو بكر أحمد بن علي الملقب بالخطيب البغدادي ت ٤٦٧ هـ الذي انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، واهتم بإساع الحديث لغيره، فقد دخل بعض أكابر العلماء جامع دمشق، فرأى حلقة عظيمة للخطيب البغدادي، والمجلس غاص بطلاب العلم يسمعون منه الحديث^(٤).

(١) معجم الأدباء ١/ ٤١٠، سير النبلاء ١١/ ١٥٤، ابن العماد، مرجع سابق ٣/ ٢٨، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٤/ ٢١٠، الكافي في التاريخ ٩/ ٢٢٢، الزركلي، مرجع سابق ١/ ١٥٧.

(٢) معجم الأدباء ١٥٧/ ١، معجم المؤلفين ٩/ ٤٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٨٨، ابن العماد، مرجع سابق ٣/ ٣٠٨.

(٣) التبيين، مرجع سابق ٢/ ٢٧١.

(٤) معجم الأدباء ١/ ٤١٨، معجم المؤلفين ٩/ ٣، الزركلي، مرجع سابق ١/ ١٧٢.

وقد اتخذ الخطيب البغدادي حلقة أخرى له في جامع المنصور، يعلم من خلالها تلاميذه الحديث والفقه، غير أن الحنابلة آذوه لاختلاف مذهبه، مما جعله يعدل عن الفقه إلى الحديث، وقد كان جامع المنصور ببغداد يشبه جامعة كبيرة، فكان كل أستاذ نابغ يتمنى أن تكون له فيه حلقة، يصور ذلك ما يروى عن الخطيب البغدادي، أنه شرب من ماء زمزم وسأل الله تعالى أن يملئ على الطلاب بجامع المنصور، وقد تحققت له الأمنية فكانت له حلقة زاهرة بالطلاب في هذا الجامع^(١).

وكان الخطيب البغدادي يطلب من طلابه أن يحرصوا على الفهم والتفوق العلمي من خلال الدروس التي تلقى عليهم في حلقاته، ففي رواية أبو زكريا يحيى بن علي اللخوي قال: كانت للخطيب البغدادي حلقة كبيرة في جامع المنصور بكرة (صباح) كل يوم، يقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، وإذا مر شيء في كتابه يحتاج لإصلاح يصلحه، ويقول أنت تريد الرواية (السماع) وأنا أريد منك الدراية (الفهم والإحاطة)^(٢).

وكان العلماء يغضبون عندما يقاطعهم أحد أثناء الدرس في حلقات العلم، ولو كان ذلك بسبب المال الذي يستخدم في الإنفاق والتمويل، ففي رواية عمر النسوي قال كنت بجامع صور عند الخطيب البغدادي، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كفه دنانير، وقال له فلان يقول هذا تصرف في بعض مهماتك، فغضب الخطيب ونفض الدنانير على الأرض وخرج من المسجد^(٣).

ومما سبق نلاحظ أن بعض العلماء كان يعلم غيره من طلاب العلم بدون مقابل أي لا يأخذ أجرة على التعليم، بل يعلم حسبة لوجه الله تعالى، ويبتغي الأمر من الله.

(١) ابن خلّكان، مرجع سابق ١/ ٣٩، ٣٣، وتذكر الحفاظ ٣/ ٣١٢.
(٢) معجم الأئمة ١/ ٥٠٦، الوافي بالوفيات ٦/ ٨٥، ابن تقي بري، مرجع سابق ٥/ ٨٧.
(٣) ابن حجر، مرجع سابق ٨/ ٢٦٩.

- المسجد المعلق:

من مساجد دمشق قام بدور تربوي تعليمي، في تنشئة الطلاب علمياً، ففي ترجمة ياقوت (لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج الملقب بالقارئ ت ٥٠٠ هـ قال: رحل أبو محمد إلى مكة والشام ومصر، وفي رواية الحسن بن المتوكل قال: دخل الشيخ أبو سعد الوعاظ إلى المسجد المعلق وكان فيه الشيخ أبو محمد السراج، فالتقاء الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة وتعانقا، وجلسا يتذاكران في كل علم من العلوم^(١).

كما أن طالب العلم الذي يتأخر على حضور حلقات العلماء كانت تناله الندامة ففي رواية أبو الكرم الشهرزوري قال: كنت أقرأ على أبي محمد السراج فأنقطعت عنه مدة، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي فوائد كثيرة، فقصدته في مسجده المعلق، حتى أحصل منه علومه^(٢).

وهذه المساجد التي قامت بدور تعليمي تروي في القرن السادس الهجري:

- المسجد الجامع ببخارى:

كان ذلك المسجد من المساجد التي قامت بدور تعليمي في قرية مزانة ببخارى ومن العلماء الذين درسوا به عن طريق الوعاظ:

أبو الحسن علي بن عراق الصناري ت ٥٣٩ هـ الذي كان يعلم غيره بداخل المسجد الجامع بمزانة، وعليه تفقه الكثير من طلاب العلم، عن طريق الوعاظ فحفظوا عنه الشعر والعربية والقراءات^(٣).

- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل:

كان من المساجد التي تعلم بها الكثير من طلاب العلم، عن طريق حلقات العلماء ومن هؤلاء العلماء:

(١) مجمع الآداب ٢ / ٣٧٤، بغية الوعاة ص ٢٦٦، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ٢٢١.

(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١٩٢، بغية الوعاة ص ٣٢٤.

(٣) مجمع الآداب ٤ / ١٨٥، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٣١٢.

أبو الحسن علي بن خليفة المعروف بابن المتقي ت ٥٦٢ هـ الذي كان يجلس في ذلك المسجد، فتأدب عليه أكثر أهل عصره. من أهل الموصل. وقد ذكره النعماني بعدة مسميات، وذكر موقعه، وكيف تم بناؤه^(١).

- جامع القصير ببغداد:

كان من المساجد التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن، وقد عقدت بداخله حلقات لبعض العلماء، ومن أصحاب الحلقات به: أبي محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجوالقي ت ٥٧٥ هـ الذي قرّبه المقتفي لأمر الله العباسي، يقرأ عليه شيئاً من الكتب وانتفع به. وقد اهتم الجوالقي أيضاً بتعليم أهل بغداد عن طريق حلقة له بجامع القصير كان يقرأ فيها الأدب على أهل بغداد كل جمعة^(٢).

ومنّه نلاحظ أن الجوالقي اهتم بالتعليم الخاص الذي يتمثل في تعليم الأمراء والوزراء، وأبناءهم، والتعليم العام الذي يتمثل في تعليم أهل بغداد بصفة عامة، وكان يخص لكل منهما وقت.

ومن حلقات العلماء التي ظهرت من خلال المساجد في ذلك القرن حلقة أحمد بن محمد الميداني ت ٥٦٦ هـ، ففي ترجمة ياقوت (لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي ت ٥٦٥ هـ قال البيهقي: حضرت الدرس عن الميداني بحلقته وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه. وكتاب المصادر وكتاب المتحجل. وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد وكتاب صحاح اللغة للجوهري. ويقول البيهقي: اختلفت أيضاً إلى حلقة الإمام إبراهيم الخزاز المتكلم أفتيس منه نواذر علوم الكلام^(٣)).

(١) معجم الأدباء ١١١ / ٤، بحرة الوعاة من ٣٣٧، النعماني، مرجع سابق ٣١٥ / ٢.
(٢) معجم الأدباء ٣١٢ / ٢، معجم المؤلفين ٥٣ / ١٣، ابن خلكان، مرجع سابق ١٨٧ / ٢، تذكرة الحفاظ ٧٨ / ٤، الكامل في التاريخ ٤٠ / ١١، ابن العماد، مرجع سابق ١٢٧ / ٤.
(٣) معجم الأدباء ١١٤ / ٤، معجم المؤلفين ٩٦ / ٧، وسير النبلاء ٢٨٥ / ٢، الوافي بالوفيات ٧٠ / ١٢، الزركلي، مرجع سابق ٢٩٠ / ٤.

وقد استمرت حلقات العلماء بجامع عمرو بن العاص من القرن الخامس الهجري إلى القرن السادس الهجري ومن هذه الحلقات التي أوردها لياقوت في كتابه معجم الأدباء حلقة:

١- أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار المعروف بابن بري ت ٥٨٢ هـ الذي اتخذ من جامع عمرو بن العاص مؤسسة تربوية يعلم من خلالها فقد تصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكان طلابه متميزين بين غيرهم ممن استفادوا من غيره، ومع ذلك لم يترك ابن بري التصنيف، فله من الكتب كتاب الرد على ابن الخشاب، ذكر الزركلي أنه مطبوع انتصر فيه للحريري، وكتاب غلط الضعفاء من الفقهاء، قال الزركلي أنه مطبوع، وكتاب شرح شواهد الإيضاح في النحو، وله حواش على صحاح الجوهري، ذكر الزركلي أن كلاهما مخطوط^(١).

ومعه العلماء أصحاب الحلقات بجامع عمرو بن العاص في القرن السادس الهجري:

١- أبو الخير سلامة بن عبد الباقي الملقب بالضرير ت ٥٩٠ هـ بمصر الذي رحل إلى مصر وسكن بها و تصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو على أهلها^(٢).
ومعه مساجد مصر التي قامت بدور تربوي تعليمي في ذلك القرن:

- مسجد الأبي بقرية بهنسا:

الذي عقدت به حلقات العلماء، ومن هؤلاء العلماء (أبو العباس أحمد بن محمد الأبي ت ٥٩٨ هـ الذي أقام حلقة بمسجده يعلم فيها طلاب العلم، من أجل رزقه^(٣)) أي أن التعليم كان مقابل أجره يحصل عليها من هؤلاء المتعلمين .

(١) معجم الأدباء ١١٨ / ٣، ابن خلكان، مرجع سابق ٢٦٨ / ١، بغية الوعاة ص ٢٧٨، خزائن الأدب ٥٢٩ / ٢، الزركلي، مرجع سابق ٧٣ / ٤.

(٢) معجم الأدباء ٣٨٦ / ٣، نكت الهمدان.

(٣) أنه قرأه من قرى بهنسا بمصر، معجم البلدان ٥٣ / ١، معجم الأدباء ٣٩ / ٢.

- مسجد ابن الحاج بقنا:

يعتبر هذا المسجد من المساجد التي لعبت دوراً حيوياً في إحياء العلوم الدينية والعقلية عن طريق حلقات العلماء، التي كانت تعقد بداخله، ففي ترجمة ياقوت الحموي (لابن حيدرة شيث بن إبراهيم الملقب بضياء الدين والمعروف بابن الحاج القناوي ت ٥٩٨ هـ الذي مفيدا للناس في مسجد له بمحلة مفردة له ولأهله، تعرف بحارة ابن الحاج يجلس في مسجده يحدث ويدرس، ولذلك كان الملوك يعظمونه ويجلون قدره، لغزارة علمه^(١)).

- مسجد بني أمية بدمشق:

قام هذا المسجد بدور تعليمي تربيوي، في القرن السادس الهجري، عن طريق حلقات العلماء، التي عقدت بداخله، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بذي رعين ت ٥٩٧ هـ الذي سافر إلى حلب سنة ٥٦٣ هـ وسكن دمشق، وتقدم بها، وتصدر التعليم وأزدهم عليه الطلاب في حلقاته بمسجد بني أمية، وكان يدرسه الفقه على مذهب الحنابلة ثم انتقل إلى مذهب الحنفية، فتوغل فيه وأفتى به، وكانت له خزانة (مكتبة) كتب جليلة في جامع بني أمية، يعلم منها^(٢).

وقد كانت تعقد لذي رعين حلقات التعليم الخاص بمصر، فقد تتلمذ له من طلاب العلم فرح شاه ابن أخي صلاح الدين، وابنه الملك الأمجد صاحب بعلبك، وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائماً كتاب سيبويه متناً وشرحاً، وكتاب الإيضاح وكتاب الحماسة^(٣).

(١) معجم الأدباء ٤١١ / ٢، معجم المؤلفين ٣١١ / ٤، إنباء الرواة ٧٣ / ٢، الأنفوي، مرجع سابق ص ١٢٧، حسين المحاضرة ٢٥٨ / ١.
(٢) معجم الأدباء ٣٥٥ / ٢، إنباء الرواة ١٠ / ٢، خزانة الأدب ٥١٦ / ١.
(٣) الترغيب، مرجع سابق ٥٧ / ٣، ابن خلكان، مرجع سابق ١٥٦ / ١.

وقد ذكر النعمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) عدد من حلقات التعليم التي أقيمت بهذا المسجد، وقد رآها عن ياقوت لأن تواريخ الوفاة لعلماء هذه الحلقات متأخرة عن تاريخ وفاة ياقوت الحموي^(١).

- جامع البصرة:

هذه المساجد التي قامت بدور تروي في تعليم فقد تعلم بداخله هذه طلاب العلم:

- أبو الحسن علي بن الحسن العبدي المعروف بابن مقلّة ت ٥٩٩ هـ بالبصرة، الذي تعلم في حلقات (أبي إسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي، بجامع البصرة، عن طريق السماع منه، ومع نيوخ العبدي خرج لنفسه فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه، ثم جلس بجامع البصرة، فحدث بها، وأقرأ الناس الأدب^(٢).)
ومنه نلاحظ أن طالب العلم كان إذا تمكن من العلم الذي تعلمه عن شيخه يجلس في مجلس آخر ليحدث الناس بما تعلمه.

وهذه المساجد التي قامت بدور تروي في تعليم في القرن السابع الهجري:

- مسجد الخضّر بمصر:

الذي أقيمت به حلقات لبعض العلماء، لتعليم الطلاب، فقد ذكر ياقوت من بين هؤلاء العلماء:
- أبو الحسن علي بن الحسن الملقب بشميم الحلبي ت ٦٠١ هـ الذي كان يجلس في حجرة من المسجد وبين يديه جامدان مملوءان كتباً يعلم منها^(٣) (كل طالب حسب ما يرغب في تعلمه).

(١) النعمي، مرجع سابق ٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧.
(٢) معجم الأدباء ٤ / ٤٧، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، ليل الوفاة ٦ / ٢٤٢، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.
(٣) معجم الأدباء ٤ / ٢٨، معجم المؤلفين ٣ / ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٩٤.

- مسجد القرافة بمصر:

الذي اتخذهُ العلماء كمؤسسة تربوية لتعليم الطلاب، وقد زاره الباحث أثناء دراسته بجامعة الأزهر، وقد رأيت الكثير من كتب العلماء المخطوطة به، والتي يرجع بعضها إلى القرن الرابع والخامس الهجريين، وقد ذكر ياقوت من بين أصحاب الحلقات بهذا المسجد:

- أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ت ٦٤٣ هـ الذي اشتغل بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، وقد سكن مسجد القرافة، ملازماً للشيخ أبا القاسم الشاطلي، وقد قرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان السخاوي مهتماً بتعليم أولاد الأمير بن موسك^(١).

وقد انتقل إلى دمشق وصار له حلقة بجامع دمشق، يتردد إليه طلاب العلم للتأديب عليه، ومع ذلك لم يترك التصنيف، فقد صنف الكثير من الكتب والتي منها كتاب "جمال القراء" وكمال الإقراء" ذكر الزركلي أنه مخطوط في التجويد، وكتاب "هدية المرتاب" مطبوع يقع في منظومة شعرية في متشابه كلمات القرآن الكريم مرتبة على حروف المعجم وكتاب "المفضل" شرح فيه كتاب الزمخشري، وهو مخطوط يقع في أربعة أجزاء منه نسخة كتبت سنة ٦٣٢ هـ عليها إجازات بخط المؤلف مؤرخة سنة ٦٣٨ هـ في دار الكتب تصويراً عن أحمد الثالث برقم ٢١٥٨ كما في المخطوطات المصورة (١: ٢٩٧) وكتاب "شرح الشاطبية" وهو أول من شرحها، وكان سبب شهرتها وهو مخطوط، وكتاب "الكوكب الوقاد" قال الزركلي إنه مخطوط في أصول الدين، وكتاب "القصائد السبع" مخطوط، وكتاب منير الدياجي في شرح الأحاجي للزمخشري، يقول الزركلي: رأيت في خزانة محمد سرور الصبان بجدة، وعلى النسخة خط صاحب الترجمة^(٢).

(١) سخا: قرية من قرى مصر، معجم الأبناء ١ / ٣٦١، معجم المؤلفين ٧ / ٢٠٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٤٥، خزنة الأئمة ٢ / ٥٢٩.

(٢) السخا: مرجع سابق ٥ / ١٦٦، الزركلي: مرجع سابق ٤ / ٣٣٢.

ومنّه نلاحظ أن العلماء الذين عقدت لهم حلقات التعليم بالمساجد، لم يتركوا التصنيف والتأليف للكتب، وإنّما جمعوا بين التعليم لطلاب العلم، وبين تأليف الكتب. وكان علماء القرن السادس والسابع الهجريين، يترددون بين المساجد لعقد حلقات التعليم، فقد ذكر ياقوت الحموي في ترجمة (أبي الحسن علي بن زيد البيهقي) ٥٦٥ هـ أنه كان يتردد بين المساجد لحضور حلقات تعليم الطلاب ونقل العلوم إلى المتعلمين حيث يقول: خرجت إلى نيسابور فأكرمني أكابرها، فكنت أعقد المجلس بجامع نيسابور القديم يوم الجمعة، ويوم الأربعاء تعقد حلقتي في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج وكانت تغد علي وفود المتعلمين في كل حلقة منهم^(١).

والخلاصة:

التي نخرج بها من خلال عرض ياقوت الحموي لحلقات العلماء والمساجد التي عقدت بداخلها هذه الحلقات، أن المساجد عرفت بالأماكن العامة للتعليم لأنها كانت مفتوحة للجميع على اعتبار أنها أماكن للعبادة، وأن التعليم فيها كان مباحاً لمن أراد، وفي أي وقت شاء، دون قيود أو شروط مفروضة، وكان التعليم في المساجد مرتبطاً بالفكر الإسلامي ولذلك كان التركيز أولاً على العلوم الدينية، ثم العلوم اللغوية، المساعدة، وقد عقدت حلقات التدريس في المساجد وجعلها الفقهاء والعلماء لتفقيه الناس في أمور دينهم وديناهم، وهذا يتفق مع تعاليم الإسلام، الذي يعمل على تنظيم الحياتين (الدنيا والآخرة) وهذا ما يوضحه القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وهنا يبدو أن التعليم الإسلامي مرتبطاً بالدين والدنيا معاً، وبهذا المعنى نلاحظ أن الحركة العلمية ظلت ناشطة في الدول الإسلامية فكان الصبية والناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد، حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين

(١) معجم الأدباء ١١٦ / ٤، معجم المؤلفين ٩٦ / ٧، سير أعلام النبلاء ٢٨٤ / ٢، التوفيق والتوفيق ١٢ / ٦٨، الأذكار، مرجع سابق ١ / ٢٩٠.

والمؤرخين، ومن يشددين بعض علوم الأوائل، فكانت المساجد في بغداد تحل محل التعليم الثانوي بل والجامعات في عصرنا الحاضر، وكذا مساجد البصرة والموصل ودمشق ومصر وغيرهم من البلدان الإسلامية، وكان الأستاذ (الشيخ) عادة يجلس إلى أحد أعمدة المسجد مستنداً إليه، ومتجهاً إلى القبلة، وقد يجلس على مقعد عال ويجلس الطلاب من حوله على شكل دائرة، وكان الشيخ يملئ على الطلاب محاضراته، وهم يكتبون وإذا تكاثروا اتحد الشيخ مستملياً يردد كلامه، حتى تسمعه الصفوف الخلفية، وكان الشيخ أو المحاضر يعيد أحياناً ما ألفه على طلابه، مضيفاً إليه بعض التصحيحات والزيادات وبها نشرة تلاميذه^(١).

وكان بعض الشيوخ لا يملون مؤلفاتهم بل يشرحون بعض كتب مشهورة لطلاب العلم، وقد يعمدون إلى إملاء شروح لهم على بعض المختصرات، وقد تشرح الشروح بما يسمى حاشية، وقد نوضع على الحواشي ملاحظات تسمى تقارير^(٢). كما نلاحظ أن ما شاع من أن الحركة العلمية في بغداد خمدت خموداً تاماً بعد الغزو التتاري غير صحيح، فقد استعادت بغداد نشاطها العلمي منذ دخول التتار في الإسلام، وذلك عن طريق مساجدها التي من أهمها: جامع الخليفة، وجامع القصر وغيرهما من المساجد.

وربما كانت المساجد في المدن الإسلامية، أهم من المدارس في نشر العلم، فقد كانت أبوابها مفتوحة دائماً لكل قاصد، وكان الناس من مختلف المهن والصناعات والحرف يختلغون إلى حلقات الشيوخ فيها ينهلون ما شاء لهم أن ينهلوا مما جعل العلم بحق شعبياً للجميع أفراد الشعب، يصيبون منه ما يوافق أمزجتهم وميولهم، فكثيراً ما كان يحدث أن يشعر صاحب مهنة أو تجارة بقصوره في علم من العلوم، فإذا هو يترك مهنته أو تجارته

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٢، ٣٣، ابن تيمزي بردي، مرجع سابق ٥ / ٨٧، تذكرة المطابع ٣ / ٣١٢.

ويتفرغ للعلم الذي يريده حتى يصبح من أقطابه، وقد تحدث ابن خلكان، وياقوت كثيراً عن ذلك.

وقد اقتصر الباحث على إيراد المساجد التي تحدث عنها ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأدباء)، ولم يستدرك الباحث على المساجد التي كان لها دوراً تربوياً وقد أغفلها ياقوت مثل الجامع الأزهر في مصر ودوره في نشر العلم، وكذلك مسجد أحمد بن طولون وغيرهما من مساجد المدن الإسلامية ذات الدور الحيوي في التعليم. وهذه المساجد التي تحدث عنها الباحث هي خلال هذه الدراسة:

- مساجد المدينة وتشمل:

١- مسجد المدينة.

٢- مسجد السبيع.

- مساجد الكوفة ومنها: المسجد الجامع بالكوفة.

- مساجد بغداد وتشمل:

١- مسجد ابن رعيان.

٢- مسجد الكسائي.

٣- المسجد الجامع.

٤- جامع المعرة.

٥- جامع القصر.

٦- جامع الخليفة.

- مساجد دمشق ومنها:

١- مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام.

٢- مسجد بني علان.

٣- مسجد أبو بكر هشام بن معاوية الضريع.

- ٤ - مسجد الطبري.
- ٥ - جامع بني أمية.
- ٦ - جامع المنصور.
- ٧ - المسجد المعلق.
- ٨ - مسجد بني أمية.
- مساجد البصرة ومنها: جامع البصرة.
- مساجد نيسابور ومنها:
 - ١ - الجامع القديم.
 - ٢ - الجامع المنيعي.
- مساجد مصر ومنها:
 - ١ - جامع المقياس.
 - ٢ - جامع عمرو بن العاص.
 - ٣ - مسجد الأبي بقرية البهنسا.
 - ٤ - مسجد ابن الحاج بقنا.
 - ٥ - مسجد الخضر.
 - ٦ - مسجد القرافة.
- مسجد الجامع بالأندلس.
- المسجد الجامع بواسط.
- الجامع الكبير بأصديهان.
- المسجد الجامع ببخارى.
- مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل.

ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم إزدهاراً وطلاباً كانت حلقات الفقهاء والمحدثين، ونلاحظ أن بعض العلماء كانوا يحصلون على أجره مقابل تعليم الطلاب، وكان البعض من العلماء يأبى أن يأخذ أجره على التعليم فكانوا يعملون حسبة.

تقياً: الكتاب (الكتاتيب)

كان التعليم السائد في الكتاتيب تعليمًا دينيًا للصغار، بدور كله حول القرآن الكريم وما يتصل به مضافاً إليه قليل من الحساب، وقد ساعد ذلك أن الحركة العلمية ظلت ناشطة خلال القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت، وذلك قبل الغز التتاري، وبعد دخولهم في الإسلام فقد " كان الكتاب للصبية يتعلمون فيها القراءة وشيئاً من الحساب وكان الصبي لا يبلغ التاسعة إلا وقد حفظ القرآن، واستظهر حفظه، وكان الصبي يحفظ بعض مقامات بديع الزمان الهمذاني، والتي حلت محلها منذ أوائل القرن الخامس الهجري مقامات الحريري، وكان يستظهر أيضاً بعض قصائد الشعراء المشهورين، وخاصة أبي تمام والبحتري والمثنوي، وكان الناشئة يتحولون من الكتاتيب إلى المساجد حيث حلقات العلماء من القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين واللغويين والنحويين والمؤرخين ومن يشدون بعض علوم الأوائل^(١)، وإن كان منهج الكتاب يختلف من قطر إلى آخر من الأقطار الإسلامية، ومما لا شك فيه فإن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تلك القرون الهجرية التي أرخ لها ياقوت.

ففي القرن الأول الهجري والقرن الثاني قامت الكتاتيب بدور تربوي في تعليم الأطفال، ومن العلماء الذين عملوا في تلك الكتاتيب:

(شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي من ٢٧٦.

- أبو القاسم الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ت ١٠٥ هـ الذي كان يعلم الصبيان من خلال الكتاتيب، فقد كان أبو القاسم البلخي يعلم (يؤدب) الصبيان فقد كان في مكتبته ثلاثة آلاف صبي. وكان يطوف عليهم وهو على حمار^(١).

ومنه نلاحظ أننا لطلاب كانوا يتراحمون على الكتاتيب للاقتباس من العلماء وترك الجهل والامية. ومن الطلاب الذين أصبحوا علماء في الكثير من أنواع العلوم عن طريق الكتاتيب:

- أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ الذي تعلم في الكتاتيب عن طريق الحفظ. ففي رواية يحيى بن زكريا النيسابوري عن الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: كنت وأنا في الكتاتيب، أسمع المعلم يلقين الصبي الآية فأحفظها^(٢).

وفي القرن الثالث الهجري كان لأبي جعفر محمد بن حبيب ت ٢٤٥ هـ كتاب تعلم فيه ولد العباس بن محمد^(٣).

وفي القرن الرابع الهجري لم يكن التعليم في الكتاب قاصراً على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة حيث أورد لياقوت فكتابه "معجم الأدباء" في ترجمة أبي الطيب محمد بن أحمد الملقب بالوشاء ت ٣٢٥ هـ أنه كان من أهل الأدب والعلم ويعلم غيره من العامة ففي رواية ابن التديم قال: كان أبو الطيب نحوياً معلماً لمكتب العامة وكان يعرف بينهم بآين الأعراب^(٤).

(١) معجم الأدباء ٤٦٦ / ٣، معجم المؤلفين ٢٧ / ٥، شعر ١٢٤ / ١، تهذيب التهذيب ٤٥٣ / ٤، الأركل ٢١٥ / ٣، سير أعلام النبلاء ١٦٥ / ٧، ابن تقي برقي، مرجع سابق ١٧٧ / ٢.

(٢) معجم الأدباء ١٦٦ / ٥، ابن حنكلان، مرجع سابق ٥٦٥ / ١، سير أعلام النبلاء ١٦٥ / ٧، ابن تقي برقي، مرجع سابق ١٧٧ / ٢.

(٣) معجم الأدباء ٢٨٦ / ٥، معجم المؤلفين ١٧١ / ٩.

(٤) معجم الأدباء ٨٩ / ٥، معجم المؤلفين ٤١ / ٩، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٢٥٣ / ١.

وهه علماء القره السادس الذين تعلموا في الكتاب:

- أبو الحسن علي بن زيد الملقب بالبیهقي ت ٥٦٥ هـ الذي تعلم من خلال تروده على الكتاتيب حيث يقول: أسلمني أبي ببلدة السابزوار إلى الكتاب ثم خرجت معه إلى ناحية ضباع له فحفظت في الصبا الكثير، ثم حضرت في عام ٥١٤ هـ إلى كتاب أبي جعفر المقرئ إمام الجامع القديم، وحفظت فكتابه كتاب تاج المصادر تصنيفه^(١) ومنه نلاحظ أن الكتاتيب كان لها دور تربوي بارز في تعليم في الصبيان، وكان العلماء يهتمون بالطرق التربوية السائدة آنذاك، وهي طرق تقليدية، فكان شيخ الكتاب يهتم بتحفيظ الصبيان واستظهارهم لما حفظوه من كتب الشيخ أو غيره من العلماء.

والخلاصة:

من خلال العرض السابق الذي أورده لياقوت فكتابه "معجم الأدباء"، لاحظنا أن الكتاتيب قامت بدور تربوي تعليمي في تعليم الصبيان سواء أكان هؤلاء الصبية من عامة أبناء المجتمع، أم أبناء طبقة خاصة من أبناء الأمراء والوزراء، وهو ما نطلق عليه التعليم الخاص، وفي كل كانت الكتاتيب تهتم بالعلوم الدينية من حفظ القرآن الكريم، أو كتب التفسير أو القراءات، وأحياناً كتب الحديث والأدب والشعر، وشيئاً من الحساب. وفي بعض الأحيان كان الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية فقط، بل كان يضم إليهم بعض العامة، وبالرغم من هذا الدور التربوي الذي تقدمه الكتاتيب إلا أن الناحية يرى أن هذا التعليم كان ينتج طبقة محدودة الأفق من جهة الثقافة العامة ولكنها مهذبة ومتحلبة بالأخلاق الإسلامية، فترى الذي تعلم في الكتاب يعامل الناس بصدق وأمانة ويحفظ الكلمة التي يرتبط بها.

(١) معجم الأدباء ١/ ٤، ١١٤، الوافي بالوفيات ١٦ / ٦٩، سیر اعلام النبلاء ٢ / ٢٨٥.

ثالثاً: المدارس

من المؤسسات النظامية التربوية، التي قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم ولم تؤسس المدارس المستقلة الخاصة بالتدريس على النحو الذي نعهده اليوم إلا في زمن متأخر جداً. فقد كانت المساجد تقوم بهذا الدور التربوي في التعليم، ويكاد، مؤرخو المسلمين يجمعون على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري (والمدارس التي سبقت ذلك التاريخ إنما هي مدارس نشأها بعض العلماء وعرفت بهم) وقد اقتدى السلاطين والأمراء بنظام الملك في تأسيس المدارس المجانية في أنحاء البلدان الإسلامية، فامتلات بها دمشق وحلب وحمص وبعليك وغيرها من بلاد الشام، وبلاد الأندلس، ثم مصر والإسكندرية فقد ضمت القاهرة عدداً من المدارس التاريخية التي اهتم ولاة مصر وأمراؤها على مرجع سابق التاريخ بإنشائها وإعدادها بالعلمين وفقهاء الدين والعلم وأوقفوا عليها الهبات والأوقاف ورتبوا لتلاميذها وأساتذتها الرواتب الشهرية والكسوة الشهرية^(١).

وقد تحدث ياقوت الحموي في كتابه " معجم الأدباء " عن الكثير من هذه الأماكن التعليمية (المدارس) فذكر من بين أهم هذه المدارس في القرن الخامس الهجري:

- مدرس ابن أب بالطيب (الطيبة):

أنشئت هذه المدرسة داخل دمشق، وقد درس بها الكثير من العلماء، ذكر ياقوت من بينهم (علي بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب ت ٤٥٨ هـ الذي كانت تعرف باسمه، وقد أنشأها سنة ٤١٠ هـ وأثرها باقٍ إلى الآن، وكان له تلاميذ كثيرون يلي عليهم من حفظه، وذكر النعيمي من بين العلماء الذين دروا بها (الخطيب أبو العباس الغراري) ودرس بها (أبي يحيى زكريا بن يوسف البجلي الشافعي) ودرس بها (تاج

(١) حسن الرزاز، عوالم مصر الإسلامية، (مطبوعات دار الشعب، د. ت.) من ٢٧٩ - ٢٨٩.

الدين أحمد بن القاضي بن الشهيد) ومن طلابها (أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين) (١).

- المدرسة البهبهنية:

كانت من بين المدارس التي أنشئت في ذلك القرن، ومن العلماء الذين درسوا بها أبي صالح أحمد بن عبد الله الملقب بالمؤذن الفيسابوري ت ٤٧٠ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة سنين احتساباً (بدون أجر) (٢).

- المدرسة النظامية ببغداد:

أسسها الوزير نظام الملك مدير الحكم في زمن ألب أرسلان السلجوقي، ويعتبر هذا الوزير هو المصلح الكبير الذي عني بإنشاء هذه المدرسة ببغداد وطائفة أخرى من المدارس في مختلف البلدان الإسلامية، بهدف محاربة الطائفة الإسماعيلية ونشر المذهب الشافعي في الفقه، ومذهب الأشعري في علم الكلام، وقد بنى هذه المدرسة في العراق على شاطئ دجلة سنة ٤٥٧ هـ ورتب فيها العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية، ووقف عليها أوقافاً كثيرة وبنى فيها مساكن للأساتذة، وجعل لهم رواتب ثابتة، كما جعل لطلابها نفقات معيشية والحق بها مكتبات نفيسة، وكان فيها أساتذة مختلفون يحاضرون في علوم الحديث والتفسير واللغة والرياضيات والأدب، وقد تخرج منها جماعة من فحول العلماء (٣).

وقد ذكر ياقوت هذه علماء هذه المدرسة الذين درسوا بها الكثير من أنواع العلم:

- أبو عبد الله سليمان بن عبد الله الملقب بالحلواني ت ٤٧٥ هـ الذي درس بالنظامية علم الحديث وقرأ عليه تلاميذه النحو واللغة (٤). ومن أساتذة هذه المدرسة:

(١) معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، الزركلي، مرجع سابق ٣٠٤ / ٤، النجاشي، مرجع سابق ٣٣٧ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٤٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٠٦ / ٥، معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٤٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٠٦ / ٥.

(٢) معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ٣٠٤ / ٤، النجاشي، مرجع سابق ٣٣٧ / ١، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٤٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٠٦ / ٥.

(٣) معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ٣٠٤ / ٤، النجاشي، مرجع سابق ٣٣٧ / ١، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٤٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٠٦ / ٥.

(٤) معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ٣٠٤ / ٤، النجاشي، مرجع سابق ٣٣٧ / ١، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، معجم الأدياء ٤٦٣ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٤٣ / ١، السيوطي، مرجع سابق ١٥٥ / ٢، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١٠٦ / ٥.

أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي ت ٥٠٥ هـ الذي كان شيخاً يشار إليه بالبنان، وأكسب الطلاب على دروسه، وأخذت شهرته تطبق الآفاق، فعينه نظام الملك أستاذاً للفقهاء الشافعي في النظامية، وقد جمع بين التدريس والتصنيف فله كتاب إحياء علوم الدين مطبوع في أربعة أجزاء، وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك، مطبوع، وقد ترجم من الفارسية إلى العربية^(١).

وهه هؤلاء الأساتذة نذكرهم على سبيل الحصر ده الإيضاح:

- محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الصباغ ت ٤٧٧ هـ، وعبد الرحمن بن محمد النيسابوري المعروف بالمقولي ت ٤٧٨ هـ، وعلي بن زيد الديوسي ت ٤٨٢ هـ وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ت ٤٩٦ هـ، ويحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي ت ٥٠٢ هـ، وعلي بن محمد الطبري ت ٥٠٤ هـ، ومحمد بن أحمد القفال الشاشي ت ٥٠٨ هـ، وعلي بن محمد الأسترايادي ت ٥١٦ هـ، وأحمد بن علي المعروف بابن البرهان ت ٥٢٠ هـ، وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ت ٥٢٠ هـ، وأبو سعيد المروزي ت ٥٢٧ هـ^(٢)، ويوسف بن أيوب الهمداني ت ٥٢٥ هـ، وموهوب بن أحمد الجواليقي ت ٥٢٩ هـ، وسعيد بن محمد البغدادي المعروف بالرزاز ت ٥٢٩ هـ، ومحمد بن عبد اللطيف الواعظ ت ٥٥٢ هـ، وعبد القاهر بن عبد الله السهروردي ت ٥٦٢ هـ، والمبارك بن المبارك الكرخي ت ٥٨٥ هـ، وأسعد بن نصر النحوي ت ٥٨٩ هـ، ومحمود بن المبارك الواسطي ت ٥٩٢ هـ، ويحيى بن الربيع العمري الواسطي ت ٦٠٦ هـ، وأبو العباس أحمد بن هبة الله المخزومي ت ٦١١ هـ^(٣)، كان من فقهاء المدرسة النظامية، وله يد في العربية والنحو، ونحو خاطر وقاد^(٤).

(١) معجم المؤلفين ١١ / ٢٩٦، السبكي، مرجع سابق ٤ / ١٠١، اللباب ٢ / ١٧٠، الزركلي، مرجع سابق ٧ / ٢٢.

جولعي، زبدان، مرجع سابق ٣ / ٩٧.

(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١ - ٤٦.

(٣) جولعي، ربوع التربية والتعليم، ص ١٢٨، معجم الأدباء ٥ / ٤٢٠.

(٤) معجم الأدباء ٩ / ٤٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤١٤.

ومنه نلاحظ أن ياقوت حرص على ذكر صفات العلماء عامة وأسائنة المدرسة النظامية خاصة، ومن هذه الصفات خلق الذهن من الأفكار والمشاكل التي تعوق دور العقل في القيام بمهامه العلمية، وقد ذاع صيت العلماء في كافة أنحاء الأمة الإسلامية يمثل هذه الصفات، مما جعل الطلاب يقصدونهم من كل فج عميق، ويقطعون إليهم المسافات ويطلون البعد أشهر من أجل الالتحاق يمثل هذه المدرسة للاستفادة من علم علمائها والتخلق بأخلاقهم.

ومم أسائنة هذه المدرسة أيضاً:

- أبو بكر المبارك بن المبارك الدهان الملقب بالوجيه ت ٦١٢ هـ الذي تولى تدريس النحو بالمدرسة النظامية سنين، فقد كان يخصص لكل مادة أستاذ، وكان الوجيه يحسن التركية والفارسية والحيشية والزنجية بما يتشابه مع ترجمان العصر الحديث.
- يحيى بن القاسم التكريتي ت ٦١٦ هـ ومحمد بن يحيى بن فضال ت ٦٣١ هـ^(١)
- تلاميذ المدرسة النظامية ببغداد:

لعبت المدرسة النظامية ببغداد دوراً حيوياً منذ تم إنشائها، ومنذ فتحت أبوابها لتلقي طلاب العلم، وقد تخرج فيها الكثير من مشاهير العلماء والأدباء الذين جاء في سيرهم أنهم تعلموا في النظامية، وقد أثروا الفكر العربي بالكثير من أمهات الكتب التي تعد مراجع لكل طالب وباحث يغترف من معينها ويتزود من أفكارها، بما يساعد على إبراز جيل جديد من العلماء والمفكرين، يحذون حذو شيوخهم وعلمائهم في سلسلة متشابكة الدوائر والحلقات.

ومم هؤلاء الطلاب الذين تعلموا بالمدرسة النظامية ببغداد:

- إبراهيم بن يحيى الغزي الشاعر ت ٥٢٣ هـ، وأبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ت ٥٧١ هـ الذي دخل بغداد وسمع الدرس بالنظامية، مدة مقامه ببغداد وقد

(١) معجم الأدباء ٤١ / ٥، بغية الوعاة ص ٣٥٨، نكت الهميان ص ٢٢٣، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٤٤٤.

علق (استوضح وشرح) مسائل الخلاف على الشيخ (أبي سعيد إسماعيل بن أبي صالح الكرمانی) وانتفع بصحبة جده الفضل في النحو واللغة، وقد ذكر ياقوت أن ابن عساكر لم يقتصر في تعلمه على الرجال فقط بل شاركهم النساء في ذلك حيث يقول أنه أخذ عن بضع وثمانين امرأة، ولم يترك ابن عساكر التأليف فقد صنف كتاب تاريخ مدينة دمشق مطبوع في شاذين جزءاً واختصره الشيخ (عبد القادر زبدان) بحذف الأسانيد المكررة وسماه تهذيب تاريخ ابن عساكر، ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة وله كتاب الإشراف على معرفة الأطراف ذكر الزركلي أنه مخطوط في الحديث يقع في ثلاثة مجلدات (١).

ومن هؤلاء الطلاب:

- أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٦ هـ (٢).
- عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني المعروف بابن العماد الكاتب ت ٥٩٧ هـ الذي وفد إلى بغداد حدثاً، فتأدب وتغقه بالمدرسة النظامية، على أسعد المهيني وأبي منصور الرزاق، وأبي منصور بن خيرون، وأبي القاسم بن الصباغ، وقد رجع إلى أصفهان وبرز في العلوم، فسمع بها وقرأ الخلاف على أبي المعالي الوركاني (٣).

- المدرسة العمادية:

التي فوض التدريس بها إلى العماد الأصفهاني، ببغداد، وقال ابن خلكان: لم ينزل العماد على مكانته إلى أن توفي الملك صلاح الدين، فاختلت أحواله، فلزم بيته وأقبل على التدريس والتصنيف، ومن مؤلفاته كتاب خريدة القصر مطبوع في

(١) معجم الأدياء ٤ / ٤٦، معجم المؤلفين ٧ / ٦٩، تذكرة الحفاظ ٤ / ١١٨، السبكي، مرجع سابق ٤ / ٢٧١ الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٣.
(٢) ابن خلكان، مرجع سابق ٣ / ٣٠٩.
(٣) معجم الأدياء ٥ / ١٢٠، معجم المؤلفين ١١ / ٢٠٤، جورج زبدان، مرجع سابق ٣ / ٦١.

مجلدات، وكتاب البرق الشامي مخطوط يقع في سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وقتوحه، وكتاب السيل على الذيل في ثلاثة مجلدات في تاريخ بغداد، جعله ذيلاً على ذيل ابن السمعاني، وكتاب نصرة الفترة وعصرة الغطرة في أخبار الدولة السلجوقية، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه كتاب زبدة النصرة ونخبة العصرة مطبوع يعرف بتواريخ آل سلجوق وله كتاب البستان مخطوط في التاريخ^(١).

- المدرسة القاجية ببغداد:

وهي المعروفة قديماً بمدرسة ابن سنان، والآن تعرف بالسلاوية، وقد بناها أبو الغنائم الملقب بتاج الملك سنة ٤٨٠ هـ لكي يضيافي بها المدرسة النظامية ببغداد^(٢).

ومن الشيوخ الذين درسوا بها:

- أبو اليمن زيد بن الحسن الملقب بتاج الدين الكندي ت ٦١٣ هـ وكنا شيخاً للحنفية والقراء والنحاة ومسنّد العصر، فقد فاق أهل الأرض إسناداً في القراءات، وقد ازدحم الطلبة عليه بالمدرسة القاجية، وكان حنبلياً فصار حنفيّاً وتقدم في مذهب أبي حنيفة (رضي الله عنه) وبها أفتى ودرس وصنف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر وكان صحيح السماع، ثقة في النقل، ولم يقتصر فتعليمه على العامة فقط، وإنما اهتم بالتعليم الخاص لأبناء الأمراء فقد استعمل عليه فروخشاه وابنه الملك الأمجد، ثم تردّد إليه بدمشق الملك الأفضل وأخوه الملك المحسن، وقد وقف كتبه على تلميذه ياقوت، ثم على ولده من بعده، ثم على العلماء في الحديث والفقه، غير أن هذه الكتب تفرقت وبيع الكثير منها^(٣).

وأخذ بعض المؤسرين بهذا المنهج أي يعنون ببناء المدارس فابتنى المستوفي الخوارزمي (وكان متعصباً لأبي حنيفة) المدرسة الكبيرة بباب الطاق ببغداد، وأخذت

(١) النجاشي، مرجع سابق ١/ ٤٠٦ - ٤٠٩، ابن تقي الدين، مرجع سابق ٦/ ١٢٨، الزركلي، مرجع سابق ٧/ ٢٦.

(٢) ابن تقي الدين، مرجع سابق ٥/ ١٢٥، السبكي، مرجع سابق ١/ ٢١٣.

(٣) النجاشي، مرجع سابق ١/ ٤٨٣ - ٤٨٦.

المدارس تتكاثر في بغداد حتى رآها (محمد بن أحمد بن جدير الكنتاني ت ٦١٤ هـ) في سنة ٥٨٠ و ٥٨١ هـ فقال: إن ببغداد ثلاثين مدرسة، وما منها مدرسة إلا ويقصر الوصف البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، وهذه المدارس أوقاف عظيمة محبوسة تصير إلى الفقهاء المدرسين بها، وكانت المدرسة النظامية ببغداد أشبه بجامعة كبيرة، ولذلك يتوقف ياقوت وابن خلكان في وفيات الأعيان، وكذا المؤرخون ليقولوا إن هذا الشيخ أو ذاك درس في النظامية سواء في نظامية البصرة، أو نظامية الموصل، أو نظامية بلخ^(١).

- المدرسة القاهرية بدمشق:

وهي المشهورة الآن بالخانقاه^(٢).

- المدرسة الأتابكية بدمشق:

أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك^(٣).

- المدرسة النورية بدمشق:

وقد بناها (نور الدين محمود) كدار للحديث، وهو أول من بنى داراً للحديث وقد توفي سنة ٥٦٩ هـ، وقد تولى مشيختها الحافظ الكبير (أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي الشافعي ت ٥٧١ هـ) وهو إمام أهل الحديث في زمانه وحامل لواءهم فقد أجاز له عامة مشايخ خراسان الذين لقيهم، فكان محدثاً فهما ثقة، حسن المعرفة شديد الورع كريم النفس، ذا أنسة لمن يقرأ عليه^(٤).

- المدرسة العزية (البرانية والجوانية) بدمشق:

بناها الأمير عز الدين المعروف بصاحب صرخه، وأول من ذكرها الدرس (شمس الدين بن قنوس) ثم من بعده (فخر الدين بن الصلاح) ثم درس بعده (شمس الدين

(١) ابن العسك، مرجع سابق ١٢٥ / ٥، الزركلي، مرجع سابق ٣١٩ / ٥، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١.

(٢) الشعيبي، مرجع سابق ٥٦٩ / ١.

(٣) مرجع السابق، ١٢٩ / ١.

(٤) معجم الأدباء ١١ / ٤، معجم المؤلفين ٦٩ / ٧، النجاشي، مرجع سابق ٩٩ / ١ - ١٠٢.

يوسف سبط الجوزي) ثم تولاهما بعده الشيخ برهان الدين محمد بن علي بن سفيان الترمذي^(١).

- المدرسة البدرية بالموصل:

بانيها الأمير بدر الدين بلال، وذكر بها الدرس (شمس الدين سبط ابن الجوزي ومن بعده علي بن عبد الله بن عتيق الوزير عون الدين الحنيلي، ثم أبو المظفر الحنفي البغدادي دمشقي وأمه رابعة بنت الشيخ جمال الدين بن الجوزي الواعظ^(٢)). وقد ذكر ابن خلكان أن هذه المدارس بنيت بجوار المدرسة النظامية حتى تقوم بتعليم أهل هذه البلدان. وكانت هذه المدارس قد أقيمت بدمشق والموصل. كما بنيت مدارس كثيرة في المدن العراقية الأخرى، ذكر منها ابن خلكان في إربل ثلاثة هي: المظفرية والقلعة، والعقيلية^(٣).

- المدرسة المستنصرية ببغداد:

بناها الخليفة المستنصر ببغداد، وهي من المدارس العالية التي تضاهي اليوم الجامعات وهي أكبر وأحدث من النظامية ببغداد، وكانت وقفا على أصحاب المذاهب الأربعة، بخلاف النظامية التي كانت للشافعية فقط، مما أثر في انحطاطها شيئا فشيئا حتى زال بناؤها، وكانت المستنصرية على أربعة أقسام: قسم للشافعية، وآخر للحنفية وثالث للحنابلة، ورابع للمالكية، ورتب في المستنصرية موظفون بجانب الناظر وكذا فراشين ومزين وطباخ وخزانة للديوان^(٤). وكانت تراعى في اختيار المدرس بالمستنصرية شروطا منها: الأخلاق والسمعة الحسنة والعلم الوافر والصحة في المذهب والاعتقاد، وكان لكل مدرس معبد أرقى درجة من

(١) المرجع السابق ١ / ٥٥٠ - ٥٥٤.

(٢) النعيمي، مرجع سابق ١ / ٤٧٧ - ٤٧٨.

(٣) ابن خلكان، مرجع سابق ٥ / ٣١١ - ٧ / ٨٧ - ٣٢٨.

(٤) ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، الطبعة الثالثة، الجزء الأول (القاهرة: دار الشعب، ١٩٧٦) ص ٥٧.

عامّة الطلبة وكانت مهمته أن يعيد الدروس بعد إلقاء المدرس المحاضر على الطلبة. وكان الطالب المجد الذي يجد فيه الأستاذ كفاءة يعين معيدا، وكثيرا من هؤلاء المعيدون رقاوا إلى درجة مدرسين، وكان المدرس على كرسيه عند التدريس، وكان بعض المدرسين يجمعون بين التدريس وبعض الوظائف الأخرى، غير أنهم كانوا يتخيرون من بين كبار المدرسين والشيوخ في العراق والشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية، ممن حصلوا على إسناد عال أو انتهت إليهم رئاسة العلم، أو عرضوا بالبحث والتحري عن الحقائق العلمية في البلاد التي رحلوا إليها، وبما ألفوا من الكتب القيمة التي ما تزال تعد من المصادر العظيمة للثقافة الإسلامية، والدلالة على الجو العلمي الذي امتازت به المستنصرية أن بعض المدرسين كانوا ينقلون أحيانا من التدريس في المدارس الأخرى إلى الإعانة بها، وأن بعض المعيدون فيها كانوا يعينون مدرسين في غيرها من المدارس^(١).

وكان الطلاب الذين يقبلون في المدرسة المستنصرية على نوعين من حيث السن: الطلبة الصغار وهم الذين يقبلون في دار القرآن الملحقة بالمدرسة المستنصرية، والنوع الثاني: هم الطلبة الكبار الذي يقبلون في أقسام الفقه والحديث والطب، وكان الطلاب ينامون في غرف خاصة بالمدرسة، دون إدماج الطلاب الصغار مع طلاب الفقه الرجال لاختلاف أمزجة الصغار عن الكبار، وتباين تفكيرهم، بالإضافة إلى عوامل نفسية وأخلاقية وتربوية تحتم فصل الصبيان عن الطلاب الكبار. وأما مواعيد الدروس فقد كانت مرتبطة بمواعيد الصلاة فهي إما أن تكون قبل أو بعد الصلاة، ومواعيد دروس الحديث كانت في كل يوم سبت واثنين وخميس أي أن هذه المواعيد مرتبة ترتيبا تربويا جيدا بحيث يكون للطلاب وقت للتحضير، أما طريقة التدريس، فكانت طريقة الإملاء، وبعدها يبدأ المدرس بفتح المناقشة والمناظرة، وفي بعض الأحيان كانوا يشجعون طلابهم على البحث العلمي، أما دار القرآن فكان التعليم فيها قائما على التلقين والحفظ^(٢).

(١) ناضي معروف، مرجع سابق ١ / ٦٠ - ٦٣.
(٢) مجلة في ربوع التربية والتعليم، ص ١٣٢، ١٣٥.

وبهذا النشاط العلمي المدرسي الذي أورده ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" ذكر أن بعض العلماء أنشئوا بعض المدارس وأطلقوا عليها أسماءهم مثل:

- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي بالموصل:

وقد درس بهذه المدرسة من العلماء كما أورد ياقوت (أبو الحسن علي بن عساكر الملقب بالبطاحي الضرير ت ٥٧٢ هـ، وكان يعلم بأجرة، وقد ترك من ذلك مقدار أربعمائة دينار ودار^(١)).

وقد شارك مصدر هذا التطور التعليمي في القرن السادس الهجري من خلال المدارس:

- المدرسة الكاملية بمصر:

وقد أطلق عليها النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) اسم الكاملية البرانية والجوانية، وذكر ياقوت أن هذه المدرسة أنشئت لتخدم مذهب الشافعي في مصر وقد درس بهذه المدرسة (أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بابن بقتلان ت ٥٩٩ هـ بمصر) الذي عمر هذه المدرسة التي تقع بباب العامة لأصحاب الشافعي، وتعرف بالمدرسة الكاملية، وقد وقف عليها الأمراء الكثير من الأوقاف للمتفقيين^(٢).

- مدارس المالكية بمصر:

أنشئت هذه المدارس بمصر على غرار المدارس التي أنشئت بالعراق لخدمة المذهب المالكي وقد أخذت هذه المدارس أكثر من مسمى فمنها:

- دار الحديث الفاضلية:

أنشأها القاضي الفاضل ت ٥٩٦ هـ.

- الزاوية المالكية:

التي وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين، وقد درس بها أبي عمرو جمال الدين بن عثمان، ومن بعده أبو يعقوب جمال الدين بن يوسف الزواوي، ومن بعده برهان الدين بن علوش.

(١) معجم الأدباء ١/ ١٨٤، معجم المؤلفين ٧/ ١٥٠.
(٢) معجم الأدباء ١/ ١٨٤، ابن عساكر، ترجم سابق ١٢/ ١٤، النعيمي، ترجم سابق ٢/ ٢٧٥ - ٢٧٧.

- دار الحديث القنصرية:

أنشأها تنكز الملك الناصر، وسماها دار الذهب أيضاً.

- المدرسة السيفية:

أنشأها الأمير سيف الدين يكتمر والي الولاية، ودرس بها شهاب الدين داود بن سليمان الكوراني^(١).

وقد أورد ياقوت من العلماء الذين علموا بالمدرسة المالكية (أبو المنصور علي بن ظافر الأزدي ت ٦١٣ هـ بمصر، الذي درس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه، وصنف الكثير من الكتب فهو من الأدباء المؤرخين بالقاهرة، ومن مؤلفاته كتاب بدائع البدائع الذي أسماه حاجي خليفة بدائع البداية وله ذيله أيضاً وهو مطبوع، وكتاب الدول المنقطعة ذكر الزركلي أنه مخطوط يقع في أربعة أجزاء وهو كتاب مفيد في بابها جداً، وله ذيل المناقب النورية مخطوط، وكتاب شفاء العليل في ذم الصاحب والخليل اختصره جلال الدين السيوطي في ثلاثة كراريس سماه الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب، ذكر الزركلي أنه مطبوع في رسالة^(٢).

وهذه مدارس القرن السادس الهجري أيضاً:

- المدرسة العسرونية بدمشق:

وقد أنشأها العلامة قاضي القضاة فقيه الشام أبو سعيد عبد الله بن محمد بن أبي عسرون التميمي الموصلية ت ٥٨٥ هـ، وذكر ياقوت من العلماء الذين درسوا بهذه المدرسة (أبو جعفر محمد بن أبي محمد الصقلي الملقب بحجة الدين ت ٥٦٥ هـ الذي أقام بدمشق بعد أن رحل من مصر، ودرس بمدرسة ابن أبي عسرون فصاد فيها قبولاً فسكن بها يعلم أبنائها وأجري له راتباً من ديوانها^(٣).

(١) المرجع السابق ٨٩ / ٢، ٨٩ / ١، ٤٠٢ / ٢، ١١٣ / ١، ٢٧٥ / ١.

(٢) معجم الأدباء ١٣٥ / ٤، معجم المؤلفين ١١٣ / ٧، جورج زيدان، مرجع سابق ٦٥ / ٣، الزركلي، مرجع سابق ٢٩٦ / ٤، حاجي خليفة، مرجع سابق ٢٢٩، ١٠٥١.

(٣) معجم الأدباء ٤٤٦ / ٥، معجم المؤلفين ٢٤١ / ١٠، سير أعلام النبلاء ١٢٠ / ١٢.

ومنه نلاحظ أن العلماء رحلوا متنقلين بين البلدان لتحصيل الكثير من العلوم ويحثا عن المال عند إقامتهم أحيانا لتعليم أبناء هذه البلدان.

وقد جمع ابن المظفر بين تعليم الطلاب وتصنيف الكتب فله كتاب يذوق الحياة في تفسير القرآن ويقع الكتاب في مجلدات، وكتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع صنفه بعض القادة بصقلية سنة ٥٥٤ هـ ثم ذيله في كراستين، وكتاب القواعد والبيان في النحو وكتاب أوهم الخواص، ذكر الزركلي أنه مطبوع^(١).

- المدرسة البيهقية (البيهقي) بخراسان:

أنشأها بعض أمراء خراسان، وذكر ياقوت من علمائها (أبو إبراهيم أسعد بن مسعود العتي، ولد سنة ٤٠٤ هـ الذي كان يعلم بهذه المدرسة أولاد المنعمين وهو ما يشبه اليوم المدارس الخاصة لتعليم فئة خاصة من طلاب العلم الأمر الذي قربه من الأمراء والقادة^(٢)).

وقد شاركت نيسابور هذه المدن في إنشاء المدارس، إن لم تكن قد سبقتها، ومن أهم هذه المدارس:

- مدرسة أبي حفص الفقيه:

وكان يدرس بها للطلاب، ابن شاهويه ت ٣٦١ هـ، وفي القرن الخامس الهجري بنيت مدرسة المحدث الكبير أبي بكر محمد بن الحسين بن فورك الأنصاري ت ٤٠٦ هـ وقد حدث بها ابن فورك لطلابه، وأهتم بجانب التعليم بالكتابة والتأليف فله كتاب النظامي في أصول الدين ألّفه للوزير نظام الملك، وكتاب طبقات المتكلمين، مطبوع. وكتاب أوائل الأدلة في أصول الدين الذي أملاه على طلابه دون شرح^(٣).

(١) الزركلي، مرجع سابق ٢٣٨ / ٣.

(٢) معجم الأدباء ١٧٧ / ٢، معجم المؤلفين ٢٤٨ / ٢.

(٣) معجم المؤلفين ٢٠٨ / ٩، ابن العسك، مرجع سابق ٨٢ / ٣، الوافي بخواص ٣٤٤ / ٢.

- مدرسة دار السنة:

من المدارس التي أنشأت في القرن الخامس بفسابور^(١).

- المدرسة الصابونية:

وكانت بمثابة دار القرآن الكريم، وذكر ياقوت أنها نسبة إلى إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري ت ٤٤٩ هـ، وقد درس بها الصابوني لطلابه بعض التفاسير والقراءات^(٢).

ثم بنيت أربع مدارس هي المدرسة البيهقية (خلاف مدرسة خراسان)، ومدرسة الاسترأبادي ت ٤٤٠ هـ بناها لأصحاب المذهب الشافعي، والمدرسة السعدية التي بناها الأمير نصر بن سيكتكين، ومدرسة أبي إسحاق الإسفراييني^(٣).
الطائفة التي أنشأت بالمدن الفارسية بإيران:

حينما أصبحت إيران تابعة للدولة السلجوقية، واتخذوا الري حاضرة لهم أخذوا يعنون بالحركة العلمية، وأهم ما يصور اهتمامهم بالثقافة العربية أنهم أنشأوا المدرسة النظامية وطلبوا من أبي المعالي عبد الملك الجويني إمام الحرمين النيسابوري ت ٤٧٨ هـ أن يدرس بها فظل يدرس بها عشرين عاماً، وكان يحضر دروسه أربع مائة طالب^(٤). ومن المدن التي شاركت في الحركة العلمية اليمن: فقد نشطت الحركة العلمية منذ القديم بسبب تعدد إماراتها التي كانت في تنافس مستمر فيما بينها علمياً وأدبياً مما جعل كل منها تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها. وقد كان كثيراً من الأمراء أنفسهم علماء باليمن، وقد عرف بنوزريع أمراء عدن بإكرام العلماء والشعراء وإسباغ العطايا والجوائز عليهم، وفي عدن تم بناء الكثير من المدارس والتي منها في زبيد المدرسة الشافعية

(١) السبكي، مرجع سابق، ١٥٩ / ٤.

(٢) معجم المؤلفين، ٢٧٥ / ٢، السبكي، مرجع سابق، ١١٧ / ٣، ٣١٤ / ٤.

(٣) النجاشي، مرجع سابق، ٢٢١ / ١.

(٤) معجم المؤلفين، ١٨٤ / ٦، الكامل في التاريخ، ١٩ / ١٠.

ومدرسة الحنفية، ومدرسة الحديث النبوي، ورتب في كل مدرسة مدرسا، ومعيدا وطلابا وإماما ومقرئا ومؤذنا، ورصد لكل مدرسة أوقافا تقوم بكفالتها وتسد حاجتها، كما بنيت مدارس بتعز ووظفار، ووقف عليها أوقافا وفيرة في زمن (بدر المظفر، وابنه السلطان الأشرف)، وقد كانا من العلماء في علوم مختلفة، وأحيانا كان العالم الذي يدرس بهذه المدارس يجمع بين دفتي عقله الكثير من العلوم ففي ترجمة (أبي بكر أحمد بن محمد الأرجاني ت ٥٤٤ هـ الذي أرسل به أهله إلى المدرسة النظامية بأصفهان، فظل بها حتى تخرج فيها فقيها شافعيا، وكان يحسن الحكم بين الخصوم والفتيا، وتفجر الشعر على لسانه، فلما تولى التدريس بمدارس تعز ووظفار كان يجمع بين الكثير من العلوم في تدريسه لطلابه^(١))

والخلاصة:

أن المدارس التي تحدث عنها لياقوت في كتابه "معجم الأدياء" لعبت دورا ترويا في تعليم أهل وطلاب المدن التي بنيت بداخلها، وقد أخذت هذه المدارس نظامين الأول: المدارس الفقهية، وهي التي أنشئت لتخدم مذهبا من المذاهب الفقهية الأربعة والثاني: مدارس الحديث النبوي، ودور القرآن الكريم.

وذكر لياقوت هذه المدارس في بغداد والتي تحدث عنها الباحث:

١- المدرسة النظامية.

٢- المدرسة العمادية.

٣- المدرسة القاجية.

٤- المدرسة المستنصرية.

وهذه المدارس التي بنيت بهسق:

١- المدرسة القاهرية.

(١) معجم البلدان ١/ ١٤٣، شوقي خليف، تاريخ الأدب العربي، ص ٥٤، معجم المؤلفين ٢/ ٩٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٤٧، ابن العماد، مرجع سابق ٤/ ١٢٧، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٥/ ٢٨٥.

مصادر التربية الإسلامية ← (معجم الأدباء) لياقوت الحموي نموذجاً

٢- المدرسة الأتابكية.

٣- المدرسة التورية.

٤- المدرسة العزية.

٥- المدرسة العسرونية.

وهذه المدارس التي بنيت بالطوصل:

١- المدرسة البدرية.

٢- مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي.

وبنيسابور بنيت العديد من هذه المدارس منها:

١- مدرسة أبي حفص الفقهية.

٢- مدرسة دار السنة.

٣- المدرسة الصابونية.

وهذه المدارس التي بنيت بهضم:

وقد بدأ بناءها في عهد صلاح الدين الأيوبي، وعلي عهد العاضد الفاطمي نفسه، لما كان وزيراً له، ومنه المدارس:

١- مدرسة الشافعية بجوار الجامع العتيق وقد عرفت بأسماء كثيرة منها: المدرسة الناصرية والمدرسة الشريفة ومدرسة ابن زين التجارية نسبة إلى العالم الشافعي الذي طالبت مدة إقامته حتى عرفت باسمه.

٢- مدرسة للمالكية عرفت باسم دار الغزل وباسم المدرسة القمحية نسبة إلى القمح الذي وقفه صلاح الدين عليها بأرض الفيوم، ثم مات العاضد الفاطمي ومضى صلاح الدين في بناء المدارس فبنى:

٣- المدرسة السيوفية وبنيت بدار الوزير الفاطمي عباس العبيدي وبجانب هذه المدارس الثلاث السابقة للشافعية والمالكية والحنفية، بنى صلاح الدين مدرستين أخريين

للفقهاء المذهب الشافعي لأن هذا المذهب علني أكثر أفراد البيت الأيوبي، بجانب ذلك بنيت بالقسطنطين والقاهرة:

٤- المدرسة الكاملية والتي أنشأها الملك الكامل ابن عادل في ٦٢١ هـ وهي ثاني دار عملت للحدِيث، والأولى بدمشق.

٥- المدرسة الصالحية.

٦- المدرسة الفاضلية.

٧- المدرسة الشافعية.

وبذلك يتضح من العرض السابق، أن معجم الأدباء لياقوت الحموي، يعد مصدراً من مصادر التاريخ لمؤسسة تربوية كالمدارس على مدار عدة قرون، وقد سبق لياقوت غيره من محدثي المدارس من خلال القرون الهجرية التي ظهرت بها هذه المدارس والعلماء الذين علموا بها، والطلاب الذين تعلموا فيها.

تابعاً: منازل العلماء (مجالس العلماء):

لقد كانت منازل ومجالس العلماء بمثابة مؤسسات تعليمية غير نظامية حيث كان العلماء يقومون من خلالها بنقل المعرفة إلى المتعلمين وقد ذكر لياقوت الكثير من العلماء الذين اتخذوا من منازلهم ومجالسهم ندوات علمية يتزود الطلاب من خلالها بالكثير من أنواع العلوم المختلفة، غير أن هذه المنازل والمجالس لم يظهر دورها التعليمي بشكل واضح في القرن الأول الهجري، وذلك بسبب قيام المساجد بهذا الدور التربوي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من المنازل والمجالس مؤسسات تعليمية يعلم من خلالها أصحابه، ومن أهم هذه المنازل دار الأرقم الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه بداخله.

وذكر ياقوت عن هذه المجالس في القرن الثاني الهجري:

- مجلس إبراهيم الفزاري ت ١٨٨ هـ ففي رواية أبو مسهر قال: قدم علينا إبراهيم الفزاري الكوفي، فاجتمع الناس يسمعون منه فقال لي: اخرج إلى الناس، فقل لهم، من كان يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا^(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يشترطون فيمن يحضر مجالسهم شروط لا بد وأن تتوافر بهم حتى يمكنهم الاستفادة من مجالس العلماء.

- مجلس عيسى بن موسى ت ١٦٧ هـ فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله القاسم بن معن الملقب بالسعدي ت ١٨٨ هـ قال: روى حماد بن إسحاق الموصلي ت ٢٦٧ هـ قال سمعت القاسم بن معن يقول: دخلت على عيسى بن موسى حتى جلست واحتببت (قرفصت) في مجلسه أتعلم منه قال لي: بعثت إليك لأوليك القضاء، قلت لأفعل، قال لي: إن أبيت ضريقتك سبعين سوطاً^(٢).

ومنه نلاحظ أن العقاب بالضرب يكون ممن تصدر المجلس من العلماء والشيوخ إذا خالفهم المتعلم.

- مجلس الكسائي في منزل الرشيد:

ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت ١٩٤ هـ أنه كان في صباه جندياً على باب الرشيد، وكان محباً لعلم العربية، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي إلا في غير نوبته، فكان إذا لم يحضر يسأل من حضر لعله يحصل منه ما ألقى في مجلس الكسائي من علم، حتى صار شخفاً للنحاة في عصره، فعهد إلهي

(١) معجم الأدباء ١/ ١٣٤، معجم المؤلفين ١/ ٩٠، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٢، تهذيب التهذيب ١/ ١٥١.
(٢) معجم الأدباء ٥/ ٥٠، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٣٠٦، الأزركلي، مرجع سابق ٢/ ٢٧٦، ٥/ ١٠٩، معجم النحاة ٨/ ١٢٦، بغية الوعاة، ص ٣٨١.

الرشيد بتأديب أبنائه، فقد كان قوي الذاكرة يحفظ ٤٠ ألف بيت من شواهد النحو ويجانب ذلك لم يترك التأليف فله كتاب تغنن البلغاء مطبوع، وكتاب التصريف^(١) ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يحرصون على حضور مجالس العلماء، محاولين التوفيق بين علمهم وبين أوقات مجالس العلم، وعند عدم استطاعتهم الحضور، كانوا يسألون من حضر من زملائهم حتى يتزودوا من العلوم التي ألقاها العلماء بداخل هذه المجالس ولذلك ساهمت هذه المجالس في تخرج علماء ناع في الأفاق صيتهم، وعلا بين الناس ذكركم، فبادرهم الأمراء بتأديب أبنائهم.

وفي القرن الثالث الهجري كان حرص المتعلمين على التحصيل من العلماء أكثر فقد تحدث ياقوت عن ذلك في ترجمة أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٤ هـ فقال: لقد اكتسب المتعلمون من معين علمه الكثير، ففي رواية عبد الواحد بن سعيد قال جاء الشافعي يعود والدي، فوثب أبي إليه فقبل بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه، فجعل يسأله ساعة، وهو يجيب^(٢).

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يحرصون على اغتنام أوقاتهم، ولا يضيعون الوقت المتاح للتعليم، ولو كان ذلك الوقت بمثابة عبادة المرضي.

وبذلك اتخذ العلماء من منازلهم ومجالسهم وسائط تربوية يعلمون من خلالها طلابهم ومريديهم، فقد اتخذ أبو الحسن علي بن محمد المدايني ت ٢٢٥ هـ من ساحة منزله مؤسسة تربوية يلتقي فيها مع طلابه وأقرانه من العلماء، ففي رواية أحمد بن زهير بن حرب النسائي ت ٢٧٩ هـ قال: مرجع سابق عشية من العشيان على منزل المدايني رجل على حمار فاره (الدين الغراهة أي الحسن) ويزة (الهيئة والثياب) حسنة، فنزل وسلم

(١) معجم الأدباء ٣ / ٤، الأثيري، مرجع سابق من ١٢٥، أثناء الرواية ٣١٢ / ٢، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٢٧١.
(٢) معجم الأدباء ٢٠٢ / ٥، معجم المؤلفين ٣٩ / ٩، السبكي، مرجع سابق ١ / ٥، ٢ / ٥، تهذيب التهذيب ٣٠ / ٩.

وخض بمسائله يحيى بن معين ت ٢٣٣ هـ من أئمة الحديث وقد نعتّه الذهبي بسيد الحفاظ^(١).

ومنه نلاحظ أن المنازل التي كان ينزلها العلماء كانت تضم الكثير من العلماء في تخصصات مختلفة، فهذا الطالب لم يسأل المدائني بصفته راوية ومؤرخ له نيف ومائتا كتاب في المغازي والسيرة النبوية وأخبار النساء والجاهليين والشعراء والبلدان وإشخاص يسأله يحيى بن معين كونه في حاجة إلى معرفة المزيد من علم الحديث وروايته، ومعرفة رجاله.

وفي ترجمة أبي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ت ٢٣٠ هـ أنه اتخذ من مجلسه مؤسسة تربوية يلتقي بها طلاب العلم مع العلماء، ففي رواية ثعلب قال الأصمعي: شاهدت ابن الأعرابي وقد حضر مجلسه زهاء مائة إنسان كل يسأله أو يقرأ عليه، وهو يجيب من غير كتاب، وفي رواية محمد بن حبيب قال: سألت ابن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح فأجابني عنها^(٢). ومنه نلاحظ أن قدرة المعلم العلمية وتمكنه من العلوم يساعده على السيطرة على مجلس العلم، بل يمكنه من الإجابة على أسئلة طلابه وحاضري مجلسه، بثقة ودون تلجلج بل إن العلماء كانوا يقيمون الطلاب أثناء مجلس التعليم.

فقد ذكر ياقوت في ترجمة (أبي الحسن علي بن المغيرة الأثرم الأصفهاني ت ٢٣٠ هـ) أنه كان يقوم طلابه من خلال مجلسه، ففي رواية ثعلب قال: كنت عند الأثرم وهو يملئ شعر الراعي على طلابه، فلما استتم المجلس، وضع الكتاب من يده وبدأ الأسئلة في مقدمة المجلس، ولم يترك الأصفهاني التأليف بل كتب كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث^(٣).

(١) الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢ / ٥٤، الزركلي، مرجع سابق ٨ / ١٧٢، ٤ / ٣٢٣.
(٢) معجم الأدياء ٥ / ٣٣٧، معجم المؤلفين ١٠ / ١١١، الوافي بالوفيات ٣ / ٨٠، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ١٣١، ابن العديم، مرجع سابق ٢ / ٧٠.
(٣) معجم الأدياء ٦ / ١٢٢، إنباء الرواة ٢ / ٣١٩، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٢٣، حاجي خليفة، مرجع سابق ١٢٠٤.

ومنه نلاحظ أن الأثرم يعطي طريقة تربية لعلمي الطلاب، ومن متابعة الأستاذ لطلابه عن طريق مراجعته لما سبق أن قام به في أول المجلس أو المحاضرة، حتى يتعرف على مدى تمكن الطلاب من تحصيل دروسهم.

وكانت العلوم المتعلمة في مجالس العلماء متعددة وكثيرة، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن النديم الموصلي ت ٢٢٦ هـ قال: كان ابن النديم يحضر مجالس العلماء ليحاضر بها ولم يترك مجالاً من حضر من العلماء لتفوقه في شتى فنون العلم، ففي رواية ابن عطية العطوي قال: كنت في مجلس القاضي يحيى بن أكنم، فوافي الموصلي، وأخذ يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن وقاس واحتج، وتكلم في الشعر واللغة ففاق من حضر، ثم أقبل على القاضي يحيى فقال له أعز الله القاضي أي شيء مما ناظرت فيه نقص أو ملعن؟ قال القاضي: لا.

ومن خلال مجالس العلماء كانت تقيم أخلاق الطلاب والمتعلمين من قبل المتعلم وقد يرفع أمر الطالب إلى ولي أمره؛ فقد شكوا ابن النديم الموصلي إلى الرشيد ابنه إبراهيم فوثب إبراهيم بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين شتني، وذكر أمي واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول ويلك؟ قلت: لا أعلم سئل من حضر، فأخبره مسرور وحسين الخادم عن القصة، فذكر أن ماله ذنب شتمه فعرفك، أنه لا يقدر على جوابك، أرجع إلى موضعك فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أقبل الرشيد وقال يا أبا إسحاق ويحك: أنراني لا أعرف ما حدث منك؟ قد والله: زانقته (نسبة إلى الزنا) يا جاهل لو ضريك لم أقتص منه، ولو قتلته لم أقتص منه فقال له ابن النديم: قد والله قتلني يا أمير المؤمنين^(١).

ومنه نلاحظ أن التربية الأخلاقية بينا لمعلم والمتعلم كانت بمثابة درسا عمليا في التربية يطلب فيه من المتعلم ألا يتحدث بالفاظ ساقطة (سيئة) بين طلابه حتى لا

(١) معجم الأدياء ٢ / ١٣١، معجم المؤلفين ٢ / ٢٧٧، إنباء الرواة ١ / ٢١٥، الأصلاني، مرجع سابق ٥ / ٢٦٨، ابن خلدون، مرجع سابق ١ / ٨١، الخطيب البغدادي ٦ / ٢٢٨، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣١، ٣٢، الأصلاني، مرجع سابق ٥٣٥، ابن تقي بري، مرجع سابق ٢ / ٢٨٠.

يعرضه ذلك لعدم طاعته، بل وقوعه في المساءلة من خلال هذه الأخطاء، ثم يطلب منه عند اعتداء الطلاب بعدم إطاعة أمره أن يرفع أمره إلى من هو أعلى منه قائداً أم مديراً حتى يعطيه حقه، بل نجد قمة الديمقراطية الأخلاقية، فلم ينصر الرشيد الأستاذ (المعلم) على طلابه لأنه كان مخطئاً.

ومن خلال مجالس العلماء ومنازلهم كان يتم تقييم شعر الشعراء فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد المعروف بابن العيرت ٢٥٠ هـ أنه كان حافظاً للأخبار ويقول جحظة: لم أأحفظ منه ولا أجود شعراً، وفي رواية أبو أحمد الهمذاني قال حدثني الشعبي قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء من أهل بغداد في مجلس تتناظر وتتناشد وتتساءل وتعد شعراء زماننا، فمر بنا أبو العير فقلنا، هو أشعر منا وأعلم بالشعر (١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يقصون أعمال غيرهم في مجالسهم ومنازلهم وهم غير حاضرين. وفي ترجمة أبي جعفر محمد بن عبد الله بن قادم ت ٢٥١ هـ الذي كان مؤدياً لأهل بغداد وكان يعلم المعتز، حكى عن أحمد بن إسحاق أنه دخل هو وأخوه بغداد فوقعوا على رجل يلتهب ذكاء، ويجيب عن كل سؤال في الأدب والقرآن، فقلنا من هذا؟ قالوا: ثعلب فينما نحن كذلك إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا، فأخرجوا له حتى جلس إلى جانبه، فسأل رجل ثعلب بمسألة، فقال رأ الكسائي كذا، ورأ الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا فقال له الشيخ: لا أراي أعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني فيك هذه المنزلة فقلنا من هذا الشيخ؟ فقبل: أستاذنا ابن قادم (٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يمتحنون قدرات تلاميذهم الذين درسوا لهم، للتأكد مما وصلوا إليه في إجادة فروع العلم، من أجل الاعتماد عليهم في تصدر مجالس التعليم من بعدهم.

(١) معجم الأدباء ٥ / ٨٢، ابن شاذان، المكتبي، مرجع سابق ٢ / ١٧٤، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣٠٧.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٣٤٨، الواقعي، بالوفيات ٣ / ٢٩٥، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٢٩٢.

وفي مجالس العلماء كان العامة يحضرون للتعليم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة الكاتب ت ٢٧٧ هـ أنه كان يجيب عن أسئلة العامة ففي رواية الحسن بن علي بن الأخضر قال: كنا في مجلس ثعلب إذا جاءه أبو هفان البصري فقال: أريد ابن ثوابة، فقبل له إنه بداخل المنزل يتناول أوراق العامة الحضور ويجيب عن أسئلتهم^(١).

وكان أبو سعيد أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي ت ٢٨٢ هـ يعلم أهل نيسابور من خلال مجلسه الذي كان يعقده في منزله، فقد قدم نيسابور وابتاع بها داراً مشهورة بباب عزرة، فبقي يعلم الناس، ويقتي بها^(٢).

وقد اتخذ أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ت ٢٨٥ هـ من منزله منتدى للأدب يعلم من خلاله طلاب العلم العامة مع الخاصة^(٣).

وفي ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ت ٢٨٥ هـ أنه كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه قيماً بالأدب، ففي رواية أبو عمرو الزاهد وابن المنادي قالا: ما فقدنا إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو مدة خمسين سنة، وكان يحضر مجلسه جماعة من الشبان للقراءة عليه^(٤).

وكان طلاب العلم يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها لما بها من العلماء ففي ترجمة أبي علي أحمد بن جعفر الدينوري ت ٢٨٩ هـ بصر، أنه كان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره فيتخطى أصحابه ليقرأ كتاب سيديوه على أبي العباس المبرد، فيعائنه ثعلب على ذلك، فلا يلتفت إليه، وذلك لأن المبرد قرأ كتاب سيديوه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه^(٥).

(١) معجم الأدباء ٥٧٣ / ١، معجم المؤلفين ٨٨ / ٢.

(٢) معجم الأدباء ٣٤٨ / ١، معجم المؤلفين ٢٢٤ / ١، إسنان الميزان ١ / ١٦٦.

(٣) معجم الأدباء ٢٩٥ / ٥، معجم المؤلفين ١٩٩ / ٩، التواقيت والوفيات ١٤ / ٢، ابن القيم، مرجم سبق ٧٩ / ١.

(٤) معجم الأدباء ٧٤ / ١ - ٨٠، إسنان الميزان ١ / ٢٢.

(٥) معجم الأدباء ٣١٣ / ١، إسنان الميزان ١ / ٢٢.

ومنه نلاحظ أن الطلاب في ذلك القرن كانوا يفضلون منازل بعض العلماء على بعضها، حتى أن الدينوري كان يراجع قراءة ما يتعلمه من منزل ثعلب على المبرد، بعد أن يخرج من منزله وأما أصحاب ثعلب، كون المبرد أعلم بالنحو من ثعلب في نظر الدينوري خاصة كتاب سيبويه لأنه قرأه وراجع على العلماء، وهذا يدل دلالة أخرى على أن العلم الذي يقوم من قبل العلماء والأساتذة يفضل على غيره من الذين لم يقوم العلماء أعمالهم. وقد أفاد ثعلب من ذلك الدرس العملي فقد ذكر لياقوت في ترجمة أبي العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب الشيباني ت ٢٩١ هـ قال: كان ثعلب يهتم بحضور مجالس العلماء حتى يفيد من العلماء فيقول له محمد بن عيسى بحضرة محمد بن عبد الملك: نحن نقدمك لتقدمة الأمير فقال له: يا شيخنا إني لم أتعلم العلم لقدمني الأمراء، وإنما تعلمته لتقدمني العلماء (١).

ومنه نلاحظ أن أبا العباس ثعلب كان يتعلم العلم من أجل العلم، ولم يتعلمه من أجل الجاه والمنصب والمال، بل أن هناك شروط لحضور مجالس العلماء، فكان مجلس العلم لا يفتح إلا إذا اكتمل عدد الحضور، فيقول العجوزي في روايته: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن، وابن عبيد الله بن سليمان، فقال لي القاسم: سله عن شيء من الشعر، فقال له المبرد: شكك وشهل، فصرنا إلى أبي العباس فلما غص (امتلا) المجلس سألته عن بيت من الشعر فأجاب (٢).

وكان العلماء في مجالسهم يرتبون العلوم الدراسية التي يتعلمها الطلاب، فقد كان أبو الحسن محمد بن أحمد المعروف بابن كيسان ت ٢٩٩ هـ مهتما بتعليم غيره من خلال مجلسه الذي يعقده في منزله، وكان يرتب العلوم المتعلمة ففي رواية أبي حيان التوحيدي قال: ما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلم والعلوم من مجلس ابن كيسان

(١) معجم الأبياء ٦١ / ٢، تذكر الخلقة ٢١٤ / ٢، جوهر الزبائن، مرجع سابق ١٨٨ / ٢، البدء الزوارة ١٣٨ / ١.
(٢) التوحيدي، مرجع سابق ٢٦٧ / ١.

فإنه يبدأ بأخذ القرآن والقراءات، ثم بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرقي النهار، وكان إقباله على أصحاب المرقعة المرققة والتمر البالي (الثوب الخلق، والكساء، من غير الصوف) كإقباله على الديباج والوشى^(١)

ومنه نلاحظ أن ابن كيسان كان لا يعلم تعليماً خاصاً بل كان يجمع بين تعليم العامة والخاصة، بل كان اهتمامه أكثر بتعليم العامة من خلال مجالسه التي كان يعقدها منازل العلماء في القرى الرابع الهجري كمؤسسة هذه المؤسسات التعليمية:

لقد تعلم الكثير من طلبة العلم، والذين أصبحوا علماء فدرس مؤلفاتهم من خلال منازل العلماء في ذلك القرن ومن هؤلاء:

أبو عبيد الله الحسن بن علي المعروف بابن مقله ت ٣٠٩ هـ الذي كان يتعلم من خلال منازل العلماء ليتزود منها بالعلم، فكان ينزل في دارقوراء (واسعة) حسنة، وقد أعد بها فرش تشاكلها، ومجلس يملئ من خلاله العلماء على طلابهم وعنه، قال ياقوت: خرج لنفسه من فوائد في عدة أجزاء عن شيوخه وحدث بها، وكان القفطي ينقله بآين العلماء^(٢).

وكان أبو جعفر الطبري ت ٣١٠ هـ يعلم عن طريق منزله فقد كان الأصفهاني يختلف إليه يقرأ عليه كتبه فيجلسا في منزل الطبري على حصيد لصفة (اسم لبيت صيفي) له صغيرة^(٣).

وقد تعلم الطبري نفسه عن طريق مجالس العلماء فيقول: كنا نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد، فنخلق مجلسه نتعلم منه، وفي رواية أبي بكر بن كامل قال: كان الطبري يحضر معنا مجلس ابن مجاهد، وكان المجلس حافلاً بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة، فكان الطبري يقرأ في بعض الأوقات على الكسائي

(١) معجم الأدباء ٩٤ / ٥، معجم المؤلفين ٨ / ٣١١، ابن العديم، مرجع سابق ٢ / ٢٣٢، الخطيب، البغدادي، مرجع سابق ٣٢٥ / ١.

(٢) معجم الأدباء ١٥ / ٣، معجم المؤلفين ٧ / ٦٠، الزركلي، مرجع سابق ٤ / ٢٧٤.

(٣) معجم الأدباء ٢٧٠ / ٥، سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٦، ابن تقي بري، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

ويقول الطبري: خرج إلينا ابن مجاهد ت ٢٢٤ هـ ونحن نقرأ كتاب قراءة أبي عمرو فوجدنا تتناظر في (بسم الله الرحمن الرحيم) مع بعض إخواننا من الشافعيين. هل هي من فائحة الكتاب أم لا. فجلس يسمعنا^(١).

ومنه نلاحظ أن الطبري قد تعلم في بدأ حياته التعليمية من خلال مجالس العلماء والتي كانت تعقد بداخلها مجالس للمناظرات في فروع العلوم التي يحصلها كل من هؤلاء الطلاب، ولذلك فإن بعض تلاميذ الطبري درسوا عليه من خلال مجالسه التي كان يعقدها في منزله. ليتزود من خلالها طلاب العلم بالعديد من العلوم الدراسية.

وقد تعلم أبو محمد سلمة بن عاصم ت ٣١٠ هـ عن طريق مجالس العلماء. فقد كان يحضر مجالس الفراء، وإذا لم يحضر مجالس الإملاء كان يأخذها ممن حضرها ويتدبرها فيجد فيها السهو فيتناظر الفراء عليها فيرجع عنها^(٢).

ومنه نلاحظ أن الطالب أو المتعلم كان ينه أستاذه حينما يكون على ثقة من علمه، وقد كان العلماء يقلعون عما قالوه إذا أيقنوا أن الصواب قد جانبهم، فيما ألقوه على أسماع المتعلمين، وكانت منازل العلماء ومجالسهم بمثابة لجنة لتقييم أعمال ومؤلفات العلماء ونقدها. ففي ترجمة ياقوت لأبي بكر محمد بن الحسن المعروف بابن دريد ت ٣٢١ هـ قال: كان ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وفي رواية أبي منصور الأزهري قال: كان أبو بكر بن دريد ممن ألف في زماننا الكتب فرمي بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ وبإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها. وقد حضرت في داره غير مرة. فروى عن أبي حاتم الرياشي، والأصمعي وتصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجهمرة فلم أرد فيه على معرفة ثاقبة، ولا قريحة جيدة^(٣).

(١) معجم الأدياء ٢٤٨ / ٥، سير أعلام النبلاء ٢١٠ / ٩، الباب ٨١ / ٢، تذكرة الحفاظ ٣٥١ / ٢.
(٢) معجم الأدياء ٣٩١ / ٣، معجم المؤلفين ٢٤٠ / ٤، إنباء الرواة ٥٦ / ٢، الأركب: مرجع سابق ١١٢ / ٣.
(٣) معجم الأدياء ٢٩٨ / ٥، ابن خلكان، مرجع سابق ١٩٧ / ١، الأركب، ٨٠ / ٦، لسان الميزان ١٣٢ / ٥، تاريخ زبدان، مرجع سابق ١٨٨ / ٢.

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء اتخذت كمؤسسات لتقييم أعمال العلماء ونقدها بما يشبه الآن تقييم الرسائل العلمية أو تقييم البحوث التربوية، غير أن هذا النقد كان الهدف منه الإصلاح وتنقيح الأعمال من حيث الفاظها ومعانيها.

وكان ابن دريد يعلم الصبيان من خلال مجالسه، وإن لا يجرهم عند الخطأ، ففي رواية أبو هلال قال: أخبرنا أبو أحمد قال: كنا في مجلس ابن دريد، وكان يتضجر ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام فجعل يقرأ، ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه، وأهل المجلس يتعجبون منه، وفي رواية الرصافي قال: حضرت مجلس ابن دريد وقد سأله بعض الناس عن معاني أبيات من الشعر فأجابهم عن سؤالهم^(١).

ومنه نلاحظ أن مجالس العلماء كانت تجمع بين تعلم الصبيان وتعلم العامة وكان العلماء يتجاوزون عن أخطاء الصبيان أثناء تعلمهم بمجالس العلماء.

وفي ترجمة أبي القاسم جعفر بن محمد الملقب بالفقيه الشافعي ت ٣٢٣ هـ أنه اتخذ من منزله مؤسسة تربوية لتلقي الطلاب عن العلماء، ففي رواية أبي علي بن أبي الزمزم قال: كانت للفقيه الشافعي دار علم قد جعل فيها خزانة كتب في جميع العلوم وقفا على كل طالب لا يمنع أحد من دخولها، فإذا جاء غريب يطلب الأدب والتزود من العلم ولا يملك أدوات الكتابة أعطي أدوات الكتابة فيقول: فإن كان طالب العلم معسرا أعطي ورقا وورقا (أي القصة) وكانت تفتح داره كل يوم^(٢).

وقد كانت مجالس العلماء ومنازلهم تقدم الكثير من الطرق التربوية، ففي ترجمة ياقوت لأبي عبدالله إبراهيم بن محمد المعروف بنغلويه ت ٣٢٣ هـ قال: أخذ نغلويه عن ثعلب والمبرد، وكان يدرس كتاب سيبويه، وقد جلس للإقراء أكثر من خمسين سنة، وكان يبتدئ مجلسه بالقرآن على رواية عاصم، ثم يقرأ تلاميذه ويسمع هو منهم^(٣).

(١) معجم الأدباء ٢٠٣ / ٥، ابن كثير، مرجع سابق ١١ / ١٧٧، السبكي، مرجع سابق ٢ / ١٤٥، ابن المنيذ، مرجع سابق ٢ / ٢٩١.

(٢) معجم الأدباء ٣٩١ / ٢، الرافعي بالرفعات ٥٠٧ / ١.

(٣) معجم الأدباء ١٦٠ / ١، إنباء الرواة ١٧٦ / ١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١، سير أعلام النبلاء ١٠٨ / ١٠، ابن المنيذ، مرجع سابق ٢ / ٢٩١، معجم المؤلفين ١٠٢ / ١، إزركلي، مرجع سابق ١ / ١١.

ومنّه نلاحظ أن العلماء كانوا يقدمون بمجالسهم الكثير من الطرق التربوية، فكان المعلم يشرح ويوضح، ثم يطلب من تلاميذه القراءة للتأكد من تَكثُّهم من دروسهم، وأن يتعود التلاميذ على القراءة الصحيحة، ويصحح لهم ما يخطئون فيه. وكانت مجالس العلماء تخضع لمذاهب العلماء، فقد كان أبو الحسن أحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم ت ٣٢٧ هـ من أصحاب الطبري وتفقه على مذهبه، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة، فهو متكلم معتزلي المذهب أي يعتقد ويرى رأي المعتزلة، ولذلك كان طلابه من المتكلمين^(١). وكان العلماء يعتمدون على طريقة الحفظ في تعليم الطلاب من خلال مجالسهم ومن هؤلاء العلماء:

- أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بابي بكر الأنباري ت ٣٢٧ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه عن طريق الحفظ، ففي رواية حمزة بن محمد الدقاق قال: كان أبو بكر بن الأنباري، يولي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه^(٢).

ومنّه نلاحظ أن العلماء لم يعتمدوا على الخطابة والإلقاء في التعليم لطلابهم ولكنهم استخدموا طريقة الإملاء كواحدة من الطرق التربوية، معتمدين في ذلك الحفظ. وقد جماع الأنباري بين التعليم في مجالسه وبين تصنيف الكتب فله كتاب المجالسات مطبوع، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان^(٣).

(١) معجم الأدباء ٢ / ٧٨، تاريخ الحكماء، ص ٧٨، لسان الميزان ١ / ٣٢٥.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٤١١، ابن خلّكان، مرجع سابق ١ / ٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٣ / ٥٧، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٣ / ١٨١.
(٣) إزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣٢٤.

وهو طلاب العلم الذين تعلموا منه طريق مجالس العلماء في ذلك القرن:

- أبو الحسن علي بن الحسين الملقب بالمسعودي ت ٣٤٦ هـ بمصر، كان مؤرخ رحالة، قال عنه كريبو: إن المسعودي هو "هيرودوت العرب" فقد كتب من الكتب ما يقرأ المسلمون والأوربيون، وذلك استحق هذا اللقب، ومع ذلك تعلم عن طريق مجالس العلماء فقد حضر مجلس أبي العباس ببغداد سنة ٣٠٦ هـ وقد حضره جماعة من حذاق الشافعية والمالكية وصنف في ذلك كتاب مروج الذهب مطبوع، وكتاب أخبار الزمان ومن أبايه الحدثان في التاريخ يقع في نحو ثلاثين مجلداً ذكر الزركلي أن الجزء الأول منه مخطوط^(١) ومن خلال مجالس التعليم كان يحدد لكل أهل علم وقت معين يختلف عن أهل علم آخر، ففي ترجمة أبي العباس محمد بن أحمد العمري ت ٣٥٠ هـ أنه كان من المشتغلين بالفلسفة وفي رواية القاضي قال: كان رسم العمري (عادته) أن يجلس لأهل العلم في يوم الأربعاء، فيكرنا إليه في بعض الأيام فقال: للجماعة ليس لكم عندي اليوم فائدة، ولا مني حظ، وفي رواية أبي تمام الحسن بن محمد الزيني قال: كنت أغشى مجلس أبي العباس العمري يوماً وأخذ عنه وكنت أبادر إليه، ويتبعني جماعة من أصحابي في اليوم الذي يحدده لنا^(٢).

- أبو الفرج علي بن الحسين الملقب بالعلامة الأصفهاني ت ٣٥٦ هـ كان من العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم ففي رواية الحميدي قال: كان للأصفهاني صاحب كتاب الأغاني مجلس في منزله يتفكرون طلابه مع أمور الدنيا والآخرة، حتى ذكر لهم موت الفجاءة^(٣).

(١) معجم الأدياء ٤/ ٤٨ - ٥٠، ابن شاذان الكوفي، مروج سابق ٢/ ٤٥، الزركلي، مروج سابق ٤/ ٢٧٧.
(٢) معجم الأدياء ٥/ ١٢٠، معجم المؤلفين ٩/ ٦٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٧٥، الزركلي، مروج سابق ٥/ ٣١٦.
(٣) معجم الأدياء ٥/ ١٦٧، ابن خلكان، مروج سابق ٩/ ٣٢٤، معجم المؤلفين ٧/ ٧٨، القماني، مروج سابق ٢/ ٢٠٨، شاه القروبي ٩/ ٢٥٩، الأصفهاني، مروج سابق ٣/ ١.

وهذه هؤلاء العلماء الذين علموا تلاميذهم من خلال مجالسهم:

- أبو الحسن علي بن عبد الله الملقب بالناشي الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان من خلال مجالسه، ففي رواية ابن عبد الرحيم قال: اجتازت مجلس الناشئ مع والدي وأنا صبي يوماً، وهو جالس في السراجين، فقال: قد علمت قصيدة، وقد طلبها بعض الأمراء وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فكتبتها له، وحفظت منها الكثير (١).

وهذه الطلاب الذين تعلموا من طريق مجالس العلماء في القرى الرابع الهجري:

- أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالصاحي ت ٣٦٩ هـ الذي يعطي درساً في التربية ففي رواية يحيى بن مندة الأصبهاني قال: سمعت أحمد بن زكريا يقول: دخلت بغداد طالباً للحديث فحضرت مجلس أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شاباً عليه سمة الجمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان (٢).

ومنه نلاحظ أن الطالب الذي يحضر إلى مكان التعليم لابد وأن يحضر معه أدواته التي يستخدمها في التعليم، وهذا الدرس التربوي يوضح لنا لياقوت الحموي من خلال روايته التي ساقها لنا في كتابه "معجم الأدباء".

وقد كانت منازل العلماء تعد لإقامة طلاب العلم، فقد ذكر لياقوت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عمران المروزياني الملقب بالراوية الكاتب ت ٣٧٨ هـ أنه كان يعلم الطلاب من خلال منزله بل يقيمون بداخله ففي رواية أبي القاسم الأزهري قال: سمعت المروزياني يقول: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج، كانت معدة لطلاب العلم الذين يبيتون عندي، وبجانب ذلك اهتم بتصنيف الكتب فله كتاب الأزمنة، ذكر الزركلي

(١) معجم الأدباء ١٤٩ / ٤، معجم المؤلفين ١٤٢ / ٧، الزركلي: مرجع سابق ٣٠٤ / ٤.
(٢) معجم الأدباء ٥٣٩ / ١، نيل الرواة ٩٢ / ١، الزركلي: مرجع سابق ١٩٣ / ١، أحمد بن فارس، الصحاح، النسخة الأولى (القاهرة، ١٣٢٨ هـ) ص: (١٥٠).

أنه مطبوع في الفصول الأربعة الوافي بالوفيات الغيوم والنور وأيام العرب والعجم. وهو يقع في نحو ألف ورقة. وكتاب المؤنق في تاريخ الشعراء يقع في نحو ثلاثة آلاف ورقة^(١). وهذه الطلاب الذين تعلموا منه طريق مجالس العلماء في القرن الرابع الهجري:

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي رحل إلى بغداد في حياته فتفقه على مذهب أبي حنيفة. وكان مهتماً بحضور مجالس العلماء للتعليم على أيدي العلماء. ففي رواية غرس النعمة قال: حضرت مع التنوخي مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك ببغداد. وكنت أكتب له ما يولي علي. بل كان الطلاب يكرمون العلماء ويقدرهم علمهم مما أوجب احترام المتعلم للمعلم فيقول التنوخي: كنت إذا دخل العلماء وأنا بحضرة القاضي. ومد أحدهم يده ليسارني أقبليها^(٢).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون أيدي العلماء احتراماً ما هم وإجلالاً لمكانتهم وعلمهم وكان الطلاب يحصلون على التشجيع من والديهم عند تفوقهم في التعليم من خلال مجالس العلماء ومن هؤلاء الطلاب في ذلك القرن:

- أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني ت ٣٨٤ هـ الذي قال: سمعت أبا الريان حامد بن محمد الوزير يقول لجدي وهما في مجلس أنس وأنا حاضر معهما لما أنفذت القصيدة اللامية قام إليه ليهنئه على تفوقه وكثرة حفظه للشعر^(٣). وهذه العلماء أصحاب المجالس في ذلك القرن:

- أبو القاسم إسماعيل بن العباس الملقب بالصاحب ت ٣٨٥ هـ الذي غلب عليه الأدب فكان من نواذر الدهر علماً وفضلاً وتديراً وجودة. وقد اهتم بتعليم الصبيان عن طريق حضورهم يوماً على أبي السائب القاضي وأنا صبي في مجلسه للتعليم منه. وفي رواية أبي حبان التوحيدي قال: كنت بالري سنة ٣٥٨ هـ. وقد عقد لابن عباس مجلس جذل. وكنا

(١) معجم الأبناء ٥ / ٣٨٦، الوافي بالوفيات ١ / ٥٠٧، الزركلي، مرجع سابق ٦ / ٣١٩.

(٢) معجم الأبناء ٥ / ٦٢، معجم المؤلفين ٧ / ١٧٥، الزركلي، مرجع سابق ١ / ٣٢١.

(٣) معجم الأبناء ١ / ١٩٨، أبو حبان التوحيدي، مرجع سابق ١ / ٥٧، التتالي، مرجع سابق ٢ / ٢٣.

نبئت عنده في داره في باب شيران (قرية على مقدار فرسخ مروة تخرج فيها من العلماء إبراهيم بن أحمد الباشيري ت ٣٠٦ هـ) وكان معنا الضرير، والبرقي والزعفراني وجماعة من الغرباء للتعلم من هذه المجالس. وفي رواية الهمداني قال: كان بعض الفقهاء مثل ابن الخضيري يحضر مجلس صاحب بالليالي يتعلم منه. وفي رواية الشافعي قال خرجنا من مجلس صاحب فسنلت كيف رأيت مولانا صاحب اليوم مع هذا التغير وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس ؟ فقلت: السكوت عنه إحدى الحسنيين، ولكن نعوذ بالله ممن يزين له الشيطان عمله^(١).

وقد تحدث صاحب بن عباد عن فضل مجالس العلماء على طلاب العلم، فكان لمجالس العلماء مكانة بارزة وغالية في قلوب المتعلمين، لما لها من أثر في تغيير حياتهم العلمية والاجتماعية فيقول صاحب بن عباد: إن المجالس تخرج (تدرّب وتعلم) الناس وتهب لهم الذكاء، وتزيدهم الفطنة، وتحول الكون (أي الهجين) عتيقا، والمحرم جوادا، ثم لا يصرف عن مجلسه إلا بجائزة سنوية (عظيمة) وعطية هنية، وفي رواية أبو مسلم قال كان الرجل (صاحب) فيه طباع المتعلمين^(٢).

ومنه نلاحظ فضل مجالس العلماء، حيث تدرّب وتعلم العامة والخاصة، فتحول عقولهم من الركاد إلى الذكاء، وترفع درجة الحنكة والفطنة عند المتعلمين، وتحول الشاب الصغير (بعلمه) إلى شيخ وقور، بسبب هذا العلم، وبالإضافة إلى ذلك لا ينصرف هذا المتعلم إلا بمكافأة عظيمة من هذه المجالس وقد يقصد به الأجرة التي يحصلون عليها. وكان منازل العلماء في ذلك القرن حيث يذهب العالم إلى منزل المتعلم ويخصص له مكان ليتلقى فيه الطالب العلم، ففي ترجمة أبي الفضل جعفر بن الفضل المعروف بابن

(١) معجم الأدباء ٢٨٦ / ٢، إنباء الرواة ٢٠١ / ١، الكامل في التاريخ ٣٧ / ٩، معجم المؤلفين ٢٧٤ / ٢، الزركلي، مرجع سابق ٣١١ / ١.
(٢) معجم الأدباء ٢٨٥ / ٢.

حزابة والملقب بسيدوك ت ٣٩١ هـ قال: سمعت أبي يقول: كنت يوماً مع الباغندي في الحجرة المخصصة له في المنزل ليقراً له فيها (أي يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة^(١)) وهذه منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في ذلك القرن منزل:

- أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب بديع الزمان ت ٣٩٨ هـ الذي كان قوي الحافظة يضرب به المثل في حفظه، وقد اتخذ من منزله مؤسسة تعليمية فقد حضر الطلاب إلى داره وكانوا كثرة، حتى قال بعضهم حضرت داره، وقيلت جداره وما بي حب الحيطان ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران ولكن عشق إلى السكان^(٢).

- ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يقبلون منازل العلماء، لا حياً فيها، ولكن حياً واعترافاً بفضل من سكن هذه الديار، لما تعلمه الطلاب.

وقد هباً بديع الزمان مجلساً في دار السيد أبي القاسم وقد حضره الكثير من طلاب العلم وكان صاحب يعجب ببراعة بديع الزمان في الأدب، وأحضره مجالسه، فكان يلقي عليه الأبيات بالفارسية ويطلب منه نقلها إلى العربية، فينقلها في سرعة عجيبة^(٣).

- أبو أسامة جنادة بن محمد الملقب بالنحوي ت ٣٩٩ هـ الذي اهتم بمدرسة العلوم من خلال منزل أحد العلماء بالقاهرة، فقد قدم أبو أسامة مصر وصحب الحافظ عبد الغني بن سعيد، وأباً إسحاق علي بن المعري، وكانوا يجتمعون في دار بالقاهرة، ويجري بينهم محادثات ومذكرات^(٤).

وقد استمرت منازل العلماء ومجالسهم في تقديم هذا الدور التربوي التعليمي في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس مجلس:

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، حسن المحاضرة ١ / ١٩٩، ابن تغري بردي، مرجع سابق ٤ / ٢٠٣، الزركلي، مرجع سابق ١ / ١٢٦.

(٢) معجم الأدباء ١ / ٢٧٠، معجم المؤلفين ١ / ٢٠٩، الوافي بالوفيات ٥ / ١٥٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ٢١٧، الكامل في التاريخ ٩ / ٧٢، ابن الصبّا، مرجع سابق ٣ / ١٥٠.

(٤) معجم الأدباء ٢ / ٤٠١، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ١١٧، الزركلي، مرجع سابق ٢ / ١٤٠.

- أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي ت ٤١٥ هـ الذي اهتم بتعليم طلابه من خلال مجالسه التي كان يعقدها لهم، ففي رواية ابن نصر قال: كنا في مجلس أبي الحسن السمسمي، فسأله رجل عن مسألة قال له: ما العنجد؟ قال: لا أعرف هذا، فقال له السائل: سبحان الله، أن يذهب بلك عن الأعشى، إذ يقول:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد
تليح يزيه الأطواق.

فقال له أبو الحسن: عافاك الله، عن حرف جرجاء لمعنى، والجيد: العنق، ثم جعل يدرس فقال له آخر: أخبرني شيخنا عن كوفأ أم المهاجرين أم من الأنصار؟ فقال له: قد رويت أنساب الجميع ولست أعرف فيهم كوفأ، فقال له: أي أنت من قوله تعالى "وَأَهْدَىٰ مَعَكُوفًا..." (١) قال: فأخذ أبو عبيد تعليقه واشتد ساعياً من مجلسه وهو يصيح بأعلى صوته قائلاً: من أين حشرت البهائم علي اليوم (٢).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يعزفون عن إكمال مجالسهم التعليمية إذا وجدوا هناك تقصيراً من المتعلمين في الفهم والإدراك، بل كان العلماء يصفونهم بالجهلاء وبالبهائم لاشتراكهما في عدم الفهم والإدراك، وخلو عقولهم مما يميز لهم بين ما هو غاية لهم أو ضد حياتهم، غير أن السمسمي تناسى قوله تعالى:

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..." (٣).

وهو الطلاب الذين تعلموا على طريق المثال ومجالسه العلماء في ذلك الزمان:

- أبو الحسن علي بن عيسى، الملقب بالزهرى ت ٤٢٠ هـ الذي تعلم عن طريق منازل العلماء فقد قدم إلى واسط، ونزل في حجرة في جوار الشيخ، أبي إسحاق الرقاعي، ويقول كنت أتردد إلى أبي إسحاق أسأله، فقال لي يوماً: أنه يحكى النحو عن أبي علي الفارسي، كما أنزل قلت: صدقت (٤).

(١) سورة الفتح: من الآية ٢٥.

(٢) معجم الأبناء ١/ ١٨٣، الأثيري، مرجع سابق ص ١٦٤، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٣٤٣.

(٣) سورة الإسراء: من الآية ٧٠.

(٤) معجم الأبناء ١/ ١٩٤، إنباء الزواجا ٢/ ٢٩٧، الزركلي، مرجع سابق ١/ ٣١٨.

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم كانوا يقيمون في منازل العلماء أو بالقرب من منازلهم حتى يتمكنهم التردد على هؤلاء العلماء لاكتساب المعرفة والاستزادة من العلوم. **وهو أصحاب المجالس العلمية في ذلك القرن:**

- أبو المظفر إبراهيم بن أحمد الأزدي. كان حياً سنة ٤٣٢ هـ الذي قدم ههنا. وحضر مجالسة الأدباء والنخبة لمطه من الأدب^(١).

- أبو القاسم علي بن الحسين الملقب بالمرتضى ت ٤٣٦ هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان في مجلسه عن طريق القدوة. ففي رواية أبي الرملي قال: حضرت مجلس المرتضى وأنا إذا ذاك صبي فدخل عليه بعض الأكابر فأجلسه. وتساءلا في كثير من أنواع العلوم. فقد كان المرتضى أحد الأئمة في الأدب والشعر. وله كتاب الشهاب في الشيب والشباب. يقول الزركلي إنه مطبوع. وله كتاب الانتصار. ذكر الزركلي أنه مطبوع وكتاب تنزيه الأنبياء مطبوع. وله تفسير القصيدة الذهبية. قال الزركلي إنها مطبوعة في شرح قصيدة السيد الحميري. وله كتاب إنقاذ البشر من الجبر والقدر. قال الزركلي إنه مطبوع^(٢). **وهو العلماء الذين علموا عن طريق المجالس التي عقدت في منازلهم في ذلك القرن:**

- أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري ت ٤٤٩ هـ الذي اتخذ من منزله مجلس يعلم طلابه من خلاله. فيقول: لزمت مسكني منذ سنة ٤٠٠ هـ واجتهدت على أن أملئ على طلابي أشياء. وهم يقولون نسخها. وكان من بين هؤلاء: أبو الحسن علي بن عبد الله. فألزمني بذلك حقوقاً جمّة^(٣).

- أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الملقب بالصابوني ت ٤٤٩ هـ الذي اهتم بنقل الحديث إلى طلابه عن طريق مجالسه التي كان يعقدها فقد كان أكثر أهل عصره من المشايخ سماعاً وحفظاً وتحريضاً على السماع، وإقامة لمجالس الحديث^(٤).

(١) معجم الأدباء ٧٠ / ١، معجم المؤلفين ٨ / ١، تاريخ دمشق ١٨٢ / ٢ - ١٨٤ / ٢.
(٢) معجم الأدباء ٨٦ / ٤، المطيب البغدادي، مرجع سابق ١٠٣ / ١١، الزركلي ٢٧٨ / ٤.
(٣) معجم الأدباء ٤١٨ / ١، سير أعلام النبلاء ١٥٤ / ١١، الكافي في التاريخ ٢٢٢ / ٩، الزركلي ١٥٧ / ٩.
(٤) معجم الأدباء ٢٩٨ / ٢، السبكي، مرجع سابق ١٢٩ / ٣، الزركلي ٣١٧ / ١.

- أبو غالب محمد بن أحمد المعروف بابن بشران ت ٤٦٢ هـ الذي تعلم عن طريق مجالس العلماء، ففي رواية أبي الفرج بن عبيد قال: سألت أبا غالب بن بشران عن خميس الجوزي فقال: إنه أحد الأعيان قدم واسط فجالس أبي الجلاب، وابن دينار، وقرأ عليه كتاب سيبويه ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي، صاحب السيرافي، وقرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان، فقد كان حسن المحاضرة. ويقول ياقوت: له كتب زهبت على طول المدى منها كتاب فضائل بيت المقدس. قال الزركلي إنه مخطوط فل دار الكتب مصورا عن نسخة كتبت سنة ٥٨٣ هـ وله ديوان من أشعار العرب^(١).
- أبو الحسن علي بن الحسين الباقري ت ٤٦٧ هـ كان له مجلس علم للإفادة شاركه فيه للمحاضرة الشيخ أبو نصر الكندري، والإمام الموفق النيسابوري عام ٤٣٤ هـ^(٢).
- ومنه نلاحظ أنه مجالس العلماء كانت بمثابة المؤسسات التعليمية التربوية، التي يشترك فيها الكثير من العلماء بهدف تعليم الطلاب وشككتهم من تحصيل معارفهم.
- أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الخاصبة ت ٤٨٩ هـ الذي تعلم في منزل مؤدبه أبي طالب المعروف بابن الدلو، وقد كان رجلا عالما صالحا، ثم ذهب ابن الخاصبة إلى علي بن أبي المناقب ولم يكن ابن الخاصبة ضابطا في الرواية بل كان متساهلا. ويقول ياقوت عنه: إنا ذكرت ابن الخاصبة في كتابي هذا وإن لم يكن اشتهر بالأدب، غير أنه كان وراقا قارئا، وله حكايات متعة، ولم يكن بالعارف من الأدب بالكثيرة^(٣).
- ومنه نلاحظ أن ابن الخاصبة لم يحصل العلوم كلية، ولم يتخصص في علم بعينه يعرف به، رغم ترده على منازل العلماء، بل كان مهتما بالأدب ومع ذلك لم يحصل منه الكثير.

(١) معجم الأدباء ١٥٠ / ٥، لسان الميزان ١٢ / ٥، الزركلي ٣١٤ / ٥.

(٢) معجم الأدباء ٢١ / ٤.

(٣) معجم المؤلفين ٢٧٢ / ٨، هدية العارفين ٧٧ / ٦.

وقدم العلماء من خلال منازلهم ومجالسهم الكثير من طلاب العلم في القرن السادس الهجري ومن هؤلاء :

أبو جعفر أحمد بن محمد البيهقي ت ٥٤٤ هـ كان يعلم بداخل منزله، وانتشر عنه ذلك في البلدان، وظهر له تلاميذ نجباء، حيث كان ملازماً لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة. وقد تخرج في منزله خلق كثير، ومع ذلك جمع بين تعليم طلابه وتصنيف الكتب فله كتاب ينابيع اللغة، مطبوع، وكتاب تاج المصادر، ذكر الزركلي أنه مخطوط وقال رأيت نسخة منه في مغنيها برقم ٦٨٢٢، كتبت سنة ٩٦٢ هـ في ٢١٨ ورقة، ومنه نسخة بدلا، الكتب (٣)

٤٩٠ هـ فما بعدها من أيام الفرنج وأخبارهم، وخروجهم إلى الشام (٤)

(٢) معجم الأدياء ٢ / ٣٢، السبكي، مرجع سابق ١ / ٣٧، معجم المؤلفين ١ / ١٧٢.

- أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالخشاب ت ٥٦٨ هـ كانت له دار عتيقة وفي صدرها ألواح مرصوص عليها كتب له، وقد أقام بها طلاب العلم للاقتباس من كتبه. ولذلك وقف كتبه على أهل العلم، ومن مؤلفات الخشاب كتاب المرتجل في شرح الجمل للزجاجي ذكر الزركلي أنه مخطوط، وكتاب الرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح، وله نقد المقامات للحريزي مطبوع، وله شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة، مطبوع في النحو في أربعة مجلدات^(١).

ومنه نلاحظ أن منازل العلماء لعبت دوراً حيوياً في تعليم العامة والخاصة، فقد قامت بدور المدارس التربوية في تلك القرن الذي أرخ له لياقوت، ولأهميتها فقد مارست نشاطها جنباً إلى جنب مع المدارس.

- أبو الفتح محمد بن محمد الواسطي ت ٥٧٤ هـ الذي أخذ علم النحو عن طريق حضور مجالس العلماء، ومع ذلك لم يحزه العلماء تصدر المجالس للإفادة فقد جالس ابن كريان وسمع منه وجالس أبا الحسين بن دينار، ومع ذلك لم يتصدر لإقراء النحو^(٢).

- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالكاتب الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ الذي اهتم بتعليم غيره من خلال مجالسه فقد كان الشهرزوري يحضره مجالسه، ويذاكره بمسائل الخلاف في الفروع، وقد كان الأصفهاني عالماً بالأدب ومن أكابر الكتاب^(٣).

ومنه منازل العلماء التي قامت بدور تعليمي في القرن السابع الهجري :

منزل الشيرازي: وهو أبو المظفر أسامة بن مرشد الكشاني الكلبي الشيرازي ت ٦٠٧ هـ ففي رواية العماد قال: كان أبو المظفر حلواً المجالسة، يتخذ من منزله داراً للعلم فهو على النجم من سماء النباهة، معتدل التصاريح مطبوع النصائيف، وقد كتب الشيرازي سيرته في جزء سماه الاعتبار طبع وترجم إلى الفرنسية والألمانية^(٤).

(١) معجم الأدباء ٤١٤ / ٣، معجم المؤلفين ٢٠ / ٦، ابن خلكان، مرجع سابق ٢٦٧ / ١، الزركلي ٦٧ / ٤.

(٢) معجم الأدباء ١١٥ / ٥، الوافي بالوفيات ١١٢ / ٤، الزركلي ٢٧٧ / ٦.

(٣) معجم الأدباء ٤٢١ / ٥، ابن العماد، مرجع سابق ٣٣٢ / ٤، الزركلي، مرجع سابق ٦٦ / ٧.

(٤) معجم الأدباء ١٠٣ / ٢، جورج زينار، مرجع سابق ١١ / ٣، الزركلي، مرجع سابق ٢٩١ / ١.

خاتمة: مجالس الأمراء والوزراء:

تعد من المؤسسات والأماكن التي قامت بدور تعليمي، فقد أفاد طلاب العلم بل والعامة الكثير من علوم العلماء التي تلقى أثناء مجالس الأمراء والوزراء، ولم يظهر ذلك الدور في القرن الأول الهجري، وإنما ظهر واضحاً في القرن الثاني الهجري ومن أشهر تلك المجالس في ذلك القرن:

- مجلس هارون الرشيد:

فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي بكر عياش بن سالم الملقب بالخياط ت ١٩٣ هـ أنه اهتم بحضور مجالس الأمراء للاقتباس من علم العلماء الذي يحضرون إلى مجالس الأمراء ففي رواية الحسن النحوي عن محمد بن عثمان قال: قدم هارون الرشيد الكوفة، ونزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر بن عياش، فحملناه إليه بعد ذهاب بصره، فسأله أمير المؤمنين أسئلة (تتركها لعدم الإسهاب والتطويل) فأجاب عنها وأطال في الجواب، ثم خرج عياش من مجلس أمير المؤمنين فتيبته الفضل بن الربيع بثلاثين ألف درهم، فقال له عياش: فما لقائدي، قال له الفضل: خمسة آلاف^(١).

ومنه نلاحظ أن العلماء كانوا يحصلون على أجره مقابل تعليمهم العلم لمن في مجالس الأمراء.

وفي القرن الثالث الهجري كانت مجالس الأمراء والوزراء تقوم بدورها التعليمي بجانب أخذ العلماء أجره على حضورهم لهذه المجالس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي الملقب بالنديم ت ٢٣٦ هـ أنه كان من أشهر ندماء الخلفاء، وكان من رواد حضرتهم، والتعليم بجانبهم فيقول: ذكر المعتصم يوماً وأنا بحضرته بعض أصحابه فقال: يا أبا محمد إن أصبت في إجابتك فلك مكافأة، وإن لم تصب قتلتك فسأله المعتصم، فأجاب النديم بإجابات حسنة، فقال المعتصم: قد أمرت لك بمائة ألف

(١) معجم الأدباء ٢ / ٣٣٨ - ٣٤٣، معجم المؤلفين ٨ / ٢٧٦.

درهم، ثم قال: فإنها مائتا ألف أتريد مزيد؟ فقلت له: ما أحوجني قال: فإنها ثلاثمائة ألف (١).

ومنه نلاحظ أن العالم كان إذا أجاد وتفوق في علمه، من ابن خلكان، مرجع سابق الأسئلة التي توجه إليه بمجالس الأمراء، كان يحصل على مكافأة أمام من بمجالس الأمراء حتى يكون ذلك حافزاً لهم على مداومة التقدم في النواحي العلمية والأدبية. ومن خلال مجالس الأمراء، كان العلماء والشعراء يتفاخرون كل بعلمه ويشعروا حتى يتعلم من مجالس الأمراء والوزراء، ومن هؤلاء العلماء:

- أبو إسحاق إبراهيم بن العباس الملقب بالصولي الكاتب ت ٢٤٣ هـ الذي امتهنا لشعر فأصبح جل بضعته لذلك قال دعلج: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء، ويقول المسعودي: لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه، وكان يدعي خؤولة العباس ابن الأحنف، وقد اجتمع الصولي مع هارون بن الزيات وابن برد الخباز في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل الصولي ينشد من شعر أبيه ومحاسنه ويفضله ويقدمه (٢).

- أبو الحسن أحمد بن يحيى الملقب بالبلاذري ت ٢٧٩ هـ الذي اهتم بتعليم غيره للشعر من خلال مجالس الأمراء والوزراء فيقول: كنت من جلساء المستعين بالله وقد قصدته بالشعر فرجعت وقد بعث إلي سبعة آلاف دينار وقال ادخر هذا للحوادث بعدي، ولك الجراية والكفاية ما دمت حياً (٣).

(١) معجم الأدباء ١/ ٢٣٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٨١، معجم المؤلفين ٢/ ٢٢٧، إنباء الرواة ١/ ٢٥١، سيرة أعلام البلاد ٨/ ٣٢، ابن شهر آشوب، مرجع سابق ٢/ ٢٨١.
(٢) معجم الأدباء ١/ ١٦٦، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٩، الإصفهاني، مرجع سابق ١/ ٢٠.
(٣) معجم الأدباء ١/ ١٦٩، ابن خلكان، مرجع سابق ١/ ٢٦٧.

- أبو الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي ت ٢٩٠ هـ الذي كان معلماً بحضرة القاسم بن عبيد فقد تعلم الشعر منه الكثير من ندماء مجالسه، فهو عالم بالشعر وخملة معروف، وقد دخل بغداد أيام القاسم بن عبيد ت ٢٩١ هـ فمدحه بعدة قصائد^(١) وقد استمر دور مجالس الأمراء والوزراء في التعليم لأهل هذه المجالس في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر المجالس في ذلك القرن والتي تظهر من خلال تراجم لياقوت لهؤلاء العلماء:

- أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن سنان التنوخي ت ٣١٨ هـ الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء للسمع من العلماء والتزود من المعرفة، فقد كان موكب القاضي أبي جعفر يحضر بالسواد ويجلس معه العلماء يتذاكرون الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهم من الخدم عدد كبير يسمعون العلم^(٢).

ومنه نلاحظ أن هؤلاء مثلهم في زماننا مثل من يجلسون في بعض المقاهي ليلا لإسماع العامة قصص الغابرين وأخبار الأوائل مثل قصة أبي زيد الهلالي وقصة عنترة، وسيف بن ذي يزن، وذات الهممة، وغيرها من القصص التي يستفيد منها العامة في الشجاعة والكرم والإقبال.

- أبو الفرج قدامة بن جعفر الملقب بالكاتب ت ٣٣٧ هـ الذي تعلم من خلال مجالس الوزراء التي قامت بدورها التربوي والتعليمي، فقد جمعت العلماء حول الأمراء والوزراء في مجالسهم، وقد قال أبو حيان التوحيدى: آخر ما علمنا من أمر قدامة أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات، وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي سنة ٣٢٠ هـ وقد تعلم منهم^(٣).

(١) معجم الأدباء ١٤ / ٥، الزركلي ٢٢٩ / ٥.

(٢) معجم المؤلفين ١٦٠ / ١، بحر أعلام النبلاء ٢٧٠ / ٩، الوافي بالوفيات ١٢٠ / ٥.

(٣) معجم الأدباء ٨ / ٥، معجم المؤلفين ١٤٢ / ٣، ابن تقي بريدي، مرجع سابق ٢٩٧ / ٣.

- أبو علي أحمد بن نصر الملقب بالبايزيارت ٣٥٢ هـ الذي تعلم من مجالس الأمراء، ففي رواية أبو جعفر بن قناس صاحب كتاب القضاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وكان يحضر معنا البايزيار، فقد كان والده من ندماء سيف الدولة، وبذلك شب البايزيار على التعليم وكان حسن المحاضرة مشهور بين العلماء^(١).

ومنه نلاحظ أن التلاميذ تعلموا عن طريق حضورهم مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو علي المحسن بن علي التنوخي ت ٣٨٤ هـ ببغداد الذي اهتم بحضور مجالس الأمراء والوزراء لما يدور بها من حوار ومناقشات بين العلماء في شتى أنواع العلوم من فقه وحديث واستشهاد بآيات القرآن الكريم، فيقول التنوخي: جئت إلى حضرة القاضي لأنقدم إلى أبي السائب، وكانت سني يومئذ عشرين سنة^(٢).

- أبو القاسم، الحسين بن الوليد ويغلب عليه ابن العريف ت ٣٩٠ هـ الذي تعلم من خلال التقاء العلماء في مجالس الوزراء والأمراء، بل كان يتعلم بذلك الحاضرون، وكان الأمراء والوزراء يشهدون ذلك فقد كان المنصور يحضر المجالس التي يتعلم منها ابن العريف، ومعتقده كان من ندماء المنصور، فقد جلس المنصور يوماً وعنده من أعيان أهل العلم الزبيدي صاحب الطبقات والعاصمي، وابن العريف صاحب الترجمة^(٣).

ومنه نلاحظ أن الطلاب كانوا يتعلمون من خلال مجالس الأمراء والوزراء التي كانت تجمع الكثير من العلماء، يتحدث كل منهم بما لديه من علوم تخصص فيها.

- أبو الفضل، جعفر بن الفضل والمعروف بابن حنزاب ت ٣٩١ هـ الذي اهتم بإقامة مجالس العلم في حضرته، يتعلم من خلالها طلاب العلم بل والعامه^(٤)، ففي رواية الحافظ أبي القاسم قال: ذكر بعض أهل العلم وأظنه محمد بن أبي نصر الحميد قال: إن

(١) معجم الأدباء ١١ / ٦، معجم المؤلفين ١١٩ / ٢، ابن القيم، مرجع سابق ١٣٩ / ١.
(٢) معجم الأدباء ١٥ / ٥، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ٧٧ / ١٦، ابن خلكان، مرجع سابق ٣٥٣ / ١.
(٣) معجم الأدباء ٣ / ٣، معجم المؤلفين ١٧ / ١، الزركلي ٢٦١ / ٢.
(٤) معجم الأدباء ٢ / ٣٧٩، ابن خلكان، مرجع سابق ٢٤٦ / ١.

الوزير أبا الفضل بن حنزاب، حدث بمصر، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وكانا من كاتبيه ومخرجه، فكان مكرماً لأهل العلم^(١) ومنه نلاحظ أن استخدام عبارة مجالس الأمراء والوزراء كمصادر للتعليم في تلك الفترة التي عاشها ابن حنزاب استخدام صحيح، فقد كان العلماء يلتفتون للكتابة والمناظرة وقد ظل هذا الدور التعليمي لمجالس الأمراء والوزراء مستمرا في القرن الخامس الهجري، ومن هذه المجالس التي تعلم من خلالها الطلاب، وأوردها لياقوت في تراجم بعض العلماء ومن هؤلاء:

- أبو الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب ت ٤٠٣ هـ الذي نادى الوزراء، فكان لا يكمل أنسهم إلا بحضوره ولذلك حضر مجلس بهاء الدولة في جملة الندماء، ونفق (راج رواجاً) عنده اتفاقاً لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تتم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه^(٢).

وقد استمر هذا الدور لمجالس الأمراء والوزراء في القرن السادس الهجري:

- أبو جعفر محمد بن أحمد بن طاهر ت ٥١٠ هـ الذي قال أنشأ أمراء ووزراء ذلك القرن أماكن للتعليم أطلقوا عليها مجالس الأمراء والوزراء، وأطلقوا عليها مرة أخرى، دار العلم التي أسهمت في التعليم ولعبت دوراً تربوياً في التعليم، وكان توقف عليها كتب العلماء التي يرسلونها إلى مثل هذه الدور، وقد أقام أبو منصور بوظيفة الخازن لكتب في دار العلم ففي رواية أبي الحسن محمد بن الصائغ قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أردشير الوزير، خازناً عرف باسم أبي منصور، كان يعلم ويحفظ الكتب^(٣).

- أبو الحسين أحمد بن علي الملقب بالرشيد الأسواني المصري ت ٥٦٢ هـ الذي تقدم عند أمراء مصر ووزرائها، وقد اجتمع ليلة عند الصالح بن زريك، هو وجماعة من الفضلاء

(١) الخطيب البغدادي: مرجع سابق ١/ ٢٧٥، ابن تغري بردي: مرجع سابق ١/ ٢١٤.
(٢) معجم الأدباء ١/ ٤٨٢، معجم البلدان ٢/ ٥٥، اللسان ١/ ٩٧، الزركلي: مرجع سابق ١/ ١٧١.
(٣) معجم الأدباء ١/ ١٨٠.

فألقي عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواء، فأعجب به الصالح فقال الرشيد: ما سئلت قط عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهما^(١).
- أبو محمد إسماعيل بن موهوب الملقب بالجواليقي ت ٥٧٥ هـ الذي كان من علماء مجالس الأمراء التي أفاد الطلاب من خلالها الكثير، ففي رواية محمد بن قطير، ناظر واسط والبصرة قال إنه دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله، فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه رجالاً لم يعرفه فهابه، ثم جلس بين يدي الوزير، وأخبره بشأن هذا الرجل فقال له: هذا هو الشيخ أبو محمد الجواليقي، فقام مبادراً وقال له: أيها الشيخ ينبغي أن تجلس هنا (مشيراً إلى مكان مرتفع) فأنت أعلى منهم منزلة، ثم تحدث الشيخ إليهم^(٢).

ومنه نلاحظ علو منزلة العلماء بعلمهم، وإفادتهم للناس عن طريق تعليمهم إياهم لهذه العلوم من خلال مجالس الأمراء والوزراء.

- أبو الفرج محمد بن أحمد الملقب بشرف الكتاب ت ٥٧٩ هـ الذي ذكر أن مجالس الأمراء والوزراء لعبت دوراً تربوياً هاماً في تعليم العامة من أفراد المجتمع عن طريق استحضار العلماء الأجلاء، لكي يفقهوا ويؤدبوا هؤلاء من خلال هذه المجالس، ففي رواية أبي علي القليلي قال: سمعت شرح الكتاب يحدث أنه كان يوماً في مجلس الوزير (عون الدين بن هبيرة) وقد اجتمع الناس عنده فشغلت بهم عن درس العلماء، لأن دخولهم كان من باب العامة^(٣).

- أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بالعماد الكاتب الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ الذي لزم باب السلطان صلاح الدين (كناية عن كثرة حضور مجالسه)، فكان ينزل لنزوله

(١) معجم الأدباء ٥٢٢ / ١، معجم المؤلفين ٣١٥ / ١، الإرز كل ١ / ١٧٣، الإندوي، مرجع سابق ص ١٧ - ٥٠، ابن العماد، مرجع سابق ١٩٨ / ٤ - ٢٠٣، ابن تقي الدين، مرجع سابق ٣٧٤ / ٥.
(٢) معجم الأدباء ٣١٣ / ٢، سير أعلام النبلاء ١٦٦ / ٢، اللبيب ٢٤٥ / ١، ابن العماد، مرجع سابق ١٢٨ / ٤، في الوفيات ١٥٧ / ٦.
(٣) معجم الأدباء ١٥٦ / ٤، بغية الوعاة ص ٤١٣.

ويرحل لرحيله ولم يترك مجالسه، بل كان ملازماً لخدمته حتى قربه واعتمد، فقد قدم بغداد حدثاً فتادب وتفقه بها^(١).

والخلاصة: لقد خلص الباحث مما سبق عرضه أن مجالس الأمراء والوزراء كانت بمثابة أماكن للتعليم، وذلك عن طريق حضور الكثير من العلماء إلى هذه المجالس بهدف نشر العلم بين المتعلمين، أو بهدف سطوع نجم العالم بين أقرانه من العلم، وأخيراً بسبب الحصول على المكافأة والمال وإن كان ذلك هو الأكثر شيوعاً، ومن خلال هذه المجالس تأدب الصبيان عن طريق الحضور مع أولياء أمورهم، ولم تقتصر هذه المجالس على علم واحد من العلوم، وأما كانت المناظرة بين العلماء في شتى أنواع العلوم، كما لم يقتصر التعليم في هذه المجالس على أبناء الأمراء والوزراء، بل كان التعليم بها مشاعاً لعامة أفراد المجتمع.

استدراكاً:

لاحظ الباحث من خلال استقرائه لما أورده لياقوت في كتاب "معجم الأدباء" عن مجالس الأمراء والوزراء أنه أغفل وعن غير عمد كماداته مجلس قاضي القضاة في مصر والذي كان يعقد في دار الحكمة.

وقد أنشئت بعد إنشاء الجامع الأزهر بخمس وثلاثين عاماً، وفي عهد الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥ هـ (أي في القرن الرابع الهجري) وكانت المجالس التي تعقد بها تسمى مجالس الحكمة والتي ينظمها قاضي القضاة، وتقرأ فيها الكثير من العلوم، ويهرع الناس إلى شهودها، وتخصص فيها مجالس للخاصة، ومجالس للعامة وأخرى للنساء، ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع وأن تنظم فيها مجالس دينية وعلمية متصلة بجمعها معهد رسمي، فأنشئت دار تسمى دار العلم، وكان دار الحكمة في البداية طابعا حراً، فدعي إليها الأساتذة من المذهبيين السني والشافعي، وقرئت بها فضائل

(١) معجم الأدباء ١/ ٥، معجم المؤلفين ١١/ ١٩، ابن تقي الدين، مرجع سابق ١/ ٢٨٨.

الصحابية، ثم أبعد عنها الأساتذة السنيون فيما بعد، وقتل بعضهم، وتؤكد بذلك صفتها المذهبية، وكان الإشراف على مجالس الحكمة من شئون قاضي القضاة. ولكنها لما اتسع نطاقها بقيام التعليم، عهد بها إلى زعيم ديني يسمى داعي الدعوة، وبذلك كانت دار الحكمة في طاهرها جامعة حرة علمية، يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون، وفي الحقيقة فإن هذا المظهر العلمي لم يكن في الواقع إلا ستاراً للغاية الأصلية التي أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهي بث الدعوة الفاطمية بطريقة علمية منظمة تترج فيها النظريات والآراء الفلسفية بالأصول والمبادئ المذهبية، وتكون أبعد أثراً في غزو الأذهان والعقائد من مجالس القصر، وبذا تجتمع جهود الدعوة في مركز رئيسي يحشد فيه المؤمنون من كل صوب، ليقوموا فيما بعد بقسطهم في حمل الدعوة ويثبها في سائر المجتمعات والأنحاء، واستطاعت دار الحكمة في ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة، ولم يمض سوى حتى ازدهرت وهرع إليها الطلاب من سائر الأقطار^(١).

وقد استمر التعليم من خلال الديار المصرية في القرن السادس، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي العلاء علي بن عبد الرحيم المعروف بابن العصار اللقوي ت ٥٧٦ هـ قال: كانت الديار المصرية بمثابة أماكن للتعليم في ذلك القرن يلتقي فيها الطلاب مع أساتذتهم، فقد سافر الكثير من طلاب العلم إلى الديار المصرية من مختلف البلدان الإسلامية وأخذوا عن أهلها وروى عنهم مثل أبو العلاء العصار الذي تعلم من خلال الديار المصرية. وقد اتخذ الطلاب من دار الخلافة ببغداد أماكن للتعليم والإفادة منها والإقامة بها. فقد ورد أبو العلاء بن العصار ببغداد فقرأ بها العلم، وأقام بالمطابق من دار الخلافة.

(١) سعيد إسماعيل علي، رؤية إسلامية لتضاريف تربوية، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٣) من ص ٩٥ - ٩٩ وسعيد إسماعيل علي، الأهرام على مسرح الأحداث المصرية، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧١) من ص ٣٠، محمد عبد الله عطفان، تاريخ الجوامع الأزهرية، (القاهرة: مؤسسة الخديوي ١٩٥٨) من ص ٥١، خطاب عطية علي، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول، (القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٦٧) من ص ١٧٧.

سادساً: أهاكنه الحروب (الرباط، الخوانق)

ذكر ياقوت من بين أماكن التعليم التي قامت بدور تعليمي تجاه العامة من أفراد المجتمع أماكن الحروب ومواطنه، وقبل أن نتحدث عما أورد ياقوت نذكر معنى كل من الأربطة والخوانق:

- الأربطة: مفردا رباط، بني أصلاً بغاية المراقبة للجهاد، وملازمة ثغر العدو، والإقامة على جهاده، ثم أخذ يطلق على هذا المكان الذي يربط في الصوفية للعبادة والانتقطاع إلى الله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس والحد من شهواتها، ثم تطور الهدف من الرباط وأصبح مأوى للعاجزين والنساء المطلقات أو المهجورات، واليتامى والفقراء والمساكين ومسكناً للفقهاء، وأحياناً لكبار العلماء وأصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية، كالوعظ والإقراء والتحدث، والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية وتصنيف الكتب^(١).

- الخوانق: مفردا الخانقاه وهو رباط الصوفية وموطن تواجدهم، وكانت تبني غالباً على شكل مساجد للصلاة، وتحتوي على غرف عديدة لمبيت الفقراء والصوفية، وبيتاً كبيراً لصلاتهم ولا يكون فيه منبر، لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلا نادراً، وكان يرتب فيها دروس لطوائف الفقهاء، ودروس الحديث النبوي، ودروس لقراءة القرآن بالفرائد وجعل فيها مدرسين وخصص مدرس لكل مجموعة من الطلاب، وكان يوفر للطلاب الطعام والشراب^(٢).

وقد ذكر ياقوت أهمية الرباط في التقاء العلماء بأهله وأهل الثغر، وفي القرن الثاني الهجري ذكر من العلماء:

(١) إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط الجزء الأول، (لبنان: دار إحياء التراث، د. ت) ص ٣٢٣، وسعيد إسماعيل، على معاهد التربية الإسلامية ص ٥٩٥.
(٢) عبد الغنى عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤) ص ١٦٨، عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، الطبعة الثالثة، (بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٨) ص ١٦٠.

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفرزاعي الكوفي ت ١٨٨ هـ الذي أدب أهل الثغر وعلمهم الحديث، حتى أنه كان إذا دخل الثغر رجل مبتدع (يزيد في الدين وينقص) أخرجه^(١) ومنه نلاحظ أن العلماء والأدباء لم يتركوا مكاناً يسمح بالتعليم إلا وقدموا إلى من حضر فيه من طلاب العلم الكثير من علومهم، مثلما يحدث الآن من التقاء العلماء بالشباب من حين لآخر.

وفي القرن الثالث الهجري، كان التعليم يتم أثناء ليلي الحرب، فقد ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن الطيب المعروف بابن الفرائضي ت ٢٨٦ هـ قال: كان المعتضد مجتازاً بعسكره فأخذ الجيش في طريقه، فأنكر الناس ذلك، وكان معهم ابن الفرائضي يقول فجلست أحداث المعتضد ليلة، فقال لي: يا عبدالله ماذا تقول الناس عني؟ قلت له سراك في سفك الدماء، وظللت أعلمه طوال هذه الليالي حتى قال: والله ما هرقت (أرقت) دماً منذ ذلك^(٢).

ومنه نلاحظ أن أماكن الحرب كانت بمثابة مؤسسة تعليمية يجلس فيها العلماء مع القادة والجنود يعلموهم، وذلك يشبه ما يحدث الآن حينما يسافر بعض العلماء إلى أماكن تجمع القوات المسلحة ليوضحوا لهم بعض الأمور الدينية التي تحفزهم لصالح الوطن والأرض متخذاً من العرض طريقاً، وكذلك ما يحدث من العلماء تجاه التجمعات الشبابية في أماكن المعسكرات الصيفية، والندوات العلمية التي يعقدها العلماء.

ولم يذكر ياقوت شيئاً عن القرن الرابع الهجري، وإشاً ذكر بعض النماذج التي حدثت في القرن الخامس، ففي ترجمته لأبي القاسم المحسن بن الحسين الملقب بكوجك ت ٤٦٦ هـ ذكر في رواية ابن طلائع قال: حضرنا مع أبي القاسم كوجك في محرس (حصن) بمدينة صيدا فقام ابن كوجك، فأنشدنا شعراً، وأنشد الحاضرون، وفيه قبة أسماء من حضرها وأشعارهم^(٣).

(١) معجم الأدباء ١٣٤ / ١، معجم المؤلفين ٩٠ / ١، سير أعلام النبلاء ٢٩٢ / ٦.

(٢) معجم الأدباء ٢٩٢ / ١.

(٣) نشر مع السابق ٦٢١ / ٥، معجم المؤلفين ١٨٢ / ٨.

ومنه نلاحظ أن العلماء اتخذوا من أماكن الرباط والحروب أماكن للتعليم يدلي فيها كل بدلوه، ثم تترك لوحة الشرف، وعليها أسماء العلماء، وما كتبوه من أشعار تخليدا لهم. وقد تحدث النعيمي عن الأريطة والزوايا والخوانق، وأقر لكل منهم فصل خاص وقد ترك الباحث إيراد ذلك لعدم الإطالة ولن يرد الإطلاع يمكنه الرجوع إلى الدارس في تاريخ المدارس.

سابعاً: الأسواق:

كانت الأسواق التي كانت تقام في البلدان الإسلامية، بل وفي العصور الجاهلية أكبر الأثر في تربية النشء، حيث كانوا يجتمعون للتجارة، ويقتنمون أوقات هذه المواسم فيقيمون مجالس البحث والمناشدة والمفاخرة، فتتلى القصائد والخطب، وتنشط الروح الفكرية والأدبية ولذلك كانت الأسواق مجالاً خصياً للتعليم من خلالها للعامة والخاصة. وقد ذكر لياقوت في كتابه "معجم الأدباء" من الأسواق التي قامت بتهديب لغة النشء وتوحيد لهجاته في القرن الرابع الهجري:

- سوق يحيى: ففي ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ أنه في رواية أبي بكر ابن كامل قال: قال الطبري: وصف لي قارئ سوق يحيى فجئت إليه وتقدمت عنده، فقرأ عليه من أول سورة البقرة حتى بلغت قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ...} (١) وأردت أن أسمعه منفرداً فأبى إلا أن يسمعها مع الناس (٢).

ومنه نلاحظ أن الأسواق التي كان يجتمع الناس بها لقضاء حاجاتهم تعد من الأماكن التي تقوم بدور هام في تعليم العامة بل وطلاب العلم، وكانت الأسواق منذ العصر الجاهلي تقوم بهذا الدور حيث سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وغيرها من

(١) سورة البقرة: من الآية ٢٦.
(٢) معجم الأدباء ٥ / ٢٥٩، ميزان الاعتدال ٣ / ٣٥، اللباب ٢ / ٨١، تذكرة الحفاظ ٢ / ٣٥٩، ابن العماد، مرجع سابق ٢ / ٢٦٠، ابن تقي بري، مرجع سابق ٣ / ٢٠٥.

الأسواق التي عهدت بتهذيب لغة النشء عن طريق الندوات التي تعقد بها، وأحياناً كانت هذه الأسواق تقوم بدور واضح في الخدمة الاجتماعية عن طريق حل المنازعات القائمة بين القبائل، بل أحياناً يعقد فيها قران (عقد) زواج.

وكانت العلوم التي تدرس وتنتشر في الأسواق تعتمد على المناظرة فقد بلغ من اتساع مناظرة طويلة ثارت في سوق الوراقين بين طائفة من المفكرين المتفلسفين وبين أحد إخوان الصفا المسمى: المقدسي وكان موضوعها الصلة بين الفلسفة والدين^(١).

ومن الندوات المشهورة في القرن الرابع الهجري، ندوة أبي سليمان المنطقي السجستاني ت ٢٤٨ هـ فهو من كبار علماء اللغة والشعر، وصاحب كتاب صوان الحكمة ومن تلامذة الفارابي، وقد امتاز بعقل خصب نادر، وكانت ندوته تدور حول شعب الفكر في الإلهيات والطبيعات والنفوس والروح والأخلاق وكذلك الحوار في المسائل الكثيرة التي كانت تثار في هذه الندوات، ويجانبها كانت ندوة ابن سعدان، وكاننا إزاء مصانع مستحدثة كانت تصنع الأفكار المتفلسفة صناعة غريبة عجيبة، مما أتاح بحق ليعتاد أن تعظم منزلتها العلمية وأن يحج إليها العلماء^(٢).

ولأهمية الأسواق في نشر الأدب والعلم، كانت تقام في منطقة البحرين (منطقة قبائل عبد قيس، وتسمى قديماً) أسواق الأدب مثل: سوق هجر، وسوق دارين، ولذلك أنجبت عبد قيس في الجاهلية، وأنجبت في العصر الإسلامي أكثر من شاعر وخطيب، الذين أشاد بهم العلماء، ولكن حينما استولى القرامطة على البحرين خمدت الحركة العلمية فيها، غير أنها أخذت تنعش سريعاً في زمن بني عصفور وبني جبر فكانت أسواقهم تقوم على الدراسات العلمية والدينية، والدراسات اللغوية، فقد وقف علماء اللغة أنفسهم على

(١) أبو جبران التوحیدی، مرجع سابق ٢ / ٣.

(٢) معجم المؤلفين ١ / ٢٨٥، الوراق والوفيات ٥ / ١٤، سیر اعلام النبلاء ٨ / ٢٠٦، ابن خلدون، مرجع سابق ٣٠٠، الزركلي، مرجع سابق ٣ / ١٤٣.

تلقين الشريعة والعلوم اللغوية للناشئة وتفقه الناس بأمور دينهم ووعظهم. وقد ظلت هذه الحركة العلمية نشطة حتى العصور الأخيرة^(١).

والخلاصة:

أن الأسواق قامت بدور تعليمي إيجابي تجاه العامة والخاصة من طلاب العلم واعتمدت في تعليم الطلاب على المناظرات والمناقشات. في العلوم الدينية والعلوم اللغوية ومن هذه الأسواق في العصر الجاهلي: سوق عكاظ وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وفي العصر الإسلامي وبالتحديد في القرن الرابع الهجري كانت: سوق يحيى، وسوق الوراقين وسوق هجر، وسوق دارين. ومن أهم الندوات في ذلك القرن، ندوة السجستاني، وندوة ابن سعدان.

ثامناً: الشوارع والطرق العامّة

ذكر ياقوت أن الشوارع والطرق قامت بدور تعليمي تجاه طلاب العلم وعلى وجه الخصوص هؤلاء الطلاب الذين لا يمكنهم الحضور إلى العلماء، وقد ظهر ذلك الدور التعليمي للطرق العامة كواحدة من أماكن التعليم منذ القرن الثاني الهجري ومن الطلاب التي تعلموا من الطرق:

- أبو الحسن لي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي ت ١٩٤ هـ الذي كان من الجند على باب الرشيد، ولا يقدر على حضور مجالس الكسائي، فكان يرصد مصيره إلى الرشيد ويعرض عليه في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وماشاه يسأله في طريقه المسألة تلو المسألة، وإذا خرج الكسائي من الدار ماشاه ليسأله حتى يركب دابته، ولم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوي، وتمكن من علمه^(٢).

ومنّه تلاحظ أن الطلاب كانوا يأخذون عن العلماء في مجالسهم، فإذا لم يتيسر لهم ذلك، التقوا بهم في الطرق لكي يسألونهم ويتعلموا منهم، خاصة إذا كان هؤلاء الطلاب

(١) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي من ٢٨١، معجم الأدباء ٩٤ / ٣، شوقي ضيف، المرجع السابق ص ٩٦.
(٢) معجم الأدباء ٣ / ٤، نهاية الرواة ٣١٣ / ٢، ميزان الاعتدال ٢٨٨ / ٤، الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٠٤ / ١٢.

عمل بمنعهم من الحضور إلى العلماء، كما يتضح لنا تدرج التعليم فما زال الأحمر يتدرج في المعرفة حتى نبغ وتفوق في علمه، فلقد عده أصحابه بأنه شيخ النحاة في عصره، وقد حصل تلك كله عن طريق مناقشة أستاذه الكسائي في الطرقات العامة.

وهه هؤلاء الطلاب في القرن الرابع الهجري الذين أصبحوا علماء تناول علومهم:

- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ الذي كتب الكثير من العلوم في طريقه عن شيوخ واسط، وفي رحلته إلى الكوفة كتب عن شيوخ في طريقه إليها ومنهم (أبي كريب محمد ابن العلاء الهمداني ت ٢٤٨ هـ وكتب في طريقه عن مشايخ أجناد الشام والسواحل والنخوع وأكثر منها^(١))

وقد قامت المزارع والبساتين بهذا الدور في القرن الرابع الهجري، فقد تعلم من خلالها أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الملقب بالمقرئ ت ٣٢٤ هـ الذي حضر مع جماعة من أهل العلم في بستان لدارسة العلوم، وقال: هي كالتخالف في المساجد^(٢).

ومنه نلاحظ أن طلاب العلم لم يتركوا مكاناً إلا واتخذوه مكاناً للتعليم.

وهه العلماء الذين اتكفوا به القوارح أهاكه للتعليم في ذلك القرن:

- أبو بكر أحمد بن كامل الملقب بالقاضي ت ٣٥٠ هـ الذي كان ينزل بشارع عبد الصمد ببغداد لتعليم العامة^(٣).

ومنه نلاحظ أن التعليم لم يقتصر على الأماكن المعهودة مثل المساجد والمدارس ومجالس العلماء، بل تعداه إلى استخدام الشوارع بالمدن كإماكن للتعليم، وقد يقصد به محو الأمية، غير أنه في الوقت الحاضر يتم بطريقة منظمة، وتنفق الدولة عليه، أما هؤلاء العلماء فكان هدفهم الإصلاح ونشر العلم بين جميع طبقات المجتمع.

(١) معجم الأدياء ٢٤٨ / ٥، الكامل في التاريخ ٤٢ / ٨، ابن تقي بردي، مرجع سابق ٢٠٥ / ٣.
(٢) معجم الأدياء ٢٢٩ / ٦، معجم المؤلفين ١٨٨٨ / ٢، سير أعلام النبلاء ٦٦ / ١٠، الزركلي، مرجع سابق ٢٦١ / ١.
(٣) معجم الأدياء ٥١٧ / ١، الزركلي، مرجع سابق ١٩٩ / ١.

والخلاصة:

يتضح لنا من العرض السابق أن الأماكن العامة من الشوارع والطرق لعبت دوراً هاماً في تعليم العامة والخاصة، عن طريق المناقشة التي تحدث بين المتعلمين والعلماء.

تاسعاً: أماكن التجارة:

ساهمت أماكن التجارة في نقل المعرفة إلى الطلاب، وذلك عن طريق حضور العلماء إلى أماكن التجارة، وقد تكون التجارة في كتب العلماء، وبذلك يستطيع الخازن لهذه الكتب أن يتقن نفسه بالاطلاع على هذه الكتب، وقد ظهر دور أماكن التجارة في التعليم في القرن الرابع الهجري، ومن الطلاب الذين تعلموا عن طريقها:

- أبو الحسين علي بن عبد الله الملقب بالناشي الحلاء ت ٣٦٥ هـ الذي تعلم من خلال أماكن التجارة فيقول: كان جدي وصياف مملوكاً، وكان ابن عطار في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه، فكان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لا أعرفه وهو يتدارس مع والدي الكثير من العلوم، ثم انقطع مدة فسألت عنه والدي، فقال: ويحك ذلك ابن الرومي، وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئاً^(١).

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين، تعلم الكثير من خلال أماكن التجارة:

- أحمد بن كليب النحوي صاحب أسلم الأندلسي ت ٤٢٦ هـ، ففي رواية يحيى الكندي الحراني قال: حدثني أبو بكر الصنوبري قال: كان بالرها (مكان ببغداد) وراق يقال له سعد كان حسن الأدب والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وكان في دكانه مجلس لكل أديب وما كنا نغارق دكانه^(٢).

(١) معجم الأدباء ١: ١١١ / ٤، معجم المؤلفين ٧ / ١٢٢، ابن خلكان، مرجع سابق ١ / ٣٥٤، إجازة كلبي ١ / ٣٠٤.

(٢) معجم الأدباء ١ / ٥٥٥.

- أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الكوفي ت ٥٠٧ هـ الذي اتخذ من أماكن العمل مداداً للتعليم، وطريقاً يسلكه لكي يحصل منه على المعرفة والعلم فقد كان أبو المظفر قد ولى خزانة الكتب بنظامية بغداد بعد القاضي أبي يوسف الأسفراييني^(١) ومنه نلاحظ أن أماكن التجارة قامت بدور المؤسسات التعليمية ولكنها غير مجهزة للكثير، ولكن لاحظنا التقاء العلماء وطلاب العلم في الدكاكين المخصصة للتجارة ولم يكن التعليم فيها على طلاب العلم فقط بل كان العامة من الناس يحضرون إلى هذه الأماكن، وقامت بذلك الدور المكتبات فمن خلالها كان الخازن أو العامل بها يقوم بتلقيح نفسه من خلال هذه الكتب التي بين يديه والتي تحوي أفكار بنات عقول هؤلاء العلماء وذلك يشبه الثقافة العمالية ومحو أمية العامل بما يتناسب مع ظروف الحياة العصرية ولذلك فقد لعبت المكتبات دوراً إيجابياً في التعليم مما جعل الوزراء والولاة يهتمون بالمكتبات الخاصة والعامة وألحق بكل مدرسة مكتبة كبيرة تغص بالكتب في كل علم وفن وكان هذا الاهتمام من قبل الأفراد والدولة، حيث أن المكتبات هي أداة الثقافة ومنهل المجتمع العذب ينهل منها كل من يريد المعرفة والتزود من العلم وظل الاهتمام بها متواصل حتى العصر الحاضر، لأن المكتبات الإسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التي يفخر بها الإسلام والتي كان لها دور كبير جداً في نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين أنفسهم فانتقلت آثارها إلى ديار الغرب، وظهرت المكتبات في الإسلام، وتطورت نتيجة لانتشار العلم والمعرفة في العالم الإسلامي، فالمكتبات في الإسلام هي كائنات حية انبثقت عن المجتمع الذي وجدت فيه نتيجة لتطوره وحاجته إليها، وهي في الوقت نفسه ساعدت كل المساعدة على تطور هذا المجتمع، ودفعه في طريق الرقي والنجاح والفلاح، إذن فالمكتبات

(١) معجم الأدباء ٥ / ١٦٦، معجم المؤلفين ٨ / ٣١٤، ابن العماد، مرجع سابق ١ / ٦٦، السيوطي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦، الزركلي، مرجع سابق ٥ / ٣١٦.

الإسلامية مرآة تنعكس فيها حياة المسلمين وتظهر فيها الحياة واضحة صافية مشرقة وفي جميع جوانبها.

كما أن المكتبات هي نفسها تتاج تفاعل هذه الحياة. وقد نشأت مع نشأة المساجد. وأولى المكتبات كانت بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يجتمع فيه ما يدون من التنزيل الحكيم، ثم نقلت الصحب إلى بيت أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) بعد أن جمعت في مصحف على يد زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أحد كبار كتاب الوحي وحفاظه، ثم نقلت الصحف إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبقيت عند حفصة (رضي الله عنها) إلى أن استعارها عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ونسخ عنها المصاحف وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية ثم ردها إليها. وإلى جانب ذلك كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد. وقد نشطت صناعة الورق لسد حاجات التأليف والعلماء وطلاب العلم وحاجات الدول.

وهذه أشهر المكتبات التي قامت بدور تربوي تعليمي:

- دار الحكمة أو بيت الحكمة:

وقد رجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم أمدها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة. حتى صارت من أكبر خزائن الكتب العصر العباسي وظلت هذه الخزانة قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم إلى أن استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ^(١).

- دار العلم:

وهي خزانة العبيديين بمصر ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة. وقد جمع فيها كتباً كثيرة. وأقام فيها الطلاب وجعل فيها ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق

(١) سعد - إسماعيل علي، رؤية إسلامية لقضايا تربوية ص ٩٧، الإسكندرية - مرجع سابق ٩ / ٢٢٠.

وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي فيما مضى، وأكثر جمعا للكتب وإفادة للطلاب والعامة^(١)

- مكتبة قرطبة: لقد كثرت المكتبات في الأندلس، وبلغت نحو سبعين مكتبة سوى المكتبات الخاصة وأشهرها مكتبة قرطبة، التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) وكان وكرانه يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من المؤلفات، فقد جمعت أربعمائة ألف مجلد، وكثر الطلاب حول هذه المجلدات للإفادة^(٢)

- المكتبة الحيدرية بالنجف بالعراق:

وقد اهتم بهذه المكتبة الأمراء والوزراء، ومن أشهر من اهتم بها قديما عضد الدولة البويهري ٣٧٢ هـ ومكتبة ابن سوار بالبصرة وأسسها أبو علي بن سوار، أحد رجال عضد الدولة البويهري، وفيها كتب كثيرة وكان طليعيا منذ أوائل حكم البويهيين أن يشغفوا بالمكتبة وجمعها واتخاذ مكتبات خاصة لأنفسهم، وبجانب المكتبتين السابقتين كانت مكتبة وزير ابن العميد، وكانت أكبر من سابقتها، ويقال أنها لو حملت ما استطاع أن يحملها إلا مائة بعير، واتخذ خازنًا لها ابن مسكويه الفيلسوف المعروف والتي كانت سببا في نبوغه وتفوقه، ومكتبة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بالري ويقال أنها كانت أضعاف مكتبة ابن العميد، حتى أن قهارسها كانت في عشرة مجلدات، بالإضافة إلى خزانة سابور، والتي أنشأها سابور بن أردشير بالكرك وزودها بكتب كثير وكانت مركزا ثقافيا هاما يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالعة^(٣)

(١) محمد عبد الله حجاز، مرجع سابق ص ٥٦.

(٢) تذكرة الخفيل ٣ / ٦١٠.

(٣) معجم المؤلفين ٩ / ٢٥٧، معجم الأدياء ٢ / ٢٥٩، الأثر على ٦ / ٩٨، الوافي بالوفيات ٢ / ٣٨٢، الأدياء الزوارة ١ / ٢٠٩.

- مكتبات المدارس:

ألحقت المكتبات بالمؤسسات العلمية التي كثرت في المدن الإسلامية فقلما خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنقاج الفكري الإسلامي الذي تُفتح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية ببغداد، ومكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد كذلك، وقد سبق الحديث عنهما، وبناء المدارس انتشر في الإسلام انتشاراً هائلاً، وقد ألحقت بها كلها مكتبات^(١).

- مكتبات البيمارستانات^(٢) (المشافي أي المستشفيات):

كان من مآثر الإسلام الكبرى عنايته بالمرضى واهتمامه بعلاجهم، وإيجاد الأماكن اللازمة لمعالجتهم وتطبيبهم، وقد أنشأ الخلفاء والحكام المشافي في طول البلاد الإسلامية وعرضها، فقد أوجد عضد الدولة البويهري في القرن الرابع الهجري بمارستاناً في بغداد سمي باسمه، فظل فترة طويلة يستقبل المرضى ويهتم بهم، كذلك أنشأ نور الدين الشهيد في دمشق في القرن السادس الهجري بمارستاناً، وفعل ذلك ملوك المماليك وحكامهم في مصر وسورية وقد ألحق بهذه المشافي مكتبات حافلة تضم شرات العقول، لأن المستشفى لم يكن مكاناً للتطبيب والتمريض^(٣) وإنما كانت مكاناً لتعليم الطلاب وعلى وجه الخصوص طلاب كليات الطب، في معرفة الأمراض وطرق معالجتها، فكان البيمارستان مكاناً للتدريب العملي ومكاناً للدراسة النظرية، وقد بلغت بعض المكتبات الملحقة بالمشافي حداً ضخماً فقد ذكر أن عدد الكتب التي وجدت في مستشفى قلاوون في القاهرة حوالي مائة ألف مجلد أخذت أغلبها من دار الحكمة في القاهرة^(٤).

(١) ناجي معروف، مرجع سابق ٥٩/١ - ٥٥.

(٢) البيمارستان: يعني بيت المرضى.

(٣) صلاح أحمد الطنوبي، المكتبات في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: ٢٧١، ١٩٨٧ ص ٥.

(٤) المرجع السابق ص ٥١، ٥٢.

تعليق:

يتبين من خلال العرض السابق لأماكن التعليم والتعلم المختلفة والتي أوردها لياقوت في كتابه "معجم الأدباء" الدور البارز للمساجد والكتاتيب والمدارس ومجالس الأمراء والوزراء، والأسواق وأماكن التجارة، ومحال العمل والمكتبات والبيمارستانات في تربية وتعليم وتهذيب النشء.

فالمساجد وهي:

{ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسْتَبَحُّ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } (١)

تكتسب بذلك قدسية خاصة لدى المسلمين عامة ودورها قديماً لا يخفى على كل ذي بصيرة. فقد حملت المساجد، مشاعل الهداية والتنوير بمعناه الحقيقي وأسهمت في نشر العلم والتعليم في جميع الأقطار الإسلامية الموجودة بها، وتحمل كتب السنة النبوية الملهمة الكثير من الآثار التي تبين حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة وحضور حلقات العلم بالمسجد، وفي العصر الحديث يلاحظ الباحث قصور دور المسجد التربوي ولا يكاد يرى سبباً لهذا القصور.

والباحث يدعو إلى أن يعود للمسجد دوره التربوي التعليمي حتى تتقدم الأمة جمعاء، كما كانت متقدمة في الماضي. وحتى تتمكن القيم من نفوس الناس جميعاً. وقد تحدث الباحث عن المساجد التي كانت بدور تربي كما أوردها لياقوت:

- مساجد المدينة، وتشمل: مسجد المدينة، ومسجد السبيع.
- مساجد الكوفة، ومنها: المسجد الجامع بها،
- مساجد بغداد، مثل مسجد ابن رعيان.

(١) سورة النور: من الآية ٢٦

- مساجد دمشق: مثل مسجد أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجد بني علان، ومسجد أبي بكر هشام بن معاوية الضريز، والمسجد المعلق، ومسجد بني أمية.
- مساجد البصرة: مثل جامع البصرة.
- مساجد نيسابور: مثل الجامع القديم، والجامع المنيعي.
- المسجد الجامع بالأندلس، وواسط والجامع الكبير بأصبهان، وفي مصر: جامع عمرو بن العاص، وجامع المقياس، ومسجد ابن الحاج بقنا، ومسجد الخضز، ومسجد القرافة ومسجد الآبي بقرية البهنسا.
- ومن خلال الحلقات التي عقدت بهذه المساجد لاحظنا أن أكثر حلقات العلم ازدهاراً هي حلقات الفقهاء والمحدثين، ولم يقتصر التعليم بالمساجد على العلوم الدينية فقط ولكن كان العلوم اللغوية والعقلية يتعلمها الطلاب من خلال المساجد.
- الكتاتيب: قامت بدور تعليمي في تعليم الصبيان من أهل البلدة التي بها، سواء كان هؤلاء الصبية من العامة، أم من الخاصة، كائناً الأمراء والوزراء، وأحياناً كانت الكتاتيب لا تقتصر على تعليم الصبية بل كان يضم إليهم بعض العامة، وكانت تهتم الكتاتيب بنشر العلوم الدينية، وأحياناً كتب الحديث، وشيئاً من الشعر والحساب.
- المدارس أيضاً كان لها دورها التربوي البارز في مجال التربية والتعليم في تلك الفترة التي أرخ لها لياقوت إذ فيها يتجلى الموقف التعليمي والتربوي بجميع جوانبه وذلك أدعى للتعليم المتمركز في المجال.
- ويتضح لنا كذلك من العرض السابق دور منازل العلماء في التربية والتعليم، إذ كانت بمثابة أماكن مقدسة يحج إليها طلاب العلم من كل صوب وحذب ومن كل فج عميق.
- والتعليم فيها يتم عن طريق مجالس العلماء، ويرى الباحث أن منازل العلماء ربما تكون مقصورة في أداء دورها التربوي والتعليمي على الوجه الأكمل، وربما يرجع ذلك لكثرة

أعياء الحياة، وكثرة اهتمامات العلماء، مما لا يسمح لهم باستقبال العدد الكبير من الطلاب.

- كما نلاحظ بعض المبادئ والإسهامات التربوية السامية والتي تناولها الباحث مثل التجاوز عن خطأ الصبيان في مجالس العلماء، والتعليم دون مقابل، **وللباحث ملاحظات على النقطتين السابقتين وهي:**

- لا يجوز إغفال الخطأ باستمرار بل لابد من تعديله حتى لا يثبت في ذهن المتعلم على أنه صواب ولا بد من الثواب والعقاب.

- أما عن مبدأ التعليم بدون مقابل أي دون أخذ أجرة فهذا يرجع إلى حال المعلم، إذا كان لديه ما يكفيه ويجعله يتفرغ للعلم والتعليم فيها ونعمت وإلا فهو مضطر لأخذ مقابل مناسب لما يقوم به من تعليم من الطلاب أو أولياء أمورهم، وإن كان من الأفضل أن توفر الدولة التي تتولى مسؤولية تعليم الأبناء مجاناً، الأجر المناسب للمعلم وأن ترعاه مادياً وأدبياً.

- كما يتبين للباحث أن هناك أماكن متعددة لعبت دوراً بارزاً في التعليم وقد أرخ لها لياقوت في كتابه "معجم الأدباء" ومن هذه الأماكن:

مجالس الأمراء والوزراء، والأسواق، والشوارع والطرق العامة، وأماكن الحروب من الأريطة والخوانق، وكذلك أماكن التجارة من الدكاكين وغيرها من محال العمل، ثم المكتبات والبيمارستانات.

وقد قامت هذه الأماكن بدور تعليمي في الأماكن المتواجدة بها، بجانب الهدف الأساسي الذي أعدت له هذه الأماكن، وهذا يتوافق مع وجهات النظر التربوية الإسلامية خاصة وبعض وجهات النظر التربوية الحديثة الأخرى، فينبغي أن يكون العلم والتعليم والتربية في كل مكان، ولكل إنسان حتى تتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

مصادر التربية الإسلامية → (معجم الأدباء) لياقوت الحموي نموذجاً

وبذلك يتضح لنا أن "معجم الأدباء" لياقوت الحموي، يعد مصدراً هاماً من مصادر التاريخ للأماكن التعليمية على مدار عدة قرون، حيث يمكننا من خلال هذا المصدر التعرف على أهم الأماكن التعليمية في الفترة ما بين القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري وعليه فإن الباحث التربوي المعني بدور المؤسسات التعليمية يستطيع الاستفادة من هذا المعجم من خلال الاطلاع عليه.

الفصل الخامس

بعض القضايا التربوية التي وردت في كتاب "معجم الأدباء"

- يتضمن هذا الفصل بعض القضايا التربوية المتنوعة والتي تحدث عنها لياقوت في كتابه (معجم الأدباء) وهي أهم هذه القضايا:-
- ١- أخذ الأجر على التعليم.
 - ٢- مراحل التعليم الخاص:-
 - أ- تعليم الأمراء والوزراء.
 - ب- أبناء الأمراء والوزراء.
 - ج- تعليم الصبيان.
 - د - تعليم الكبار أو ما يسمى في التربية الحديثة (محو الأمية).
 - ٣- مؤسسات تمويل التعليم:-
 - أ- التمويل من العلماء.
 - ب - التمويل من طلاب العلم.
 - ج - التمويل من الأمراء والوزراء.
 - د - التمويل من الأثرياء.
 - هـ - مصارف هذه الأموال.
 - ٤- قضايا متنوعة.
 - أ- محاور الشريعة الإسلامية المتضمنة في بعض كتابات الفقهاء.
 - ب- التربية الخلقية.
 - ٥- كتب ذات قيمة تربوية.
 - ٦- مفهوم البيئة وأثرها على العلماء

أخذ الأجر على التعليم.

تذكر لياقوت الحموي من بين القضايا التي كانت سائدة في العصور والقرون التي أرخ لها، الإجارة على التعليم.
ففي القرن الثاني الهجري: كان العلماء يحرصون على أخذ الإجارة مقابل التعليم للطلاب، أو مدح الأمراء ومن بين هؤلاء:-

داود بن مسلم مولى شميم وألقب بالآم (شديد السواد): ١٢٠ هـ كان يعلم الشعر مقابل أجره، ومدح العلماء لأخذ الأجر، فقد نزل دمشق على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فمدحه وقال شعراً في كرمه، فأجازه بجائزة عظيمة ثم استأذنه فآذن له وأعطاه ألف دينار^(١).

أبو الحسن علي بن حمزة الملقب بالكسائي: ١٦٩ هـ كان ممن يؤدب بأجرة ففي رواية المرزباني قال كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدب محمد الأمين قصيدة من الشعر في حاجاته، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وجارية، وخادم، فقد أجابه المأمون إلى لطلبه لأنه مؤدب أولاده، وبذلك كسب الكسائي بالتعليم مالا كثيراً.

وكانت الإجارة تؤخذ غالباً بعد إتمام مجلس التعليم، أو بمعنى آخر بعد إتمام الطالب لمادة التعليم التي يدرسها، فقد كان أبو الحسن الملقب بالأحمر صاحب الكسائي ت: ١٩٤ هـ يأخذ الإجارة من آباء الطلاب، بعد تفوق أبنائهم وتحصيلهم لعلوم هؤلاء العلماء، فقد كان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدياً إلى أولادهم فجلس في مجلسه أمروا له بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل له ويوهب، فحينما أتم الأحمر مجلسه الذي كان يعلم فيه أبناء الرشيد وأراد الانصراف إلى منزله دعا له الرشيد بحمالين فحملوا معه ما كان في مجلسه مع بز كثير^(٢).

(١) معجم الأدباء، ٤/١٠، وميزان الاعتدال، ٢١٨/١٠، والزر كل، مرجع سابق، ٢٧١/٤.
(٢) معجم الأدباء، ١٠٦/٤، والبناء الرواة، ٢٥٦/٢، والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١٠٣/١١٠.

وفي القرن الثالث الهجري: استمر العلماء في أخذ الإجازة على التعليم ومن

هؤلاء:-

أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب الكوفي ت: ٢١٣ هـ كان من أفاضل كتاب المأمون وأذكاهم وأفطنهم وكان جيد الكلام . يكتب لأمر بلدته ويحصل على أجره^(١)

ولذلك فقد اهتم الكوفي بتحسين خطوط طلابه . فيقول لهم ناصحاً "إذا أردت أن يكون خطك فأطل جلفتك وأسئها وحرف قطعتك وأبئها " لأن الكتابات التي يكتبها العلماء كانت لاتجار إلا إذا عرضت على متخصص فقد:

كتب أبو جعفر عدة كتب لم يرضاها المأمون . والفضل بن سهل . فكتب أحمد بن يوسف كتابه فعرضت نسخته على العلماء . فرجع نظره فيها ذي الريا ستين فقال له . ما أنصفناك . أخذ القلم والقرطاس وكتب له من المنازل . ويعد فيها الغرث والآلات والكسوة والكراع (النخيل والبغال والحمير) . وقال له : إذا كان في غد فاقعد في الديوان وليقعد جميع الكتاب بين يديك .

ويتضح مما سبق أن الأمراء كانوا بجانب ما يجرونه من الرواتب على كتابهم كانوا يعدون لهم أماكن خاصة يجلسون داخله كي يقوموا بالنسخ والكتابة . وكان الكوفي بمثابة المعلم لهؤلاء .

وكان الكوفي يستعين بالكتاب إذا كان المر يتطلب ذلك . من كثرة الكتابات فيقول : كنت بديوان الكوفة . وكان معي عبد الله بن علي . والدوي الشامية (من أدوات الكتابة) فأخرجتها وكتبت وهو يملئ . فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب وأصلح . وقال

(١) معجم الأدباء . ٨٦/٢ . والخطيب البغدادي . مرجع سبق . ٢١٦/١١

دعه وكل العنوان إلى ، ثم قال لي : كم رزقك في ديواننا؟ فقلت عشرة دراهم أخرى . رعاية لحرمتك بعبد الله بن علي ، ومثوبة (مكافأة) لك على طاعتك^(١) . ومن ذلك يلاحظ أن الأمراء كانوا يكافئون الكتاب إذا أسوا أعمالهم بتجاس وأظهروا شوقاً وابتكاراً في كتاباتهم العلمية .

وكانت الإجارة والمكافأة تصل إلى العالم إذا أظهر علمه بين علماء الوزير . ففي رواية الزبيدي قال حضرة المازني ت : ٢٤٩ هـ يوماً عند الواثق وعنده نحة الكوفة ، فقال له الواثق يا ما زني هات مسألة فقلت ما تقولون في قوله تعالى :
 "... وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بِغِيَا " (٢)

ولم يقل بغية؟ وهي صفة لمؤنث ن فأجابوا بإجابات مختلفة غير مرضية . فقال الواثق هات ما عندك ، فقلت: لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعلة لحقتها الهاء مثل كريمة . ونحذف إذا كانت بمعنى مفعول وهي هنا بمعنى مفعول^(٣) . ولذلك كان الواثق يجري عليه مائة دينار في كل شهر .

أبو عبد الله محمد بن زياد الملقب بابن الأعرابي ، ت : ٢٣٠ هـ الذي كان يعلم الطلاب مقابل أجره يحصل عليها ، حتى اكتسب به من المال الكثير فقد كان رأساً في كلام العرب . وكان ممن وسم بالتعليم ، فكان يأخذ كل شهر ألف درهم ، يتغفها على أهله وإخوانه^(٤) .

أبو محمد المعروف بابن النديم ت : ٢٣٦ هـ كان يكتب الشعر للأمراء مقابل أجره ففي رواية شهوان جاريته قالت: إن محمد الأمين لما كتب له ابن النديم أبياتاً غناها له أمر له بألف درهم . تقول فرايتها قد أدخلت إلى دارنا . يحملها مائة قرش وهذه مهنة

(١) معجم الأدياء ، ٨٦/٢ - ٩٠ وابن تفرج بردي ، مرجع سابق ، ٢٠٦/٢ والزر كل ، مرجع سابق ، ٢٧٢/١ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢١٦/٥

(٢) سورة مريم : من الآية ٢٨

(٣) معجم الأدياء ، ٣٥٠/٢ وأبياء الرواة ، ٢٤٦/١ والزر كل ، مرجع سابق ، ٢٩٢/٢ ومعجم الأدياء ، ٣٥١/٢

(٤) معجم الأدياء ، ٢٢٧/٥ ومعجم المؤلفين ، ١١/١٠ والواثق بالله ، ٨٩/٣ والزر كل ، ٢٣٩/١

الخدام. وحدث ابن النديم بقوله : ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ، ولا كان أحد يكرمني إكرامه فقد وصلني ، بثلاثمائة ألف درهم ، وفي رواية على بن المنجم قال أن ابن النديم لما انحدر إلى البصرة كان يكتب إلى علي بن هشام القائد ، حتى ينزل بجواره ويتال من ماله^(١) . وكانت الإجارة يحصل عليها العالم بعد الإجابة الصحيحة ، والكتابة الجيدة ، ومن هؤلاء :-

أبو جعفر بن عبيد المعروف بأبي عصبدة الديلمي ، ت : ٢٧٢ هـ الذي أحضره المتوكل ، وسأله مسألة فأجابها عليها فقال له : أحسنت ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم لحقني رسوله بعشرة آلاف أخرى ، فأنصرفت بعشرين ألفاً^(٢) .

أبو العباس محمد بن الحسن الملقب بالأحول ، ت : ٢٨٥ هـ الذي كتب لأبي عبد الله البزدي ، فكان الأحول يكتب له مائة ورقة بعشرين درهماً ، وفي المرزبانى : قال كان الأحول وراقاً يورق لحنين بن إسحاق المتطبيب في منقولاته لعلوم الأوائل مقابل أجره^(٣) .

أبو الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بنزيل مكة ت : ٢٨٧ هـ الذي يعلم بأجره ، وقد سئل عنه النسائي فقال قبحه الله ثلاثاً ، قيل له يا أبا عبد الرحمن : أتروى عنه ؟ فقيل له أكان كتاباً ؟ فقال لا ، ولكن قوماً اجتمعوا ليقروا عليه ويرويه (أعطوه أجره) بما سهل عليهم ، وكان فيهم أنساناً متعلماً فقيراً لم يكن في جملة من أعطوه أجره فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يدفع كما دفعوا ، فلما أحضر قصعته وأعطاه إياها حدثهم^(٤) .

(١) معجم الأدباء ، ١٣٧/٢ ، وابن النديم ، مرجع سابق ، ١٤١/١ ، والزر كلبي ، مرجع سابق ، ٢٩٢/١٠
(٢) معجم الأدباء ، ٤٦٧/١ ، ومعجم المؤلفين ، ٣٠٨/١ ، وأشباه الرواة ، ٨٦/١
(٣) معجم الأدباء ، ٢٩٥/٥ ، والواقعي ، ٢٤٥/٢ ، والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٥٨/٢
(٤) معجم الأدباء ، ١٥٦/٤ ، وذكره الجلائر ، ١٧٨/٢ ، والزر كلبي ، مرجع سابق ، ٣٠٠/٢

ومن ذلك تبين أن العلماء كانوا يلمون غيرهم بالأجرة . بل كان مجلس العلم يتوقف إذا حضره أحد الطلاب دون أن يدفع الأجرة للمعلم . وكان بعض العلماء ينكرون على هؤلاء الذين يتقاضون أجرة إذا امتنعوا عن التدريس لهؤلاء الذين لا يملكون أجرة . أبو العباس أحمد بن يasar ثعلب ت : ٢٩١ هـ الذي كان يعلم طلاب العلم مقابل أجرة فقد ترك ثروة آلت إلى ابنته قدرت بإحدى وعشرين ألف درهم . وألفى دينار ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار^(١) .

وفي القرن الرابع الهجري : كان العلماء يعلمون الكثير من الطلاب مقابل أجرة تصلهم من أولياء هؤلاء الطلاب . ومن هؤلاء العلماء الذين مدحوا الأمراء مقابل أجرة : أبو بكر محمد بن السري ويعرف بابن السراج البغدادي ت : ٣١٦ هـ الذي مدح الوزير المكتفي ، فأمر له بألف دينار . وصلت إليه^(٢) .

وكان العلماء في ذلك القرن يكتبون الكتب مقابل أجرة . بل كان العالم يلقب بهذه المهنة . فقد الكرمانى الملقب بالوراق ت : ٣٢٩ هـ كان مليح الخط صحيح النقل . وكان يورق بالأجرة^(٣) .

أبو بكر محمد بن علي العسكري الملقب ببيبرمان النحوي ت : ٣٤٥ هـ كان العلماء يصححون عليه الكتب مقابل أجرة . فقد أخذ عنه الفارسي والسيرافي وكان ضئيلاً عليهما بالقرأة لا يقرأ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار^(٤) .

وكانت الأجرة التي يحصل عليها العلماء تحدد من قبل الوزراء والأمراء ففي ترجمة صاحب بن عباد ت : ٣٨٥ هـ أنه كان لا يزيد عطائه عن مائة درهم وثوب . رفع إلى خمسمائة . وما يبلغ الألف إلا نادراً . وما يوفى عن الألف يكون بديع^(٥) .

(١) معجم الأدباء ٥٧/٢ . وللباء الرواة ١٣٨/١ . والزر كل . مرجع سابق ٢٦٧/١ .

(٢) معجم الأدباء ٣٤٢/٥ . والزر كل . ٨٠/٣ .

(٣) معجم الأدباء ٣٥١/٥ . والزر كل . ٢٢٤/٦ .

(٤) معجم الأدباء ٣٧٨/٥ . والوافي بالوفيات ٣٢٩/٣ . والزر كل . ٢٧٢/٦ .

(٥) معجم الأدباء ٢٥٠/٢ . وللباء الرواة ٢٠١/١ . والزر كل . ٣١٦/١ .

ومن ذلك يتضح أن مكافأة العالم أو الشاعر كانت لاتصل إلى ألف درهم إلا إذا أتى الرجل ببذعة من شعره أو علمه لم يسبقه به أحد ، ويديع بمعنى أيد الرجل والشاعر أتى باليديع والنسيء أنشأه واخترعه ، ولله المثل الأعلى قال تعالى " يَتَرِيْعُ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضِ " أي أوجد هما على غير مثال سبق لهما .
ومن العلماء من كان يحقر أخذ الأجرة ويدعو إلى التعليم من أجل العلم ومن هؤلاء :- أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني تـ ٣٩٢ هـ كان يذم أخذ الأجرة على التعليم واعتبرها ذلة ومهانة في حق من يأخذها فيقول :

ولم أقض حق العلم أن كان كلما	بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخذ ما
أشقى به غرسا وأجنيه ذلة	أذن فابتيع الجهل قد أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أدلوه جهارا ودنسوا	محباه بالأطماع حتى تجهما ^(١)

وتبين من ذلك أن الجرجاني اعتبر أن أخذ الأجرة على التعليم أنها هي دنس وقبح وبشاعة تلحق بهذا المعلم الذي يأخذ هذه الأجرة ، وهو بذلك لم يقدم خدمة للعلم وإنما خدم المال بالعلم .

ويرى الباحث أن أخذ الأجرة تتوقف على حال المعلم وإمكانية حصوله على قوته بعيدا عن التعليم وأن لم يكن له مصدر رزق سوى التعليم فلا حرج في ذلك ، وقد نادت التربية الحديثة بأخذ الأجرة على التعليم .

(١) معجم الأبياء ١٦٠/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق ٣٦٤/١ والزر كلبي ، مرجع سابق ٣٠٠/٤ واسمي مرجع سابق ٣٠٨/٢ ، ٣١٠ ، والتمالي ، مرجع سابق ٢٣٨/٣

وهو الذي أخذوا الأجرة على الكتابة :-

أبو العباس أحمد بن إبراهيم الملقب بالكافي الأوحدي ، ت: ٣٩٩ هـ الذي أمر بالكتابة في وزارة فخر الدولة ، ويضمن له ثمانية آلاف درهم عنه ^(١)
وهو علماء القرن الخامس الذين عملوا وكتبوا مقابل أجرة :-

أبو محمد أحمد بن علي ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر ، ت: ٤٣١ هـ الذي كتب للظاهر ثم للمستنصر وكان رزقه كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، عن كل ما يكتبه من السجلات التي تودع في دار العلم ^(٢) .

أبو جعفر محمد بن إسحاق الملقب بالقاضي البجائي ت: ٤٦٣ هـ الذي كان يتاجر بخطه فقد ذكر ياقوت الحموي أنه رأى نسخة من كتاب يتيمة الدهر للثعالبي في خمس مجلدات بخط البجائي بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية ^(٣) .

أبو النصر محمد بن أحمد الكركانجي الملقب بالإمام الوالد ، ت: ٤٨٤ هـ الذي اهتم بتعليم القرآن الكريم لأهل بغداد بأجرة ، ففي رواية أبي عبد الله الحداد قال أن أبا نصر كان يريد أن يقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية عالية فامتنع عليه وقال له : تقرأ كل يوم عشراً وتدفع إلى مثقالاً من الفضة ، يقول أبو نصر : فقبلت وأقمت عنده سنة وخمسة أشهر حتى ختمت ، ثم جمع شيخه أصحابه الذين قرؤوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحمل كل واحد منهم كيساً فيه دينارين ، وقال أعلموا أن هذا الشاب الذي قرأ على الرواية الغلانية ووزن لي كل يوم مثقالاً من الفضة ، ورد على كل ما كان أخذه مني ودفع إلى كل ما حملة أصحابه ^(٤) .

(١) معجم الأدباء ، ١٧٨/٤ ، والكامل في التاريخ ، ٧٢/٩٠ ، والزر كل مرجع سابق ، ٨٦/١ .
(٢) معجم الأدباء ، ١٩٢/١ ، وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٣٥٨/١ ، والزر كل مرجع سابق ، ١٧٢/١ .
(٣) معجم الأدباء ، ٢٢٨/٥ ، ومعجم المؤلفين ، ١١/٩٠ ، والواقعي بفتح ، ١٩٨/٢ .
(٤) معجم الأدباء ، ١٥٨/٥ ، والزر كل مرجع سابق ، ٣١٦/٥ ، ومعجم المؤلفين ، ٢٥٩/٨ .

وأوضح من ذلك أن المتعلم إذا أجاد ونسخ في تعليمه كان محط الافتخار من أساتذته وشيوخه، وكان الطالب على هذا التفوق بمزيد من المكافآت وأن ترد إليه أجرته التي كان قد دفعها لأستاذه.

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين : استمر العلماء في التعليم مقابل أجره ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله الملقب بسبط التعاويذي، ت: ٥٨٣ هـ ببغداد، الذي اختص بدمج الأمراء والوزراء مقابل أجره فقد كان له راتب في الديوان^(١).

أبو نصر محمد بن سليمان البغدادي بن قطر مش بن تركمان شاه، ت: ٦٢٠ هـ الذي كان يكتب الكتب مقابل أجره، فقد كان يورق بأجرة، وخطه مبيع^(٢).

وقد تناول الفقهاء قضية أجور المعلمين في مباحث باب الإجارة وهي دفع مال مقابل جهد مبدول، أو دفع مال مقابل الانتفاع بشئ مملوك للغير، غير أن الأساس الشرعي للإجارة مأخوذ من القرآن والسنة، فمن القرآن قوله تعالى:

«... قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَكُونَتْ عَلَيْهِ أَجْرًا»^(٣).

فقد اعترض سيدنا موسى -عليه السلام- على الرجل الصالح الذي أقام الجدار الذي يوشك أن ينهار دون أجر برغم أن أهل القرية يخلوا بطعامهم عليهما.

وقال تعالى:

«قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِكَ، إِحْدَى أَبْتَنَى هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي جِجَاجٍ»^(٤).

(١) معجم الأنبياء، ٣٦٥/٥، والزركلي، مرجع سابق، ٦٦٠/٦٠، ونكت المعين، ص ٢٥٩، والوافي بالوفيات، ١١/٤.
(٢) معجم الأنبياء، ١٨٧/٣، والوافي بالوفيات، ١٢٥/٣٠، وابن العماد، مرجع سابق، ٩٣/٥.
(٣) سورة الكهف: من الآية ٧٧.
(٤) سورة القصص: من الآية ٢٧.

حيث اشترط الشيخ الصالح على موسى -عليه السلام- أن يخدمه ثماني سنوات مقابل تزويجه إحدى ابنتيه .

وقال تعالى : " ... فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ... " (١) .

ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ورد عنه أنه : أمر بالمؤاجرة . كما روى عنه أن دعا غلاماً فحججه فأمر له بصاع أو صاعين (٢) .

ويؤخذ من هذا أن الإجارة لها أساس شرعي من الكتاب والسنة .

أما الإجارة على التعليم فهي محل خلاف بين الفقهاء ، غير أن ياقوت لم يتطرق إلى هذا الحديث عن الخلاف القائم في هذه المسألة .
التعليم الخاص

لقد كان التعليم الخاص طريقة من بين أنواع التعليم التي كانت سائدة في تلك القرون التي أرخ لها ياقوت عند حديثه عن القضايا التربوية المتنوعة والتعليم الخاص أخذ أكثر من شكل فقد كان يشمل :

- تعليم الأمراء والوزراء .
- تعليم أبناء الأمراء والوزراء .
- تعليم كبار السن أو ما يطلق عليه في التربية المعاصرة محو الأمية وتعليم الكبار والذي خصصت له كليات التربية قسماً خاصاً من بين أقسامها .
- تعليم الصبية من عامة أهل المدن الإسلامية التي تحدث عنها ياقوت .
- وذكر ياقوت أن بعض العلماء رفضوا تعليم أبناء الأمراء والوزراء وتمسكوا بالتعليم العام لكافة أبناء المجتمع .

(١) سورة الطلاق : من الآية ٦ .
(٢) مسطفي رحاب ، مع تراثنا التربوي ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ نقلاً عن ابن حزم المحلى بالأثر ، ٣/٧

وهذه هؤلاء العلماء الذين تمسكوا بتعليم أبناء الأمراء والوزراء في القرن الأول الهجري :

أبو الأسود ظالم بن عمرو الملقب بالحاضري الجواب ، ت: ٦٧ هـ الذي اهتم بتعليم أبناء الأمراء بجانب تأليف الكتب وتصنيفها ومراجعتها فقد اهتم بتعليم (تأديب) أولاد زياد بن أبيه كما وضع العربية ونقط المصحف، وقد كتب له علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبي الأسود وأخذ عنه جماعة^(١).

وهذه العلماء الذين اهتموا بتعليم الأمراء في القرن الثاني الهجري :

أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ت: ١٩٢ هـ فقد كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، بل أن الأمراء كانوا يمتحنون العلماء قبل أن يسند إليهم التعليم: دعا المهدي مؤدب الرشيد وهو يستأجر فقال له : كيف الأمر من السواك؟ قال له أستك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي التمسوا لنا من هو أفهم من ذا؟ فقالوا : رجل يقال له الكسائي من أهل الكوفة ، فدعاه . فقال له المهدي، كيف تأمر بالسواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين ، قال أحسنت وأصبحت وأوكل له تأديب الرشيد ، وصار الكسائي مؤدباً للرشيد حتى أخرجه المهدي من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء^(٢).

وهذه العلماء الذين اهتموا بتأديب أبناء الرشيد ذكر ياقوت منهم :

الأحمر صاحب الكسائي ، ت: ١٩٤ هـ الذي كان مؤدباً للأمين، لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه، فكان يؤدب أبناء الرشيد مقابل أجرة^(٣).

وهذه العلماء الذين علموا تلميذاً خاصاً في القرن الثالث الهجري :

أبو عبد الله محمد بن حسان الضبي ت: ٢٢٠ هـ كان مؤدباً لأولاد المأمون العباسي^(٤).

(١) معجم الأدياء ، ٤٣٦/١ وابن خلكان، ٢٤٠/١، والزر كلبي ، ٢٣٦/٣ ، والتأديب ، ١٠٤/٧٠ ، ولقاء الزمان ، ١٣/١
(٢) معجم الأدياء ، ٨٨٠/١ ، ومعجم اللؤلؤين ، ٨٤١/٧٠ ، ولقاء الزمان ، ٢٥٦/٢ ، والزر كلبي ، ج١ ص ٢٨٣/١ ، والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٤٠٣/١٦
(٣) معجم الأدياء ، ٢/٤ ، والزر كلبي ، ٢٧١/٤
(٤) معجم الأدياء ، ٢٩١/٥ ، والزر كلبي ، ٨٠/٦

أبو نصر أحمد بن حاتم الملقب بالباهلي ت: ٢٢١هـ كان مؤدياً لأولاد عبد الله بن الحسن ، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلدة ، عشرة آلاف درهم ، ووصله هو بعشرين ألف ويجانب ذلك كان يصنف الكتب فله كتاب اشتقاق الأسماء ذكر الزركلي أنه مخطوط في خزانة سعد أفندي بالاستانة رقم ٢٢٥٧ تاريخ ، وله كتاب شرح ديوان ذي الرمة مطبوع في مجلدين ^(١) .

أبو زهير بن زين بن زند ورد الملقب بالعروضي ت: ٢٤٧هـ كان مؤدياً لآل سليمان ^(٢) .

أبو عبد الله ، أحمد بن عمران الملقب بالأخفش ت: ٢٥٠هـ الذي نبخ في النحو فقبل عنه أنه مؤدي لغوى نحوى ، فقد تأدب في العراق ، وكان مؤدياً لولد (إسحاق بن عبد القدوس) ويجانب ذلك اهتم بالكتابة فله تفسير غريب الموطأ قال الزركلي أنه مخطوط الجزء الثاني منه في مكتبة عبيد بدمشق وقد اختص من نفسه مدح آل البيت ^(٣) .

أبو علي الحسين بن ياسر الضحاك الملقب بالخليع ت: ٢٥٠هـ كان أول من جالس من العلماء الأمين بن هارون الرشيد ، وكان اتصاله به سنة ١٩٨هـ ^(٤) .

أبو عبد الله ، أحمد بن إبراهيم النديم ت: ٢٥٥هـ الذي اهتم بتعليم أبناء الأمراء فقد كان خصيصاً بالمتوكل يؤدب أبناءه ، وكان المتوكل يقوم بامتحان أبناءه قبل إعطائه الأجرة ، فقد عقد المتوكل لأولاده الثلاثة مجلساً ، فدخل عليه أحد أبنائه فأنشده بيتاً من الشعر فسر المتوكل بذلك سروراً كبيراً ونثر على أبي عبد الله النديم بكرة (كيس) فيه عشرة آلاف درهم وقيل ديناراً ^(٥) .

(١) معجم الأدياء ، ٢٢٩/١ وفيات الرواة ، ٣٦/١ والزركلي ، ١٠٩/١

(٢) معجم الأدياء ، ٢٢٥/٣ والزركلي ، ٢٠/٣

(٣) معجم الأدياء ، ٥٣٢/١ ونبذة الوعاة ، ص ١٥٢ والزركلي ، ١٨٩/١

(٤) معجم الأدياء ، ١٢٩/٣

(٥) معجم الأدياء ، ٢٩٤/١ ومعجم المؤلفين ، ١٣٤/١ والوافي بالوفيات ، ١١١/٥ والزركلي ، ٨٥/١

ومنّه لاحظ الباحث أن الدور الأساسي للأسرة في متابعة تقدم أبنائهم في التعليم قبل أن يدفع أجره المعلم ، غير أن الباحث يرى أن هذا الدور التربوي للأسرة في متابعة تقدم أبنائهم ، قد تقلص أمام الظروف الحياتية التي خرج فيها رب الأسرة باحثاً عن المال وجمعه بل قد خرجت ربة الأسرة عن دورها الأساسي إلى الدور الثانوي الذي تقدمه تجاه المجتمع.

وهه العلماء الذين علموا أبناء المتوكل :

أبو جعفر أحمد بن عبيد ، أبي عصيدة الديلمي ت: ٢٧٢ هـ كان يؤدب ولدا المتوكل ، فاحضره المتوكل مجلسه وسأله عن علمه قائلا: لو نذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم واخترنا (١)

ومنّه يتبين أن تفوق العالم في الامتحان الذي يعقد له يكون سببا في اختياره لتأديب أبناء الأمراء والوزراء ، كما لاحظ الباحث أن المنافسة العلمية بين العلماء ، تساعد المتعلمين على المذاكرة والفهم ، لأنهم سوف يختاروا أفضل العلماء.

وهه العلماء الذين اهتموا بالتعليم الخاص في القرى الرابع الهجري :

أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ت: ٣١١ هـ كان الزجاج من العلماء الذين قاموا بتأديب أبناء الوزراء فقد طلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد) مؤدبا لابنه القاسم ، فدلّه المرد على الزجاج ، فطلبه الوزير لتأديب ابنه فكان يهتم بتأديبه ، حتى أصاب في أيامه ثروة كبيرة فيقول الزجاج: قمت بتأديب القاسم بن عبيد الله بن سليمان وكان ذلك سبب غناي (٢).

(١) معجم الأدباء، ٤٤٦/١ ومعجم المؤلفين، ٣٠٨/١ وآباء الرواة، ٨٤/١-٨٦/١
(٢) معجم الأدباء، ٨٣/١ وخرجي زيدان ، مرجع سابق، ١٨٦/١ والخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٨٩/٢

وكان العلماء يستخدمون بعض الطرق التربوية في تعليم هؤلاء الأبناء ومن هذه الطرق :-
طريقة الإهداء.

فقد ذكر لياقوت الحموي في ترجمة (أبي عمر محمد بن عبد الواحد الملقب بالزاهد المطرني، ت: ٣٤٥هـ أنه كان يعلم أبناء الوزراء ففي رواية أبي القاسم علي بن الحسن قال : كان أبو عمر يؤدب ولد القاضي (محمد بن يوسف) فأملى عليه نحو من ثلاثين مسألة في النحو وقد أملى عليه من حفظه^(١)

أبو حامد أحمد بن إبراهيم الفارسي، ت: ٣٤٦هـ الذي أقام بمنزل أبي إسحاق المزكي سنين لتأديب أولاده وحفظ سماعتهم عليه^(٢)

أبو العباس بن عبد الله الملقب بالليكالي، ت: ٣٦٢هـ الذي تعلم وتلمذ تلميذة مباشرة على يد أبي بكر محمد الحسن بن يزيد ، فقد استدعاه فأجابه أجلالا له فهو مؤدبه وقد صنف له المقصورة فأعطاه ثلاثمائة دينار ، أجره على كتابتها^(٣)

أبو الحسين أحمد بن زكريا الملقب بالرازي اللغوي، ت: ٣٦٩هـ كان منجبا في التعليم وقد تعلم بالري ورحل إلى زنجان ليتأدب على الخطيب ثم حمل إلى الري ليقرا عليه مجد الدولة ، فسكنها واكتسب مالا من تعليمه له^(٤)

أبو الفتح محمد بن جعفر المعروف بابن المرائي، ت: ٣٧١هـ كان يعلم عز الدولة ابن معز الدولة ابن بويه ، وقد جمع ابن المرائي بين تعليم غيره وتأليف الكتب فله كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل قال الزركلي أنه مطبوع ، وله كتاب البيهجة قال الزركلي أنه مطبوع على نظم الكامل للمبرد، وله كتاب أسماء البلدان ذكر الزركلي أنه مخطوط الجزء الثاني منه ، باسم أخبار البلدان^(٥)

(١) معجم الأدباء، ٣٦٢/٥ وجرى زيدان، مرجع سابق، ٣٠٤/٢ والزر كل، مرجع سابق، ٢٥٤/٦

(٢) معجم الأدباء، ٣٠٥/١

(٣) معجم الأدباء، ٢٩١/٢ وابن العماد، مرجع سابق، ٤١٦/٣ والزر كل، مرجع سابق، ٣١٨/٩

(٤) معجم الأدباء، ٥٢٤/١

(٥) معجم الأدباء، ٢٧٨/٥ ومعجم المؤلفين، مرجع سابق، ٦٧/٤ والزر كل، ٢٦١/٢

أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي الأشعيلي ت: ٣٧٩ هـ الذي سكن قرطبة وأخذ عن أبي إسماعيل الغالي، واعتمد عليه (الحكم بن عبد الرحمن بن أبي العاص) في تعليم وله^(١)

أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف، ت: ٣٩٠ هـ الذي اختاره المنصور مؤدياً لأولاده، وله في ذلك مجالس وأخبار، وقد كان المنصور يحضر مجلسه مع أبنائه^(٢) حتى يتأكد من غزارة علم ابن العريف أو قلته.

وفي القرن الخامس استمر العلماء في بذل التعليم الخاص مقابل أجرة وهم هؤلاء العلماء: أبو علي أحمد بن علي الملقب بالمرزوقي ت: ٤٢١ هـ كان معلماً لأبناء بني بويه في أصبهان، وجمع بين تعليم طلابه وتأليف الكتب، فله كتاب الأمانة والأمانة مطبوع في مجلدين، وكتاب شرح ديوان الحماسة لأبي تمام مطبوع في أربع مجلدات، وتكر الزركلي أن منه مخطوطة متقنة كتبت سنة ٥٢٣ هـ في خزائن مغنسيا برقم ٢٧٥١، وله كتاب الأمان^(٣).

أبو عبد الله، محمد بن أبي سعيد الجنامي القيرواني ت: ٤٦٠ هـ الذي كان متقدماً عند ابن باديس أمير أفريقيا، وكان معه ابن رشيق صاحب كتاب العمدة فكان ابن باديس يقرب هذا تارة ويدني ذلك، فتناقسا وتنافرا، ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقشات والمناظرات، وقد جمع القيرواني بين تعليم الأمراء وتأليف الكتب وتصنيفها فله، كتاب أفكار الأفكار: جمع فيه ما اختاره من شعره ونثره، وله مقامات عارض بها البديع وهي مطبوعة نشرها السيد حسن حسني عبد الوهاب في مجلة المقتبس باسم رسائل الانتقاد ثم نشرها في رسالة مفردة باسم أعلام الكلام مجموع فيه

(١) معجم الأدباء، ٢٢٩/٥

(٢) المرجع السابق، ٢١٠/٣ ومعجم المؤلفين، ١٧/٤ والزركلي، ٢٦١/٢

(٣) معجم الأدباء، ١٩٩/٢ وأبناء الرواة، ١٠٦/٩ والزركلي، مرجع سابق، ٢٢٢/١

فوائد ولطائف وهو من الكتب المفقودة ، ولو سميت رسائل الانتقاد ، لكان أصح لقول ياقوت في أسماء مصنفات ابن شرف وله رسالة الانتقاد^(١)

وقد استمر التعليم الخاص في القرن السادس الهجري ومن علماء ذلك القرن كما ذكرهم ياقوت:

أبو البركات أحمد بن يحيى السبني ت: ٥١٤ هـ كان والده مؤدب للخلفاء ، وكان أبو البركات يعلم أولاد المستنصر مقابل أجرة على تعليمهم^(٢) .

ومنه لاحظ الباحث توريث العلماء العلم لأبنائهم فقد : كان عبد الوهاب بن هبة الله يعلم الخلفاء ، (أي تعليم خاص) ، وأعقبه ابنه بعد ذلك - أي في التعليم الخاص .

أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الملقب بالمسعودي البندهي ت: ٥٨٤ هـ كان يعلم الملك الأفضل ، وحصل له ناقة وقبول تام عند : صلاح الدين بن أيوب وأقبلت عليه الدنيا فحصل كتباً لم تحصل لغيره ، وذكر عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين قال : أن المسعودي أديب الملك الأفضل بن صلاح الدين ، وأملئ بمصر مجالس ، وله من التصانيف كتاب شرح المقامات للحريزي ، قال الزركلي أنه مخطوط في خمس مجلدات كبار^(٣) .

أبو تمام كامل بن الفتح الملقب بالضرير ، ت: ٥٩٦ هـ كان يدخل على الخليفة الناصر ويحاضره ويخلو معه ، وعلمه علم الأوائل ، وهون عليه علم الشرائع ، وكتب الناس عنه أدباً كثيراً ، فقد جمع بين التعليم الخاص والعام^(٤) .

ومن خلال هذا العرض الذي تناول الإشارات والممارسات التي ذكرها ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" عن تعليم أبناء الأمراء والوزراء ، بل الوزراء والأمراء أنفسهم يتبين أن ياقوت لم ينكر هذا التعليم أوي ذمه كذلك لم يتعرض ياقوت لدحه أو ذمه ، غير أنه يمكن

(١) معجم الأدباء ، ١٣٥/٥ وابن شافر الكتب ، مرجع سابق ، ٧٩/٣ ، ٢٠٤/٢ والزركلي ، ١٣٨/٦

(٢) معجم الأدباء ، ١٦٥/١

(٣) معجم الأدباء ، ٣٥٢/٥ معجم المؤلفين ، ١٥٥/١٠

(٤) معجم الأدباء ، ١٦٥/١ الزركلي ، مرجع سابق ، ١٩١/٦

القول أن ياقوت يذكره لهذا النوع من أنواع التعليم الخاص في كتابه أنما هو بمثابة أقرار لهذا العلم . الفرع من فروع التعليم.

ومع ذلك ذكر ياقوت أن بعض العلماء كانوا يرفضون مثل هذا النوع من أنواع التعليم ويفضلون عليه التعليم الذي يشمل عامة أهل البلدة التي يسكنون فيها ومن هؤلاء العلماء:

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت: ١٦٠ هـ الذي رفض أن يقوم بتأديب أبناء الأمراء والوزراء كتعليم خاص وتسك بتعليم العامة فقد أرسل إليه سليمان بن علي وإلى الأهواز لتأديب وله فأخرج الفراهيدي لرسول سليمان خبراً يابساً وقال له مادمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان وأنشده في ذلك قوله:

رضيت من الدنيا بقوت يقيمي	ولأبتغي من بعده أبداً فضلاً
ولست أروم القوت إلا لأنه	يعين على علم أرد به جهلاً
فما هذه الدنيا يكون تعيمها	لأصغر ما في العلم من نكتة عدلاً

وأوضح من ذلك أن الفراهيدي كان يهتم باكتساب العلم ، وترك تكسب المال ولولا أن القوت يقيم به صليبه ويساعده على مداومة العلم لتركه أيضاً، وهو عنده أمثل الطرق للعلماء . ولذلك فقد أبدع الخليل بدائع لم يسيقه إليها أحد، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف، في كتابه المسمى بكتاب العين: الذي رتب أبوابه وأحدث أنواعاً من الشعر من أوزان العرب^(١).

كما لوحظ أن التعليم الخاص ساعد على ظهور طبقة متميزة من العلماء كل منهم يريد إثبات قوته وتفوقه في المادة العلمية، وظهر ذلك في مؤلفاتهم .

(١) معجم الأدباء، ٣٠٢/٣ معجم المؤلفين، ١٢٢/٤ أدباء الزواجا، ٣٤١/٦ - ٣٤١/٧ من كثير، مرجع سابق، ١١١/١٠ - ١١١/١٢ ذكر كل مرجع سابق، ٣٤١/٢ تأديب الأهواز، ١٦٢/٣ الكتاب في التاريخ، ١٧/٦

تعليم الصبية:

من أنواع التعليم الذي ذكره ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" حيث أقر ياقوت في تراجم العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبية، وكذلك هؤلاء العلماء الذين تعلموا في سنن الصبي، وبذلك نبغوا في العلم، وتفوقوا على أقرانهم وقد تعددت الأماكن التعليمية التي ساعدت في تعليم الصبية فقد كانت الكتاتيب وجانبيها مجالس العلماء وكذلك الأماكن العامة.

ففي القرن الثاني الهجري اتخذ العلماء من الشوارع أماكن للتعليم، ومن هؤلاء

العلماء:

حماد بن عمرو بن يونس الملقب بحماد عجرد، ت: ١٦٦هـ كان من الشعراء المشهورين في الدولة العباسية، وكانت بينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة لذلك اهتم بتعليم الصبية الشعر، متخذاً من شوارع الكوفة مكاناً لتعليم هؤلاء الصبية^(١).

وفي القرن الثالث الهجري تعلم الصبية وهم في سن صغيرة: فصاروا علماء تتداول أعمالهم بالدراسة والتحليل للإفادة منها، ومن هؤلاء:

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت: ٢٠٤هـ الذي حصل العلم عن العلماء وهو حديث السن (صبي) وكان جيد الحفظ، ففي رواية يحيى ابن زكريا النيسابوري عن الربيع قال: يقول الإمام الشافعي لقد كنت أسمع المعلم يلغز الصبي الآية فأحفظها أنا وكنت وهم يكتبون عن أئمتهم (وهو ما يتعلمها لصبي كل يوم من القرآن) فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم، أكون قد حفظت جميع ما أملى المعلم على طلابه^(٢).

أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني الملقب بالأحوص ت: ٢٠٥هـ الذي اهتم بتعليم صبيان القرية التي كان يسكنها، فقد كان مؤدياً لأولاد الناس من شيبان فنسب إليهم، كما

(١) معجم الأدباء، ٢٤٣/٣ ابن خلكان، مرجع سابق، ١٦٥/١ لسان الميزان، ٣٤٩/٢ الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١٤٨/٨ الزركلي، ٢٧٢/٢ ابن قتيبة، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢) معجم الأدباء، ١٩١/٥ معجم المؤلفين، ١٤/٩ ابن شكري بردي، مرجع سابق، ١٧٦/٢ والسبكي، مرجع سابق، ٢/٥.

نسب البزدي إلى يزيد بن منصور، حين أدب ولده، ولم يقتصر على تعليم العامة من صبيان البلدة بل كان يعلم تعليماً خاصاً فقبل أنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد، وفي رواية بن السكيت قال: كان أبو عمر يكتب بيده إلى أن مات وربما استعار مني الكتب ومع ذلك قال بن السكيت: كنت أخذ عنه وأكتب منه كتبه^(١).

ومن ذلك أن تعليم الصبية كان يتم عن طريق الحفظ لما يمليه العلماء على أسماعهم أحياناً، وكانت الإفادة للطلاب عن طريق أعارتهم بعض الكتب التي تساعدهم على التحصيل بعد التمكن من القراءة أحياناً أخرى.

أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم، ت: ٢٥١ هـ كان مؤدياً لأهل بغداد من الصبية، ويجانب ذلك كان يعلم المعتز قبل أن يلي الخلافة، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي، فقد كان بن قادم من أعيان أصحاب الغراء، وأخذ عنه ثعلب^(٢) ومنه تبين أن بن قادم جمع بين التعليم لكافة صبية أهل البلدة إلى يسكنها بجانب تعليم أبناء الأمراء والوزراء قبل أن يتولوا مناصبهم السياسية.

وقد تحدث ياقوت عن سن المتعلمين التي يمكنهم فيها دخول المؤسسات التعليمية والالتحاق بالمراحل التعليمية المختلفة وهو ما تشرطه المؤسسات التعليمية في لوقت الحاضر، فكان يطلب من المتعلمين أن يلتحقوا باماكن التعليم في صغر سنهم، حيث أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر والتعليم في الكبر كالنقش على الماء.

وهه هؤلاء العلماء الذين أول تراجهم ياقوت:

أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الملقب بثعلب الشيباني ت: ٢٩١ هـ الذي قال ابتدأت النظر في العربية والشعر في سن السادسة عشر، ولذلك كان مشهوراً بالحفظ^(٣).

(١) معجم الأدباء، ١٦٧/٢، الزر كل، ٢٩٦/١، الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ٣٢٩/٦.

(٢) معجم الأدباء، ٢٤٧/٥، الوافي بالوفيات، ٢٩٥/٣، الزر كل، ٢٢٢/٦.

(٣) معجم الأدباء، ٥٨/٢، معجم المؤلفين، ٢٠٢/٢، تذكرة الحفاظ، ٢١١/٢، الزر كل، مرجع سابق، ٢٦٧/١٠٠، الزر كل، ١٣٨/٦.

وفي القرن الرابع الهجري كان تعليم الصبية كصورة من صور التعليم الخاص ومن هؤلاء الطلاب والعلماء الذين تعلموا من خلاله:

أبو جعفر محمد بن جرير الملقب بالطبري ت: ٣١٠ هـ الذي كان مثالا يحتذى به في التعليم الخاص ففي رواية أبي بكر بن كامل قال: جئت إلى أبي جعفر. قبل المغرب ومعني ابني (أبي رفاعه) ، فقال لي هذا ابنك؟ قلت: نعم ، قال لي: كم سنة لهذا؟ قلت: تسع سنين ، قال لم لم تسمعه مني شيئاً؟ قلت: كرهت صغره ، وقلة أدبه ، فقال لي: لقد حفظت القرآن ولي سبع سنين^(١) ، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانين سنين ، وكنت الحديث وأنا ابن سبع سنين^(٢) .

ومن ذلك يتضح أن الصبيان تعلموا في ذلك القرن. في سن صغيرة . ولذلك نجد علماء التاريخ والنايهين منهم تعلموا العلم في صباهم، ولذلك نبخوا وتقوقوا في علومهم . كما لاحظ الباحث التدرج في التعليم فقد بدأ الطبري بحفظ القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوي ثم كتابة علم التفسير وغيره من العلوم.

أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ت: ٣٢٢ هـ كان معلماً للصبيان ثم رفعه العلم إلى مرتبة عليا، بل أنه اهتم بتعليم أبناء القرية التي سكنها ونشأ بين أفرادها فقد كان والده يعلم الصبيان في قرية شامسقيان ببلخ. وكان أبو زيد يميل إلى هذه القرية ويحبها لأجل مولده بها، فاختارها لما حسنت حاله وقام بالنظر للأولاد . وتعليمهم^(٣) .

واتضح من ذلك اهتمام أبو زيد البلخي وواله بتعليم الصبيان كتعليم خاص دون التركيز على تعليم أبناء الأمراء والوزراء.

وقد كان الصبيان يتعلمون من خلال مجالس العلماء في ذلك القرن. ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبيان: أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليمامي

(١) معجم المؤلفين، ١٤٧/٩، ميزان الاعتدال، ٣٥٢/٣ ابن العماد، مرجع سابق، ٢٦٠/٢

(٢) كتاب في التاريخ، ٤٢/٨، تنقيح الحقائق، ٣٥١/٢، الزركلي، ١٩/١

(٣) معجم الأدباء، ٣١٧/٩، معجم المؤلفين، ٢٤٠/٢، تاريخ بلخ، ٧/٦، الزركلي، ١٣٤/١

ت: ٣٩٩هـ الذي اهتم بتعليم الصبيان من خلال مجالس العلماء ، ففي رواية ابن لنك المصري قال : حضرت مجلس أبي ريش في البصرة. وأنا حديث السن مع عمي حتى صرت رجلاً وكُتبت عنه وأخذت منه علا صالحاً^(١).

ومجالس الأمراء قامت بهذا الدور التربوي في تعليم الصبيان : ففي ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري اللغوي ت: ٣٥٥ هـ أنه ذكر في رواية أبي الحسين بن أدين التحوي قال: حضرت مع والدي وأنا طفلاً مجلس كافور الأخشيدي ، وهو غاص بأهله من العلماء (من كتاب أملاء النجيري)^(٢).

وفي القدر الرابع الهجري كان تعليم الصبيان إلزامياً :

فقد ذكر ياقوت في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الحراني ت: ٣٨٤هـ قال هلال بن الحسن قال: حدثني جدي أبي إسحاق قال: حدثني المحسن بن إبراهيم قال: كان والدي أبي الحسن يلزمي في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتجلي بصناعته وينتهي للتعرض لغير ذلك، وكان من الطبيعي في ذلك العصر أن يلتحق الطالب بعد إنهاء تعلمه بنفس مجال تخصصه للعمل بنفس مهنة التخصص . فيقول المحسن فقيوت فيها (الطلب) قوة شديدة . وجعل لي برسم الخدمة في البيمارستان (محل معد لمعالجة المرضى) عشرون ديناراً في كل شهر^(٣).

وفي القرن الخامس الهجري ساد تعليم الصبيان . دون التقييد بعلم بعينه: بل تنوع تعليم هؤلاء الصبيان بين أكثر من فرع من فروع العلم، فقد ذكر ياقوت في ترجمة: أبي القاسم الحسين بن علي المعروف بالوزير المغربي ت: ٤١٨هـ أنه حفظ القرآن . وعدة من كتب النحو واللغة، وكثيراً من الشعر، وأنقن الحساب والجبر والمقابلة . ولم يبلغ من العمر أربع عشر ربيعاً^(٤).

(١) معجم الأدياء، ٢٤٦/١.

(٢) المرجع السابق، ١٢٨/١ الزر كل ، مرجع سابق، ٤٩/١.

(٣) معجم الأدياء، ١٦٦/٣ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ١٦٦/١ الزر كل ، ٧٨/١.

(٤) معجم الأدياء، ١٦٦/٣ الزر كل ، ٣٠٤/٤.

أبو الحسين علي بن عبد الله بن واصيف الملقب بالناسخ الحلاء ت: ٣٦٥ هـ الذي تعلم أكثر من علم في صباه ، ففي رواية ابن عبد الرحيم قال حدثني الخالغ: كنت مع والدي سنة ٣٤٦ هـ وأنا صبي في مجلس الكيونى في المسجد أتعلم منه (١).

أبو بكر محمد بن أحمد المعمرى الملقب بالأديب ت: ٤٢٨ هـ الذي كان يعلم الصبيان ، ففي رواية عبد الغافر قال: كان المعمرى يؤدب الصبيان ، وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ وهو يومئذ من علماء الحنابلة ، وكانت له حلقة في جامع المنصور يعلم من خلاله (٢).

ويتضح من ذلك أن المعمرى كان من العلماء الذين اهتموا بتعليم الصبيان في حلقاته التي كان يعقده في جامع المنصور ، فتفقه وتخرج على يديه علماء أجلاء ، أخذوا العلم عنه.

مكي بن طالب حموش القيسى ت: ٤٣٧ هـ الذي تردد منذ صباه الباكر بين القيروان مسقط رأسه ، وبلاد المشرق في مصر والحجاز ، وقد كانت القيروان آنذاك دار للعلم بالغرب ، وألبيها ينسب أكابر العلماء ، وكان يقصدها كل من يطلب العلم ، وكانت موطناً للزهاد والصالحين (٣).

وقد تردد كذلك إلى مدن الأندلس وقد كانت بلاد الأندلس حينئذ حضارة مزدهرة مما جعلها مقصد طلاب العلم ورواد المعرفة ، واشتهرت قرطبة في ذلك العصر بمسجدها الجامع ، ولم يكن هذا المسجد موطناً للعبادة فحسب ، بل كان منتدى للعلماء ورواد المعرفة ومجمعاً للناس (٤).

(١) معجم الأدباء، ١٤٩/٤ معجم المؤلفين، ١٤٢/٧
 (٢) معجم الأدباء، ١٤٧/٥ القرطبي، مرجع سابق، ٣١٤/٥
 (٣) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السني، ط ٢، ج ٢، (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٩) ص ١١٥
 (٤) مكي حموش، مرجع سابق، ص ٥٠٤

وقد حفظت كتب التراجم تنقلات مكي على وجه دقيق فقد سافر إلى مصر في الثالثة عشر من عمره سنة ٣٦٧هـ وهناك جلس إلى المؤيدين والعارفين بعلوم الحساب وأكمل القرآن^(١)، وقد عاد إلى القيروان واستكمل بها علومه^(٢)، وبعد ذلك نهض إلى مصر ثانية فقرأ القرآن بالقراءات على ابن غلبون سنة ٣٧٦هـ وقى بعض الروايات أن ذلك كان في سنة ٣٧٧هـ^(٣)، وبين تفوق مكي حموش في العلم، وطروقه الحياتية لم يترك الفرائض الإسلامية التي فرضها الله (عز وجل) عليه، فقد أدى حجة الفريضة عن نفسه^(٤)، وقد عاود رحلته إلى القيروان سنة ٣٧٧هـ، وقد حفظ القرآن، واستظهر القراءات وغيرها من الآداب^(٥)، ثم عاد ثانية إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ليتلقى ما يقى عليه من القراءات^(٦)، وقد عاد بعده إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين، ومنها خرج إلى مكة فحج أربع حجات وجاور ثلاث أعوام، ثم رحل إلى مصر في إحدى وتسعين، ورحل إلى الأندلس في ثلاث وتسعين فدخل قرطبة، وظل بها إلى أن انتقل إلى جواربه^(٧)، واهتم بجانب ذلك بالتصنيف والكتابة فله كتاب: مشكل أعراب القرآن، قال الزركلي أنه مطبوع في مجلدين وكتاب: الكشف عن وجوه القراءات وعللها، قال الزركلي أنه مخطوط رأيت منه السفر الثاني على الرق في خزانة الرباط (٢٦٨٩ ك) وهو شرح التنصرة، وله الهداية إلى بلوغ النهاية، قال الزركلي أنه مخطوط منه أجزاء من سبعين جزء^(٨)، وله كتاب التبصرة في القراءات السبع قال الزركلي أنه مخطوط، وله كتاب المنتقى مطبوع في أربعة أجزاء، وله

(١) إنباء الرواة، ٣١٣/٣
(٢) ابن الجزري، طبقات القراء، ٣٠٨/٢
(٣) المرجع السابق، ٣٠٩/٢
(٤) ابن الجزري، ٣١١/٢
(٥) القسبي، إنباء الرواة، ٣١٥/٣، مجمع الأدباء، ١٨٣/٥
(٦) المرجع السابق، ١٨٣/٥
(٧) القسبي، مرجع سابق، ١٨٣/٥
(٨) الزركلي، مرجع سابق، ٢٨٦/٧

الإيضاح للناسخ والمنسوخ ذكره الزركلي في مخطوطات خزانة القرويين بفاس برقم ٦٣/٨٠ . وله كتاب الإيجاز ذكر الزركلي أنه مخطوط مختصر الناسخ والمنسوخ، وله كتاب الرعاية مخطوط في تجويد التلاوة ، وكتاب الإبانة مطبوع وقد اطلع عليه الباحث في القراءات . وله قهارس جمع فيها لرحلته ومرويا ته وتراجم شيوخه وأسماء تآليفه^(١).

ومن ذلك اتضح أن التعليم في الصبي يظهر أثاره في مؤلفات هؤلاء العلماء الذين تعلموا في سن الحداثة والصبي .

تعليم الصبيان عن طريق التمثيل :

ذكر ياقوت أن العلماء ابتكروا الكثير من الطرق التعليمية والتي من خلالها اكتسب الصبية الكثير من علوم هؤلاء العلماء ، ومن هذه الطرق طريقة التمثيل . وهو ما تدعو إليه التربية المعاصرة ، عن طريق التربية المسرحية أو بمعنى آخر الدور التربوي للمسرح التعليمي . وقد ظهرت في هذا العصر الكتب التربوية المصحوبة بالرسوم كتمثيل لدروس المنهج والتي منها يكتسب الأطفال الكثير من أنواع المعرفة، ومن بين هؤلاء العلماء الذين أرخ تهم ياقوت وقد قاموا بتعليم الصبيان عن طريق التمثيل :

أبو سليمان ، كيسان بن المعروف الملقب بالهجيبي . وقد ذكره ياقوت بدون تاريخ وفاة وقد بحثت عنه في معجم المؤلفين، والأعلام ، وشذرات الذهب، فلم أعثر له عن تاريخ وفاة، يقول ياقوت : جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعرا حتى مر بيت ذكر فيه العيس فقال الصبي : ما العيس؟ قال له: الإبل البيض، فقال الصبي وما الإبل؟ قال له الجمال، قال الصبي : وما الجمال؟ فقام كيسان على أربع ورغما رغاء الإبل في المسجد ، قائلا الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول: بوع^(٢).

(١) : ترجمه السابق ، ٢٧٦/٧

(٢) : معجم الأدباء ، ٢٢٠ ، ٢١/٥

وتبين من ذلك أن كيسان استخدم طريقة التمثيل لتدريس الصبيان لعلمه أن هذه الطريقة هي التي تناسب عقول هؤلاء الصبيان.
هـ مباحث التعليم الخاص :
الدعوة إلى تعليم الكبار :

لم يكن التعليم حكراً على الصبيان في ذلك العصر وإنما كان هناك دعوة إلى تعليم الكبار فقد أورد لياقوت الحموي في ترجمة : أبي الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان وغلب عليه لقب الكسائي ت: ١٩٢ هـ^(١)، أنه تعلم في كبر سنه ، ففي رواية الخطيب قال: قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحو على كبر، وسببه أنه أخطأ في نطق كلمة فقالوا له أتجالسنا وأنت تلحن، فقام من فورهِ فسأل من يعلم النحو؟ فأرشده إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل فأجلسه في حلقة^(٢).

ولاحظ الباحث هنا أن التعليم الخاص كان يلتحق به الكبار أيضاً ، ويطلبون العلم من خلال حلقات العلماء ، كما فعل الكسائي بجلوسه في حلقات الخليل ، وكذا ملازمة العلماء.

وفي ترجمة أبي الفضل أحمد بن عبد السيد بن علي المعروف بابن الأشقر ، ت: ٤٣٧ هـ تعلم في كبر سن فقد سمع على علوسه ، في شيخوخته وكبره من أبي الفضل محمد بن ناصر السلمي^(٣) ، وي جانب ذلك اهتم بالطرق التربوية الحديثة من البحث والابتكار فقد : قام بالبحث في مسائل النحو ، مع محمد بن الخشاب النحوي^(٤).

(١) المرجع السابق ، ٨٨/٤ عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ٨٤/٧ أزر كل، مرجع سابق، ٢٨٣/٤
 (٢) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٠٣/١١ ليلاء الرواة ، ٢٥٦/٢
 (٣) معجم الأدباء ، ٤٦٠/١
 (٤) المرجع السابق ، ٤٦٠/١

مؤسسات التمويل التعليم :

من القضايا التربوية التي أوردها لياقوت في كتابه "معجم الأدباء" فقد ذكر أن التعليم الذي تلقاه الطلاب عن العلماء في تلك القرون إلى أرح لها، كان يتم غالباً دين أجره تأخذ من هؤلاء الطلاب بخلاف التعليم الخاص من خلاله الأمراء والوزراء وأبنائهم . أما التعليم العام فقد كانت هناك مؤسسات تكفل أجور هؤلاء العلماء ورغم ذلك كان بعض العلماء يأبى أن يأخذ أجره على دروسه ، اكتفاء بما يكتسبه من التجارة، وتأليف الكتب ومن بين المؤسسات التي قامت بتمويل التعليم :

الأمراء والوزراء .

العلماء .

طلاب العلم .

منازل الأثرياء .

ففي القرنين الأول والثاني الهجريين كان التمويل عن طريق العلماء وطلاب العلم

في بعض المن الإسلامية ، فقد ذكر لياقوت من بين هؤلاء :

سلم بن عمرو بن حماد الملقب بالخاسر، ت: ١٨٠ هـ الذي خلف له أبوه أموالاً كثيرة فأنفقها على أهل الأدب ، وقد مدح هارون الرشيد فأمر له بمائة ألف درهم . وقال له: كذب بهذا من لقيك بالخاسر ، فجاءهم بها وقال هذا ما أنفقته على الأدب . ثم ربح الأدب فأتانا سلم الرابع^(١) .

وأوضح من ذلك أن المال الذي يستثمر في مجالات التعليم يعود بفائدة كبيرة

وربح رائع، حتى وأن تأخر العائد منه.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري، الكوفي ت: ١٨٨ هـ كان يأخذ من إخوانه

ما يتفق على الفقراء

(١) معجم الأدباء ٢٨٨/٣ الخطيب البغدادي، مرجع سابق ١٢٦/٩ الزركلي ١٣٦/٣ ابن خلكان، مرجع سابق ١٩٨/١

والمستورين الذين لا يتحركون ، والذي يأخذه من السلطان ينفقه على أهل العلم^(١).

أبو جعفر أحمد بن يوسف الملقب بالكاتب ت: ٢١٣ هـ الذي درب وأدب موسى بن عبد الملك ، فكان في ناحيته ، ففي رواية الحسن بن مخلد ، قال: حدثني أحمد بن يوسف قال: كان موسى بن عبد الملك يرمى إلى بآلف درهم في أوقات متفرقة^(٢). هذا المال الذي يقدمه العلماء والوزراء وطلاب العلم يلعب دوراً أساسياً في العملية التعليمية ، فيستخدم للاتفاق على العلماء وطلاب العلم، وعلى الأماكن والمؤسسات التعليمية.

وفي القره التالك العجري :

تحدث العلماء عن فضل المال في التعليم ومن هؤلاء العلماء الذين أورد ياقوت لتراجمهم:

أبي عبد الله محمد بن القاسم المعروف بابن أبي العيناء . ت: ٢٨٣ هـ الذي قال :
 من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقالوا
 وتقدم الفصحاء فاستمعوا له ورأيت به دين الوري مختالا
 لولا دراهمه التي في كيسه لرأيت به شر البرية حالاً^(٣).

ويتضح من ذلك أن ابن أبي العيناء يتحدث عن فضل المال على طلاب العلم وأظنه يتحدث عن التعليم الخاص الذي كان يقتصر على الأمراء والوزراء وأبنائهم ، أما العامة فقد كان متاحاً لهم حلقات العلماء ومجالسهم التي كانوا يعقدونها في المساجد وبين أيدي الوزراء والأمراء.

(١) معجم الأدباء ، ١٢٥/١ ، تذكرة الحفاظ ، ٢٥١/١ الزركلي ، ٥٩/١ ابن العمد ، مرجع سابق ، ٣٠٧/١
 (٢) معجم الأدباء ، ٩٤/٢ ابن كثير ، مرجع سابق ، ٢٦٩/١ ابن تقي بردي ، مرجع سابق ، ٢٠٦/٢ الزركلي ، ٢٧٢/١
 (٣) معجم الأدباء ، ٤٠٩/٥ معجم المؤلفين ، ١٢٩/١١ الوافي بالوفيات ، ٣٤٢/٤

وفي ذلك القرن ظهر تمويل الأمراء والوزراء للعلم والعلماء وهذه هيؤلاء:

أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحارثي ت: ٢٨٥ هـ الذي أرسل له الخليفة المعتضد العباسي (أبو العباس أحمد بن الموفق ت: ٢٨٩ هـ) مع رسوله بعشرة آلاف درهم فقال له يا أبا إسحاق أن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك^(١). ولاحظ الباحث أن تمويل المؤسسات التعليمية وأجور العلماء كانت تتم من قبل الأمراء، حتى يقوموا بتصنيف الكتب وتعليم الصبيان ويوجه خاص أبناء الأمراء بل وتعليم العامة من أفراد المجتمع كل في مكانه الذي يقيم فيه.

أبو يعقوب بن نصير الملقب بالكاتب ت: ٢٩٧ هـ الذي حصل برزقه من الأمراء ففي روايته قال: قال لي علي بن أحمد بن علي الجيش: لا تغارق حضرتي، فبلغ إسحاق حتى صار برزقه ألف دينار كل شهر، فكان يجود بذلك ويتفضل به على أهل العلم، وقد أرسل إلى بغداد ثلاثة آلاف دينار لأبي العباس ثعلب والمبرد، ووراق كان يجلس عندهما^(٢).

ولاحظ الباحث أن التنافس الذي نشأ بين أصحاب الإمارات في تلك القرون جعل كل منهم يجهد جهداً بالغاً في أن يضم حوله علماء عصره بهدف أن يزدان بهم بلاطه وتزدان بهم دولته، ولكي يبعثوا في شباب الدولة الطموح إلى تحقيق ما لم يحققه العلماء من قبلهم، ولعل عضد الدولة خير من يمثل ذلك بين البويهيين، فقد كان يقدر العلم والعلماء ويجري لهم الرواتب على الفقهاء والأدباء والقراء فرغب الناس في العلم، وكان هو نفسه يتشغل بالعلم، ووجد في تذكرة له قوله: وإذا فرغنا من حل أقليدس كله، تصدقنا بعشرين ألف درهم، وإذا فرغنا من كتاب أبي علي الفارسي التحوي تصدقنا بخمسين ألف درهم^(٣).

(١) معجم الأدباء، ١٧٢/٢.

(٢) معجم الأدباء، ١٧٢/٢.

(٣) التذكرة في التاريخ، ٢١٣/٢ محمد محمد عثمان، مرجع سابق، ص ١٥.

وهو العلماء الذين نالتهم صدقات الأمراء في القرن الرابع الهجري :

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت: ٣٢٠هـ فني رواية أبي الحسن الجبلي قال اجتمع الطبري ، وابن خزيمة ، والمرزبي ، والرويانى في الديار المصرية ، فأرملوا وافتقروا ولم يبق عنده مايموتهم ، واضربهم الحال ، وقد جلسوا في بيت يكتبون الحديث . فقام ابن خزيمة وجعل يصلى ويدعو الله عز وجل (قرأى نائب مصر وهو نائب رسول الله ﷺ) يقول له : أنت نائب والمحمديون ليس عندهم شئ يقتاتونه فانتبه من منامه . وسال أعوانه من هاهنا من المحمديين ؟ فذكروا له الثلاثة فأرسل إليهم الساعة بألف دينار^(١)

أبو إسحاق بن إبراهيم هلال الحراني ت: ٣٨٤هـ الذي طلب منه سيف الدولة حمدان عند قدومه لحضرته شيئاً من الشعر . فأنشده ثلاثة أبيات . فأخرج له كيساً يختم سيف الدولة وفيه ثلاثمائة دينار^(٢)

وقد كان العلماء يتفقون على غيرهم من العلماء الذين لم يصلهم الأمراء والوزراء ومن هؤلاء : أبو الفضل جعفر بن الفضل الملقب بابن حنزابة ويسيدوك ت: ٣٩١هـ الذي أعطى الدارقطنى مالا كثيراً . وطلب منه أن يتصرف فيه . فأنفقه الدارقطنى على أهل الحرمين من العلماء . وطلاب العلم وبعض أصناف الأشراف^(٣)

وفي القرن الخامس الهجري استمر تمويل الأمراء لمؤسسات التعليم والعلماء وذكر ياقوت من بين هؤلاء :-

أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري الملقب بالموفق ت: ٤٣٦هـ الذي كان عارفاً بالآداب . وعلوم القرآن . وقد نعته بعض مؤرخيه بقتى أمراء دهره . وأديب ملوك عصره . الذي كان من الكرماء على العلماء وطلاب العلم . ويبدل لهم الرغائب (العطاء

(١) معجم الأدباء . ٢٩٦/٥ . حسن المصايف . ١٣٩/١ . وثلاثة الجليل . ٣٥١/٢
(٢) معجم النبلاء . ١٢/١ . ابن شاذان الكشي . ترجم سائر . ٣/١
(٣) معجم الأدباء . ٣٨٠/٢ . ابن تغرى بردى . ترجم سائر . ٢٠٣/١ . حسن المصايف . ١٩٩/١

الكثير) خصوصاً على القراء، حتى صارت مدينته دائية القراء بالغرب، وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألف دينار ليزيد اسمه في ديباجة كتاب^(١)

وهذه العلماء الذين ساهموا في تمويل التعليم ومؤسساته :

أبو بكر أحمد بن ثابت الملقب بالخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣ هـ الذي كان له شيئاً من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله، أنى إذا امت كان مالي لبيت المال، وأنا استأذن على أن أفرقه على من شئت، فأتى له، ففرقه على أصحاب الحديث وبجانبه أوقف كتبه على المسلمين حتى ينتفع بها عامة المسلمون، ولا تقتصر الفائدة على طائفة بعينها^(٢)

ومنه لاحظ الباحث أن العلماء ساهموا بجانب الأسراء والوزراء بتمويل المؤسسات التعليمية، الأنفاق على العلماء من أموالهم الخاصة بهم، والاهتمام بوقف كتاباتهم على عامة المسلمين حتى يتم نشر المعرفة والفائدة، وهو ما قام به شيخنا ياقوت الحموي الذي أوقف كتبه قبل وفاته، وهو ما ينادى به الباحث علماء المسلمين في الوقت الحاضر بتزويد المكتبات العامة بمؤلفاتهم حتى تتم الفائدة لجميع طلاب العلم.

وقد ساهم التجار بأموالهم في تمويل المؤسسات التعليمية والأنفاق على العلماء وقد ذكر ياقوت من هؤلاء :-

أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن النيسابوري، ت: ٤٧٠ هـ كان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار يوصلها إلى العلماء، وكان يقول أوقاف المحدثين، ويقوم بتفريقها على العلماء وطلاب العلم، وإيصالها إليهم^(٣)

وفي القرن السادس الهجري كان من بين الممولين للعلماء وطلاب العلم أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله، ت: ٥١٤ هـ الذي كان كثير الأفضال على

(١) معجم الأدباء، ٥٥/٥، الزر كل، مرجع سابق، ٢٧٨/٥، معجم البلدان، ٢٢٩/٤.
(٢) معجم الأدباء، ٥٠٤/١، ابن خلدون، مرجع سابق، ١٦٤/٤، الوافي بالوفيات، ٨٢/٦، تذكرة الحفاظ، ٣١٢/٣، ابن تقي بردي، مرجع سابق، ٨٧/٥.
(٣) معجم الأدباء، ٤٦٤/١، الزر كل، مرجع سابق، ١٦٣/١، السبكي، مرجع سابق، ١٥٥/٢، ابن كثير، مرجع سابق، ١١٨/١٢.

أهل العلم ، وخلف من المال ما حرز (قدر بالحس) بمائة ألف دينار ، وأوقفها لأهل العلم
بمسكة والمدينة (١)

ولاحظ الباحث أن أصحاب الأموال من التجار والرؤساء كانوا يقومون
بتمويل العلماء وطلاب العلم المقترين من أموالهم ويقفوها عليهم.
وفي القرع السادس كانت مؤسسات التمويل ، هذا الأثر :
ففي ترجمة ياقوت لأبي الحسين أحمد بن علي القسائي والملقب بالرشيد

الأسواني ت: ٥٦٢ هـ أنه كان من أهل بيت كبير بالصعيد وكانوا يتعهدون الأنفاق على
المتعلمين وشيولهم (٢)

وكانت هذه الموال التي ينفقها الأمراء والوزراء والتجار ، والعلماء على أهل العلم
كان العلماء يستخدمونها أحياناً في إقامة المدارس والمساجد ، وقد ذكر ياقوت من بين
هؤلاء العلماء الذين أشرفوا على إنشاء المدارس والمساجد من خلال هذه الأموال :

أبو القاسم علي بن أبي محمد المعروف بابن عساكر والملقب بـتقي الدين ت: ٥٧١ هـ
الذي حصل من الأموال ما يقرب من اثنا عشر ألف دينار ، أنفقها في بناء المساجد
والمدارس ، وتأليف الكتب ، وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء (٣)

أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بابن يقشان والملقب بعلم الدين ت: ٥٩٩ هـ
مصر ، والذي أوقف ثلث ملكه على المتفقيين لأصحاب الشافعي ، بباب العامة ببغداد
وقد استخدمت هذه الأموال في إنشاء مدارس الشافعية (٤)

وقد ظهر ذلك بكثرة في عهد الدولة السلجوقية وبعد أن وزلهم الب أرسلان
الشافعي المذهب (٥)

(١) مجمع الأدباء ، ٤٦٥/١ الألف ، مرجع سابق ، ص ٤٧ أثر علي ، مرجع سابق ، ١٧٣/١
(٢) مجمع الأدباء ، ٥٢٢/١ - ٥٢١/١ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٥١/١
(٣) مجمع الأدباء ، ٤٥/٤ - ٤٤/٤ مجمع المؤلفين ، ٦٩/٧ - ٦٨/٧ تنكرة المخطوط ، ١٢٣ - ١٢٢/٤ تاريخ دمشق ، ١٣/١٢
(٤) مجمع الأدباء ، ١١١/٤
(٥) شوقي صيف ، عصر الدول والأمراء ، ص ٥٢٣

قضايا عامة ومتموهة تربوية أورد لها ياقوت في كتابه للمعجم الأدباء لله :
المكافأة عند صدق الحديث والتعليم :

أورد ياقوت في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن حصن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الغزاري الكوفي ت: ١٨٨ هـ^(١)، دار حديث بينه وبين هارون الرشيد في مجلسه ، تبين لهارون الرشيد صدق الغزاري فأمر له هارون الرشيد قائلاً: اجلس أبا إسحاق : يا مسرور أنت بثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق ، فأتى بها ، فوضعت في يده وانصرف بها ، فما خرج من سوق بغداد حتى تصدق بها^(٢) .
ولاحظ الباحث هنا تنمية القيم التربوية والتي منها الصدق ، وأن يكافئ الطالب على صدقه في عمله .

التأديب هو السلطان للعالم إذا أخطأ :

ذكر ياقوت في ترجمة أبي عبد الله وقيل أبي بكر محمد بن إسحاق بن يسار ١٥٠ هـ وقيل ١٥٢ هـ^(٣) ، أن العالم إذا أخطأ كان يقابل هذا الخطأ بالتأديب من قبل السلطان ففي رواية الواقدي قال: كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخرة المسجد ، فيروى عنه أنه كان يسامر النساء ، فرفع أمره إلى هشام أمير المدينة فرقق رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس هنالك^(٤) ، وقال ابن حبان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقا للأخبار^(٥) ، وقد كان من حفاظ الحديث زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد^(٦) . وله من المصنفات كتاب السيرة النبوية : قال

(١) معجم الأدباء ، ١٣٦/١ ابن عسك ، التهذيب ، ٢٥٢/٢ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ٣٠٧/١

(٢) الزر كلبي ، مرجع سابق ، ٥٩/١ تهذيب التهذيب ، ١٥٣/١ والأذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٢٥١/١

(٣) معجم الأدباء ، ٢٢٠/٥ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٤٨٢/١

(٤) تهذيب التهذيب ، ٢٨/٩٠

(٥) تذكرة الحفاظ ، ١٦٢/١

(٦) ميزان الاعتدال ، ٢١/٣

الزركلي عنه أنه مطبوع هذبه ابن هشام . ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦ هـ في خزانة القرويين بفاس^(١).

وتبين للباحث أن توقيع العقاب على العلماء في ذلك العصر كان يتم من قبل السلاطين والأمراء . وهو ما يحدث في العصر الحاضر فإذا أخطأ الأستاذ في حق متعلم أو غيره ، يرفع أمره إلى السلطات الحكومية فهي تتولى عقابه وزجره للإقلاع عن هذا الخطأ **تصحيح الخطأ للمتعلم ولو كان ذا جاه :**

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة بن أبي محمد ويقلب عليه لقب العدوي اليزيدي ت : ٢٢٥ هـ^(٢) . يقول إبراهيم اليزيدي كنت بحضرة المأمون . فذكر المعتصم كلاماً به خطأ . فأجابته إبراهيم . فأخفى المأمون ذلك فلما كان من الغد . صار إبراهيم إلى المأمون كما كان يذهب إليه فقال له : الحاجب أمرت ألا آذن لك^(٣).

ولاحظ الباحث هنا غضب المأمون من اليزيدي لأنه صحح خطأ للأمراء غير أن اليزيدي لم يترك هذا الخطأ . ولم يخشى سلطان هؤلاء بل صحح الخطأ وفي الملا . **النساء معلّمات :**

لم يكن التعليم في ذلك العصر مقتصرًا على الرجال فقط بل شاركهن النساء في التدريس فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبي محمد وقيل صفوان إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكان يقلب عليه لقب النديم الموصلي ت : ٢٣٦ هـ^(٤) . قال : شارك النساء الرجال في التدريس . ففي رواية على بن الصباح قال : كانت امرأة من بني كلاب . يقال لها زهراء تحدث إسحاق وتناشده واهتمت بكتابة الشعر . وكانت بعده تقوم بتأديب النساء^(٥).

(١) الزركلي . مرجع سابق . ٢٨/٦ .

(٢) الزركلي . مرجع سابق . ٢٢٩/١ ابن الأثيري . مرجع سابق . ص ٢٢٢

(٣) الزركلي . مرجع سابق . ٧٩/١ أنباء الرواة . ١٨٩/١

(٤) معجم الأدباء . ١١٦/٦ ابن خلكان . مرجع سابق . ٦٥/١ إسان الميزان . ٣٥/١ الخطيب البغدادي . ٣٣٨/٦

(٥) الزركلي . مرجع سابق . ٢٩٢/١ الأصفهاني . مرجع سابق . ٢٦٨/٥ ابن الأثيري . مرجع سابق . ٢٢٧

وقد كانت عاتكة بنت شهدة تقوم بتأديب غيرها من النساء^(١).

والتعليم من قبل النساء في ذلك العصر، من الطواهر التي تدل على شيوع الثقافة وأنها كانت عامة بين الناس، ولا تخص الرجال وحدهم بل تعم النساء فقد اتصلت المرأة بالحديث النبوي وروايته إذ نجد طائفة من النساء يؤخذ عنهن الحديث كما يؤخذ عن علمائه الإثبات، ويذكرن في تراجم بعض المحدثين وينص على أنهم حملوا الحديث عنهن^(٢)، منهن: كريمة بنت أحمد بن محمد المروزي، ت: ٤٦٣ هـ وهي محدثة كانت تروى حديث البخاري، عاشت قريباً من مائة سنة ولم تتزوج، أصلها من بني مرو الزود ووفاتها بمكة، ويقال لها أم الكرام، وست الكرام^(٣)، ويقول ابن الأثير: انتهى إليها علو الإسناد الصحيح^(٤).

وقد قرأ عليها بمكة الخطيب البغدادي، المحدث المشهور صحيح البخاري، وسمع منها بمكة سعد الأسدآبادي^(٥).

ولاحظ الباحث أن المروزي لم تحت في موطنها فحسب، بل حدثت أيضاً في مجمع العلماء بالحرم المكي، وبأي كتاب؟ بأعظم كتب الحديث إسناداً: صحيح البخاري وهذه محدثات القرية الخامسة العجري المشهورات:

عائشة بنت عبد الله البوشنية، ومثلها فاطمة بنت أبي علي الدقاق، شيخ القشيري في التصوف، وعنها أخذ الحديث بنيسابور كثيرون^(٦).

ومن محدثات القرن الخامس: شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرغ بن عمر الأبري ت: ٥٧٤ هـ^(٧) فقيهة من العلماء في عصرها، أصلها من الدينور، ومولدها ووفاتها

(١) معجم الأدباء، ١٣١/٢.
(٢) الشبكي، مرجع سابق، ٣٠/٤.
(٣) الزركلي، مرجع سابق، ٢٢٥/٥.
(٤) ابن الأثير، كتاب تاريخه، ٢٤/١٠.
(٥) الشبكي، مرجع سابق، ٣٨٣/٤.
(٦) المرجع السابق، ١١٥ - ٩٥.
(٧) ابن حنكلان، مرجع سابق، ٢٢٦/١.

ببغداد ، روت الحديث وسمع عليها خلق كثير ، وطار صيتها وتزوج بها ثقة الدولة ابن الأنباري ، (كان من أخصاء المفتي العباسي) وتوفي عنها ٤٩٥ هـ ، وعرفت بالكاتبة لجودة خطها^(١)

ولاحظ الباحث أن التعليم في ذلك العصر شارك فيه النساء فهن أدلة على ازدهار الحركة العلمية النسائية في ذلك العصر ، كما لاحظ أن النشاط العلمي للنساء ، بدأ باهتمام نساء الأمراء باتفاق كثير من أمواتهن على العلماء ...

فقد كان الأمير علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية الإسماعيلية عالماً ويقول عنه : عمارة كان عالماً وفقهياً مستنصراً في علم التأويل وخطيباً بليغاً ، وكانت زوجة ابنه الأمير المكرم المسماة الملكة الحرة أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي ، تنعت بالحرّة الكاملة ، ويلقبها الصغرى ، ملكة حازمة مدبرة يمانية ت: ٥٣٢ هـ نشأت في حجر أسماء بنت شهاب أم المكرم الصليحي أحمد بن علي ، وتزوجها المكرم قامت بتدبير الملكة والحروب ، ترفع إليها الرقاق ويجتمع عندها الوزراء ، وتحكم من وراء حجاب^(٢)

وقد كانت تتعمق في علوم الدعوة الفاطمية ، ووقفت أوقافاً كثيرة لتدريس صحيح البخاري ، مع أنها كانت إسماعيلية العقيدة^(٣) **الدعوة إلى أعمال العقل والتفكير :**

نظم بعض العلماء والشعراء أبياتاً تدعو إلى أعمال العقل والابتكار والتفكير فقد أورد لياقوت في ترجمة : أبي إسحاق بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ويغلب عليه لقب الصولي الكاتب ت: ٢٤٣ هـ^(٤) ، أنشد أبو العباس بعد أن فكر قليلاً أبياتاً تدعو إلى أعمال العقل والابتكار ، وعدم الاقتباس والاعتماد عليه فيقول :

(١) قرر كلبي ، مرجع سابق ، ١٧٨/٣ السبكي ، مرجع سابق ، ٧١/٦ ، ٧٣

(٢) قرر كلبي ، مرجع سابق ، ٢٨٩/١

(٣) السبكي ، مرجع سابق ، ٧١/٦

(٤) معجم الأدباء ، ١١٥/١ ابن خلكان ، مرجع سابق ، ٩/١ السمودي ، مرجع سابق ، ٢٩٩/٢ ابن كثير ، ٤٤/١٠

مصادر التربية الإسلامية ← (معجم الأبناء) لياقوت الحموي نموذجاً

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ	وأسلمه الوجود إلى العيان
ووشاه فتمنمه بيان	فصيح في المقال بلا لسان
ترى حلل البيان منشرات	تجلى بينها حلل المعاني (١)

شروط تعليم علوم القرآن :

هناك شروط لتلقى علوم القرآن ، فلا يدرس لغير المسلمين ، ولو كان هناك عائداً مادياً فقد ، فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني نسبة إلى مازن بن شيبان بن ذهل ، ت : ٢٤٩ هـ وقيل ٢٤٨ هـ (٢) ، ففي رواية المبرد قال : أن يهودياً وقيل ذمياً بذل للمازني مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع ، فقبل له لم امتنعت مع حاجتك ، وعيلتك (فترك) فقال : أن في كتاب سيبويه كذا وكذا من آيات القرآن ، فكرهت أن أقرأ كتاب الله للذمة (لأهل الذمة) (٣) .

واهتم المازني بجانب ذلك بالكتابة والتصنيف فله : كتاب ما تلحن فيه العامة وله كتاب التصريف ، وكتاب العروض (٤) .

فهيبة العلم :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي جعفر بن ناصح بن بلنجرين أبي عصبدة الديلمي ت : ٣٠٢ هـ (٥) ، أن أحمد بن عبيد قال محدثاً : أن المعتز قال له يوماً يا مؤدبي تصلي جالساً ، وتضربني قائماً ، فقال له : ضربك من القروض ، ولا أؤدي فرضي ألا قائماً (٦) . وهو بذلك يريد أن تعليم الأبناء فض ولا يحق للمعلم أن يؤدي فرض العلم ألا وهو قائم .

(١) الأصفهاني ، مرجع سابق ، ٢٠/٩ وابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ٣١٥/٢ ، والوافي بالوفيات ، ٤١/٥ .

(٢) معجم الأبناء ، ٣٤٧/٢ .

(٣) المرجع السابق ، ٣٥٣/٢ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٩٢/١ ونهاية الرواة ، ٢٤٦/١ .

(٤) القزويني ، مرجع سابق ، ٦٩/٢ .

(٥) بحر رضا كماله ، مرجع سابق ، ٣٠٨/١ .

(٦) معجم الأبناء ، ٣٥٣/٢ ونهاية الرواة ، ٨٥/١ وابن القيم ، مرجع سابق ، ٧٢/١ .

الدعوة إلى تفويض اللسان والعقل بالعلم :

ذكر لياقوت في ترجمة: أبي الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ويغلب عليه لقب العبرثاني ، ت: ٣٠٢ هـ (١) من الكتاب ، عالم بالأدب والأخبار ، من أهل بغداد وقد نشأ في بيت علم وكتابة ، وتقلد البريد ، وأكثر شعره في هجاء والده وهجاء جماعة من الوزراء (٢) . واهتم الطلاب في طلبهم للعلم لما يقومون به عقولهم وألسنتهم فيقول :

رأيت لسان المرء وأفسد عقله
فلا تعد إصلاح اللسان فإنه
ويعجزني رى القفى وجماله
على أن للأعراب حدا وربما
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه
ولا في قببح اللحن والقصد أزين (٣)

لنؤكد هذه تأليف الكتاب بمراجعة العلماء :

ففي ترجمة : أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري القرني ، ت: ٣١٠ هـ (٤) يقول الطبري كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، ويقرؤه علينا ، وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الولاي ، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فتلحق مجلسه ، وكتب عن أحمد بن حماد كتاب المبتدأ (٥)

ولاحظ البحث هنا أن الطلاب كانوا يكتبون ثم يعرضون كتاباتهم على أساتذتهم حتى تقيم هذه الكتابات ، مثلما يحدث الآن في الرسائل العلمية .

(١) معجم الأدباء، ٢٢٤/٤ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٨٣/٢ وابن شاذان الكشي ، مرجع سابق، ٣٥٢/١
(٢) الزركلي ، مرجع سابق ، ٣٢٤/٤ والسعودي ، مرجع سابق ، ٣٩٦/٢ - ٢٩٦/٢ الكامل في التاريخ ، ٢٩/٨
(٣) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٦٣/١٢ وابن الجوزي ، اللباب ، ١٢١/١
(٤) عمر رضا كدالة ، مرجع سابق ، ١٧/٢ وابن العماد ، شذرات الذهب ، ٢٦٠/٢ وابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ٢٠٥/٣
(٥) معجم الأدباء ، ٢٩٧/٥

تصحيح الخطأ عند التنبيه عنه :

كان طالب العلم إذا حدث المعلم بما هو غير صحيح راجعه على انفراد بعيداً عن زملائه ، حتى لا تكون نصيحة بملأ ، فقد أورد لياقوت في ترجمة : أبي بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن دعامة ويغلب عليه لقب الأنباري ت: ٣٢٧هـ^(١) ، أن أبا الحسن الدارقطني قال : حضرت مجلس إملاء الأنباري يوماً فصحف اسماً أورده في إسناده حديث (كان حبان فقال حبان) ، قال الدارقطني فأعطمت أن يحمل عن مثله في فضله وسعة علمه وهم . فلما فرغ من إملائه تقدمت إليه فذكرت له وهمه (خطأه وغلطه) وانصرفت . ثم حضرت مجلسه الثاني فقال للمستملعي عرف جماعة الحاضرين . أن صحفنا الاسم الغلاني لما أملىنا حديث كذا في الجمعة الماضية ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وعرف ذلك الشاب أننا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال^(٢) .

ولاحظ الباحث هنا الأمانة العلمية في نقل العلوم إلى الطلاب فهذا الشيخ العظيم والأستاذ الفاضل لا يبالى أن يعترف بخطئه ، ولا يستأنف درسه حتى يرشد طلابه بما وقع منه من خطأ في المجلس السابق . وهذا هو المنهج القويم في الصدق والتثبت من الحقائق ثم لا يعينه أن ينسب الصواب إلى قائله ولو أنه كان مستمل عليه . فليتنق الله من لا يزعم للحق .

الضرب عند الخطأ هو وسائل التقويم :

ذكر لياقوت في ترجمة : أبي الحسين محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنيوذ ويغلب عليه لقب المقرئ ت: ٣٢٨ هـ^(٣) . من الوسائل التربوية التي استخدمت في ذلك العصر أن الطالب إذا أخطأ في أمور تعليمية يعاقب بالضرب حتى يرجع عن هذا

(١) الفر كلبي ، مرجع سابق ، ٣٣٤/٦ ، نسيم طي ، بغية الوعاة ، ص ٩١
(٢) معجم الأدباء ، ٤١١/٥ - ٤١٢ ، وتنكرة الخطا ، ٥٧/٣ ، وجورجي زيدان ، مرجع سابق ، ١٨٢/٢ ، والفتناب القنادي ، مرجع سابق ، ١٨/١٣
(٣) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٣٦/٨ ، وابن تقي برقي ، مرجع سابق ، ٢٤٨/٣ - ٢٤٧

الخطأ فقد كان أبو الحسن بن شنبوذ يقرأ بالشواذ ، فدعاه الوزير وناظره إلى الرجوع فأمر بتجريدته من الثياب وأمر بضربه بالدرة على قفاه نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصير واستغاث وأذن بالرجوع^(١) .
ثم نسبة العلوم إلى غير أهلها :

ففي ترجمة : أبي الحسن أحمد بن علي البتي الكاتب ت ٤٠٣ هـ^(٢) ، فقد كتب أبو الحسن ربا علي ابن علي أبي إسحاق الصائغ يزجره عن كتاب كتبه لأبي بشر بن طازاء ونحله إياه (نسبة إليه) فيقول :-

زكاة العلوم زكاة السدى	وعرف المعارف بذل الحسى
ولكن يجربه أهله	فأجر بنوك فضل التقى
لئن كنت أوجبتة قرية	لما وقع الموقع المرتضى
وما صدقاتك مقبولة	إذا تنكبست فيها الهدى ^(٣)

وكان البتي يقول له : أن زكاة العلم كزكاة الكرم ، وأن خير المعروف أن تبذل عقلك (أي تستعمل العقل) في جمع المعلومات وعدم العدل عن ذلك . فلا تكتب علماً وتنسبه إلى غيرك .
العلم حوض من المال :

ذكر لياقوت في ترجمة : أبي الحسن أحمد بن يحيى بن سهل السدي^(٤) المنبجى^(٥) ، ويقلب عليه لقب الطائي ت : ٤٦٥ هـ ، اهتم بالرواية عن العلماء فقد روى عن أبي عبد الله بن مروان ، وأبي العباس قارس ، وأبي الحسن نظيف بن عبد الله المقرئ

(١) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٨٠/١ ، والزر كلبي ، مرجع سابق ، ٣٠٩/٥

(٢) معجم الأدباء ، ٤٩١/١ ، ومعجم البلدان ، ٥٥/٢

(٣) الزر كلبي ، مرجع سابق ، ١٧١/١ ، الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٣٢٠/٤ ، واللب ، ٩٧/١

(٤) السدي نسبة إلى قرية بالري تسمى بالسدي - معجم البلدان ، ٤٨/٥

(٥) سنجي : نسبة إلى بلد قديم روميا - معجم البلدان ، ١٦٩/٨

وكان يحفظ من أخبار بن خالويه النحوي . وكان ثقة في علمه^(١) . وقد أشهد أبياتاً من الشعر لأبي أحمد بن فارس يدعو فيها إلى العلم وأنه عوض عن المال بل يجلبه فيقول :

خسود مريض القلب يخفى أنيته ويضحي كئيب البال منى حزينه
يلوم على أن رحت للعلم طالبا أقلب من كل الرواة فنونه
وأختار أكار الكلام وعسونه وأحفظ مما أستفيد عيوبه
فيا لاثمي دعني أغالى بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه^(٢)

ولاحظ الباحث أن الطائي يقصد بهذه الأبيات التي ينتشدها أنه يتعلم العلم الذي لم يسبقه به أحد . وكان هذا العلم بكرلو يتناوله أحد . فهو يدعو إلى الإبداع والابتكار وأعمال العقل دون الاقتباس من علوم العلماء بل يستند إلى هذه العلوم السابقة عليه لتوثيق علمه . حتى يجمع جيده وأحسنه .

الاعتراف بفضل العلماء على تلاميذهم :

كان البيروني قد ضرب مثلاً في اعتراف الطالب بفضل أستاذه عليه . عن طريق الوفاء والتقدير الخالص الذي يكون من الطالب الوفي المخلص لأستاذه البار العطوف الذي لا يرضن بالمعرفة وحل المشكلات العلمية لتلاميذه في كل حين . فقد أورد ياقوت في ترجمة أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ت بعد عام ٤٢٣ هـ^(٣) . كان البيروني ينوه في كتاباته بقوله : استخرج استاذي أبي نصر منصور بن علي بن عراق^(٤) . ولم ينسى فضل أستاذه عليه فقال : ومما عمله غيري باسمي فهو بمنزلة الرائب في الحجور والقلاند في النجور . لا أميز بينها وبين غيرها ألا أنها مما تولاه باسمي أبي نصر منصور بن علي . أنار الله برهانه^(٥) .

(١) معجم الأدياء ، ٨١/٢ .

(٢) المرجع السابق ، ٨١/٢ .

(٣) معجم الأدياء ، ٢٦/٥ .

(٤) حماد رضا كحلة ، مرجع سابق ، ٢٤١/٨ . ومحمد التونسي ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

(٥) لارز كلز ، مرجع سابق ، ٣١٤/٥ . وعلي الشحات ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

ولاحظ الباحث هنا أن البيروني يؤكد من خلال عباراته فضل أستاذه فيما يعرفه من علوم، ويؤلفه من كتب، وهذا نموذج عال من الوفاء، ومثل سام من أمثلة الأمانة العلمية واحترام الأساتذة.

حفظ القرآن بكلمة قصص الأنبياء :

ففي ترجمة : أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ويغلب عليه الثعلبي أو الثعلابي المسر النيسابوري ت: ٤٢٧ هـ (١)، أنه اهتم بتحفظ غيره القرآن الكريم وعلم التجويد من خلال قصص الأنبياء، ومن خلال حفظه للقرآن الكريم، واهتم بجانب ذلك بالتأليف فله كتاب العرائس في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وكتاب ربيع المذكرين وكتاب العرائس هذا قال عنه الزركلي أنه مطبوع، وله كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن، قال الزركلي أنه مخطوط ويعرف بتفسير الثعلبي (٢).

السكوت عند الإجابة عند عدم المعرفة :

فقد ذكر لياقوت في ترجمة : أبي القاسم علي بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ويغلب عليه لقب المرتضى ت: ٤٣٦ هـ (٣)، من الأمور التربوية التي يتم إتباعها في مجالس التعليم هي السكوت عن الإجابة عند عدم المعرفة بها فقد : أقبل أبي القاسم المرتضى علي من في مجلسه، فقال أتدرون ما قال الديلمي ؟ فقالوا : لا يا سيدنا، فقال : بين لي هل صح أسلام أبي بكر وعمر؟ قلت أنا (رضي الله عنهما) وسكت (٤).

الأماء دعوة إلى علم العلماء :

يظهر أداء العلماء في الأماكن التي يشعرون فيها بالأمان على أنفسهم وكتبهم، فقد كان بعض العلماء يقلع عن تعليم غيره حينما تنهب كتبه، فقد أورد لياقوت في ترجمة

(١) معجم الأدباء، ٢٠/٢، وابن خلكان، مرجع سابق، ٢٢/١، وهورج زبدان، مرجع سابق، ٣١١/٢.
(٢) الزركلي، مرجع سابق، ٢١٢/١، والبياه الرواة، ١١٩/١، والشيخ، ١٩٤/١، وابن كثير، ١٠/١٢، ز.
(٣) معجم الأدباء، ٨٢/٤، وابن الميزان، ٢٩٣/٢، والبياه الرواة، ٢٧٨/٤، وابن كثير، ٢٢/٢، ز.
(٤) الزركلي، مرجع سابق، ٢٧٨/٤، والبياه الرواة، ٢٧٨/٤، وابن كثير، ٢٢/٢، ز.

أبى على أحمد بن محمد بن جعفر بن مختار الواسطي . ت: ٥٠٢ هـ^(١) . أنه هاجم الأعراب في بعض الأعوام . ومعهم عسكري الأعاجم . فنهبوا واسط ونهبوا دكان الشيخ أبى على مختار ونزلوا بداره . فدخل عليهم ليستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوه منه . فلو يرى لذلك وجهاً فترك التعليم^(٢) .
ذم الجهل والدعوة لأعمال العقل :

ففي ترجمة : أبى العباس أحمد بن يختيار بن على بن محمد الماندائي الواسطي
 ت: ٥٥٢ هـ^(٣)

أنه كتب بخطه أبياتاً تدعو إلى ذم الجهل وفضل التعليم لأصقال الذهن والعقل
 فيقول :

قد نلت بالجهل أسباباً لها خطر يضيق فيها عن العقل المعاذير
 مصيبة عمّت الإسلام قاطبة لا يقتضى مثلها حزم وتدبير
 إذا تجارى ذوا الألباب جملة قالوا جهول أعانته المقادير^(٤)

وفي ترجمة : أبى الحسن على بن عتتر بن ثابت ويقلب عليه لقب شميم الحلبي
 ت: ٦٠١ هـ^(٥) كانت حرية التعليم سائدة في ذلك العصر فقد : جاء متعلم إلى أبى الحسن
 فوجد بين يديه كتباً فسلم عليه وجلس بين يديه . فقال من أين أنت ؟ قال : من بغداد
 فأقبلت أسأله عنها وأخبرني . ثم قلت له : أما جئت لأقتبس من علوم المولى (سبحانه
 وتعالى) شيئاً . فقال لي : وأي علم تحب ؟ فقلت له : أحب علوم الأدب فقال له : وأن
 تصانيفي في الأدب كثيرة فاختر منها ما شئت^(٦) .

(١) معجم الأدباء . ٣٢/٢

(٢) المرجع السابق . ٣٢/٢

(٣) معجم الأدباء . ٣٠٩/١ عمر رضا كحالة . مرجع سابق . ١٧٢/١ وابن كثير . مرجع سابق . ٢٣٦/١٢

(٤) السبكي . مرجع سابق . ٣٧/٤ - ٣٨ واللباب . ١٧٨/١ - ١٧٩

(٥) معجم الأدباء . ٢٨/٤

(٦) عمر رضا كحالة . مرجع سابق . ٢٥٧/٣ وسير اعلام النبلاء . ٩٤/١٣

ولاحظ الباحث هنا أن الحرية في التعلم في ذلك العصر كانت متوافرة حيث يسأل المتعلم عن العلم الذي يريد التقدم فيه ، بخلاف ما يحدث في التعليم الأكرامى من فرض للمواد الدراسية عليه ، دون الاهتمام بميول المتعلمين ، وأن كان قد تم أخيراً فتح العديد من مجالات التعليم حتى يختار المتعلم المجال الذي تسمح به ميوله .
ترك الكتابة وأنه كائن خطأ :

فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبى بكر المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الضرير النحوي ويغلب عليه لقب الوجيه ، ت: ٦١٢ هـ (١) ، كان المتعلم يحزن عندما يحو المتعلم شيئاً من الكتابة ولو كانت خطأ ففي رواية محب النجار قال : حضر الوجيه إلى دار الكتب التي يرباط المأمونية فقال له خازنها : كان عندي في الخزانة كتباً من تصانيف المعرى فغسلته (محوت كتابته بالماء) فقال له الوجيه وأي شيئاً كان الكتاب ؟ فقال له كان نقض للقرآن (مخالفته والإتيان بما يخالفه) فقال له : أخطأت ، فعجب واستشأط (أتهب) غضباً ابن هبة الله ، وقال : مثلك ينهى عن مثل هذا ؟ قال نعم ، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً منه أو دونه ، فإن كان مثله وحاش لله أن يكون فلا يجب أن يفرط في مثله ، وإن كان دونه وذلك مما لاشك فيه فتركه معجزة (إظهار لأعجاز القرآن) للقرآن فلا يجب التفريط (٢)

ولاحظ الباحث هنا بعض الطرق التي ينصح بها الكتاب ، أو قل طلاب العلم في اجتياز امتحانات نهاية العام ، وهو عدم شجب أو إزالة الإجابة التي يشك فيها الطلاب بل يتركونها ، ويجب دونها إجابات أخرى ، فربما كانت الأولى هي الأصح ، وكذلك كتابات العلماء .

(١) معجم الأدباء ، ٤٥/٥ وبغية الوعاة، ص ٣٨٥ وابن خلكان، مرجع سابق، ٤٤١/١ والزر كل مرجع سابق، ٢٧٢/٥
(٢) معجم الأدباء ، ٤٦/٥ ابن تفرى بردى ، مرجع سابق ، ٦١٤/١ ونكت الهميز ، ص ٢٣٢

تبرئة الزمان وذم أهله :

اهتم بعض العلماء بمناصرة الزمان وذم أهله ، لما يصدر من بني البشر بعضهم تجاه البعض ، فأورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن محمد بن محمد بن جعفر ويغلب عليه لقب ابن لنكك البصري ، ت : ٣٦٠ هـ^(١) . وصفه الثعالبي بأنه : فرد البصرة وصدر أديانها وقال : أكثر شعره ملح وظرف ، جلها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره ، فيقول

يعيب الناس كلهن الزمانا	وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا	ولو نطق الزمان بنا هجانا
ذائب كلنا في ذي ناس	فسبحان الذي فيه يرانا
يعاف الذنب يأكل لحم ذئب	ويأكل بعضنا بعضا عيانا ^(٢)

وقد اهتم ابن لنكك المصري بالكتابة فقد كتب شعره في ديوان اطلع عليه الثعالبي وأورد منه مختارات ، ورأه صاحب بن عباد^(٣) . وقد معاصرا للممتني وهجاه^(٤) .

محاوَر الشريعة الإسلامية ومنها :

كتب تدعو إلى معرفة بعض جوانب الشريعة الإسلامية وأمورها :

اهتم بعض العلماء بالكثير من الكتابات التي تظهر اهتماماتهم ببعض أمور الشريعة ، والتي يختلط فيها الفكر على العامة فقد أورد ياقوت في ترجمة : أبي العيين محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي

العنيس بن المغيرة ويغلب عليه لقب الصيمري ، ت : ٢٧٥ هـ^(٥) . اهتم ببعض الكتب التي أظهرت بعض أمور الشريعة فله كتاب : ملول اللحي ، أورده الزركلي ، وكتاب

(١) معجم الأدباء ، ٤١٧/٥ ، السيوطي ، بغية الوعاة ، ص ٩٤

(٢) الثعالبي ، مرجع سابق ، ١١٦/٢ - ١٢٥

(٣) الزركلي ، مرجع سابق ، ٢٠/٧

(٤) الصندي ، الوافي بالوفيات ، ١٥٦/١

(٥) المحطوب البغدادي ، مرجع سابق ، ٨١٢٣/١ وابن النديم ، مرجع سابق ، ١٥١/١ والوافي بالوفيات ، ١٩١/٢ - ١٩٣

السحاقات والبخائن ، وله كتاب: عجائب البحر مطبوع استشهد فيه ببعض آيات القرآن الكريم (١) . ومنها قوله تعالى:

”وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا“ (٢)

وأورد ياقوت له من الكتب كتاب: فضائل خلق الرأس . وكتاب تفسير الرؤيا وكتاب الثغلاء . وكتاب الأحاديث الشاذة (٣) .
الدعوة إلى الزهد :

وفي ترجمة : أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحارثي . ت: ٢٨٥ هـ (٤) ، يذكر ياقوت أبياتاً ينقلها عنه يدعو فيها إلى الزهد في الدنيا ، وعدم التفكير فيها فيقول :

اثَّانَ أَنْ عَسَا فخير لهما الموت
فَقِيرَ مَالِهِ زَهْدٌ وأعمى ماله صوت (٥)

وفي ترجمة : أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري القرني ، ت: ٣١٠ هـ (٦) ، اهتم ببعض الكتابات في جوانب الشريعة فله بسط القول في أحكام شرائع الإسلام وهذا الكتاب قدم له كتاباً اسمه كتاب مراتب العلماء قال الزركلي أنه مطبوع حض فيه على طلب العلم والتفقه وعمن فيه (أشار) على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه ، ثم ذكر العلماء ممن تفقه على مذهبه (٧) .

(١) الزركلي ، مرجع سابق ، ٢٨/٦ عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٣٨/٩

(٢) سورة فاطر : من الآية ١٢

(٣) معجم الأدباء ، ٢٢٣/٥ والبغدادي ، هدية العارفين ، ١٨٩/٣ - ١٩٠/١ وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ص: ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣

وذكر الطبري ممن أخذ عنهم من فقهاء الأمصار، بدأ بالديانة، ثم العراقيين (الكوفة وبغداد) ثم الشام وخراسان، وتحدث فيه عن الصلاة بعد أن ذكر الطهارة، ثم تحدث عن اختلاف المختلفين واتفاقهم، وخرج منه نحو ألفي ورقة^(١)، وقد أخرج منه الطبري كتاب آداب القضاة، وهو أحد الكتب المندودة له المشهورة بالتجويد والتفصيل^(٢)، ومن العلماء من اهتم بتخريج أحاديث النبي (ﷺ) وهذه من أمور الشريعة الذي إذا ما قورن بالرؤيا صار من براهين الشرع، ففي ترجمة: أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ النيسابوري، ت: ٣٨١ هـ^(٣)، فقد: خرج أحاديث النبي (ﷺ) التي تحدث فيها عن يوم القيامة، ففي رواية الحاكم بإسناد رفعه إلى أبي موسى الأشعري قال: قال النبي (ﷺ): إذا كان يوم القيامة أعطي الله (عز وجل) كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقول هذا فداؤك من النار^(٤)، وقد سمع الحديث وحدث به^(٥)، وقد ذكر لياقوت في ترجمة: أبي العباس أحمد بن رشيد الأندلسي ت: ٤٤٠ هـ وقيل ٤٤٢ هـ^(٦)، وضع قاعدة شرعية في الحكم بين المتخاصمين، ففي رواية أبي بكر عن رسول الله (ﷺ) قال: لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان^(٧).

ذم الرشوة لأنها تضيق العلم :

ففي ترجمة: أبي الحسن محمد بن محمد بن جعفر ويغلب عليه لقب ابن لنكك المصري، ت: ٣٦٠ هـ^(٨)، أنه امتدح علم الفقه ووافق أهل مذاهبه غير أنه عجب على ما يضيع هذا العلم وهي الرشوة فقد قال في شعره :

أقول لعصبة بالفقه صالت وقالت ما خلا ذا العلم باملأ

(١) محمد أحمد الموفى، مرجع سابق، ص ٣٥

(٢) معجم الأدياء، مرجع سابق، ٦٤/٥٠

(٣) معجم الأدياء، ٧٥/١٠ وابن الصاد، مرجع سابق، ٣١٥/٢ عمر وعنا كماله، مرجع سابق، ٢٠٨/١

(٤) ابن تغري بردي، مرجع سابق، ١٦٠/٤ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٠/١٠٠

(٥) ابن الصاد، مرجع سابق، ٩٨ - ٩٧/٣

(٦) معجم الأدياء، ٣٥٧/١

(٧) المرجع السابق، ١٢٥/١

(٨) معجم الأدياء، ٤١٦/٥٠ والصادق، الواقعي بالوفاء، ١٥٦/١

أجل لا علم يوصلكم سواء
أراكم تقلبون الحكم قلباً
إلى مال التماسي والأراميل
إذا ما صب زيت في القناديل^(١)

ولاحظ الباحث هنا ذم الرشوة ، فهي مفسدة للأخلاق الإسلامية ومضيفة لمال الغير ، وفي كل نهانا الإسلام ، وقد استخدم ابن لتكك المصري مفهوم الزيت في القناديل أو القناديل كناية عن الرشوة .

وقد اتخذ الشعراء من قصائدهم طريقاً للدعوة الإسلامية ، وإتباع شرع الله سبحانه وتعالى ، وهدي النبي (ﷺ) فقد ذكر لياقوت في ترجمة : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل المرسى السلمي ويغلب عليه لقب شرف الدين ، ت: ٦٥٥هـ^(٢) أنه اهتم في كتاباته للشعر بالدعوة إلى الشريعة الإسلامية والتمسك بالدين الإسلامي وإتباع النبي (ﷺ) وماعاده فهو العمى الذي يضل به الإنسان عن الصراط المستقيم فيقول

من كان يرغب في النجاة فماله
ذاك إتباع السبيل المستقيم وغيره
فاتب كتاب الله والسنة التي
ودع السؤال بكم وكيف فأنه
الدين ما قال النبي وصحبه
التربية ونشاطها بين العلماء والمتعلمين :
التربية الأخلاقية :

أورد لياقوت في ترجمة : أبي الحسن ، علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ويغلب عليه لقب الكسائي ت: ١٦٩ هـ^(٤) ، أنه في رواية محمد بن إسحاق التميمي قال : أشرف

(١) إقبال ، مرجع سابق ، ١٢٢/٢ معجم الأدباء ، ٤١٧/٥ والزر كل ، مرجع سابق ، ٢٠/٧
(٢) معجم الأدباء ، ٣٥٠/٥
(٣) المسدي ، الواقعي والوفيات ، ٣٥١/٣ والزر كل ، مرجع سابق ، ٢٣٣/٦
(٤) معجم الأدباء ، ١٠٠/٤ وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٨١/٧

الرشيد على الكسائي (معلم أبناءه) ، وهو لا يراه ، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدتها فابتدزها (بادر كل منهم صاحبه يسبق إليها) الأمين والمأمون ، وكان مؤديتهما فوضعاها بين يديه ، فأقسم عليهما ألا يعاودا ، فلما جلس الرشيد مجلسه ، قال : أي الناس أكرم خدما ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، قال : بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون^(١) .

ولاحظ الباحث هنا التربية الأخلاقية فقد كان الطلاب يكرمون العلماء إجلالا وتقديرا لهم ولو كان هؤلاء الطلاب من ذوي المكانات العليا في المجتمع ، ويلاحظ كذلك الأشراف من الأباء على أبنائهم في التعليم ومتابعتهم ، وملاحظة أساتذتهم وهم يعطوا حقهم من تلاميذهم أم لا ، يلاحظ أن الرشيد لم يغضب من تصرف أبناءه تجاه معلمهم بل افتخر في مجلسه بما حدث منهما ولو حدث ذلك في العصر الحالي لوجدنا الأب يعزز أبنائه ويعاقبهم خاصة إذا كانوا من ذوي المكانات الاجتماعية الرفيعة في المجتمع .

التربية الأخلاقية وإطاعة الوالدين وعدم حقوقهم :

أورد لياقوت في ترجمة: أبي عبد الرحمن ، بقى بن مخلد الأندلسي ، ت: ٣٦٦هـ (٢) أنه كما في رواية الحميدي قال : أخبرنا أبي القاسم أنه جاءت إلى بقى بن مخلد امرأة فقالت : إن ابني قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة (تصغير دار) ولا أقدر على بيعها ، فقال لها انصرفي حتى انظري أمره إن شاء الله^(٣) ، وكأنه أمرها بالدعاء له ويدعو هو معها فيقول : لئنأ مدة فجأة امرأة ومعها ابنها وأخذت تدعوه وتقول : رجع سالا وله حديث يحدثك به فقال له : كنت الأسرى ، فأنفك القيد من رجلي فصاح على الحارث كسرت القيد ؟ فقلت لا ، إلا أنه سقط من رجلي ، فدعوا رهبا نهم فقالوا لي ألك والده؟ قلت لهم : نعم ، فقالوا : وافق دعاؤها الإجابة أغلقك الله ، ولا يمكننا تقييدك ، فزودوني (أعطوه زادا يتزود به في رحلته) وأصبحوني (بعثوا معي من أصحابه) إلى ناحية المسلمين^(٤)

(١) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٣/١١ ، والتقطي ، إنباء الرواة ، ١٥٦/٢ .

(٢) معجم الأدياء ، ٢٢٤/٩ ، وعمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٥٣/٣ .

(٣) ابن عسكرك ، تاريخ دمشق ، ٢٠٣/٢ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ١٦٩/٢ .

(٤) ابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ٧٥/٣ ، والذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٦٨/٩ ، معجم الأدياء ، ٣٣٥/٢ .

ولاحظ الباحث هنا دور التربية الإسلامية للأسرة ودورها من حيث طاعة الوالدين وتفريغ الضيق والكرب سبب دعائهم .

وفي ترجمة : أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحري . ت: ٢٨٥ هـ .^(١) قال دخل إبراهيم الحري إلى إسماعيل بن إسحاق القاضي ليعلمه . فلما دخل عليه خلع نعليه فأخذ أبي عمر محمد بن يوسف القاضي نعلي إبراهيم الحري . ولقهما في منديل ديبقى وجعله في كفه . فقال له إبراهيم غفر الله لك . كما أكرمت العلم وأجيبته دعوة إبراهيم الحري^(٢)

ولاحظ الباحث هنا مواقف تربوية تحدث بين المعلم وأستائه وتكون هذه المواقف محط أنظار الدراسة .

آداب المتعلم :

زجر الطلب عند تحركه أثناء مجلس التعليم :

ففي ترجمة : أبي العباس . أحمد بن يحيى بن يسار ويغلب عليه لقب ثعلب الشيباني . ت: ٢٩١ هـ .^(٣) ففي رواية على بن سليمان الأخفش قال : كنت يوماً بحضرة ثعلب فأسرعت للقيام . قبل انقضاء المجلس فقال : إلى أين ؟ ما أراك تصير على مجلس الخلد^(٤)

جواز تقبيل أيدي العلماء :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي زيد . سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ويغلب عليه لقب الأمام الأديب

(١) معجم الأدباء . ٧٩/١ . والذهبي . تذكرة الحفاظ . ٢٠١٤٧ .
(٢) ابن شاذان الكشي . مرجع سابق . ٣/١ . والخطيب البغدادي . مرجع سابق . ٢٧/٦ . والزركلي . ٣٢/١ .
(٣) معجم الأدباء . ٧١/٢ . والزركلي . ٢٦٧/١ . وابن كثير . مرجع سابق . ٣٢/١ .
(٤) القسطلي . نباه الرواة . ٦٣٨٢١ . وجرى زبدان . مرجع سابق . ١٨٦/٢ . والذهبي . تذكرة الحفاظ . ٢١٤/٢ .

ت: ٢٥١ هـ^(١)، أورد أبو عثمان المازني قال: كنا عند أبي زيد فجاء الأصمعي وأكعب على رأسه يقبله، وقال: هنا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة^(٢).
ولاحظ الباحث هنا ظهور التربية الأخلاقية في أجل معانيها وصورها في ذلك متمثلة في احترام وتقدير الطلاب المتعلمين للعلماء، بل تقدير العلماء بعضهم البعض. وفي ترجمة: أبي الحسن، أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي ت: ٣٠٦ هـ قال ابن المعتز لأستاذه الدمشقي: والله لا أقابل إحسانك مني كفر، لاتباع إحسانني إليك مني (التعبير وتعدد النعم) فلك مني يد لا أقبضها عن نفعتك^(٣).
ولاحظ الباحث أن على المتعلم إذا أخطأ المتعلم ثم ألق عن خطئه بالاعتذار قبل منه، وهذا ما حدث من ابن المعتز مع أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقي.

فهرست التربية الدينية في نفوس المتعلمين:

أورد ياقوت في ترجمة: أبي القاسم، جعفر محمد بن حمدان الموصلی ويغلب عليه لقب الفقيه الشافعي ت: ٣٢٢ هـ ذكر في أبياته قوله:

يا سيد بذ من يمشي على قدم	علما وجلسما وأبساء وأجدادا
ماذا دعاك إلى وعد تصبره	بالخلف والمطل والتسويق أيعاد
لا تعجلن بوعد ثم تخلفه	فيثمر المثل بعد الود أحقادا
فالوعد بذر ولطف القول منيته	وليس تجدي إذا لم يلق حصادا ^(٤)

ولاحظ الباحث أن الموصلی يطلب من العامة والخاصة: التحلي بالأخلاق الإسلامية فمن تحلى بالأخلاق الإسلامية فقد فاق وسابق غيره ممن لم يتحلى بهذه

(١) معجم الأدباء، ٣٧٧/٣ وابن عساکر، التهذيب، ١٦١/٦، وازار کلی، مرجع سابق، ٩٦/٣

(٢) الذهي، ميزان الاعتدال، ٣٧٥/١ وابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨/٤

(٣) معجم الأدباء، ١٧١/٣

(٤) المرجع السابق، ٣٩٨/٢

الأخلاق الحميدة ، فالأخلاق الإسلامية وأمور الدين هما الخبراس الذي يسيّر المسلم علي هداه في الدنيا والآخرة .

وأورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن . أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد برمك ويغلب عليه لقب جحظة البرمكي ت: ٣٢٤ هـ ^(١) . جلس أبو الحسن عند أبي القاسم البغدادى في شهر رمضان . وكان أبو الحسن لا يصوم . فدخل عليه البغدادى في المستراح . فوجد بيده رغيفا فاستعظم ذلك . وقال : ما هذا يا أبا الحسن ؟ فقال له : أفت لبنات وريان (دوية نحو الخنفساء حمراء) ما يأكلون ^(٢) .

ولاحظ الباحث أن الكذب من المتعلم نحو أستاذة من الصفات غير المحمودة ويجب الإقلاع عنها .

ففي ترجمة : أبي بكر محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ويغلب عليه لقب بن القوطية (ابنة أحد ملوك القوط الذين كانوا بالأندلس) الأشبيلي ت: ٣٦٧ هـ بقرطبة ^(٣) . روى الثعالي قال : أخبرني أبو سعيد قال أخبرني الوليد بن بكر الفقيه : أنا أبا بكر يحيى بن زار بن القوطية في جبل قرطبة فقال : ما سألتك أن قبلت يده إذ كان شيعي وأستاذي . وكان الشعر أقل صنائعه لكثرة علومه . وغرائبه ^(٤) .

ولاحظ الباحث هنا جواز تقبيل أيدي العلماء من طلابهم اعتقاداً بفضلهم عليهم وهذه من الأمور التي تحدث مع المتعلمين والعلماء .

تغير سلوك الحيوان مع طريق التربية :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن . طاهر بن أحمد بن با بشار بن داود بن سليمان بن إبراهيم المصري ويغلب عليه لقب با بشار . ت: ٤٦٩ هـ ^(٥) . فقد كان لأبي

(١) معجم الأدباء . ٣٢٨/١ . وعمر رضا كحالة . مرجع سابق . ١٨٣/١ . ولزر كل . مرجع سابق . ١٠٧/١ .
(٢) الذهبى سير أعلام النبلاء . ٥٤/١٠٠ . والخطيب البغدادي . مرجع سابق . ٦٥/٤ . وابن خوارزمي . مرجع سابق . ٣٨٣/٦ .
(٣) معجم الأدباء . ٣٩٠/٢٠ . السوطي . بنية الوعاء . ص ٨٤ .
(٤) لزر كل . مرجع سابق . ٣١١/١ . وابن خلكان . مرجع سابق . ٥١٢/١ .
(٥) معجم الأدباء . مرجع سابق . ٤٦٨/٣ . وابن خلكان . مرجع سابق . ٢٣٥/١ . والسوطي . بنية الوعاء . ص ٢٧٢ - ٢٧٧ .

الحسن قط ، أنس به ورياء أحسن تربية ، فكان ظاهر الخلق لا يخطف شيئاً ولا يؤذى^(١) بل يتهم بمساعدة غيره من القطط الذين أصيبوا في أجسادهم فقد " اختطف فرخاً وذهب به إلى أعلى المنزل ، وفي اليوم التالي اختطف من يده فرخ حمام مشوي فتبعه الشيخ فراه وقد قفز به إلى سطح قريب ووضع الفرخ بين يدي قط هنالك فتأمله الشيخ فإذا القط أعمى مغلوج لا يقدر على الانبعاث ، وقد أحدث هذا الموقف في قلب الشيخ شيئاً فانغرد بالعبادة والتخلي عن الدنيا^(٢) .

ولاحظ الباحث أن التربية للحيوانات كانت سائدة في ذلك العصر ، بل وعصور الإسلام الأولى ، فالصحابي الجليل : أبو هريرة الذي لقب بذلك لأنه كان يحمل الهرة (القط) في كفه ، والتي (هـ) يراه ويقره على ذلك ، وهو ما يشبه في العصر الحالي عالم السيرك ، وقد يقصد بتربية الحيوانات (ترويضهم) وتعديل سلوك الحيوان من العدوانية إلى الخيرية.

التربية الدينية والكتابة فيها :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي الحسن علي بن زيد بن أبي القاسم ويغلب عليه لقب البيهقي وقبل هو نسبه ت: ٥٦٥ هـ^(٣) ، اهتم بالكتابة في الأمور الدينية ، وجاءت كتاباته شاهدة على ذلك فقد : صنف كتاب الإفادة في الحشر والإعادة ، وله كتاب تحفة السادة وكتاب الوقعة في منكر الشريعة ، وكتاب بساتين الأنس وديسانتين الحسد في براهين النفس ، وله كتاب مناهج الدرجات في شرح النجاة ، وله كتاب ربيع العارفين^(٤) .

(١) معجم الأدياء ، مرجع سابق ، ٤٢٨/٣٠

(٢) لزر كل: مرجع سابق ، ٢٢٠/٢٠ والمبوطي: حسن المعاصرة ٣٠٦/١ وابن تغري بردي ، مرجع سابق ، ١٠٥/٥

(٣) معجم الأدياء ، ١١٧/٤ ، والمبوطي ، بغية الوعاة ، ص ٣٠

(٤) بغدادي ، هدية العارفين ٦٦٩/١ ولزر كل ، مرجع سابق ، ٢٩٠/٤

كتب ذات قيمة تربوية :

جمع كتاب "معجم الأدباء" لياقوت الحموي بين دفتيه الكثير من الكتب ذات القيمة التربوية ، والتي شاركت في نشر التربية على مختلف العصور التي تحدث عنها لياقوت وقد اقتصر الباحث على ذكر شاذج من هذه الكتب اكتفاءً بذكر اسم هذه المؤلفات دون التطرق للبحث والتنقيب حول هذه الكتب حتى لا يتسع المجال وتضيق الفائدة المنشودة

فقد أورد لياقوت في ترجمة : أبي العنيس . محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنيس بن المعيرة بن ما هان ويقلب عليه لقب الصيمري ت: ٢٧٥ هـ^(١) ، له من الكتب ذات القيمة التربوية كتاب تأخير المعرفة . وكتاب الرد على المتطمين . وله كتاب الرد على المنجمين وكتاب هندسة العقل . وذكر له لياقوت : كتاب الراحة ومنافع القيادة (لمعرفة فنون الإدارة وكيفية قيام رؤساء المصالح بقيادة من يعملون بمصالحهم) وله كتاب تذكية العقول . وكتاب نوادر القواد . وكتاب مساوي العوام وأخبار السلف والأغنام^(٢) .

ولاحظ الباحث أن هذه الكتب التي قام بتأليفها العلماء ، كان بعضها ذات قيمة تربوية أسهمت في تقدم العلوم التربوية على مر العصور وكانت طريقاً للبحوث التربوية .

وفى ترجمة : أبي زيد . أحمد بن سهل البلخي ت: ٣٢٢ هـ^(٣) ، اهتم البلخي بتأليف الكتب في شتى مجالات العلوم فله كتاب : البحث عن التأويلات . وكتاب : رسوم الكتب . وله كتاب : فضيلة علوم الرياضيات . وله كتاب : منية الكتاب . وله كتاب : رسالة في مدح الوراقة . وكتاب : فضل صناعة الكتابة^(٤) . وفى رواية أبي بكر الفقيه قال : ما

(١) معجم الأدباء ٢٢٢/٥٠ وعصر رضا كماله مرجع سابق . ٣٨/٩ والخطوب البغدادي . مرجع سابق ٢٣٨/١٠ والصغدي الوافي بالوفيات ١٩١/٢٠

(٢) معجم الأدباء ٢٢٢/٤ والزر كلبي . مرجع سابق ٢٨/٦٠ والبغدادي . هدية العارفين ١٩٨/٩ - ١٩٩

(٣) معجم الأدباء ٣٧٥/١ والزر كلبي . مرجع سابق ١٣٤/١

(٤) أبو حيان التوحيدي . مرجع سابق ١٥/٢

صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات ، صنفه أبو زيد البلخي^(١)

وذكر ياقوت في ترجمة : أبي بكر ، محمد بن الحسن بن محمد بن زيد بن هارون بن جعفر بن سند ويغلب عليه لقب النقاش ت: ٣٥١ هـ^(٢) ، له من الكتب كتاب العقل وله كتاب ضد العقل^(٣) ، وهو عالم بالقرآن وتفسيره ، أصله من الموصل ، ومنشأه ببغداد رحل رحلة طويلة ، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السيوف والحيطان فعرف بالنقاش^(٤) ولاحظ الباحث هنا أن النقاش ظهرت له كتابات ذات قيمة تربوية تدعو إلى التفكير ، ومكانة العقل من التعليم والعملية التعليمية ، وما يتوقف ضده من هذه الوسائل

وفي ترجمة : أبي بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ويغلب عليه لقب الخطيب البغدادي ، صاحب تاريخ بغداد ، ت: ٤٦٣ هـ^(٥) ، كان الخطيب البغدادي متأثراً ببعض المذاهب الفقهية مما كان له أثر واضح في منهجه العلمي فقد كان " الخطيب البغدادي قديماً على مذهب أحمد بن حنبل ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وكان يميل بل ويتعصب للمتكلمين من الأشاعرة^(٦) ، وذكر ياقوت للخطيب البغدادي أسماء ست وخمسين مصنفاً ، ويبدو من عناوين بعضها أن لها طابعاً تربوياً ، مثل كتاب : تقييد العلم وكتاب الرحلة في الحديث ، وكتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، وكتاب

(١) معجم الأدباء ، مرجع سابق ، ٣٨٢/١

(٢) معجم الأدباء ، ٣٠٩/٥ وابن خلكان ، مرجع سابق ، ٤٨٩/١

(٣) الرز كلى ، مرجع سابق ، ٨١/٦

(٤) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٤٥/٣ والخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٠١/٢

(٥) معجم الأدباء ، ٥٠٠/٥

(٦) السبكي ، مرجع سابق ، ١٢/٣ وابن تفرى بردى ، مرجع سابق ، ٨٧/٥ واللب ، ٢٨٠/١

مصادر التربية الإسلامية ← (معجم الأدياء) لياقوت الحموي نموذجاً

الكفاية في معرفة علم الرواية^(١)، وللأسف ينقل ياقوت في رواية أبي الفرج الأصفهاني مقتضاها أن هذه الكتب احترقت في دار الفضل بن الخليل^(٢).
المقصود بالبيئة ومفاهيمها :

قبل أن نورد ما ذكره ياقوت عن البيئة في كتابه "معجم الأدياء" نوضح معنى البيئة وكيفية تأثيرها :

إن مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تنصدر قائمة القضايا المعاصرة التي أفرزتها حركة التقدم العلمي والتقني والإنسان - بطبيعة الحال - واحد من مكونات البيئة، دائم التأثير والتأثر في إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة بما فيها من يمثل بنى جنسه وقد عجزت المعاهدات الدولية والمؤتمرات العالمية -حتى الآن- عن تحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الأنساني علمياً وتقنياً واقتصادياً من جهة وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من ناحية أخرى، ويمكن مواجهة هذا التحدي في إطار التصور الإسلامي الرشيد القادر على استيعاب حركة العصر، وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة.

مفهوم البيئة :

"البيئة" و"الباء" و"المباءة" في اللغة العربية أسماء بمعنى المنزل الذي يأوي إليه الإنسان أو الحيوان ويقوم فيه وهو مشتق من الفعل "بوا" بشديد الواو، ويقال أباءه منزلاً وبواؤه إياه، وبواؤه له، وبواؤه فيه بمعنى هبأه له، وأنزله، ويمكن له فيه : قال تعالى :

"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ" (٣)

(١) أقر كل من مرجع سابق، ١٧٢/١٠

(٢) معجم الأدياء، مرجع سابق، ٥٠١/٥

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٥٨

وتوصف هيئة التميز وأهله بالحسن أو السوء . فيقال إنه لحسن البيئة أو أنه بهاء بيئته سوء (١)

البيئة في العلوم الكونية :

* مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التي تحيط بالكائنات . وتؤثر في العملية الحيوانية التي تقوم بها . ويرتبط مدلول مصطلح البيئة بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها . فرحم الأم بيئته الأولى . والبيت بيئة . والمدرسة بيئة والحي بيئة . والوطن بيئة . والكون بيئة (٢)

* أي أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته . فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنيناً ويستمد منه مقومات نموه . ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها . وفي هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يغترف من ثورة الموروثات (أو الجينات) التي هي البيئة الوراثية والجينات : هي تجمع المواد الكيميائية التي تحتوي على شفرة الصفات الوراثية للكائن الحي . وتنظم الموروثات في جسيمات أو خيوط متشابكة داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم - الشبكة النووية وتعرف هذه الجسيمات بالصبغات أو الكروموسومات . ويكون عندها ثابتاً في النوع الواحد من الكائنات الحية . فالإنسان مثلاً تحتوي كل خلية من خلايا جسمه ٤٦ كروموسوماً ، نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم . وتتحدد هذه الصفات الوراثية عند لحظة الإخصاب . لذا فإن العناية في اختيار الإنسان لزوجته أصبحت من العوامل التي يجب مراعاتها لتحسين النسل وتغادي العيوب الوراثية (٣)

(١) ابن منظور - لسان العرب - مادة بوا .

(٢) أحمد فؤاد باشا، البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي - مجلة الأزهر - الجزء السادس، السنة التاسعة والتسعون أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٦ ص ٨٥٨

(٣) رشيد الحمد ومحمد سعيد صابر ، البيئة ومشكلاتها - عالم المعرفة - الكويت ، العدد ٢٢ ذو القعدة / ذو الحجة ١٤٢٩ هـ أكتوبر ١٩٧٩ م ص ٦٢

بيئة ما بعد الولادة :

" تتدرج من البيت إلى المدرسة ثم الوطن والكرة الأرضية كلها . من خلال وسائل الاتصال المختلفة . ثم الكون كله وهو البيئة الكبرى للإنسان فالطاقة الشمسية التي تصل إلى الأرض باستمرار وانقطاع هي الأساس في كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمرارها على أن الإنسان في هذا التدرج لا يكون معزولاً عن بيئة معيشة ولا يتأثر بغيرها فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الأرض الأخرى . وهذا يعني في الواقع أن هناك بيئة كبرى تتمثل في الكون بأسره وما يحدث في جزء منه يؤثر في الكل . فالبيئة الصناعية والبيئة الاجتماعية والبيئة الثقافية إلخ . وذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها في بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة . بما فيها من بنى جنسه من البشر . فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته بل تنظمها المؤسسات التربوية"^(١)

البيئة الأسرية أثرها في التعليم :

ذكر لياقوت في كتابه "معجم الأدباء" في ترجمة : أبي العباس . أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد ويغلب عليه لقب ولاد . ت: ٣٠٢ هـ^(٢) . ظهر أثر عامل البيئة الأسرية في اختياره لمواد الدراسة فقد تعلم من خلال تلمذته على يد والده فقد: كان والده من البصرة وانتقل جده إلى مصر وهو نحوي ابن نحوي . خرج إلى العراق وتعلم بها على يد أبي إسحاق الزجاج . ورجع إلى مصر يعلم بها ويصنف . وكان يقول ديوان رؤية رواية عن والده عن جده^(٣) . اهتم بالتصنيف فله: كتاب المقصور والمدود، وله كتاب الانتصار لسبويه^(٤)

(١) أحمد فوز باشا ، مرجع سابق ، ص ٦٨٠

(٢) معجم الأدباء ، ١٤٧/١ - ١٤٨ ، والسويطي ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٣) النقطي ، لبناء الروايات ، ٩٩/١ وابن السكيت ، مرجع سابق ، ٣٢٢/٢ .

(٤) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٦٧/٢ ، وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

وفي ترجمة: أبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ويغلب عليه لقب الطبري ت: ٣١٠ هـ (١)، لقد ظهر أثر البيئة المصرية ولامحها على شخص الطبري من أسانئده الذين تتلمذ عليهم فقد "تتلمذ مباشرة على يحيى بن عثمان بن صالح ت: ٣٨٣ هـ (٢)، وعبد الله بن لبيبة ت: ١٧٤ هـ، والليث بن سعد، ت: ١٧٥ هـ (٣)، وعلى يزيد بن أبي حبيب ت: ١٢٨ هـ، وجعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة ت: ١٣٠ هـ، وعبد الله بن جعفر الكنانى ت: ١٣٦ هـ (٤)، وتتلمذ على يد: خالد بن يزيد الجمحي الأسكندراي ت: ١٥٢ هـ (٥).

هؤلاء شاذج من الذين تتلمذ عليهم ابن جرير الطبري من المصريين وتلقى عنهم على مائدة المصريين، وهذا ليس غريب على مصر بطبيعتها وشخصيتها " فللشخصية المصرية مميزات وسمات تميزها وبين غيرها، بسبب البيئة المصرية والموقع الجغرافي (٦).

وكذا " فإن الجانب المادي المائل والمعنوي المتجدد فالجانب المادي هو العامل التاريخي الذي يطبع وحدة زمنية معينة بسمات، ويترك هذان العاملان أثريهما في ملامح الشخصية المصرية (٧).

* أما بيئة مصر وتتمثل في الموقع الجغرافي فإن البلاد المصرية التي تقع بين بحرين وتكتنفها الصحراء من الجانبين، مثل شريطاً عرضياً من الخضرة، تحيط بها مساحات واسعة باهتة من الجذب، كان موقعها الجغرافي شأن أي شأن فهو يتصل بالطابع المصرية

(١) معجم الأدباء، ٢٤٨/٥.

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ٦٢/١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٧/١١.

(٤) عبد الله خير، شيد، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(٥) الذهبي، تاريخ الحفاظ، ٢٢٤/٨.

(٦) عبد اللطيف حمزة، الحركة العلمية في مصر في العصور الأموية والمملوكية، ص ٤.

(٧) مصطفى الجويني، مرجع سابق، ص ١٢.

ويمكن أن يكون نتيجة لالتقاء الثقافات المختلفة ، والحضارات المتنوعة والثقافات كانت تختار منها ما يحلو في نظرها ويتفق مع مزاجها ويتمشى مع طبيعتها ويرضى تفكيرها وعملية الاختيار في ذاتها لا تحتاج إلى شيء سوى الذوق ، وكان لابد لمصر أن تعمل ذوقها على هذا النحو فبدأت تتدق هذه الألوان الثقافية أولاً : ثم أخذت تهضم ما تريده من هذه الألوان ثانياً : عرفت كيف تميز بين ماهو ضعيف عليها لا تجد في هضمه مشقة^(١) . وقد كانت هذه السمة الأولى من سمات الشخصية المصرية وهي الميل إلى السهولة ، ولقد برزت هذه السمة منذ دخول الإسلام مصر واحتكاك أهل مصر بالإسلام ، ولما كانت البيئة المصرية تجمع بين الطليعتين وادي النيل بخبره الوفير ، ونعمه الكثيرة ، وطبيعة الصحراء القاحلة الجديدة ، لهذا توسلت نعومة العيش وجذب الحياة ، ومن كانت طبيعة بيئته تلك لابد وأن يأتي نتاجه العلمي بين التوسط والاعتدال وهذه هي سمة من سمات الشخصية المصرية فقد نشطت بمصر بسبب موقعها الجغرافي حركة المد والجزر فأخذت وأعطت ولما كان واجباً عليها أن تقوم بدور الوساطة بين ثقافات العالم ، ومع أن الوسيط الثقافي يمكن أن يكون كالوسيط التجاري من الشراة بحيث يأخذ أكثر مما يعطى فإن مصر كانت شرهة في الأخذ وشرهة في العطاء لم يعرف عنها قط أنها بخلت يعلم أو أثرت نفسها بشئ من العرفان^(٢) ، ولقد " كان على المصريين ، وقد وفدت عليهم ثقافات ومعارف أن يتلقوا أولاً هذه المعارف بقبولها ويديروا فكرهم في فهمها ثم ينتجون منها ما يسبقونه ويهضمونه ويلفظون ماعده ، ثم يضيفون إلى الزاد الثقافي الذي صقله الموقع الجغرافي وأكسبه المراتب والخبرة متلقياً المعرفة وهاضماً لها ثم مضيفاً إليها^(٣) .

(١) عبد اللطيف حمزة ، مرجع سابق ، ص ٨

(٢) الجويلي ، مرجع سابق ، ص ٤١

(٣) أحمد محمد الخوفي ، مرجع سابق ، ص ١١٤

ومما سبق لاحظ الباحث أن هذه السمات ظهرت في نتاج علماء مصر منذ أن انصهروا في بوتقة الإسلام ، فتلقوا وهضموا ثم ارتحلوا يطلبون ، فلما اكتملت أدواتهم العلمية في الحصول على المعرفة بدأوا يعطون ، ومن هنا برزت شخصيات مصرية إسلامية تلقوا العلوم وارتحلوا إلى المدينة ومكة ، يتعلمون القراءات والحديث والفقه يجمعون بين المدارس الإسلامية التي ظهرت في كل الأمصار ومن هذه الشخصيات المصرية من أخذ عنهم ابن جرير الطبري بطريق غير مباشر.

أثر البيئة يظهر في الكتابات الجغرافية :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ويغلب عليه لقب ابن السراج البغدادي ، ت: ٣١٦ هـ^(١) ، ظهر أثر البيئة في كتابات ابن السراج البغدادي فقد جاءت شاهداً على أثر البيئة الطبيعية فقد كتب "كتاب الرياح والهواء والنار ، وكتاب المواصلات ، وكتاب المذكرات"^(٢) .

ومنه لاحظ الباحث هنا أن ابن السراج اقتصر في حديثه على البيئة الطبيعية التي تحيط به من الرياح وطرق المواصلات وأثر النار والأمطار في حياته الطبيعية .

وفي ترجمة : أبي بكر محمد بن الحسن بن عتاهية ويغلب عليه لقب ابن دريد ت: ٣٢١ هـ^(٣) ، لقد تركت البيئة أثراً واضحاً في كتابات ابن دريد فله "كتاب السلاح وكتاب الخيل الكبير ، وكتاب الخير الصغير ، وله كتاب الأنواء ، وله كتاب المطر ، وكتاب السحاب والغيث ، قال الزركلي أنه مطبوع"^(٤) .

(١) معجم الأدباء ، ٣٤٣/٥ ، والسيوطي ، نسخة الوعاء ، ص ٤١ وابن خلكان ، معجم سبق ، ٥٠٣/١ ، والصادق الوائلي بالقوافي ، ١٦/٣
(٢) الزركلي ، معجم سبق ، ١٣٦/٦
(٣) معجم الأدباء ، ٣٠١/٥٠ ، ٣٠٤
(٤) الزركلي ، معجم سبق ، ٨٠/٦٠

ومنه تبين للباحث أثر البيئة الطبيعية المحيطة بآبن دريد من حروب للقبائل استدعى ذلك منه أن يذكر أسلحة هؤلاء القاتلين وأنواعها ، ثم نظر إلى البيئة التي تعبر البشرية إليها ، ومنها نزول المطر فتحدث في شعره عن السحاب الثقيل الذي يحمل المطر بين طياته حتى يستفاد منه في الرعي والشراب ، وينزوله يصحبه الخير ، وتحدث كذلك عن الحيوانات التي كان يشاهدها .

أثر البيئة على العلماء في تصنيف الكتب :

أورد ياقوت في كتابه "معجم الأدباء" في ترجمة: أبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى ويغلب عليه لقب الوشاء (لأنه كان يشي الثياب ينقشها ويخرقها) ت : ٣٢٥ هـ ^(١) ، تأثر أبو الطيب الوشاء بالبيئة الطبيعية التي كان يعيش بها فقد كتب للزهر ، وللغرس ، ولأخبار الملوك التي غزت أماكنهم وللغربة ^(٢) . من هذه الكتب : كتاب خلق الفرس ، وكتاب خلق الإنسان ، وكتاب أخبار صاحب الزنج ، وكتاب الزاهر في الأنوار والزهر ، وكتاب السلوان ، وكتاب سلسلة الذهب ، وكتاب أخبارا لمتطرفات وكتاب الحنين إلى الأوطان ^(٣) .

أثر البيئة في التعليم :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي الحسن بن زكريا بن محمد بن حبيب بن فارس ويغلب عليه لقب الرازي القزويني . ت : ٣٦٩ هـ ^(٤) ، كان " أحد أئمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، وتعلم العلم عن أبيه وعن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان ، وأخذ عن أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب ، وعن أبي عبد الله أحمد بن الطاهر المنجم ، وعلى

(١) معجم الأدباء ، ٩/٥ ، السيوطي ، بغية الوعاة ، ص ١٠٤ .

(٢) الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ٢٨٨/٣ .

(٣) الزركلي ، مرجع سابق ، ٣٠٩/٥ ، والبغدادي ، هدية العارفين ، ٣١/٦ ، وحاجي خليفة ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٤) معجم الأدباء ، ٥٢٥/١٠ .

عبد العزيز المكي، ورحل إلى بغداد طالباً الحديث^(١)، وقد كان^١ بن فارس يقول عن شيخه ابن طاهر المنجم، ما رأيت مثل عبد الله بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه^(٢)، وقد تتلمذ على يديه^٢ بديع الزمان الهمداني، والصاحب بن عباد، ويقول الصاحب: شيخنا أبو الحسن ممن رزق حسن التصنيف وأمن من التصحيف^(٣).

وفي ترجمة: أبي القاسم، إسماعيل بن عباد، ويعرف بالصاحب (كان عزيز الفضل متفنناً في العلوم)، أحمد بن إبراهيم الضبي يغلب عليه لقب الكافي الأوحى^(٤)، ت: ٣٩٩ هـ، امتدح البيئة وفضل بعض البلاد على بعض فيقول رداً على سؤال وجه له "كيف وجدت بغداد؟ قال بغداد في البلاد مثل الأستاذ في العباد"^(٥).

وفي ترجمة: أبي ریحان البيروني سبقت ترجمته، ت: ٤٢٣ هـ^(٦)، ظهر أثر البيئة في مؤلفات أبي ریحان البيروني في القرن الرابع الهجري الذي ضعف فيه شأن الخلافة الإسلامية في بغداد ضعفاً شديداً، فلم يكن للخليفة سلطان يذكر - إلا أن يكون الدعاء باسمه في المساجد - وتغلب العنصر التركي في بغداد على الخلفاء، وظهر النفوذ الفارسي في بعض الولايات ولكن هذا الانحطاط السياسي لم يقف عقبة في سبيل التقدم العلمي والأدبي للعلماء الذين وضعوا المناهج الإسلامية الخالصة في البحث^(٧)، ومن هؤلاء العلماء "الفارابي، ابن سينا، وأبي الريحان البيروني، الذي كان صاحب الفضل في ابتداع أسلوب التأمل وابتكار الطرق والوسائل التي تقرب قضايا علم الفلك، فكان

(١) جورج زيدان، مرجع سابق، ٣٠٩/٢ وأحمد بن فارس، مرجع سابق، ص(ب)، المقدمة.

(٢) الثعالبی، مرجع سابق، ٢١٤/٣.

(٣) الزركلي، مرجع سابق، ١٩٣/١.

(٤) معجم الأدباء، ٦٣٤/١، وعمر رضا كحالة، مرجع سابق، ٢٧٤/٢، وابن خلکان، مرجع سابق، ٢٨٨/١.

(٥) ابن حجر، لسان المیزان، ١١٣/١، وابن الأثير، كنز الدقائق، ٢٧/٩، وابن العماد، مرجع سابق، ١١٥/٣، والثعالبی، مرجع سابق، ٢١٥/٣.

(٦) معجم الأدباء، ١٢٥/٥.

(٧) عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ٢٤١/٨.

مصادر التربية الإسلامية ← (معجم الأدباء) لياقوت الحموي نموذجاً

بذلك من أوائل المبتكرين لم طريقة شرح النصوص الدينية بالأسرار الحكيمية ، وتقويتها بآيات القرآن الكريم^(١) .

ومنه لاحظ الباحث هنا التناقض العجيب في العقلية العربية في هذا القرن من انحطاط وتأخر في الميدان السياسي وتقدم عظيم في البحث والتأليف .

أثر البيئة على العلماء :

ففي ترجمة : أبي القاسم ، علي بن طلحة بن كردان النحوي ويغلب عليه لقب ابن الصحناتي ت: ٤٢٤ هـ^(٢) . ظهر أثر البيئة السيئ على بعض العلماء كما كان أثرها الحسن على البعض الآخر فقد كان ابن الصحناتي أول شيخ يُقرأ عليه ويُوصف بالفضل والمعرفة . وعنه أخذ النحو أبو الفتوح محمد بن محمد بن مختار وغيره من الواسطيين^(٣) . فيقول في ذم واسط :

سئم الأديب من المقام بواسط	إن الأديب بواسط مهجور
يسا بلدة فيها الغنى مكرم	والعلم فيها ميت مقبور
لا جادك الغيث الهطول ولا اجتلى	فيك الربيع ولا علاك حبور
نثر البلاد أرى فعالك سائراً	عنى الجميل وشرك المشهور ^(٤)

ولاحظ الباحث الأثر السيئ للبيئة التي يقيم بها العلماء فقد تعوق البيئة بعض العلماء عن أداء رسالتهم في الجانب السيئ كما تحدث ابن الصحناتي .

بالنسبة للبيئة العربية كانت شبه الجزيرة العربية بمثابة بيئة لها حركة علمية ثقافية مستقلة وفي نهاية كل حركتها العلمية فهي فرعاً من فروع الشجرة الكبرى شجرة

(١) قرر كالي ، مرجع سابق ، ٣١٤/٥ .

(٢) معجم الأدباء ، ١٠/١٣٣ .

(٣) السيوطي ، نفاية النوازل ، ص ٣٣٩ .

(٤) معجم الأدباء ، ١٠/١٣٣ .

الحركة العلمية العربية العامة إذ تلقت في كل مكان بأسماء الكتب العلمية المهمة المعروفة ، وكأنه كان هناك جسر كبير للثقافة العربية فقد نجد أن البيئة التي يظن أنها كانت بعيدة عن الحركة العلمية تقع في قلب هذه الحركة العلمية ، فالبيئة النجدية مع ما يحيط بها من أسوار الصحراء ، فقد كانت قراها لا تخلوا من بعض المعلمين ، وكانت تتلى فيها كتب الشريعة ، وكتب عربية أخرى بأجرة ، وكانت القبيلة النجدية بمجرد أن تتحول قليلاً أو كثيراً من البداوة إلى الحضرة تنهض فيها حركة علمية نشطة ، على نحو ما حدث في بني مرید ، و قبيلة بنى أسد حين أسسوا مدينة الحلة بالقرب من مدينة الكوفة واستقروا فيها بعض الاستقرار ، وما حدث في بنى عقيل حين أسسوا إمارة لهم بالموصل فإن القبيلتين جميعاً قادتا حركة علمية في ديارهما^(١) .

ومن المؤكد أن قرى نجد مثل اليمامة وبريدة وحائل والعيينة والدرعية لم تخل في أي عصر من شيوخ يختلف الشباب والشيوخ إليهم لتلقى كتب الفقه والتفسير والحديث النبوي ، ويظهر محمد بن عبد الوهاب استحالت نجد إلى دار كبيرة للدعوة الوهابية ولدارسة كتب محمد بن عبد الوهاب وكتب إماميه : أحمد بن حنبل وابن تيمية^(٢) .

وكذلك فإن المدينتين المقدستين مكة والمدينة نجد الحرمين المكي والمدني يتحولان في عصر مبكر إلى جامعتين كبيرتين ، بحيث يصبحان من أهم المراكز العلمية في البلاد العربية ، بسبب كثرة العلماء النابهين بكل الأقطار العربية كانوا ينزلون بمكة ويقيمون فيها سنوات طوالاً ، وقد يمضون فيها بقية حياتهم ، وبالمثل كانوا ينزلون المدينة ، غير من كان

(١) محمود طه أبو العلا ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، ص ١١٢ .
(٢) شوقي ضيف ، تاريخ الدول والإمارات ، ص ٥٣ .

من العلماء في مكة، وكان لكل عالم خلقته، فللمقرئ خلقته، وكذلك للمفسر والمحدث والفقيه وعالم الكلام، وتعددت الحلقات بتعدد العلماء (الشيوخ) حتى لتعد بالعشرات^(١). وقد كانت البيئة وما زالت حتى اليوم الأم الروم والمهم الأول للإنسان نشأ في كنفها منه بخيراتها، وتوفر له سبل العيش، ويتلقى عنها كل آونة درساً في المحافظة على حياته، والارتقاء بأسلوب معيشته، وتكشف له بين حين وآخر سرّاً من أسرارها، وغوراً من أغوارها حتى وصل إليه اليوم من مدنية وتقدم، ولا يزال الإنسان دائب السعي مسرع الخلى لمعرفة ما فيها وتجربة حقائقها^(٢)، فللبينة عموماً أثرها في تشكيل حياة الفرد والجماعة والإنسان ابن البيئة كما يقولون، ويقول هنري بر* المشرف على صدور الموسوعة التاريخية الكبرى ** تطور الإنسانية في تقديمه للمجلد الرابع وعنوانه: الأرض والتطور البشري، يقول: لا ريب أن أثر البيئة قوى جداً على الإنسان، فالجفاف والرطوبة والضوء والرياح بل وكهرباء الجو لا تستطيع أن تعدل من صفات الكائن الحي تعديلاً دائماً أو مؤقتاً، سواء أكان هذا الكائن حيواناً أم نبات كما أن الطعام الذي يستهلكه الكائن الحي يؤثر في نموه^(٣).

وقد نشطت الحركة العلمية في اليمن من قديم، بسبب توزيعها بين إمارات كانت تتنافس فيما بينها علمياً وأديباً مما جعل كل منها تحاول جذب العلماء إلى دائرتها ومحيطها، وكان كثير من الأمراء أنفسهم علماء^(٤).

(١) أحمد السباعي، تاريخ مكة، ص ٩٣.

(٢) محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي (قبل الإسلام - بعد الإسلام)، ١٩٦٧، ص ٨٤.
(٣) لوسيان فيفر - ترجمة: محمد السيد غلاب، الأرض والتطور البشري، القاهرة، ١٩٧٣، المقدمة.
(٤) محمد يحيى الحداد، مرجع سابق، ص ٨٤.

وقد أورد ياقوت في ترجمة: أبي عبد الله محمد بن سعيد محمد ويقلب عليه لقب ابن شرف القيرواني ت: ٤٦٠ هـ^(١)، كان للبيئة أثرها على المتعلمين في التنشئة العلمية فمن نشأ في بيئة تزخر بالعلماء كان عالماً فقد كانت القيروان في عهد ابن شرف وجهة العلماء والأدباء تشد إليها الرحال من كل فج. لما يروونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم^(٢).

ولاحظ الباحث أن عصر ابن شرف كان الدافع إلى التعليم هو التقرب من الأمراء والوزراء حتى ينال العالم من كرم وعناية هؤلاء الوزراء كما كان يفعل المعز بن باديس تجاه العلماء والأدباء.

وفي حضرموت يلقانا كثير من العلماء النابهين، وهم منبثون في كتب التراجم ولهم دلائلهم على ما كان وراثتهم من حركة علمية، كما يظهر ذلك في كتاب "طبقات فقهاء اليمن" وكذلك "العقد الثمين" فقهاء ومحدثين، وقراء حضرميون كثيرون استوطنوا اليمن أو جاوروا بمكة^(٣).

وقد كانت عمان من قديم مركزاً لحركة علمية نشطة، يدل على ذلك من بعض الوجوه أن ابن دريد أكبر علماء اللغة في عصره كان أزدى عماني^(٤)، وقد أمضى بعمان فترة طويلة من حياته، كان لها أكبر الأثر في تكوينه اللغوي ومن أثرها في معجمه المجهرة أنه يحمل كثيراً من لغة الأزد العمانيين وخصائص لهجتهم، ومعروف أنه توفي قبيل هذا العصر مباشرة ببغداد سنة ٣٢٤ هـ^(٥)، وشهرة عمان العلمية في القرن الرابع الهجري، هي

(١) معجم الأدباء، ٤٣٥/٥.
(٢) ابن شافر الكشي، مرجع سابق، ٢٠٤/٢، الوافي بالوفيات، ٩٧/٣، أنظر كشي، مرجع سابق، ١٣٠/٦.
(٣) السقا، تاريخ الشعراء الحضرميين، ص ٢١٧.
(٤) الأندلسي، مرجع سابق، ص ٣٢٢ الخطيب البغدادي، مرجع سابق، ١٩٥/١، جورج زيدان، مرجع سابق، ١٨٨/٢.
(٥) أنظر كشي، مرجع سابق، ٨٠/٦.

التي جعلت أبي سعيد السيراقي : كما رواه البعض أنه خرج من بلدته سيراف في طلب العلم إلى عمان ، ويتفقه به ويتعلم العربية ، ثم يدخل بغداد بعد ذلك ، ويروي أنه تتلمذ لابن دريد ، وقد عني حكاهما من بني نهبان بالحركة العلمية والأدبية بديارهم ، فكثر في عمان الأدياء والعلماء والشعراء^(١) .

أثر البيئة الطبيعية في التعليم :

ذكر ياقوت في ترجمة : أبي رشاد ، أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خديو الأخسيكني ويغلب عليه لقب ذي الفضائل ت: ٥٢٨ هـ^(٢) ، نشأ بقرية أخسيكن وهي تقع على نهر الشاش ، على أرض مستوية ولها حصن ، وتبلغ نحو ثلاثة فراسخ وينافها من طين ، وقد ساعدت هذه العوامل على أن يتخرج فيها جماعة من أهل العلم والأدب منهم أبو الوفاء (محمد بن محمد بن القاسم الأخسيكني ت: ٢٥٠ هـ وأخوه رشاد وأبو عصمة نوح بن نصر بن الحارث الفرغاني الأخسيكني)^(٣) .

أثر البيئة البشرية على التعليم :

أورد ياقوت في ترجمة : أبي محمد ، سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عاصم ويغلب عليه لقب الدهان ت: ٥٦٩ هـ^(٤) ، بالموصل ، خرج من بغداد إلى دمشق فاجتاز على الموصل وبها وزيراها الجواد المشهور فارتبط به (أوثقه) وصدره ، حتى غرقت كتبه وهو غائب ، فحزن عليها فطلع إلى رأسه وعينه فأحدث له العمى^(٥) .

(١) ابن حجر الشافعي الميزان ، ١٢٢/٥ السبكي ، مرجع سابق ، ١٤٥/٢ الخطيب البغدادي ، مرجع سابق ، ١٩٥/٢
(٢) معجم الأدياء ، ٢٩/٢٠ ومعجم البلدان ، ١٥٠/١ والسويسي ، بغية الوعاة ، ص ١٦٢
(٣) عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ١٤٤/٢ الزركلي ، مرجع سابق ، ٢١٥/١ لبياض الرواة ، ١٣٢/١
(٤) معجم الأدياء ، مرجع سابق ، ٢٨/٣ عمر رضا كحالة ، مرجع سابق ، ٢٢٩/٤
(٥) سيرة أعلام النبلاء ، ٢٨٣/١٦٠ ابن شهبة ، مرجع سابق ، ص ٢٩٢ الصفدي ، مرجع سابق ، ٨٥/١٢٠

ولاحظ الباحث هنا أثر البيئة السيئة على العلماء الذي نجم عن ظلم الحكام للعلماء وإحراق كتبهم، ومحو علمهم من أوراقهم، فقد تأثر ابن الدهان من هذا العدوان والغدر الذي لحق به ومؤلفاته.

ومع ذلك فقد ذم وقبح أعمالهم وأراد أن يستخف من صنيعهم، وأن هذه العلوم إنما هي محفوظة في رأس العالم ولو ملكوا هم الكتب فلا يزيّنهم ذلك فقال:

لا تحسبن أن بالكتب مثلنا ستصير
فللدجاجة ريش لكنها لا تملير^(١)

الدعوة إلى التعليم:

ذكر لياقوت في ترجمة: أبي الأسود، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن تغانة بن عدى بن بكر بن كنانة الدؤلي ويغلب عليه لقب حاضري الجواب ت: ٦٧هـ^(٢)، اهتم من خلال أبيات يرويها بالدعوة إلى التعليم والزجر عن جمع المال وحب الجاه، فقال:

العلم زين وتشريف لصاحبه	فما طلب هديت فنون العلم والأدب
كم سيد يطل أباه نجيب	كانوا رؤوساً فأضحى بعدهم ذنباً
ومقفر خامل الأيادي ذي أدب	نال المعالي بالآداب والرئيس
العلم زخرو كنز لا تنفاد له	نعم القرين ونعم الخدن إن صحبا
وجامع العلم مغبوط به أبدا	فلا يحاذر فيه القوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه	لا تعدلن به دراً ولا ذهباً ^(٣)

(١) نبيه الرواة، ٤٧/٢ - ٥١.
(٢) معجم الأدباء، ٤٣٧/٣، ابن خلكان، مرجع سابق، ٢٤٠/١.
(٣) ابن عساكر، التهذيب، ١٠٤/٧ والزركلي، مرجع سابق، ٢٣٦/٣.

ويقول قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله ، وكفى بالجهل خمولاً أن يتورا منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إليه ، فقال :

كفى شرفاً للعلم دعواه جاهل ويفرح أن يدعى إليه وينسب
ويكفى خمولاً بالجهالة أنني أراع متى أنسب إليها وأغضب^(١)

ولاحظ الباحث هنا أن أبا الأسود يدعو غيره إلى التعليم وملازمة العلماء ، فيكفي المعلم شرفاً له أن ينسب إلى العلم فيقال عالم ، وكفى الجاهل خزيماً أن يقال أنه جاهل ، ولو كان العالم فقيراً لآمال له يصبح بالعلم ذا جاه وذا مال ، فإنه ينال الرتب العليا والمفاخر بهذا العلم ، ويكفي الغنى ذا الجاه والسلطان فزعاً أن يقال أنه جاهل .

(١) ابن عساکر ، التهذيب ، ١٠٤/٧ والزر کلی ، مرجع سابق ، ٢٣٦/٣

تعقيب :

هذا الفصل من الدراسة يحاول الإجابة على سؤال هام هو :

ما هي مؤسسات التمويل للتعليم ؟ وما أنواع التعليم الخاص ؟ وما الكتب ذات

القيمة التربوية التي وردت بكتاب "معجم الأدباء" ؟

وقد أوضح الباحث أنه إذا كان المؤرخ التربوي الذي يقوم بتسجيل ما يحدث

حوله من أفكار تربوية ، وتغيرات اجتماعية واقتصادية وفلسفية في العملية التعليمية، بكل

جوانبها من المعلم والتلميذ والمنهج والإدارة والتمويل .

وإذا كانت الكتابات التربوية في تاريخ التربية بمثابة السجل الكامل الوافي الذي

يحتوى على كل ما يتعلق بالعصر والعصور التي تناولتها الدراسة برجالها وحوادثها

والأفكار السائدة فيها ، وكل المؤثرات التي تؤثر في العملية التعليمية وتتأثر بها من قريب

أو بعيد وإذا كان الأمر كذلك ، فإن لياقوت الحموي مؤرخ تربوياً بل إنه من طراز خاص

ونادر استطاع أن يؤرخ للعديد من القضايا التربوية في عصره ، وفي عصور العلماء الذين

تناول أعمالهم بالترجمة وتعرض لأفكارهم التربوية ، بل إنه تمتع في ذلك بالدقة والموضوعية

والصدق .

أولاً : المصادر :

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - كتب السنة النبوية .
- ٣ - ابن خلكان (أبو بكر شمس الدين) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : عباس (د. إحسان) ، (بيروت : دار الثقافة ١٩٦٨ م) ، ثانية أجزاء .
- ٤ - ابن العماد (أبو الفلاح الحنبلي ت : ١٠٨٩ هـ) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (القاهرة : مكتبة القدسي / ١٣٥١ هـ) ست أجزاء .
- ٥ - بردى (ابن تغرى) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ م) .
- ٦ - البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب) ، تاريخ بغداد ، (القاهرة : مطبعة الخانجي ، ١٩٣١ م) .
- ٧ - حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الكاتب الحلبي ت : ١٠٦٨ هـ) ، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ، (مصر ، ١٢٧٤ هـ) .
- ٨ - الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت : ٦٢٦ هـ) ، معجم الأدباء ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩١ م ، خمس مجلدات ، عشرون جزء .
- ٩ - معجم البلدان ، (لبنان ، بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧ م) ، خمس مجلدات
- ١٠ - الزركلي (خير الدين) ، الإعلام ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ م) شأني أجزاء
- ١١ - الصغدي (صلاح الدين) ، الوافي بالوفيات ، (دمشق ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٥٣ م)
- ١٢ - الكتبي (محمد بن شاكر) ، فوات الوفيات ، تحقيق / عباس (د. إحسان) ، (بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٣ م) .
- ١٣ - كحالة (عمر رضا) ، معجم المؤلفين ، (لبنان : بيروت ، دار الثقافة ، د. ت .

تانيا : اطراحج :

- ١٤ - ابن أبى أصيبعة (أبى العباس ، موفق بن أحمد) ، عيون الأنباء في طبقات الأعلام * تحقيق/ رضا (د. نزار) . (بيروت . دار مكتبة الحياة . ١٩٦٥ م) .
- ١٥ - ابن الأثير (الملقب بعز الدين ت : ٦٣٠ هـ) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر الطبعة الأولى . (القاهرة . مصطفى البابي الحلبي . منشورات محمد محي الدين عبد الحميد / ١٩٣٩ م) .
- ١٦ - أبو الحسن على بن أبى الكرم الشيباني ت : ٥٦٣ هـ . الكامل في التاريخ . (بيروت : دار الفكر العربي . ١٩٧٨ م) . عشرة أجزاء .
- ١٧ - ابن الجوزي . نغمة النهاية في طبقات القراء . عنى ينشره برجستراسر (لبنان بيروت : دار الكتب العلمية . ١٩٣٢ م) .
- ١٨ - ابن جنس (أبو الفتح عثمان) . الخصائص . تحقيق / النجار (د. محمد على) . (لبنان . بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر . ١٩١٣ م) . مجلدان .
- ١٩ - ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن على ت : ٥٩٧ هـ) . المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . دراسة وتحقيق / عطا (د. محمد عبد القادر) . وعطا (د. مصطفى عبد القادر) . (لبنان . بيروت : دار الكتب العلمية . ط ١ . ١٩٩٢ م) . ثمانى عشر جزء .
- ٢٠ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك . الطبعة الأولى . دراسة الحكيم (د. حسن عيسى على) . (بيروت . عالم الكتب . ١٩٨٥ م) .
- ٢١ - ابن حزم . جمهرة أنساب العرب . تحقيق وتعليق / غياض (د. محسن) . (مطبعة النعمان . النجف الأشرف . ١٩٧٤ م) .

- ٢٢ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) . المقدمة . الطبعة الثانية . (بيروت : دار الكتاب اللبناني . ١٩٦١ م) .
- ٢٣ - القرطبي (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري ت : ٤٦٣ هـ) . جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته . تصحيح وطبع إدارة الطباعة المنيرية . (بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٨ م)
- ٢٤ - ابن القمطان (أبو محمد حسن بن علي الكتامي المراكشي) . نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان بتحقيق / مكى (د. محمود علي) . (لبنان . بيروت : دار الغرب الإسلامي . ١٩٩٠ م) مجلد واحد .
- ٢٥ - ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري) . الشعر والشعراء . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧٢ م) .
- ٢٦ - _____ . الأشواء في مواسم العرب . الطبعة الأولى . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند - الدكن : حيدرآباد . ١٩٦٥ م) .
- ٢٧ - _____ . عيون الأخبار . (القاهرة : دار الكتب . ١٩٢٨ م) .
- ٢٨ - ابن النديم (أبو الفرج . محمد بن اسحق ت : ٣٨٥ هـ) . الفهرست . (مصر : المكتبة التجارية . ١٣٤٨ هـ) .
- ٢٩ - ابن الوردي (زين الدين عمر) تنمية المختصر في أخبار البشر . تحقيق / البديوي (أحمد رفعت) . (لبنان - بيروت : دار المعرفة . ١٩٧٠ م) جزءان
- ٣٠ - ابن منظور . لسان العرب . طبعة بولاق . الجزء الأول . مادة بوا .
- ٣١ - ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) . السيرة النبوية . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . (القاهرة : كتاب التحرير . ١٣٨٣ هـ) .
- ٣٢ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي ت : ٦٥٨ هـ) المقتضب من كتاب تحفة القادم . تحقيق / الإيباري (إبراهيم)

- الطبعة الثانية، (منشورات دار الكتب الإسلامية، القاهرة : دار
الكتاب المصري، بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢ م).
- ٣٣ - أبو العلا (د. محمود طه) جغرافية شبه جزيرة العرب، (القاهرة، ١٩٧٢ م).
- ٣٤ - أبو العيذين (د. علي خليل مصطفى) القيم الإسلامية والتربية، (المدينة المنورة
مكتبة إبراهيم حلي، ١٩٨٨ م).
- ٣٥ - أحمد (د. سعد مرسى)، وعلى (د. سعيد إسماعيل)، تاريخ التربية والتعليم،
عالم الكتب، ١٩٧٢ م).
- ٣٦ - الأصبهاني (أبو الفرج علي بن الحسين)، الأغاني، نسخة مصورة عن طبعة بولاق
الأصلية، (بيروت : دار الفكر للجميع، ١٩٧٠ م).
- ٣٧ - الأصبهاني (ابن العماد)، خريدة القصر وجريدة العصر، (مطبعة لجنة التأليف
والنشر والترجمة، ١٩٥١ م).
- ٣٨ - الأديوي (أبو الفضل كمال الدين بن تعلق : ٧٤٨ هـ)، الطالع السعيد الجامع
أسماء بخياء الصعيد، تحقيق / حسن (د. سعد محمد)، (الدار
المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م)، مجلد واحد.
- ٣٩ - اغناطيوس (كراتشكوفسكي)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة / هاشم
(صلاح الدين عثمان)، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر
(القاهرة، جامعة الدول العربية، ١٩٦٣ م).
- ٤٠ - أمين (أحمد)، فجر الإسلام، الطبعة الأولى، (بيروت : دار الكتاب العربي،
١٩٦٩ م).
- ٤١ - أمين (مصطفى)، تاريخ التربية، الطبعة الثانية، (مطبعة المعارف بفجالة مصر
١٩٢٦ م).

- ٤٢ - الأنباري (أبو البركات كمال الدين بن محمد، ت: ٣٢٨ هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق / إبراهيم (د. محمد أبي الفضل)، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٦٧ م.
- ٤٣ - _____، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق / السامرائي (د. إبراهيم) المطبعة الثانية، (بغداد، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٠ م).
- ٤٤ - باشا (د. أحمد فؤاد)، أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي دراسات تأصيلية، (القاهرة، دار الهداية، ١٩٩٧ م).
- ٤٥ - بدر الدين (ابن جماعة ت: ٧٣٣ هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم (بيروت: دار الكتب العلمية، نشر محمد هاشم الندوي، ١٣٥٤ هـ).
- ٤٦ - بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة / النجار (د. عبد الحليم) (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٤ م) ست أجزاء.
- ٤٧ - البستاني (فؤاد أفرام)، دائرة المعارف قاموس لكل فن ومطلب، (بيروت، ١٩٦٧ م).
- ٤٨ - البغدادي (إسماعيل باشا)، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين في كشف الظنون (لبنان - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م).
- ٤٩ - بلاشير (د. يحيى)، تاريخ الأدب العربي، تعريب / كبلاني (إبراهيم)، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- ٥٠ - بيكر (ر.هـ)، عندما تطلع النجوم، تعريب / قياض (د. محمد)، فيروت، نيويورك: المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، ١٩٦٣ م.
- ٥١ - الديهقي (إبراهيم بن محمد)، المحاسن والمساوئ، تحقيق / إبراهيم (محمد أبو الفضل)، (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ١٩٦١ م).

- ٥٢ - التوحيدى (أبو حيان) . الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح وضبط ، أمين (أحمد)
والزوين (أحمد) ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، د. ت) .
- ٥٣ - _____ ، مثالب الوزيرين ، (لبنان - بيروت ، مطبعة دمشق ، د. ت) .
- ٥٤ - التونسى (محمد) ، أبو الريحان البيروني ، (مصر ، دار التراث العربى ، د. ت) .
- ٥٥ - الثعالبي ، يتيمة الدهر ، الطبعة الأولى ، (مطبعة الصاوى ، ١٩٣٤ م) . أربعة أجزاء
- ٥٦ - جابر (د. جابر عبد الحميد) وكاظم (د. أحمد خيرى) ، مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٧٨ م) .
- ٥٧ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق / السندوبى (حسن)
الطبعة الرابعة (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ١٩٥٦ م) .
- ٥٨ - الجزرى (عز الدين بن الأثير) ، اللباب فى تهذيب الأنساب ، بيروت - لبنان : دار
صادر ، د. ت)
- ٥٩ - الجوينى (مصطفى الصاوى) ، ملاحم الشخصية المصرية فى الأدب ، (طبع الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠ م) .
- ٦٠ - الحداد (محمد يحيى) ، تاريخ اليمن اسياسى (قبل الإسلام - بعد الإسلام) ،
القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ٦١ - حسن (د. إبراهيم حسن) ، تاريخ الإسلام السياسى ، الطبعة الثانية ، (مكتبة
النهضة المصرية ، ١٩٤٩ م) .
- ٦٢ - حمزة (د. عبد اللطيف) ، الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبي والمملوكى ، دار الفكر العربى ، ١٩٤٧ م .
- ٦٣ - حموش (مكى بن أبى طالب ت : ٤٣٧ هـ) ، الإبانة عن معانى القراءات ،
تحقيق / شلى (د. عبد الفتاح إسماعيل) ، (القاهرة ، دار نهضة
مصر للطبع والنشر بالقاهرة ، د. ت) .

- ٦٤ - حميدة (د. عبد الرحمن) ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، دمشق ، منشورات دار الفكر ، ١٩٦٩ م .
- ٦٥ - الحلوجي (د. عبد الستار) ، المخطوط العربي ، ط ٢ ، (المملكة العربية السعودية : جدة : مكتبة مصباح ، ١٩٨٩ م) ، مجلد واحد .
- ٦٦ - الحوفي (د. أحمد) ، الطبرى سلسلة أعلام العرب ، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر د. ت) .
- ٦٧ - خورشيد (د. عبد الله) ، القرآن وعلومه في مصر ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م) .
- ٦٨ - درويش (مصطفى عبد الرحمن) ، في تاريخ التربية ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ م) .
- ٦٩ - الدمرياش (أحمد سعيد) ، أبو الريحان البيروني ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م) .
- ٧٠ - دى - بوش ، ج ، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة / أبوزيدة (محمد عبد الهادي) ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١ م) .
- ٧١ - ديب (د. السيد محمد) ، لياقوت الحموي أدبياً وناقداً ، الطبعة الأولى ، (القاهرة دار الطباعة المحمدية ، ١٩٨٨ م) .
- ٧٢ - الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) ، العبر في أخبار من غير ، تحقيق المنجد (صلاح الدين) وآخرين ، (الكويت ، ١٩٦٠ م) .
- ٧٣ - _____ ، تذكرة الحفاظ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د. ت) .
- ٧٤ - _____ ، ميراث الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق / البجاوي (على محمد) ، (بيروت : دار المعرفة ، د. ت) .
- ٧٥ - _____ ، تاريخ الإسلام ، (لبنان - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٣٩ م) .
- ٧٦ - _____ ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق الأرناؤوط (شعيب) الطبعة العاشرة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ م) .

- ٧٧ - الذهبي (د . محمد حسين) ، التفسير والمفسرون ، منشورات دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٩ م .
- ٧٨ - راضى (على محمد) ، عصر الإسلام الذهبي (المأمون العباسي) ، (القاهرة : الدار القومية للطباعة ، د . ت) .
- ٧٩ - رجب (د . مصطفى) ، مع تراثنا التربوي ، (القاهرة : مكتبة كوميث ، ١٩٩٩ م) .
- ٨٠ - الرزاز (حسن) ، عواصم مصر الإسلامية ، (القاهرة : مطبوعات الشعب ، د . ت) .
- ٨١ - روزنتال (د . فرانز) ، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة فريحة (د . أنيس) ط ٤ ، (لبنان - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣ م) .
- ٨٢ - الزركشي (محمد بن عبد الله بدر الدين) ، البرهان في علوم القرآن ، (بيروت : دار المكتبة العلمية : د . ت) .
- ٨٣ - الزرنوجي ، تعلم المتعلم طريق التعليم ، (القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٣٢ هـ) .
- ٨٤ - زهير (البهاء) ، ديوان البهاء ، الطبعة الأولى ، (دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨ م) .
- ٨٥ - زيدان (جرجى) ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، ١٩٤٢ م .
- ٨٦ - السبكي ، مطبقات الشافعية ، (بيروت : دار الأفاق الجديدة ، ١٩٧١ م) .
- ٨٧ - _____ ، معبد النعم وحيد النعم ، تحقيق محمد النجار وآخرون ، (مصر : مكتبة الخانجي ، ١٩٤٨ م) .
- ٨٨ - سرزكين (فؤاد) ، تاريخ التراث العربي ، ترجمة / حجازي (د . محمود فهمي) وأبو الفضل (د . فهمي) ، المجلد الأول ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م) .
- ٨٩ - السيراقي (أبو سعيد) ، أخبار النحويين البصريين وسماتهم ، أخذ بعضهم عن بعض تحقيق البنا (محمد إبراهيم) ، الطبعة الأولى ، دار الإعتصام ، ١٩٨٥ م .

- ٩٠ - السبوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت: ٩١١ هـ) . المزهر في علوم اللغة . (القاهرة . ١٩٤٢ م) .
- ٩١ - بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة . تحقيق إبراهيم محمد أبو الفضل) . مطبعة عيسى البابي وشركاه . ١٩٦٤ م . جزآن :-
- ٩٢ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . عيسى البابي الحلبي وشركاه د.ت . جزآن .
- ٩٣ - شهبة (ابن القاضي) . طبقات النحاة واللغويين . تحقيق غياض (د. محمد) . مطبعة النعمان . النجف الأشرف . ١٩٧٤ م .
- ٩٤ - الشوكاني (محمد بن علي : ١٢٥٠ هـ) . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . تصحيح اليمنى (محمد بن محمد بن زياره) . (لبنان - بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر . د.ت) . مجلدان .
- ٩٥ - الشحات (علي أحمد) ومنتصر (عبد الحليم) . أبو الريحان البيروني . حياته . مؤلفاته . أبحاثه العلمية . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٨ م) .
- ٩٦ - الشيباني (عمر) . مناهج البحث الاجتماعي . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧١ م) .
- ٩٧ - الصاغاني (رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن ت: ٦٥٠ هـ) . كتاب الأضداد . تحقيق أحمد (د. محمد عبد القادر) . (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . ١٩١٩ م) .
- ٩٨ - ضيف (د. شوقي) . البلاغة تطور وتاريخ . (القاهرة : دار المعارف . د.ت) .
- ٩٩ - في النقد الأدبي . (القاهرة : دار المعارف . د.ت) .
- ١٠٠ - المدارس النحوية . (القاهرة : دار المعارف . د.ت) .
- ١٠١ - الفن ومذاهبه في النثر العربي (القاهرة : دار المعارف) .

- ١٠٢ - ضيف (د. شوقي)، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات . به جزيرة العرب، العراق، إيران) / ط ٦، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٠ م)
- ١٠٣ - تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ط ٦ ، (القاهرة : دار المعارف ، د. ت) .
- ١٠٤ - الطبرسي (أبو علي ، الفضل بن الحسن) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط ٢ ، (بيروت : مكتبة الحياة ، ١٩٦١ م) .
- ١٠٥ - الطبري (محمد بن جرير ، ت : ٣١٠ هـ) ، جامع البيان في تفسير أي القرآن ، مطبع دار الباني الحلبي ، ١٩٥٤ م) .
- ١٠٦ - طوقان (د. قدري حافظ) ، العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى (القاهرة : دار النهضة ، ١٩٦٨ م) .
- ١٠٧ - عبادة (د. محمد إبراهيم) ، النحوا التعليمي في التراث العربي ، (الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٨٦ م) .
- ١٠٨ - عيود (المارون) ، بديع الزمان الهمذاني ، (القاهرة : دار المعارف ، د. ت) .
- ١٠٩ - عثمان (د. محمد محمد) ، ابن جرير الطبري في مصر شبوخته وتلاميذه ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٩٥ م) .
- ١١٠ - عاقل (د. فاخر) ، معالم التربية ، الطبعة الخامسة ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٣ م) .
- ١١١ - العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، ت : ٨٥٢ هـ) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، (بيروت : دار الجيل ، د. ت) (أربعة أجزاء) .
- ١١٢ - التهذيب ، (القاهرة : دار النهضة ، ١٩٤٨ م) .
- ١١٣ - تهذيب التهذيب ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٦٨ م) .

- ١١٤ - على (د. سعيد إسماعيل) ، معاهد التعليم الإسلامي ، (القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٨ م)
- ١١٥ - ديمقراطية التربية الإسلامية - (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٢ م)
- ١١٦ - دراسات في التربية الإسلامية ، (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٢ م)
- ١١٧ - رؤيات إسلامية لقضايا تربوية ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٩٣ م)
- ١١٨ - الأزهر على مسرح السياسة العصرية ، (القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ م)
- ١١٩ - بحوث في التربية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : مركز التنمية البشرية للمعلومات ، ١٩٨٧ م)
- ١٢٠ - على (د. خطاب عطية) ، التعليم في مصر في العصر الفاطمي الأول ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٤٧ م)
- ١٢١ - الغزالي (أبو حامد محمد) ، إحياء علوم الدين ، (القاهرة ، ١٩٣٩ م)
- ١٢٢ - فارس (أحمد بن) ، المصاحبي ، ط ١ ، (القاهرة : ١٣٢٨ هـ)
- ١٢٣ - فان دالين (ديوبولد) ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ترجمة : نوفل (د. محمد نبيل) وآخرين ، ط ٤ ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠ م)
- ١٢٤ - الغراء ، معاني القراء ، تحقيق نجاتي (د. أحمد يوسف) وآخرين ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م)
- ١٢٥ - السيد (فؤاد البهي) ، علم النفس الإجتماعي ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٥٤ م)

- ١٢٦ - القفطي (جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي يوسف ت : ٦٤٦ هـ . إخبار العلماء بأخبار الحكماء) (لبنان - بيروت : دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ت .) جزء واحد .
- ١٢٧ - _____ . إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق إبراهيم (د محمد أبي الفضل) . (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠ م) .
- ١٢٨ - القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . (القاهرة : دار الكتب ، ١٩٢٨ م) .
- ١٢٩ - قيفر (الوسيان) . الأرض والتطور البشري ، ترجمة غلاب (د محمد السيد) . (القاهرة : ١٩٧٣ م) .
- ١٣٠ - كحالة (عمر رضا) . التاريخ والجغرافيا في العصور الوسطى . (دمشق : منشورات المطبعة التعاونية ، ١٩٧٢ م) .
- ١٣١ - _____ . جولة في ربوع التربية والتعليم . الطبعة الأولى . (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م) .
- ١٣٢ - الكرخي (أبو بكر محمد بن الحسن) . إنباط المياه الخفية . تحقيق ودراسة عبد المنعم (بغداد) . (القاهرة : معهد المخطوطات العربية ، ١٩٩٧ م) .
- ١٣٣ - مرجبا (د محمد عبد الرحمن) . الجامع في تاريخ العلوم عند العرب . الطبعة الثانية . (بيروت ، باريس : منشورات عويدات ، ١٩٨٨ م) . مجلد واحد .
- ١٣٤ - مرسى (د محمد منير) . التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية . (القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٩٣ م) .
- ١٣٥ - معروف (ناجي) . تاريخ علماء المستنصرية . (القاهرة : دار الشعب ، ١٩٦٦ م) . مجلدان .

- ١٣٦ - المسعودي (أبو الحسين علي بن الحسين ت : ٩٥٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن
الجواهر الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الأندلس ، ١٩٧٣ م) أربعة
أجزاء .
- ١٣٧ - الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد) ، مجمع الأمثال ، (بيروت : دار مكتبة
الحياة ، ١٩٦١ م) .
- ١٣٨ - التميمي (عبد القادر ، ت ٩٢٧ ع) الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق الحسيني
(جعفر) (دمشق : المجمع العلمي العربي ، ١٩٤٨ م) . مجلدان .
- ١٣٩ - النقيب (د. عبد الرحمن) ، بحوث في التربية الإسلامية ، (القاهرة : دار الفكر
العربي ، د.ت) .
- ١٤٠ - النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت : ٧٣٣ هـ) نهاية الأرب في
فنون الأدب ، تحقيق البجاوي (علي محمد) ، (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م) . الجزأين الخامس والسادس .
- ١٤١ - اليافعي (أبو محمد عبد الله أسعد بن علي ت : ٧٦٨ هـ) ، مرآة الجنان وعبرة
اليقظان في معرفة ما يعتذر من حوادث الزمان ، (بيروت - لبنان
: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٧ م) .
- ١٤٢ - نوقل (سيد) ، شعر الطليعة في الأدب العربي ، (مطبعة مصر ، ١٩٤٥ م) .
- ١٤٣ - وافي (د. علي عبد الواحد) ، فقه اللغة ، (القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠ م) .
- ١٤٤ - يونس (عيد الحميد) ، خورشيد (إبراهيم زكي) ، الشتنناوي (أحمد) ، دائرة
المعارف الإسلامية ، (النسخة العربية ، الشعب ، د.ت) . الجزء
التاسع .

ثالثاً : الدوريات والمجلات :

- ١٤٥ - أحمد (جمال عبد العزيز) ، من المناطرات بين النحاة والفقهاء ، مجلة الأزهر السنة التاسعة والعشرون ، أكتوبر / نوفمبر ، ١٩٦٦ م .
- ١٤٦ - الحمد (رشيد) وينسى (محمد سعيد صابر) ، البيئة ومشكلاتها ، عالم المعرفة ، العدد الثاني والعشرون ، ذو القعدة / ذو الحجة ، / أكتوبر ، ١٩٧٩ م
- ١٤٧ - الطنوبي (صلاح أحمد) ، المكتبيات في الإسلام ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٧١ ، مارس ١٩٧٨ م .
- ١٤٨ - العجمي (مرسل فالج) ، بطولة ابن القارح في رسالة الغفران ، حوليات كليات الآداب الكويت ، العدد ١٧ ، ١٩٩٧/٩٦ م .
- ١٤٩ - سلطان (جمال) ، قيمة التراث ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٢٩٨ ، مايو ١٩٨٩ م
- ١٥٠ - شاخنت (جوزيف) ، بوزورت (كليغورد) ، تراث الإسلام ، ترجمة السهموري (د. محمد زهير) مؤنس (د. حسين) ، الجزء الأول ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٣ ، مايو ١٩٩٨ م .
- ١٥١ - _____ ، تراث الإسلام ، ترجمة السهموري (د. محمد زهير) مؤنس (د. حسين) الجزء الثاني ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٤ ، يونيو ١٩٩٨ م .
- ١٥٢ - باننشا (د. أحمد فؤاد) ، البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي ، مجلة الأزهر السنة ٢٩ ، العدد السادس ، أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٦ م .
- ١٥٣ - نصر (د. عبد المجيد) ، الرياضيات في الحضارة الإسلامية ، أعمال ندوة التراث العلمي العربي في العلوم الإسلامية ، ليبيا - طرابلس : جامعة الفانج ، ١٩٩٠ م .

تابعاً : الرسائل :

- ١٥٤ - أبيض (د. ملكة) ، التربية والثقافة العربية والإسلامية في الشام والجزيرة . خلال القرون الهجرية الثلاثة . بالاستشهاد إلى مخطوط تاريخ دمشق لابن عساكر : ٥٧١ هـ . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٨٠ م .
- ١٥٥ - أحمد (د. حسين فؤاد) ، مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفكر التربوي الإسلامي . ماجستير في التربية (أصول تربوية) . جامعة عين شمس . كلية التربية . ١٩٨٨ م .
- ١٥٦ - الزود (د. خليل) ، الحياة العلمية في بلاد الشام في القرنين الأول والثاني الهجريين (بيروت : دار الأفاق الجديدة . ١٩٧١ م) .
- ١٥٧ - العميرة (د. محمد حسن) ، الفكر التربوي في بلاد الشام خلال القرنين السادس والسابع الهجريين . وتطبيقاته التربوية . رسالة دكتوراة . في الفلسفة وأصول التربية . جامعة عين شمس . كلية التربية . ١٩٩٠ م .
- ١٥٨ - علي (د. فاطمة محمد السيد) ، الفكر التربوي عند الإمام الشافعي . ماجستير . أصول تربية جامعة المنوفية . كلية التربية . ١٩٨١ م .
- ١٥٩ - القزويني (د. علاء الدين أمير محمد مهدي) ، الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية . دكتوراه أصول تربية . جامعة عين شمس . كلية التربية . ١٩٨٤ م .
- ١٦٠ - حفناوي (د. مدحت محم عمر) ، قضايا التربية والتعليم في تاريخ الجبرتي المسمى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار . ماجستير . أصول تربية . جامعة أسيوط . كلية التربية بأسوان . ١٩٩١ م .
- ١٦١ - خليفة محمد إبراهيم . الدور التربوي لمراكز الثقافة الجماهيرية في مصر . ماجستير أصول تربية . جامعة أسيوط . كلية التربية بسوهاج . ١٩٨٧ م .

- ١٦٢ - رجب (د. مصطفى) ، فلسفة التربية عند أبي العلاء المعري ، كما تظهر في ديوان اللزيميات بحث منشور ، كلية التربية بسوهاج ، ١٩٨٦ م .
- ١٦٣ - _____ ، الآراء التربوية في كتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ، بحث منشور القاهرة : مكتبة كويت ، ١٩٩٩ م .
- ١٦٤ - محمد (د. أحمد محمد أحمد) ، دور المسجد كمؤسسة تربوية في المجتمع ، ماجستير ، أصول تربية ، دراسة ميدانية على مساجد بندر المنيا ، جامعة المنيا ، كلية التربية ، ١٩٨٨ م .
- ١٦٥ - معبد (د. فتحى محمد حسن) ، الفكر التربوي عند الفقهاء والمحدثين حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، دكتوراة في أصول التربية ، جامعة قناة السويس ، كلية التربية ، ١٩٩٠ م .
- ١٦٦ - يحيى (د. عبد الأمير شامى) ، التجوى في الشعر العربى القديم حتى أواخر العصر الأموى ، دكتوراه في الأدب العربى ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة القديس يوحنا ، بيروت : منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٠ م .